مركز البحوث العربية
والافريقية

لجنة توثيق تاريخ الحركة
الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

من تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر

شهادات ورؤى

الجزء السابع

أحمد أحمد سُليم
ثريا محمد أدهم
حسونة حسين إسماعيل
سعيد أبو طالب
طه سعد عثمان
عادل حسونة حسين
نبيل صبحى حنا
عبد الله محمود كامل
فاطمة محمد زكى
محمد حسن المنشاوى

تقديم
د. عاصم الدسوقى

المحتويات

التصدير: د. عاصم الدسوقى ٧

• الشهادات
أحمد أحمد سلّيم ١٣
ثريا محمد أدهم ٤٥
حسونة حسين إسماعيل ٧٣
سعيد أبو طالب ١٠١
طه سعد عثمان ١١٣
عادل حسونة حسين ١٧٣
عبد الله محمود كامل ٢٠٩
فاطمة محمد زكى ٢٢٥
محمد حسن المنشاوى ٢٤٥
نبيل صبحى حنا ٢٦٩
• قائمة بالمنظمات الشيوعية منذ العشرينات إلى عام ١٩٦٥ ...... ٢٣٧
• قائمة مطبوعات مركز البحوث العربية والإفريقية ٣٣٣

تصدير

د. عاصم الدسوقى

هذه مجموعة أخرى من شهادات الشيوعيين المصريين ينتمى أصحابها لجيلين مختلفين .. جيل نشأ فى عشرينيات القرن العشرين .. وجيل نشأ فى ثلاثينياته، ويشتركون فى أصول اجتماعية - ثقافية متقاربة بين الشرائح الدنيا من الطبقة الوسطى (الموظفون) والشرائح العليا من عامة الفلاحين وعمال المصانع والشركات، وينتمون لتنظيمات وفصائل يسارية متباينة بحكم ظروف كل منهم. ولكن جمعتهم هموم اجتماعية وسياسية واحدة فى مقدمتها قضية العدل الاجتماعى فى مجتمع كان أبناؤه - ولا يزالون - يعانون من التفاوت الطبقى الكبير بين من يملكون الثروة والسلطة وبين من لا يملكون إلا قوة عملهم يبيعونها بثمن بخس لمن يملك الأرض والمصنع والمتجر وأماكن اللهو والترفيه..

ولهذا لم تكن مصادفة أن ينتمى للشيوعية فكرا وتنظيما كل من كان يعانى القهر الاجتماعى بصورة أو بأخرى .. كل من لمس بنفسه معنى أن يحرم من التعليم مثلا بسبب ضيق ذات يد الأسرة وحاجتها إلى قوة عمله تستعين بها لمواجهة أعباء الحياة .. وكل من شاهد بنفسه سوء معاملة عمال المصانع والورش الذين ينتجون فائض القيمة لصالح أصحاب المال دون أن ينعموا هم بشىء من ناتج عرقهم ليحررهم قليلا من الحاجة ويرطب حياتهم الجافة .. وكل من رفض إغراءات سلطة الإدارة لكى

ينقلب على زملائه فناله ما يكره .. وكل من كان يطل على المجتمع من شرفة قصر أو بيت كبير وتستثير مشاعره رؤية المظلومين الذين لا يملكون إلا الدعاء واستمطار اللعنات على مستغليهم .. هكذا.

والحال كذلك.. كان على الذين يشعرون بالظلم الاجتماعى البحث عن ظهير يستندون إليه فى مقاومة الظلم ، ولم تكن مصادفة أن يكون الدين هو الظهير الأساسى لمقاومة الظلم والقاسم المشترك فى كثير من الشهادات ، ودون شعور بوجود تناقض بينه وبين الشيوعية طالما كانت الدعوة للمساواة ورفع الظلم عن العباد ، بل لقد حارب هؤلاء المتدينون حملة الدعاية المضادة للشيوعية التى كانت تقرنها بالإلحاد دوما ..

وهذه الشهادات شأن غيرها من الشهادات التى صدرت فى الأجزاء السابقة من قبل .. تقدم مشاهد وتفاصيل كثيرة، حيوية ودقيقة، من تجربة نضال الشيوعيين المصريين فى أماكن العمل وفى الشارع وفى السجون والمعتقلات، وأيضا تقدم الكثير عن طبيعة العلاقات الخاصة والشخصية بين عناصر التنظيمات، ومشاعر المحبة والتقدير أو الغضب والضيق عند اختلاف المواقف وتباين تحليل الأوضاع إلى غير ذلك من لقطات تساعد الباحث على فهم وتفسير كثير من وقائع الحركة الشيوعية مما لا يمكن العثور عليه فى الوثائق المحفوظة فى الأرشيف الرسمى، ذلك أن الوثائق الرسمية تختص فقط بما صدر عن الشيوعيين من نشاط يتمثل فى البيانات والنشرات السرية وتقارير مباحث أمن الدولة عن تحركهم وعلاقاتهم واتصالاتهم .. إلخ. لكنها لم تحفل مثلا بتدوين وقائع الاعتقال وعمليات التعذيب فى السجون وعمليات الملاحقة والتضييق فى الرزق .. وهل يمكن لحكومة ما أن تسجل على نفسها أخطاءها ..؟!

وتقدم هذه الشهادات وخاصة المطولة منها (طه سعد عثمان ونبيل صبحى) صفحات من تاريخ مصر الاقتصادى- الاجتماعى والثقافى .. الأزمات الاقتصادية وتأثيراتها الاجتماعية والسياسية .. دور البيت فى التنشئة على عدم التعصب والانفتاح على الآخرين .. نظام التعليم فى المدرسة والجامعة، وطبيعة التدريس وحيويته واتصافه بالجدية والموسوعية ليس فقط فى الكتب المقررة وإنما فى الأساتذة الذين أحبوا عملهم وأرادوا أن ينقلوا ما لديهم من معارف إلى أبنائهم التلاميذ بكل فخر ومحبة، مما يدفع القارىء لعقد مقارنة دائمة بين مختلف عهود الحكم التى توالت على البلاد.

وتحفل الشهادات بروايات كثيرة عن الحياة الشاقة التى واجهها الشيوعيون ابتداء من قلق الانتماء، والبحث عن الطريق، ومعاناة استيعاب الماركسية.. ثم حياة التجنيد بمستوياته المختلفة، وحياة التهرب من الملاحقة والتخفى والتمويه. كما تحفل بصفحات من حياة السجون والمعتقلات ووقائع التعذيب والإهانة التى يندى لها الجبين ويعاف ذكرها اللسان مرة أخرى.. وصفحات أخرى مضيئة من الحياة الجماعية داخل السجون حين توحد المحنة بين الرفقاء.. ومواقف أخرى تؤكد دفء المشاعر الإنسانية لدى المصرى حين يرتفع بعض ضباط البوليس وبعض عساكر السجون فوق الالتزام الوظيفى ويتعاطفون مع المعتقلين إن لم يكن إيمانا بقضيتهم فعلى الأقل من باب العطف على تردى أحوالهم فى الزنازين..

وفى الشهادات مرارة فى الحلوق من انهيار البعض داخل المعتقلات وإعلان استنكار الشيوعية للفوز بالحرية وبالوظيفة فى الخارج، ووقوف الآخرين عند المبدأ شأنهم فى هذا شأن القابض على جمرة من النار، ففازوا بأنفسهم ولم يخسروها رغم علمهم بالمصير المنتظر. ومرارة من الانقسامية داخل الحركة الشيوعية التى انعكست سلبا على النقابات العمالية وعلى وحدة الحركة نفسها، ومحاولة لمعرفة أسبابها .. وهل تكون فى النزوع للزعامة والتفرد .. أم تكون بسبب المثقفين أبناء البرجوازية وسهولة الاختلاف الفكرى فيما بينهم. ومرارة أيضا من ثورة يوليو ١٩٥٢ بسبب موقف قيادتها من الشيوعية رغم وحدة هدف العدل الاجتماعى والتحرر الوطنى. ومرارة أخرى تجاه الذين تفاهموا مع سلطة يوليو وكانوا وراء تصفية الحزب الشيوعى.. وأسئلة كثيرة يطرحها أصحاب الشهادات هنا وهناك بحثا عن إجابة لهذا المصير الذى انتهت إليه الحركة الشيوعية، ولكن دون إجابة شافية أو محددة أو نهائية ..

ويبقى القول إن هذا الجزء يمتاز بأكثر من ميزة .. فهو يحفظ بين دفتيه شهادة الدكتور حسونة حسين إسماعيل عضو أول حزب شيوعى فى مصر، والتى تلقى أضواء على تكوين الحزب وعناصره، والعلاقة بالكومنترن، وكان قد أملاها على ابنه عادل فى مطلع عام ١٩٦٤ وقبل وفاته بسبعة أشهر، ويضم أيضا شهادة عادل حسونة. والشهادتان نموذجان ملفتان لأسرة شيوعية عاشت الشيوعية بكل ظروفها حين امتد العمر بالأب ليرى ابنه وابنته فى الحركة بكل إخلاص حتى لقد تزامن

اعتقال كل منهما أحيانا. ويضم هذا الجزء أيضا شهادتين مكتوبتين بالعامية المصرية كما وردت على لسان صاحبيها مما يشعر القارئ، لهما بمدى الألفة والحميمية، وكان نشرهما محل جدل بين أعضاء لجنة التوثيق من باب الحفاظ على النسق العام للشهادات التي نشرت في الأجزاء السابقة. ولكن سرعان ما تم الاتفاق على النشر هكذا على اعتبار أن العامية في بعض المواقف تكون أبلغ من الفصحى للدرجة التي تجعل الروائي يلجأ إلى استخدامها في بعض مناطق الحوار في روايته. كما يضم شهادات لم يقف أصحابها عند عام ١٩٦٥ طبقا لخطة اللجنة، إذ استمروا في سرد نشاطهم وظروف اعتقالهم مرة أخرى في نهاية الستينيات والسبعينيات، وأبدوا أيضا وجهة نظر في الحركة الشيوعية حتى انهيار الاتحاد السوفييتي، وفي تطور المجتمع المصري..

وأخيرا .. يصدر هذا الجزء الذي تأخر صدوره كثيرا، بعد أن غادرنا إلى الدار الآخرة اثنان من أعضاء لجنة التوثيق .. الحاج طه سعد عثمان المناضل النقابي الذي أثرى المكتبة التاريخية بمؤلفاته عن نضال الطبقة العمالية والذي نادرا ما كان يتخلف عن حضور اجتماعات اللجنة محتفظا بحيوية ملحوظة في المناقشة والجدل، وبذاكرة مرجعية قوية .. والأستاذ إسماعيل عبد الحكم الذي أفلت من الموت في السجن بسبب شدة التعذيب ليواصل طريقه في النضال حتى وافته المنية الطبيعية .. وكم كنا جميعا نتمنى أن يكونا معنا ونحن نحتفل بصدوره ونتصفحه بين أيدينا ونعلق ما شاء لنا التعليق على الطباعة، وكيفية التوزيع، وكيفية الاستعداد لنشر الجزء التالي كما نفعل في كل مرة .. فإلى روح كل منهما الطاهرة .. وإلى نفسيهما الشجاعة والأبية نهدي هذا الجزء ..

شهادة

أحمد أحمد سُلَيّم

أولا: نبتدى بتحياتى لكل مناضل فى سبيل الحرية والعدل. وبالنسبة لى أنا عامل زراعى نشأت يتيم ماشفتش أبويا، وبالتالى قاسيت كتير من الناس ودقت مرارة الظلم فى الملكيات الكبيرة الزراعية، وعلى الأساس ده طلعت أطالب بكل عدل وبكل حق للعامل الزراعى أنه يعيش عيشه كريمة، على هذا الأساس كانت ميولى الأولى وفدية وبعدين انضميت للحركة الشيوعية سنه ١٩٤٨.

البيانات الشخصية:

الاسم: أحمد أحمد أحمد سُلَيم

تاريخ وموطن الميلاد: *بلد أبو حلميه - دمياط - فى ١٩٢٨/٩/٣ وسنى دلوقت ٧٤ سنة

المؤهلات الدراسية: التعليم الأولى بس.

المهن: عامل زراعى، احنا كنا بنشتغل فى فترات ولما يكون ما فيش عمل زراعى نشتغل فى ورش الطوب، وعامل زراعى بدوى.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية: حوالى ١٨ - ٢٠ سنة.

فترات السجن والاعتقال: اعتقلت سنين طويلة غير استدعاءات أقسام البوليس والقبض علىّ أثناء الإضرابات لعمالية اللى أنا قدتها، اعتقلت أولا فى قضية الصحفى الفرنسى وكذا ١٨ فلاح وكان فيهم الأستاذ فؤاد عبد الحليم وفؤاد حبشى ومحمود المناسترلى، وحكاية الصحفى الفرنساوى ده أنه جه يسأل عن رد فعل الشعب المصرى

تجاه ثورة ٢٣ يوليو في أغسطس ١٩٥٢، أثناء كفر الدوار لدرجة أنه قال انهم هايعدموا فلاحين علشان يعني مساواة بالخميس والبقرى، علشان إرهابهم، وبعدين تدخل تقريباً المرحوم يوسف صديق وقعدوا عشرة أيام وخرجوا، وانحفظت القضية. يعني، هو ما كانش فيه حاجة غير أنه كان بيسأل أنتم مبسوطين من الثورة ولامش مبسطوين وحاجات زى كده. بعد كده اعتقلت ٣١ مارس سنة ١٩٥٣ قعدت لـ ١٢ يونيو ١٩٥٦. ثالث مرة اعتقلت في مايو ١٩٥٩ طلعت في ١٢ أبريل سنة ١٩٦٤، واعتقلت ثاني في ٢٦ مارس سنة ١٩٦٩ وخرجت في مارس ١٩٧٢. واللي أحب أذكره في هذا الموضوع وأشكره هو الأستاذ خالد محي الدين، بعد حل الحزب حصل أن فيه معارضين لحل الحزب وكنت أنا منهم اللي هو التيار الثوري، واللي كان فيه الأستاذ طاهر البدري ومحمد عباس والمنشاوي.

بالنسبة لمدد الاعتقالات: وصلت لحوالي ١٢ سنة.

وبعدين طلعت لقيت البيت.. يعني مفيش حاجه، والحركة الشيوعية زى ما شفت.. فإضطريت.. لأن البيت مبقاش فيه.. العيال اتبهدلت، فاضطريت بقى أشتغل فرحت إشتغلت عند واحد من زملائنا، كان يعرفني، لأني أنا كنت ماسك المزرعة بتاعة الواحات فخدني اشتغلت عنده.

هو ما حدش في العيلة كان ليه في العمل السياسي، الوفد أو غيره، لكن العيلة، كلها كانت متعاطفة معايا، وأنا عرفت الاشتراكية عن طريق مثقفين كانوا بيسافروا ويدرسوا، جم عندنا هنا واحنا تلقفنا الفكر منهم على أساس أن احنا ناس مضطهدين وبنتكلم في حقوقنا إزاى ناخدها.

على الأساس ده نظمت الفلاحين في البلد، ودخلنا معارك، وباختصار شديد إضرابات اشترك فيها سبع بلاد، وبالنسبة لعمال الطوب حققنا إرتفاع في الأجر والاصابة عند العمل والتأمين عليهم، ودى حاجات ومواقف أنا سببها، واللي كان ماسك العمل، والعمل كان التطهير في الترع، كان يدوى، ما كانش عن طريق الكراكات ولا بتاع، وبعدين اللي كان ماسكها في وجه بحرى ده «حنفي الشريف» وكان نائب في البرلمان الوفدى، كان وفدى، إنما كانت الناس بتاخد من تحت أيديه،

فأنا بقى علشان أوصل للعمال الفلاحين لازم أدافع، وأكون فى الخط الأمامى علشان مصالحهم، وعلى الأساس ده يجى الراجل يدينا لمقاولات الكبيرة، المقاولات دى ما تخلصش، فيقوم يخصم نص الأجر، كان الأجر عشرة صاغ فيقوم يدينا خمسة صاغ فأقوم أنا أختار الوقت بقى اللى أقدر أحقق فيه المطلب اللى أنا عاوزه. كان صدور قانون الاصلاح الزراعى وحق العامل الزراعى فى الأجر ١٨ قرش، فكان المطلب أيامها إن أحنا نلخد مقاولات صغيرة ونقبض الـ ١٨ قرش اللى حددها قانون الإصلاح. الزراعى، طيب نعمل الحكاية دى ازاى، ان جينا نعمل الإضراب فى دقهلية، السرو حايجيبوها، فعملنا لجان فى السرو، أن ناس تعرف فى السرو، إتصلنا بالسرو، قالوا لأ ده من سيف الدين إتصلنا بسيف الدين، قالوا بالبراشية إتصلنا بالبراشية، عملنا حلقة، لأن الترعة اللى كانت بتطهر هنا، بيتنا احنا والسرو كانت بتاخد من النيل تودى للترعة الشرقاوية، وكانت بتاخد آلاف العمال فى التطهير، فكنا بنعمل ازاى بقى.. اخترت الوقت اللى أقدر أعمل فيه الإضراب وأحقق المطلب بتاعى، أعمل إيه رحت ساكت، انحملنا لما القرب خالص يعنى مضى ١٥ يناير ويبقى ١٥ يوم على السدة الشتوية، ومفروض هو يسلم الشغل بتاعه قبل انتهاء المدة دى، قبل انتهاء السدة الشتوية: رحت عامل إضراب فى الوقت ده بقى، إضطر هو رغم أنفه، أولا استخدم التهديد وراح كتب فىّ بلاغ ووداه النقطة، كان اسمه رضا السنباطى من السرو، ورحت النقطة بعدُ ما استدعتنى، راحو ورايا تلتمائه عامل، بالفؤوس، ونخلت للضابط وقالى انت مهيج العمال ليه وعامل إضراب، قلته أولاً انت سلطة تنفيذية، والثورة حددت بـ ١٨ قرش واللا أحسن أسرق، ورانا عائلات عاوزين نأكلها الناس كلها واقفه ودخلت وازدحمت النقطة بالعمال، واحنا إيه، والراجل بيحقق معانا قلتله إنت مطالب بأن أنت تنفذ القانون وتحميه. الراجل ده بيدى لينا أجر عشره صاغ ويدينا مقاولة كبيرة مبتخلصش، ويدى لنا خمسة صاغ وهى الخمسة صاغ دى سيادتك تقضى حيلة، ما تقضيش حاجة، قالله: روح يا راجل أنت أدى ليهم الـ ١٨ صاغ، وأنتم عايزين كام، ودى حاجه طبعاً كنا فاهمينها كان بيدى لنا ٦ متر لكل عشره أنفار، قالله لأ، قاللى أنت عايز كام، قلتله عايز ٣ متر فقاله تدى ليهم ٣ متر و١٨ قرش. فلجأ لحيلة ثانية، المقاول بقى، بعتلى مرسال وقالى لى تاخد عشرة جنية

في الـ ١٥ يوم دول ومالكش دعوة بالناس، فرحت أنا طالع للعمال والعمال مجتمعين على قهوة، وقلت لهم الراجل ده عارض عليا كذا كذا، فقعدوا يهتفوا بحياتي وحاجات زى كده، وقلت لهم أنا مش ممكن أخونكم وبتاع، وده اتنرفز، والراجل ده كان عنده مصانع طوب وأنا كان بيتي باللي (البيوت الطين) وقالي احنا حنجبلك بيتك بالمسلح، وسيبك من حكاية مكافأة آخر السنة دي، لأن المكافأة دي حتكلف أصحاب الأعمال ثلاثة آلاف جنيه، فأنت ناخذ لك تلتماية جنيه ونبني البيت بتاعك بالطوب، قلت لهم أنا حا أخد مكافأتي زى أت عامل في دول، إتعرض عليا كذ وكذا، فزادت الثقه قوى، عاوز تكسب العمال وتكسب الفلاحين، يبقى من خلال المواقف.

على الأساس ده قدرنا نكون سبع نقابات في البلاد إللي هيه وقفت مع الاضراب، نقابات عمال زراعيين في ديسمبر سنه ١٩٥٢، وبعدين جبت عامل من العمال اللى كانوا موجودين، ورشحته للرئاسة على أساس أنى أنا متفرغ للنشاط السياسي، يعنى مش متفرغ يعنى قاعد على طول لأ، وكنت ساعتها منخرط في العمل الشيوعي، ومنضم للحركة الديمقراطية للتحرر الوطني اللي هي حدتو، ودى كانت أكثر التنظيمات ليها علاقة بالفلاحين، يعنى أنا كان فيه ٣٥ بلد هنا فيها عمل إشتراكي، إحنا كنا توسعنا قوى، وإللي كان مسئولي هنا من اللجنة المركزية الأستاذ طاهر البدرى، فطبعا دي كانت اللى جت بعد الثورة تجنيد الفلاح في نص الأرض وابتدا الملاك يفتعلوا الأزمات علشان يطردوا الفلاحين من الأرض، أنا ناقشت العمال بتاعة الزراعة في دي، أن الفلاحين اللى حيتطردوا دول حيكتروا عمالة الزراعة، فأحنا المفروض نتضامن معاهم، فجم أيام جمع الرز وعاوزين الفلاح يمسك إيه، يمسك الأرض بتاعته يكون بالليل، ناخد الكلوبات ونولع ونشغل المكن لغايه.. والبرسيم وعمال الزراعه مع الفلاحين، فحققنا تضامن بين العمال والفلاحين، فدى كانت أكبر حركة فلاحية ابتدأت من بداية الثورة لما دخلت المعتقل سنه ١٩٥٣.

أرجع تاني، المثقفين اللي هم الطلبة اللى كانوا بيدرسوا في الاسكندرية والمنصورة والقاهرة كانوا من عائلات فقيره فهم حبوا يوصلوا للشخصيات البارزة فكان من ضمنهم أنا في الطليعة، لذلك هم العمال اختارونى أنا مسئول عن البلد، وعلى الأساس ده بقى يا سيدى أنا ما طلعتش في انقسامات للحزب الشيوعي خالص، وفضلت في

حتى وشفت الأخطاء بتاعتها والانتصارات بتاعتها والازدهار اللى تم ده كان واضح من المعركة ضد الاستعمار ومن أجل إصلاح زراعى ومن أجل إصلاح فى التعليم وفى الصحه فى كل شيء، اللخبطه جت فى حكايه الموقف من الحريات اللى هى طبعاً هبة مارس ١٩٥٤ وطبعاً هبة مارس دى كان بطلها الأستاذ/ خالد محيي الدين وكان بيطالب بالحريات وحاجات زى كده. الحركة الديمقراطية خدت موقف صح فى النقطة دى، أنها طالبت بالحريات وعلى الأساس ده قامت حملة الاعتقالات واعتقلونا فى ١٩٥٣ ومطلعناش إلا فى ١٩٥٦ لماحصل بقى أن فيه أزمة بين الثورة وبين إسرائيل وبين الاستعمار الأمريكى، وأن الاستعمار الأمريكى حاول يحتويها وحاجات زى كده فابتدت الثورة بتاخد حاجات ومواقف وطنية وثورية أكثر فابتدت تفرج عن الشيوعيين،

نقط الخلاف بقى، والحاجات السلبية بقى اللى هى بعد قرارات يوليو اللى بيسموها قرارات يوليو الاشتراكية وحصل على النطاق الدولى مقالات فيها ردة يعنى بيستشهدوا بيها اللى عايزين يصفوا الحركة الشيوعية، قالوا أن، بريدوا الباطل، بالاستشهادات دى، ان انتصار المعسكر الاشتراكى على النطاق الدولى وده يجعل من الممكن أن تبنى البرجوازية الاشتراكية أو تبنى الاشتراكية بغير قيادة الطبقة العاملة، بالتالى إبتدوا يحضروا لحل الحزب، وحل الحزب ده فى ١٩٦٥ واتعمل مؤتمر وأنا كنت حاضر فيه، فى بيت المرحوم يوسف صديق وأخذوا قرار بحل الحزب وأن فيه مجموعة ماركسية فى قمة السلطة واحنا فى طريقنا إلى أن احنا نعمل حزب موحد للثورة يعنى احنا والمجموعة الاشتراكية اللى موجودة فى قمة السلطة، وأن احنا نحل ففيه جزء طبعاً عارض، الأغلبية طبعاً وافقت. من أبرز الناس الداعية لحل كان إبرهيم عبدالحليم وعادل حسين وفؤاد حبشى وأحمد رفاعى وكل دول كانوا مؤيدين للحل، لكن فؤاد مرسى كان فى تنظيم تانى، بس هم كلهم بحينا على طول حلوا.

وكل الحاجات دى أثرت علينا هنا، فى إيه؟. إن قيادات الثورة بتبنى الاشتراكية، تيجى بعد كده، تاخد مواقف لا فيها اشتراكية ولا فيها بتاع، فيبقى موقفنا قدام الناس موقف وحش، على أساس أن دى نظرية جديدة، أن ممكن تبنى الاشتراكية بغير قيادة الطبقة العاملة، دى ردة مفيش كلام، اللى على الأساس ده بقى أن فى المؤتمر ده أنا

ومجموعة ثانية رفضنا الحل، وكان التيار الثورى اللى اعتقلت بسببه سنتين فى ١٩٦٨ وبعد ما طلعت الوضع بتاع البيت كان أتدهور خالص، وولادى مش لاقيين يأكلوا ولا يتعلموا وبنتين سابوا التعليم، فمفيش حل بقى إلا أن أنا بقى أشتغل، فرحت اشتغلت سنة فى الفيوم وسنتين فى النوبارية وثلاثة عشر سنة في بنى سويف فى الواسطى (قبل الواسطى بشويه فى حته إسمها «هرم ميدوم»).

أنا كان عندى استعداد أن أنا أنضم للحركة الشيوعية، وأنا ارتبطت بالحركة الشيوعية فى حدتو، احنا كنا بنروح نقعد مع الطلبة، وبعدين هما ناقشونا، انتم ساكتين على حالكم ليه؟! انتم ما بتطالبوش بحقوقكم ليه؟ فعلى الأساس ده بقى وجدت الكلام بتاعهم كلام حلو، وبيتجاوب مع مطالبى أنا الشخصية، فانضميت للحركة الشيوعية الأول حدتو بعدين التيار وبعدين لما أنا رحت، باستمرار السند، التضحية بتيجى منين من قوة سياسيه بتحميك، حسيت أن إحنا كنا ضعاف، وبعدين الوقت ده بالنسبة للعيله العيال كبرت، وإتبهدلوا، والبيت اللى بقى فيه.. وكل اللى بيساعد عيلتى من زملاء تاخده المباحث تبهدله، يعنى الناس شافت الأمرين بسببى أنا، وقالوا كده احنا حنوديكم قنا معاه، لأن أنا لفيت كل السجون يعنى القلعة لسجن مصر، لسجن الواحات لسجن بنى سويف، لقنا، وكمان رحت سجن الحضرة فى المحكمة إللى كان فيها المرحوم شهدى فى القضية بتاعة إسكندرية اللى حصل فيها الضرب ده، وأنا كنت مع شهدى، وفي الوقت ده كان بيأيد الثورة وكانت صدرت إجراءات يوليو، كانت صدرت ومع ذلك احنا أيدناها، وكانوا محضرين لنا بعد ماطلعنا من إسكندرية، فعدنا نتحاكم أربعة شهور، محضرين لنا العلقة بتاعة أبو زعبل ده اللى زى اللى أنت بتشوفه فى فلسطين النهاردة، ده كان حاصل لنا بالضبط، يعنى أنا لو قلت لك على ظروف العلقة دى، ويوم استشهاد المرحوم شهدى، اللى حصل أننا طلعنا من إسكندرية الساعة ١٢ بالليل لقيت البيبان بتتفتح، كله يلبس واحنا كنا غاسلين هدومنا فى جرادل، رحطيناها وربطناها فى هدوم ثانية وطلعنا لقينا بقى معسكر حربى، عربيات، بوليس، وعربيات مباحث عامه، وطوابير عربيات ورانا وقدامنا، وربطوا كل أربعة وعشرين فى جنزير، احنا كنا ٤٨ وبعدين يطلع الواحد ويلف لغاية لما الكل يركب، لدرجه أن العساكر بنسألهم احنا رايحيين فين قالوا لنا احنا نعرف انكم رجاله وشدوا حيلكم، ده

اللى قالوه العساكر، تقدر تقول أن عند طلعة الشمس نزلنا عند أوردى أبو زعبل، ولتقينا رصتين جريد أخضر متصلحه الأيد بتاعتهم والورق مناخد وسايبين السل من جوه كده، التقينا بقى ظابط واقف وشويه عساكر والكرابيج فى أيديهم ويقولوا أنزل يا خول أنت وهو، نزلنا، قالوا لنا أقعد على قرافيصك إتنين إتنين كده هوه ويعدين الضرب شغال بقى، يلفوا روانا بالضرب، فالظابط يرفس والعساكر تضرب والواحد منهم يقول لنا ماتقلقوش، ده كله فتح شهيه، شويه بقى والتقينا الساعة ثمانية عربيه شيفروليه، جايه عليها البيرق وواحد ظابط جاى بيجرى ويضرب التحيه، وكله يا فندم الباشا وصل.. لقينا صفين عساكر واقفين لغاية ما توصل للأوردى، يعنى المسافة كانت بتاع تلتمائة متر، الظابط قال إيه؟ اللى تنده عليه، ياخد هدومه ويمشى بالخطوة السريعة، إن ما ممشيتش بالخطوة السريعة، العساكر يتزلوا عليك بالضرب، لغاية مكتب وعليه واحد تمليه اسمك وعنوانك ولجنة، وعدد من العساكر حلقة نازلة فيك ضرب، تملى لها اسمك وعنوانك، وتنتقل للجنه الثانية، تلاقى لجنه ثانية فيه مسجون معاه مقص بتاع غنم يقص شعرنا، احنا كنا جايين من المحكمة شعرنا طويل ولابسين هدوم حلوه وبتاع، فلما توصله تتحط دماغك فى الجردل ويحلقلك شعرك والضرب شغال، تخلص من دى تلاقى لجنه ثانية بحلقه ثانية، تقلع هدومك كما يوم مولدتك لا ملابس داخلية ولا ملابس خارجية ويروحوا حطينها فى قلب الكيس بتاعك ويروحوا جايبين بورش وشدين الواحد ومرقدينه على ضهره يحطوا البورش وبطانيتين مهلهلين قدام، ماتحيش تمسح بيهم جزمة، ويسحلوا الواحد ساعه ما يعدى العتبة بتاعة المعتقل والخشبة تروح صدعة فى ظهر الواحد وواحد ينك على صدر الواحد كده، ويعدين تخش تلاقى اللى فات ده مات، اللى فات ده كأنه ما حصلش، تلاقى عبد اللطيف رشدى ويونس مرعى ويقية الحلقة بتاعه الضباط ومرجان وصول اسمه مطاوع دول واقفين وبالشوم، ويقولوا قول أنا خول أقول له لأ، قول تسقط الشيوعية أقول له لأ. العنابر، كان فيه أربعة عنابر دول فيهم ٤٨٠ معتقل أو حاجه زى كده وكان من ضمنهم د. فؤاد مرسى ولويس عوض وعدد كبير من الشخصيات المعروفه وكان من ضمنهم واحد من بلدنا هنا ساعة ما سمعنى وأنا با أقول لأ، خلاص بخاطره إنشا لله يموتوه إنشالله يموتوه، على أساس أن أنا خدت موقف صح، وقعدوا يضربوا

فى الواحد لغاية لما حسيت زى ما يكون لمسة كهرباء وماكينه مشغلاها وابتدت تبطل، ومعدتش أشوف حاجه، ويشدوا الواحد من رجليه وعند العنبر يروحوا حادفينه، واحد، واحد، الـ ٨٠، مفيش إلا الأستاذ رفعت السعيد، كان عليه ثلاث سنين قبل كده، نزلوه فى سجن القناطر، وبعدين ندهوا، نسيت أقولك، ندهوا على بعض الشخصيات قالوا لهم خليكوا على جنب هنا من ضمنهم الدكتور سعد بهجت، لأن والده كان سفير واتصل باسماعيل همت وكيل مصلحة السجون قال له والله لو حصل لابني حاجه حاقابلك فى الطريق وأضربك بالرصاص، فطبعاً هما أخدوه على جنب وأظن كمان فيه اثنين معاه تانيين، وبعدين مسكوا المرحوم شهدى لوحده قعدوا يغطسوه فى المصرف اللى موجود قدام المعتقل، والآخر جابوه متغطس طينه وميه والآخر واحد عسكرى رفسه بالجزمه فى جنبه، لما نيموه الضابط قال أدوا له حقنه، جه التمرجي.. يا أفندم ده مات (ضربوه بالشوم وغطسوه فى قلب المغطس والآخر بقى) رد عليه الضابط قال له الخول مات، اللى قال الكلام ده بقى إسماعيل همت كان بره بيشرف على الضرب اللى قبل ما ندخل المعتقل وساعة ما المرحوم شهدى توفى إسماعيل همت خد العربية وقال بلاد الله لخلق الله، وهما كملوا ضرب لغايه لما دخلنا العنابر. دخلنا عنبر واحد وفيه رصيفين كل واحد نايم فى ربع التانى، واحنا مش قادرين نفرش ولا نعمل، و إيدينا متعرره وظهرنا بقى الجلد ده كله مفيش، هما بعدوا عن الدماغ وبهدلوا دراعتنا وضهرنا ده لدرجه لا توصف.

وأرجع لحكاية شهدى، بعد ما توفى، وخلصونا ضرب وهمت مشى وخدوا الجثه بتاعته وردوها لأهله، قالوا أن إيه، نيابة الخانكة أدت تقرير أنه كان بيشتغل فى الجبل ووقع عليه الطوب، والده رفض، قال لأ لأن ابنى طالع من إسكندرية النهارده، بالليل، فطبعاً رفض وأنه لابد يشوف جثته، فشاف التعذيب، فبعث برقية، كان الريس عبدالناصر أيامها فى يوغسلافيا، فطبعاً راحت البرقية لواحد من البرلمان اليوغسلافى قام قال جاءتنا برقية من القاهرة من الجمهورية العربية المتحدة باستشهاد المناضل شهدى عطية الشافعى فى سجون الجمهورية العربية المتحدة، فعبد الناصر بعث لجنة تحقق فى الموضوع، احنا عرفنا ازاى بقى، بعد هما ما روحوا السجن إتقفل، لقينا العناصر تدهت على بعضها، وأحنا كنا قصاد عنبر أربعة والضرب ده كان قصاد عنبر

أربعة، يا عنبر ثلاثة، يا عنبر اثنين أنتم عددكم كام، كان فيه أربعة إنشالوا فى حالة خطرة، منهم مبارك عبده فضل، محمد عباس، وجمال غالى ومش عارف الرابع كان مين، وبعدين الأربعة دول، قلنا لهم إن إحنا عددنا شيل أربعه ورفعت السعيد يبقى خمسة من ٤٨ يبقى ٤٣، قالولنا البقية في حياتكم في المرحوم شهدى، لأنهم سمعوا الظابط بيقول لتمرجى: «الغول ماته فلأول مرة نبكى، كل العنبر بقى يبكى، وبعدين جامت حكاية الأكل، علشان يوزعلهم، الأكل، تخش الفرقة بالشوم، قعد اثنين اثنين، نقعد فى الطرقة، والضرب شغال، اللى كانوا ما انضربوش هما اللى لبسونا الهدوم، لأن أحنا لا نعرف نحرك دراعنا كده ولا نعرف نعمل دراعنا كده، كانت النتيجة، ثانى يوم، وكيل النيابه أدي التقرير أن هو وقع عليه الطوب، لما عبد الناصر بعث، لقينا أربعة وكلاء نيابة، ووكيل وزارة العدل، ومفتش التحقيقات فى وزارة الداخلية جايبين ظابط بيفتح العنبر، فساعة ما فتح العنبر، قال مين كان مع شهدى عطيه الشافعى، فداخل ظابط اسمه مرجان، أحمد الرفاعى قال له أخرجوا هذا القاتل، فوكيل وزارة العدل قال له أطلع بره، فطلع الظابط بره وقفل العنبر، وبعدين راح أحمد وعبد المنعم الغزالى راح مشلح القميص بتاعه فراح طالع الجلد بتاع ضهره راح الراجل مخبى وشه.. متزعلوش كل واحد حا يأخذ حقه، بس وبعدين بقى، ثانى يوم قبل النيابة دى ما تيجى، تتفرج على الضرب، اللى أحنا خدناه بالشوم اللى فات ده ما كانش له دعوة، ما كانش حاجة، إنما بعد ضهرى، ماولع وتيجى تاخد العصايا، يعنى أنا لما افتكرت إن اللى بيحصل للشعب الفلسطينى ده، أهو احنا كنا احنا بقى، قاعد والضرب شغال وجريد وسل، ومش عارف: متقولش مثلاً احنا عملاء الاستعمار، يعنى أنا بقيت استغرب إيه اللى بيحصل فى البلد دى، بس وبعدين بقى جم وكلاء النيابة وطلعونا واحد واحد، واحد بس اللى قال: إنتوا إيه اللى حصلكم؟ حكاله، الباقى بقى ما كانش ياخدوا منه على طول كتابة، ووكلاء النيابة يعنى أخذوا موقف مبه الميه، احنا اتفقنا على أساس ما نجيبش سيرة العساكر اللى كانت بتضرب، احنا قلنا إدارة السجن، الضباط الخمسة والصول، بس وبعدين قالوا لنا ايه مطالبكم قلنا الإدارة بتاعة السجن دى معدناش نشرفها، وننتقل من هنا، فعلى طول وكيل مصلحة ثانى كان اسمه... كان بتاع التهنئة بقى جه وراحو نقلونا فى عربيات ونقلونا إلى القناطر.

لما نقلونا إلى القناطر راحوا جايبين المراتب وجه دكتور هناك كان دكتور مسيحى ابن حلال، بقى يبدينا علاج زى ما احنا عاوزين، وبعدما روقنا ومنعوا الزيارات علشان ميشوفوش الحالة دى، بعد ماروقنا، التقينا بقى واحد لواء جالنا، انتباه.. إجمع، قال لنا انتوا عارفين أنا جاى أقول ايه، أنا جاى علشان تقلعوا الجزم، ونمشيا حافيين بقى، قلنا له الدنيا برد، قال أعمل ايه، الدكتور جه حلف وقال والله ما يمر شهر إلا لما ألبسكم كلكم جزم، وكل يوم يطلع له اثنين ثلاثة ويكتب إن حالتهم وحشة يروحوا يصرفوا الجزم بتاعتهم.

ده التعذيب بتاع ١٥ يونيه سنه ١٩٦٠، فؤاد حداد والله كتب قصيدة من ٤ آلاف بيت. بس الله أعلم ليه حجبها عن النشر، كل واحد ومراقفه فى الضرب إيه، سنة ١٩٥٤ حصلت نفس التجريدة دى، لا ده أنا ناسي أقولك حصلنا إيه فى فبراير سنه ١٩٦٠، قبل المحاكمة، فى الزنزانه الساعة أتناشر بالليل، طاخ بالمفتاح، كنت أنا مع ناس فى أرضنه، كنت أنا مع حسين عبد ربه ومع عادل حسين، وكنا إحنا الثلاثة وغاسل هدومى برضنه، وحاططهم فى كيس، وطلعونا واحد واحد بالضرب وأقلع بلبوص والضرب بالقايش لما قطعوا جتتنا وبعدين تخش يروحوا جايبين جردل البول ويروحوا دلقينه من فوقنا، فى يناير شوف تصور بقى السهر بقى للصبح والهدوم بقى كلها خدرها فى السجن ويندقوا بقى العساكر انبلوفرات الحلوه والجاكتات الحلوة والحاجات دى يروح دلقين فوقها ميه لما لحد الساعة تسعه الصبح، فات على كل أرضنه. ده قبل المحاكمه . نعمل إيه كل واحد بيجيب له جاكتة بيجامه، بنطلون، أى حاجه تداريه. دى تجريده من التجريدات. التجريده بتاعه ١٩٥٤، احنا عدينا بتاعه ستين قبل ١٩٥٤.

فى ١٩٥٤ رحنا نقلونا من بنى سويف لأوردى أبو زعبل، اللى هو كان فيه الضرب ده، ده سنه ١٩٥٤ وبعدين نيمونا على البورش والبطانيه، فاحنا قلنا نعمل إضراب عن الطعام علشان ايه، إحنا طالبنا بالمراتب وبالجرايد، بالاذاعة يوم واحد وعشرين، يوم وتيجى التجريده الصبح من العساكر، عساكر السجن طلبوا منهم أن هما يضربوا رفضوا، لأول مره عسكر البوليس يرفضوا، راحو جايبين لينا اللى بيسموه الأمن المركزى دلوقت، كان ايامها اسمه بلوك النظام.

رجابرهم من الجبل، زى البهايم، دوروا فينا الضرب، واقلع ملابسك وخدوها والله حرقوها، لدرجه أن أخترا الدكتور يوسف أدريس وإبراهيم عبد الحليم وكان أيامها أزمه السودان، على أساس أن هما يتوسطوا فى أزمة السودان فى إتفاقية السودان، وبعدين جم خدوهم هما الاتنين، وبعدين دخلوا مكتب صلاح سالم، قال لهم إحنا عاوزينكم تكلموا الجماعه بتوع الحزب الشيوعى السودانى رعاوزين نعمل إتفاقيه جديدة للسودان، طب إنت شايف ملابسنا الأول، كل واحد لابس جاكته شكل وبنطلون شكل، قال لزاى ده يحصل وبتاع، ووالله احنا ما نعلم، قال له لأ رخذ التليفون راسأل على اللى حصل أبو زعبل. المهم، كان أيامها بقى ١٩٥٥ ضرب غزه، وعاملين صفقة سلاح من تشيكوسلوفاكيا والحكومة بدأت تأخد خطوات للاعتراف بالصين الشعبية، وابتدا التحضير لمعارك ١٩٥٦ طبعاً أنت شفت تأميم القنال والاعتداء الثلاثى، أيامها جابوالنا المراتب، وأدونا الميكرفون بتاع الاذاعة، الإذاعة هناك فى لإدارة، وعندنا سماعات فى الزنزانة، ابتدرا يطلعونا فى ١٩٥٦.

دى .. يعنى التشتيت كان حاجه ثانية بقى، يعنى مثلاً ما يقعدوش واحد لفترة معينة فى السجن شويه وينتقل من سجن لسجن، يعنى مثلاً أنا أضربت عن الطعام فى ١٩٥٣ وحدى... والزملاء فى معتقل روض الفرج تضامنوا معايا وبعدين نقلونى فى حالة سيئة للقصر العينى، وبعدين لما نعدوا يتحايلوا علىّ علشان آكل، قلت لهم مش واكل، الاعتقال ده كان ولحد وعشرين برضه، قلتلهم شوفوا يتطلعونى يانحاكمونى يا.. فالتفيت الزملاء بدأوا يبجوا مع المأمور بتاع المعتقل على أساس أن هما وأثروا علىّ، والدكاترة تضامنوا معايا فعلاً وكتبوا تقارير، كل يوم والثانى للمباحث، حالة المعتقل فى خطر، ونحن نحملكم المسئولية، فدى عملت رد فعل، وكان لسه الثورة ما عملتش قوى فى ١٩٥٣، وبعد كده الضرب بقى ولا مطالب ولا بتاع، فعلى الأساس ده تقرر الصرف مع كفالة خمسة جنيه، وجه قائد المعتقل بإشارة مكتوبة مع محامى اسمه الأستاذ سعد عبد اللطيف، وقال لى خلاص يا أحمد تقرر الصرف بكفالة، حصل حاجة والى أنت عاوزها، الأول تيجى رسالة من البلد تقول إن هما أخذوا الكفاله فعلاً، فبعتنم على البلد، وجالى تلغراف إن الكفالة إنصرفت، بعد كده طلعت من القصر العينى على روض الفرج، الصبح كانوا مرحلنى على سجن قنا، قعدت هناك سنه

أشهر، وفي تلك الأيام جاء عدد من الزملاء كانوا في جبل الطور، وكان من ضمنهم الأستاذ إبراهيم عبد الحليم، وزملاء من الإسكندرية منهم شحاته عبد الحليم وعدد كبير يعني، وجالنا هناك المرحوم يوسف حلمي، وأذكر له موقف، عبدالناصر بيخطب خطبة من الخطب وقال فيها ليس لدينا معسكرات اعتقال إلا عملاء دول أجنبية (كان هذا في عام ١٩٥٤) فالمرحوم يوسف حلمي بعث له تلغراف وقال له: «إذا كنا نعمل لحساب دولة أجنبية فهي مصر، وهي أجنبيه بالنسبة لكم». المأمور يلطم ويقول له أبيًا ما أبعتهاش، يقول له ابعتها على مسئوليتي أنا، أنا اللي ماضي عليها أهو وابعتها باسمي، فبعتوها فراحوا مستدعيينه تاني يوم، قلنا ده رايح السجن الحربي، أتاريهم خدوه علشان برحله للخارج لأن كان عليها احتجاجات جامدة، كانت حركة السلام العالمية وانصار السلام في العالم بتحتج علشانه، فراحوا مرحلينه خارج مصر، وبعدين قعدنا هناك ستة أشهر وبعدين راحوا مرحلينا على بني سويف، ثم جاءت إجراءات مارس بتاعة أربعة وخمسين، كانوا حطينا في زنازين ولما جت الاجراءات بتاعة مارس احنا عاملين اعتصام في قلب السجن، وقلنا احنا مش دخلين الزنازين، دلوقت فيه قرارات أهيه بالافراج عن المعتقلين، وإلغاء الأحكام العرفية، والجيش لتكناته وبتاع، يبقى أنتوا مقعدينا هنا ليه، كان في الوقت ده كانوا محضرين «الصاوي» اللي هو أخد رشوه ده، بعني أنا سمعت أنه اشترى ١٤ فدان في زاوية المصلوب، يقال إن الإضراب بتاع العمال الزور ده، اللي فيه يسقط الحريات المزيفة وبتاع، ساعة ما التقينا تاني يوم الوضع اتغير ابتدينا نخفض المطالب، قلنا لهم طيب طلعونا في زنازين واسعه، فراحوا مطلعينا في الدور الرابع في الزنازين الواسعة دي، وانتهى الاعتصام على كده.

قعدنا في بني سويف المدة دي، وبعدين رحنا على أبو زعبل، اللي حصل فيه الضرب بتاع ١٩٥٤ (الطلقة بتاعة ١٩٥٤).

أولا فيما يتعلق بنشأة التنظيم الأول، (حدتو) هي الجماعة المثقفين دول اللي هي ناقشونا في حكاية الانضمام دول كانوا أصلا في الحركة الديمقراطية، إحنا انضمينا للحركة الديمقراطية، لكن التيار الثوري ده، ما انضمتش له إلا بعد حل الحزب، وكنا مجموعة قليلة، واعتقلت على أساسها سنتين، فأنا ما دخلتش في تنظيمات ثانية ولادخلت في انقسامات خالص، وأنا في فترة مادخلت حدتو ماكنش فيه انقسامات،

لكن حصل فيها الوحدة، وانقسام ثاني يعني وحده كل الحركة الشيوعية، اللي هيا فيها الحزب الشيوعي، وكان فيه وحدة سنة ١٩٥٥ ودى اللي حصلت وأني موجود في المعتقل، ورجعت ثاني تفتت والتنظيم الأساسي بتاعي كان له عمل في وسط الفلاحين، لأن كان عملي أنا الأساسي في وسط الفلاحين، وكان فيه ارتباط بالطبقة العاملة، أيوه كان فيه، كان فيه محمدعلي عامر ده كان رئيس نقابة النسيج الميكانيكي بالقاهرة، وكان فيه دور كبير للعمال، وكان فيه أحمد طه وكان رئيس (نقابة التلغراف الميكانيكي) وكانوا بيحضروا لتكوين اتحاد عام للطبقة العاملة كلها، وده اللي على أساسه بقى لتفركشت كل الحاجات دى بعد الثورة.

أما بالنسبة للفلاحين والشغل معاهم فكان فيه ٣٥ بلد فيها عمل شيوعي في المنطقة دي.. الدقهلية، ودمياط، وكان التنظيم متغلغل في وسط الفلاحين، وبعدين في ١٩٥٦ طلعنا حداشر نفر من هنا متطوعين، لما حصل العدوان الثلاثي إحنا تطوعنا ورحنا معسكر الحلمية (الحلمية هنا في الزقازيق) تحت قيادة الصاغ سيد عبدالعزيز، ووزعوا علينا السلاح وتدرينا، وبعدين صدر الانذار السوفيتي ووقف القتال، راحوا ساحبين منا السلاح واحنا رفضنا تسليم السلاح فمنعوا عننا الأكل، فكنا مائتين ولحد، منهم كان ١٣ من الدقهليه، والباقي من كل القرى بقى فلاحين.

وعموما الإضرابات كلها كانت علشان زيادة الأجور، لكن لما كان فيه بقى مشروع اسمه مشروع «النقطة الرابعة» والحريات، فكانت بتحصل فيه مؤتمرات هنا بنعملها الثورة وبيعملها «حمدي عاشور» فكنا بنحضر المؤتمرات دى، ونهتف بسقوط الاستعمار الانجليزى والأمريكي وسقوط النقطة الرابعة «وأطلقوا الحريات ليحكم الشعب» وكنا بنادى بالحريات والفلاحين بتفهم الشعارات دى يعنى، الشعارات دى كنا نرددها أيام الانتخابات بتاعة ١٩٥٧ وفى أثناء المؤتمرات، وحصل فيه مؤتمر في «الزرقا» وكنت أنا حاضره، واعتقلت بعديها على طول، وكان حاضره «طعيمه» وواحد اسمه الدكتور «القبرى» والمؤتمر بتاع فارسكور ده كان عامله حمدى عاشور، وجت المباحث ساعه ما أنا قلت الشعارات دى وعاوزين يمسكونى وأنا على الكرسى، واللى حصل أنه كان موجود طاهر أبو فاشا، وكان الموجود الأستاذ حمدى عاشور، فندهوا لضابط المباحث وقال لهم سيبوه، وكان زملانا بقى فى دمياط، أخذونى بعد المؤتمر لغاية العربية علشان المباحث ماتخدنيش.

فيما يتعلق بالمجلات التنظيمية والعلنية، كانت بتوصل الجرايد العلنية والسرية، زى الطابق والواجب والملايين بتاعة حدتو وكان فيه كتب من دار الثقافه وكان فيه كتب بنستعين بيها في الأول زى كتب الأستاذ محمد خالد اللى هو بتاع الوفد «كتاب من هنا نبدأ» وكتب كتير ضد الظلم ومن أجل الحريات. أما عن الدراسات اللى تمت عن الفلاحين كانت بتؤخذ منا تقارير عن مشاكل الفلاحين، وبعدين اتكتبت دراسات يعنى هما كانوا قبل الثورة، كان الخط واضح، ضد الاستعمار، لما جت الثورة بقى تلخبطوا بقى في المواقف، هى الثورة كان ليها مواقف، يعنى مثلا الحاجات الإيجابية اللى فيها أن المفاهيم اللى كانت عند الناس، أن ده نظام عندنا وأنه مش ممكن يتغير، لما جت الثوره .. الأرض دى، ووزعت الأرض على الفلاحين، والناس ابتدت تحس أن ممكن النظام يتغير لصالح الناس، وأن ده مش خطر ولا حاجة وحشة عند ربنا ولا حاجة، وأن أهم حاجة العدل، وأن الناس تقدر تعيش وتتعلم وتسكن، فده الحاجة الإيجابية اللى فيها، الحاجه السلبية اللى فيها اللى هى النظام الشمولى، خلى المكاسب اللى خدها الشعب، راحت من إيديه من غير ماحد يحس، زى ما حصل في الاتحاد السوفيتى كده، النظام الشمولى بيسحب كل مكاسب بدون ماحد يحس، وعن قضية الفلاحين هو كان اتكتب أساساً دراسات عن حالة الفلاحين فتقوم تنشرفي المجله، لكن ما كانش فيه كلام بيقول نعمل إيه علشان نغير الحالة دى.

كان عندنا في التنظيم بتاعنا استراتيجيه وتكتيك ولايحه، والملامح العامه بتاعتهم كانت داخله في الأول ضد الاستعمار والاقطاع والرجعيه والحريات.

أما عن موقف التنظيم اللى كنت فيه كانوا بيعتبروا أن الثورة على مرحلتين الأولى وطنية والثانية اشتراكية ثم لما جاءت الانحرافات بقى قالوا أن ممكن الطبقات البرجوازية تبنى الاشتراكية بغير قيادة الطبقة العاملة، بالتحالف معها.

وقد تدرجت في أدوارى التنظيمية حتى وصلت إلى اللجنة المركزية، فى حدتو، ولكن في التيار الثورى مالحقتش لأن الفترة كانت شهور وبعدين رحت ممسوك.

وبالنسبة لمسألة الاحتراف هو بتدفع بس حصل فيه مشاكل كتيرة حواليه، والمشاكل دى أن ده بياخد فلوس وده مابياخدش، وكان فيه ناس مش قادرة تقوم بواجبها يعنى

كان فيه مواقف من الشخصيات الثورية المحتجبين يتسيقوا عليهم فى الحرف، يعنى مشاكل فى داخل التنظيم، وبالنسبة لى أنا كان كونى أن أطلع محترف أنا عارضته، على أساس أن أنا دورى فى وسط العمال، لما أترك العمل بناعى الناس تتساءل: هو بياكل منين؟ وبعدين أنا عارز أطلع العمال، العمال بيشغلوهم للساعة ثلاثة وأنا عارز أطلبهم يطلعوا الساعة اتنين، مينفعش أحقق المطلب ده إلا إذا كنت وياهم، إنما أبقى قاعد فى بيتى وفى شغلانة تانية يبقى، الطليعة لازم تكون فى وسط العمل نفسه حاسة بآلام الناس وحسة بمشاكلها.

أنا لا أعرف ولم أمر بتجربة العلاقه مع التنظيمات الأخرى، لأن الحاجة اللى كانت ملموسة إن كانت اليهود مقسمة نفسيها، يعنى كانت طليعه العمال ديمرن دروك، وكان عندنا هنرى كورييل، ودول هما اللى كانوا يعنى مطلبهم الأساس أن دول خونة، وأن دول بقولوا على دول خونة، وأن وحدة الحركة الشيوعية لأ، ودى كانت لب الموضوع، يعنى لو كانت الحركة الشيوعية توحدت، وأنا رأيى أن هم دول اللى لعبوا دور أساسى فى تفتيت الحركة الشيوعية.

إحنا فى خمسة وخمسين كان بقى فيه حزب واحد، وكان فيه الحزب الموحد الأول، ورجع الحزب الشيوعى المصرى إللى هو ضم كل الحركة الشيوعية، إبتدا يبقى كل تنظيم يصرف على المحترفين بتوعه ويحوش عن المحترفين التانين، والناس الأغنيا كانوا موجودين فى الحزب الشيوعى المصرى اللى كان فيه فؤاد مرسى، فدول بقى بيصرفوا على رجالتهم ويسيبو رجاله حدتوا وابتدا التضامن يشتغل، الوحدة ماستمرتش، وبعد كده حدتوا كان هدفها الوحدة، بس كانوا بيتهموهم بالخيانة، وكان كل واحد فيهم كان عنده ثقة فى اليهود بتوعه، والحزب الشيوعى المصرى الراية ما كانش عنده يهود لكن مواقفه كانت ناشفة وهو كان بيعتبر أن الثوره دى (ثوره يوليو) فاشية، ورجع تانى كان هو أسرع الناس للحل فكان متخبط فى سياسته وفؤاد مرسى وزير تموين وإسماعيل صبرى كان وزير تخطيط، وهما دول كانوا قياده الحزب.

أما عن الموقف من وحدة ٨ يناير فحدتو للتاريخ طول عمرها بتدعو للوحدة، بس الموقف بالنسبة للمحترفين بتوع حدتو صرفوا فلوسهم على الناس بتوعهم ودى حقيقة يعنى، لكن حدتو طول عمرها بتكافح من أجل الوحدة لكن طريق إبعاد الناس بتوع

حدتو دى نمت من المصرى ومن طليعة العمال، وده كان بناء على أن الشلليه لعبت دور الموقف من اليهود والأجانب، هما فى القيادة وما كانوش فى القواعد، يعنى كان هنرى كوربيل عندنا فى القيادة، وريمون دويك فى طليعة العمال، ويوسف درويش والوحدة نمت لكن فيه حساسية وفضلت جواه، كل واحد يعرف على المحترفين بتوعه والوحده أصلا ما انعملتش بين القواعد اللى بتمارس النضال السياسى فى الشارع ولكن عن طريق القيادات فوق وماتعملتش أصلا من تحت، وكل واحد قدم لستة (قائمة) أعضاء ومميين، علشان تاخد كراسى فى اللجنه المركزية.

أما عن اليهود فأنا بأحكيلك عن الفترة اللى أنا عاصرتها. كان فيه حركات فلاحية كثيرة حتى يمكن الشيوعيين مالهمش فيها دور كمان، كانت فى بهوت وكفور نجم وحاجات زى كده، أنا بقى لما جيت ومسكت العمل الفلاحى ده، طالبت أن يكون فيه لجنة من المحامين تبع الحزب وأطباء، يعالجوا الفلاحين واللى ليهم قضية مش قادرين يصرفوا عليها تتولاها اللجنة دى وكان فيها عبد الحق الحماقى والزغبى الله يرحمه، كانوا ثلاثه محامين من المنصورة والثالث اللى اسمه محمود مش فاكر بقيه اسمه كان من السنبلاوين وهو توفى.

واليهود اللى أنا شفتهم فى الاعتقال كانوا فى القيادة فوق وما كانش فيه حد من القواعد خالص وكانوا بيعتمدوا بقى على الفلوس،.. لدرجة أن أيه، ما حدش يقدر يقولك انك تضحى وطبعاً ده راجل إنما النقطه الأساسية اللى هى أخطر حاجة أن هما ما يتوحدوش، لكن بالنسبة للمعارك الفلاحية كان مش فى دقهلة بس، كان فيه سبع قرى جنبينا وكان فيه ٣٥ بند ثانية وتكونت سبع نقابات فى ديسمبر سنه ١٩٥٢.

بالنسبة لتكوين إتحاد عام للعمال قبل الثورة - الفلاحين لأ - كان على رأس هذه المحاولة أحمد طه ومحمد على عامر، ودول كانوا من الحركة الديمقراطية وأحمد طه كان له تأييد ضخم.

وبالنسبة للاحتلال الانجليزى كان موقفنا لا حدود له - الوطنية هنا عند الشعب المصرى مالهاش حدود، يعنى احنا يوم، النحاس باشا، ما خطب فى البرلمان وقال من

أجل الشعب وقعت معاهدة ١٩٣٦ ومن أجل الشعب أطالبكم اليوم بإلغاءها كان فيه تصفيق لا حدود له من الناس اللى واقفه فى الشارع، حماس رهيب.

أنا لم أشارك فى ١٩٤٦، لكن كان فيه بالنسبة لنضال الحركة الديمقراطية اللى كانوا بيحاولوا يعملوا جبهة مع حزب الوفد، الطليعة الوفدية، كانوا بيروا أن حزب الوفد بيمثل فى مجموعة البرجوازية الوطنية رغم أن فى قيادته بعض الشخصيات من الملكيات الكبيرة.

أما بالنسبة الفلسطينية للقضية فكانت عواطفنا مع القضية الفلسطينية ما فيش كلام، مفيش شك، وقرار التقسيم صدر سنة ١٩٤٧ وكنا احنا لسه فى البداية وأنا سمعت كلام بتاع حكاية تأييد التقسيم وطبعا الاتحاد السوفيتى كان موافق على قرار مجلس الأمن وده تأييد غلط، ووافق على قيام الدوله الإسرائيلية، لأن قرار مجلس الأمن كان وافق على قيام دولتين، فهو أيد قيام الدولة الإسرائيلية ولم يقف عند الدوله العربية، وده موقف خاطيء، وكان بقى كلام خطير أن اليهود دول بيهاجروا من الاتحاد السوفيتى ومؤمنين بالشيوعية وحايحولوا إسرائيل لدولة شيوعية، وسمعت حاجات من دى.

أما بالنسبة لقضية الكفاح المسلح فى ١٩٥١ كان موقفنا فى الحركة الديمقراطية التأييد للكفاح المسلح وفيها ناس من الحركة الديمقراطية، وسمعت بعد كده أن فيه ناس فى الحركة الديمقراطية اشتركوا فى الكفاح المسلح فى ١٩٥١.

وبالنسبة لحركة أنصار السلام احنا كنا بنوزع ٣٠ عدد من مجلتها هنا فى دقهلة بس اللى هى الكاتب، وبعدين كان فيه مجلة سرية إسمها الكفاح بتاعه حدتو، وبعد ما يوسف حلمى مشى كانت بتوزع مجلة أنصار السلام برضه، وكان فيه دكتورة اسمها سيزا النبراوى والاستاذ كامل البنداري، ودى شخصيات كانت على رأس حركه السلام.

عن الموقف من سلطة يوليو وتنظيماتها، كانت المنشورات بتاعتها اللى كان بتطبعها الحركة الديمقراطية. واللى كان ماسك المطبعة دى كان اسمه «كمال الشلودى» واعترف علينا فى قضية إسكندرية، وطلع من النفص وقال الكلام ده علشان يفرجوا عننا وخدوه من يومها عزلوه عننا، وطلعوه، وبالنسبة لينا احنا بقى، بقينا

توزع المنشورات بتاعة الضباط الأحرار، اللى هى برضه حكاية نكبة فلسطين، والكفاح ضد الاقطاع والتسلط بتاع الملك، والملك فاسد، وكان فيه توجيه بعد إنتخابات ١٩٥٧ قالوا إن كان فيه إمكانيه لكم أنكم تخشوا الاتحاد القومي، فأنا أخترت عضوا فى اللجنة التنفيذية للاتحاد القومي فى البلد، إنما ما استمرتش كتير فى ٥٧، ١٩٥٨، بعدين اعتقلت.

لكن بعد ما خرجت فى ١٩٦٤ فيه ناس دخلت الاتحاد الاشتراكى وكانوا من القيادات، وبعدين قالوا إن ده حاجه سرية علشان بيتفاوضوا مع السلطة وحاجات زى كده، وكتموا على نفسهم وهو كان بقصد تفتيت الحركة الشيوعية، ووعدوهم بالمناصب.

أما الموقف من الاصلاح الزراعى إحنا كنا بنؤيده، بس كنا بنعارض الحاجات السلبية إللى فيه زى «التجنيب» وزى ما قلتلك أنا خدت الفلاحين ورحنا غيط اسمه غيط الماشطه هنا وقمنا بذرنا الأرض بالليل علشان المالك ما ياخدش الأرض من الفلاح وده فى أثناء الثورة.

أما عن الموقف من إعدام خميس والبقرى فى كفر الدوار كان فيه إدانة، وفى حدتو، عملوا إتصالات وقالوا حتى أن جمال عبدالناصر كان رافض ومش مؤيد للإعدام، المهم كان التنظيم ضد ده، وقالوا حتى لما احنا اتمسكنا فى قضية أروچيه، الصحفى الفرنسى الذى كان يأخذ كلامنا عن موقفنا من الثورة، قالوا حايعدموا الفلاحين برضه وأنا كنت حا أكون على رأس دول.

أما عن الموقف من ١٩٥٤ فعملنا جوه السجن إعتصام وكنا بنطالب بالقرارات دى أنها تنفذ اللى هى قرارات محمد نجيب وخالد محى الدين، وطلعت جريدة المصرى وقالت، رجوع الجيش لثكناته وإلغاء الأحكام العرفية والإفراج عن المعتقلين وإجراء انتخابات حرة المهم بقينا نصفق فى...

وبالنسبة للأخوان امسلمين كان فيه عندنا هنا فى القرية إخوان مسلمين، لما كبرت الحركة الشيوعية ضعفهم ولما انكمشت الحركة الشيوعية شدو تانى، لكن احنا كان فيه ناس مننا فى السجن الحربى شافت الجماعة الأخوان اللى رايحين يعدموا، عبد القادر

مودة وحسن طلعت والجماعة دول، فلما شاقوا التعذيب عليهم، نوقضوا الشيوعين فى المحكمة وأول كلمة سجلها الأستاذ طاهر البدرى فى المحكمة قال أنا أحتج باسم الحركة الشيوعية، باسم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى، على تعذيب الأخوان المسلمين واللى بيشوفوه فى السجن الحربى، رغم أن هما كانوا بيشتغلوا بطريقة بوليسية وبلغوا فينا وكانوا بيشتغلوا مرشدين. وبالنسبة للإخوان هو صراع على السلطة، لأن هما كانوا ضربوا الشيوعيين فى مجلس قيادة الثورة، بالتحالف مع الإخوان، ثم لقيوا الأخوان عاوزين بقى مجد، فحصل الصدام فى ١٩٥٤، وهو لازال دلوقت كده، وهو لغاية دلوقت أنا رأيى لا مبادئ، ولا يناع، هما واخدين الدين ممطى، وهو صراع على السلطة، عاوزين السلطة.

الموقف من إتفاقية ١٩٥٤ كنا ضد الاتفاقية وكنا نرى الفقرة بتاعة عوده الأنجليز اللى هو النص، وكنا علشان كده بنرفض الاتفاقية وكان فيه شعار ساعتها بيقول تسقط اتفاقية جمال/ هيد، ويمكن هو «هيد» ده رئيس فريق المفاوضة الانجليزى.

الموقف من الأسلحة التشيكية ومؤتمر باندونج هو كان موقف رائع من حكومة الثورة حصل تصفيق فى السجن لا تتخيله. باندونج وصفقته الأسلحة التشيكية والاعتراف بالصين، وكان التنظيم بره خارج السجن بيؤيد تأييد كامل، ماكنش فيه معارضة.

وكذلك الموقف من تأميم قناه السويس، كان تأييد كامل، وكان لجنة الدفاع، لجنة المقاومة فى بورسعيد كان أحمد رفاعى وكمال رفعت، فدول كانوا على رأس لجان المقاومة فى بورسعيد وطلعوا مجلة إسمها الإنتصار وجت الدعوة أن كل الشيوعيين يتطوعوا فى المعسكرات والتدريب.

أما عن إنتخابات مجلس الأمة سنه ١٩٥٧ قالوا الانتخابات حرة. فنزل الشيوعيين، فجه الاتحاد القومى شالهم، مخلاش حد. وبعدين ماكنش فيه نزاهه طبعا لأن الأتحاد القومى هو اللى كان بيسيطر ويصفى من الأول.

أما الموقف من الأحلاف العسكرية، فكانت الهتافات فى قلب المؤتمر بسقوط مشروع إيزنهاور وحلف بغداد وكان فيه موقف واضح من الاحلاف العسكرية، وعن الموقف من تمصير الشركات الأجنبية إحنا إعتبرناها الاجراءات الاشتراكية، وكان

تأييد كامل وما كانش فيه اعتراض حتى على من يديرها لكن كان فيه مطالب للحريات بمعنى إيه، أن الحرية للطبقة العاملة حتقدر تكشف السلبيات، يعني لما بيجى عامل يتكلم عن الإنحراف، وأنا حا أقول على حاجه مهمة وهى إن اللى يحصل دلوقت إن اللى بيسرق ما بيصيبوش حاجة، والعامل هو اللى يروح فى داهية ودى من الحاجات اللى بدت السلبيات، وإحنا كنا بنطالب بالحريات وبعدين فيه نقطة أنا أثرتها ،كانوا قالوا بعد ما طلعنا فى ١٩٦٤ أن هيكل عاوز يقابل ممثلين للحركة الشيوعية، فقالوا بأحمد وبعتوا إلى رسالة، احنا عاوزينك تقابل الأستاذ هيكل، فأنا رحت على جريدة الأهرام وطلبته فى الاستعلامات، رحت لقيت الراجل مستنينى، ندارت المناقشة التالية، وقالوا للى تأكد أن كلامك ده مسجل، يعنى تجاوب إجابات محددة وسألنى الأستاذ/ هيكل، وبعد المقابلة دى هو قال أن أحسن واحد قابلته فى الحركة الشيوعية هو الفلاح ده، وقاللى اتفضل والراجل جاب لى التحيه وقاللى قول يا أحمد قوللى أنت بتشتغل إيه؟ قلت له يعنى علمل زراعى، قال لى عامل زراعى يعنى عندك أرض قلت له لأ عامل زراعى يعنى بأشتغل بالفاس بسته صاغ وخمسة صاغ وخمستاشر وعشرون حسب الظروف، قام قاللى طيب واللى جابك الحركة الشيوعية إيه؟ قلت له دى هى أصلا قضيتى أنا قضية المضطهدين يا أستاذ هيكل قاللى طيب أنت بتقرأ مقالاتى؟ وقالى لى إيه رأيك فيها؟ كان بيكتب مقالات بصراحة، وكانت بتذيعها إذاعة صوت العرب، قلتله فيها الصح وفيها الغلط، قلتله أنا قرأت مقالاتك عن الأراضى المستصلحة حديثا وطالبت فيها إنها تدار عن طريق مزارع الدولة، وأنا رأيى أنه بالنسبة للملكية الزراعية فى مصر ملكية ضيقه ومش عايزة تفتيت، فكل ما تجمع فى الأراض يبقى سهل (مقاومة الآفات) وصح أنها تزود الرقعة الزراعية بس مع تطبيق الديمقراطية فى الإدارة، يعنى أن يكون فيه حق الانتقاد بحيث أن الناس تقاوم السلبيات، وبالطريقة دى القطاع العام يكسب، قال لى طيب وايه الغلط قلت له أن الغلط أن أنت بتكتب فى مقالاتك عن تحييد أمريكا فى المعركة بيننا وبين إسرائيل وده غلط، قال لى ليه بقى، هى ما أيدتناش فى العدوان الثلاثى؟! قلتله أيدتنا لأن النفوذ اللى كان موجود فى الشرق الأوسط كان للاستعمار الانجليزى والفرنساوى، وهى عايزة ترث، وهى على الأساس ده أيدت، فإسرائيل بتعمل كعميلة شريك أصغر

للاستعمار اللى له النفوذ فى الشرق الأوسط، كانت الأول مع الاستعمار الانجليزى والنهاردة بقت مع الاستعمار الأمريكى، فلا يمكن تحييد أمريكا فى المعركة بيننا وبين إسرائيل. فالتقيت الراجل سهم لى كده.

وقاللى فيه منك كثير؟ قلت له الشعب المصرى يا أستاذ هيكل مليان ذوات إنما عاوز أقول لحضرتك حاجة، لما أكون أنا عامل زراعى، قضيت فى المعتقل اتناشر سنه دى خليتنى أصبحت مثل قدام الناس، أن كل واحد حيجرؤ أن هو يقف ضد الظلم أو من أجل الحريات كده ولاكده، مصيره أهوة مصيرى أنا، والمباحث كانت بتقول الكلام ده للناس، وعاوز أقولك على مثل بسيط قوى، أنا فى ليلة نايم، لقيت الست بتاعتى قاعده عاملة كده (حزينة ومهمومه) قلت لها مالك، قالت أنا حلمت إن المباحث حاتخدك، ما كانش فيه اطمئنان، فأنا لما أكون مثلاً تسألنى فيه منك كثير، لما أكون أنا بقيت مثل قدامهم، لقيت كل السجون المصرية، لا لشيئ، أنا مع الحركة الوطنية وأتطوعت فى أيام معركة ١٩٥٦، وبأطالب بالحريات أيدت القوانين اللى صدرت فى ثورية من جانب الثورة، فليه الانتقام ده؟ قاللى أنت مش عارف أنى كتبت مقالات من أجل الإفراج عن المعتقلين، طالبت فيها بالإفراج عن المعتقلين قلت له بعد إيه يا أستاذ هيكل، بعد ما قضينا ضرب وانتقام وتعذيب فى السجون، أنا حكيت له وجيبت له حكاية أبو زعبل وقلت له ده مثل من الأمثلة وكأننا عملا الاستعمار. إحنا ناس وطنيين، أنا، أيه، ده أنا راجل عامل زراعى، يبقى أحسن أن أنا أطالب بشرف بحقى، ولا أسرق، بس، فالتقيت الراجل قال لى، أنا عاوز أن مكتبى يبقى مفتوح ليك على طول وإذا كنت عايز أى خدمات أنا أقدمها لك، قلت له أما من ناحية الخدمات، خدمات شخصية فأنا أشكرك، أنا عايز بس تاخد الموقف اللى يميله عليه ضميرك، الموقف الوطنى، وتأييد المطالب الوطنية اللى هيه بالنسبة للشعب والحريات، لازم تقف بجانبها علشان الشعب ده يتمكن من المحافظة على حقوقه، وفى مقاومة الاستعمار كمان، فقال لى طيب يا سيدى أشكرك. ده باختصار، بعد أن قعدت معاه يجى ساعة ونص.

عن الموقف من الوحدة بين مصر وسوريا والقومية العربية، إحنا كنا مع الوحدات العربية، اللى بتتبنيها الشعوب مش من فوق، وقلنا ان لو بدأت من فوق مش حتعيش،

وقد كان، وإحنا كنا ضد نزول القوات الأمريكية في لبنان، كنا مع حكومة النابلسي، أما عن الموقف من الأحلاف فكتبت شعارات ضدها في البلد هنا ونزلت منشورات، وكانت من ضمن الأساليب بتاعتنا كمان المنشورات اللي هي تعتبر مناهضة للحكم في حاجات سلبية، كنا نوديها القرافه يوم وقفه العيد، والناس طالعه كلها على القرافة، نوزع المنشورات كلها.

أما عن الموقف من قرارات يوليو في ١٩ يوليو ١٩٦١، إحنا بعتنا كحدتو تأييد ليها، أصلا طبعاً احنا رأينا أنها إجراءات ضد الرأسمالية الكبيرة فاحنا معاها، هي كل الإجراءات دي بس كنا بنطالب بالديمقراطية، يعني القرارات دي بلا حماية شعبية، مالهاش ضمان، وإتكلمنا عن ده في التأييد عن الموقف من التنظيم وموقف من سياسات الاتحاد السوفيتي، اعتبرنا أن سياسات الاتحاد السوفيتي جزء من الحركة الشيوعية، وبعدين لقينا بعد كده الكلام فيه رده، يعني ضد الاشتراكية، وفيه كلام قاله لينين أنه مش ممكن تبنى الاشتراكية بدون قيادة الطبقة العاملة، وهما طبعاً قالوا لأ ده فيه ظروف دولية والمعسكر الاشتراكي وبتاع، ممكن البرجوازية بالتعاون مع الطبقة العاملة تبنى الاشتراكية، هي ممكن لما تكون قيادة الطبقة العاملة جزء من البورجوازية الوطنية، بقيادة الطبقة العاملة تبنى الاشتراكية لكن عكس كده ما ينفعش، كمان إحنا كنا بنعتبر أن موقف الاتحاد السوفيتي من الصين غلط، لأن هي كانت طلبت تكنولوچيا وأسلحة وحاجات زي كده، قال لها لأ يكفي أن الاتحاد السوفيتي يغطى المعسكر الأشتراكي كله، فده طبعاً كان موقف غلط أدى إلى الانقسام يعني لو كان الدولتين كانوا موحدين من يومها كان الوضع العالمي إتغير. نفس الحكاية بالنسبة لأحداث المجر إحنا كنا بنعتبره موقف غلط مننا إحنا؟ لأننا أيدنا دخول القوات السوفيتية المجر، وبالنسبة للموقف من البرجوازيات ونموذج حرق المراحل، إحنا بنعتبر أن ده يمين البرجوازيه، بمعنى عبد الناصر زي ما كان الحزب الشيوعي المصري (الراية) قال أنه خاين وبتاع، إحنا مكناش بنعتبره كده، إحنا كنا بنعتبره يمين البرجوازية، إنها الجزء اليميني من البرجوازية مش الجزء الثوري.

وموقف التنظيم وموقفي من الصراعات التنظيمية والسياسية داخل المعتقلات، والسجون كان الموقف زي ما قلتلك كان شتائم متبادلة، وأنا كنت مستاء بس من

إنقسام الحركة الشيوعية إنما كان فهمى للواقع بتاع بره أكثر، لأن هما زى ما أنت عارف المثقفين، لأ ده لينين قال، لأ ماركس قال، وحاجات ومعارك خارج الواقع بتاع البلد، إحنا فى الواقع تشوف مشاكلنا احنا إيه، ومواقفنا إيه، ووحدة الحركة الشيوعية، والصراع ده ممكن يتم داخل حزب واحد. يعنى الخلافات دى ممكن تحل داخل الحزب الواحد، لأن مفيش حزب واحد متجانس ألف فى المايه، حنلاقى فيه يمين ويسار ووسط.

أما عن نضالات الشيوعيين المصريين داخل السجون، فأنا رأيى أن كان موقف الحركة الديمقراطية، أكثر المنظمات ثورية داخل المعتقل دفاعاً عن حق الشيوعيين، فى مسألة أن هما يعيشوا كويس، كانوا.. كانوا .... معتقل، نخش إضراب هم يرفضوا، وانقسامهم داخل المعتقل كان بيعطى فرصة للادارة إنها تضرب، إنما إحنا من حقنا إحنا أى حتة أن الإنسان يدافع عن أنه يعرف ياكل يعرف ينام، وبالنسبة للرموز، من ناحية كنت حاسس برضه أن بقيت شكلية، ولكن الواحد كان إيمانه بالمبدأ وإيمانه بالمستقبل، ويقول مثلاً أن ظروف المعتقل بخلاف الظروف بره فى الشارع والنضال، وممكن تكون المشاكل بتظهر من أن الناس قاعدة وشها فى وش بعض وعيشتها وحشة، ممكن تختلق مشاكل زى السلبية والانتهازية، والجرى وراء المنافع الشخصية وحاجات زى كده، وفيه رموز كويسة طبعاً، يعنى مثلاً من الشخصيات المثالية طاهر البدرى، ومحمد عباس فهمى ومحمد الجندى السجن وكان معانا فى المعركة بتاعة شهدى، وده كان راجل كان عنده أرض وباعها كلها فى سبيل الاشتراكية، زى مثلا نبيل الهلالى، هو كان فى الحزب، راجل ابن باشا ومع ذلك تبنى الدفاع عن قضايا الحركة الوطنية وضحى بأمواله، فيتحصل للانسان برضه.

وأنا رأيى أن كان كل قيادة الحركة الديمقراطية داخل المعتقل شخصيات كويسه، ولكن الراية باستمرار كانت آخر موقف ممكن تجده كانوا باستمرار ياخدوا ضده، وماكانوش يخشوا معانا فى معركة واحده هما مش متفقين لكن نقدر نقول عليهم أيه يعنى كان ليهم مواقف إنهزامية كده، ما كانوش ياخدوا مواقف صلبة، لذلك كان الأمل عند المعتقلين بتوع أبو زعبل، أن الأمل فى قضيتنا احنا راحنا اللى حناخد موقف ضد الإدارة، وهما كانوا بيطلعوا يشتغلوا فى الجبل، وما كانوش قادرين ياخدوا

موقف أبداً، اللى كسر كل الحاجات دى قضيتنا لحنا برفاة المرحوم شهدى، ودى اللى لعبت دور فى تكسير المعتقل وتفتيته، اللى راح الواحات واللى راح القناطر، وانتهت حكاية إنا هما يطلعوا يكسروا فى الجبل، وإن دى كانت فى رأيى كانت أحسن قيادة موجودة فى المعتقل هى قيادة الحركة الديمقراطية.

أما عن موقف التنظيم وموقفى من حل الحركة الشيوعية، هما قالوا إن أسباب الحل إن فيه مجموعه ثورية فى قيادة السلطة بتبنى الاشتراكية وأن احنا فيه مفاوضات بين القيادة الناصرية وبين القيادة، الشيوعية أن احنا نحل نفسنا نعمل تنظيم واحد للقوى الثورية، وكان رأيهم أن فيه مجموعة ماركسية فى قمه السلطة وده طلع مش صحيح، وطلع أن الهدف كان حل التنظيمات الشيوعية والكلام ده حصل واحنا كنا بره، وكان جوه فيه تمهيد بقرلهم إن ممكن تبنى الاشتراكية بغير قيادة الطبقة العاملة، واستندرا بمقالات لشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا وحاجات زى كده وانا لما عارضت وبقيت فى التيار الثورى اعتقلت، وبعدها قعدت سنتين وخلاص بقى سيبت العمل السياسى، هو تم الحل فى كونفرس، وما حدش هدد حد، بس كانت الأغلبية مع الحل. أما عن رأيى فى عدم تواصل الحركة الشيوعية، اللى حصل إن فيه قوى أجنبية لعبت دور فى تفتيت الحركة الشيوعية، والحاجة التانية إنهيار المعسكر الاشتراكى وده كان له أثر كبير على كل الحركة الثورية فى العالم، وطبعاً فى مصر القيادة ما كانتش على مستوى المسئولية، طبعاً التعذيب والضرب وحاجات زى كده، كمان سيادة المثقفين ووجود البرجوازية الصغيرة بنسبه كبيرة كان له أثر كبير، وعموما الحركة الشيوعية كانت أصلا بين المثقفين، ووجود الطبقة العاملة فيها بسيط يعنى ما تيصش للدقهلية، ده بالنسبة للقطر المصرى كله لايقارن بعنى، وأزمة الحركة الشيوعية المصرية قبل ١٩٦٥ ترجع لنفس الأسباب انتشار المثقفين والبرجوازية الصغيرة وتدخل الأجانب اليهود فى الحركة، بس كانت أحسن قيادة فيهم بتاعة الحركة الديمقراطية، يعنى أخدت يعنى حوالى ٨٠٪ من المواقف الصحيحة، يعنى باستثناء حركة الجيش لأن احنا ساهمنا فى حركة الجيش، خالد محيى الدين، يوسف صديق.. وشيوعيين وجمال عبد الناصر يقال أن هو كان، كان أحمد فؤاد بتاع بنك مصر، أن هو كان المسئول عن

المجموعة داخل حركة الجيش، فطبعاً يعنى رجعنا قدرتنا فى النهاية أن الموافقة على القيام بانقلاب عسكرى كان غلط.

الرفاق الراحلين الى استشهدوا أو ترفوا فى، السجون، هو كان شعبان حافظ، وكنا واخدينه عندنا، أنا خدمته زى ما خدمت الشيخ إمام كده (فى ثمانية وستين لواحد وسبعين) فى داخل السجن وكان عايش معانا، بس ما كانش بيحضر إجتماعات ولا حاجة، وكنا واخدينه كأب وكرمز لحزب ١٩٢٤، ولما مات إتعمل له تأبين جامد فى المعتقل.

فيه ناس تانية زى المرحوم شهدى وفريد حداد وفيه زميل تانى من طنطا محمد عثمان أظن وهما كانوا فلانشر، فيه ناس عاشت جوه السجن، ومرضت وبمجرد خروجها ماتت وأنا واما نكرش من اللى ماتوا بعد ماخرجوا من السجن إلا زكي مراد، وبعدين أذكر شخصية تانية، كان شعر، وطبعاً مبارك عبده فضل، ومعلهش أصل أنا هنا فى الريف، أعرف الى ماتوا من البلد، إنما القاهرة دايما هما اللى يدونى خبر إن فلان الفلانى مات.

وأنا لم يسبق لى عموما أن أدليت بشهادة مثل هذه لأحد آخر.

ومن الناس اللى انتم لازم تأخدوا شهادتهم كلهم فى القاهرة، وبالنسبة للمثقفين معظمهم فى القاهرة، وكان هنا فيه مثقفين وبعدين ماتوا.

فيه حاجات تانية عايز أذكرها زى حكاية الواحد، كان فيه فى يوم من الأيام المأمور كان اسمه فريد شنيشن لتعذيبنا أحنا، وكان هناك فى الواحات تلامايه من الإخوان، فى عنبر، والشيوعيين كان لهم عنبرين، وبعدين فى يوم حصل تسمم لولاد المأمور فطلعوا بالليل الدكتور حمزة البسيونى من إسكندرية، والدكتور شريف حتاته ودكتور اسمه عبدالحميد السحرتى والثلاثة دول خدوهم واحنا قلنا دول مترحلين للسجن الحربى، أتارى خدوهم للفيلا بتاع المأمور والوكيل وحاجات زى كده، وكانوا ولاده عندهم تسمم كانوا واخدين حبوب منع الحمل أظن، فعملوا لهم غسيل معدة وروقوهم، فالمأمور قال لهم فولولى بقى، فيه توصيه عليكم، وسامع عنكم أن أنتم كفرة وضد الإسلام وضد القانون، قالوا له الحركة الشيوعية بتضم من كافة الأديان،

يعنى إحنا بنقول الدين لله والوطن للجميع. إن احنا متفقين على حياة كريمة لكل البشر في التعليم والمدارس والسكن والناس تتعلم، مفيش أكثر من كده، طيب قولوا لى بقى مطالبكم إيه، كان هناك ماسوره ٥٠ سم بتطلع مياه من الأرض تلاقيها مليانه حديد، وسخنه زى ما تكون بتغلى، وبعد نص ساعة بتبقى ميه بيضاء ورايقة وكان الأخوان المسلمين بيطلعوا يزرعوا شويه جرجير حواليهم، والجرجير اللى بيجيبوه باخدوه ويأكلوه هما، واحنا بقى كانت الفجلة تسوى جنيه، وقلبنا نشف من العدس والفول، فقال له مفيش لنا غير مصرف واحد، طيب طلعنا من ده، فقالوا وهو أنت عندك ناس بتعرف فى الزراعة، قال طيب أبعتهم لى، فالتقيتهم بينده ولى، وهم جاءوا بالليل، وحتاته قاللى يا سليم المأمور حيندهك الصبح فتكتب مطالبك بالنسبة لإحنا عاوزين إيه، إيه المطلوب، فرحت للمأمور قالى لى أنت بتشتغل أيه، قال لى تفهم فى الزراعة، قلت له أيوه، قاللى طيب أكتب لى كشف بالحاجات اللى أنت عايزها وكتبت له كشف.. بستة.. فبعتوا سبعة وكتبت كشف لتسويه الأرض بمحاريث ومقاطف وفئوس، وتقاوى باميه وملوخيه وفتة وخيار والحاجات اللى هيه الصيفى ودراوى علشان الرعى بتاع البهايم، وكتبت الكشف ده بعد ١٥ يوم لقينا عربيات جايه محملة الحاجات دى بعد ما كتبت هو لمصلحة السجون، وبعدين طرنش الصرف الصحى بتاع السجن، حفرنا له حفرة كبيرة، والصرف يبقى فى قلبه، ونطلع الزبالة بتاعة السجن ونفرزها من الصفيح والحاجات دى كلها، ونحدف فى قلب الحفرة، وعملت كشف من زملاء وجيت بقى بالنسبة للمية بتاعه الرى كان معانا بقى من زملاءنا عبدالمنعم شتله وحسين عبد ربه والجماعه دول، ابتدأنا نقسم الأرض بالشراميط، ونعملها ترابيع وكل تربيعه قيمة فدانين، وأنا بقى أقوم بحرثها وأسيب فيها الميه، والميه جايه من القناية وتاخد الميه، ونقوم نسيبها فى الحوض للصبح وأصبح الصبح بالمحرات وأحرثها والمساويه والتجريف والزحافة وبتاع وأبدأ أخطط، زرعت البامية والملوخية واللوبيا، وبعدين ابتدينا نشوف الميه طالعة سخنة، والسخنة دى لو راحت للزرع حيموته، فبدأت أعمل جسر على ربع فدان، وحرث وتقصيه وعملت.. الجسر كان ثلاثة متر وأسأل الزملاء بتوع الواحات كلهم، والباقى بقى اللى البهايم ما تقدرش نطلع له، وعبينا المقاطف وعملنا الجسر عريض، والماسورة تحدف بقى،

رجعنا قدما الماسورة ما تحدف وبلطناه، لدرجة أن زملاءنا بعترا جابوا مابوهات من بلادهم وبعدين زرعت خروع على الجسر، والخروع نموه سريع، بقى المأمور يطلع يقعد هو والست بتاعته والوكيل، عبه بنى غوطها ثلاثة متر، سميناه حمام سباحة، وبعدين عملت ماسورة فوق، وساعة ما الميه توصل الجسر تقوم تنزل، عملت ماسورة تحت وماسورة فوق، الماسورة اللي تحت دى تتقفل ولما يجى الصبح نتفتح تقوم تبقى ميه ساقعة، زرعنا كوسه وخيار وقتة، بامية وملوخية، ابتدينا ننزل للسجن بخمسمائه كيلو فى اليوم والباقى تأخده العربية وتبيعه فى عاصمة الواحات مدينة الخارجة وتنزل لكل عنبر زكيبه مليانه خضار بعدما الواحد ما كانتش لاقى حاجة يأكلها. فى أعياد الميلاد بتاعة الزملاء كانت «القرات» تشتغل وتطبخ فيقلب العنبر ونأكل بقى، وكل أوده تعمل حفلة، لأن كل أوده كان فيها عشره، لعيد ميلاد أى زميل لينا، ونطبخ بقى، ونوفى السجن بطلباته، بعد اللى يتباع والباقى نقسمه فى العنابر والإيراد بتاعه لمصلحة السجون، وبقينا ندى للأخران زى ما أحنا بناخد، بالضبط، يعنى ننزلهم زكيبة زينا، فى الوقت اللى ما كانوش يسألوا عننا. واتعدلت علاقتى بالزملاء كلهم فى الفترة دى، يعنى مثلا كان كل معتقل فيه شربه، وحتى لما التمينا كلنا، باستثناء الفيوم، أنا مارحتش الفيوم، فاتعملت العلاقة كويسة بقت الناس عندها أحمد سليم ده، شوف بقى، المأمور أبعت على الشريط أجيب منطف كبير، وأحط فيه سبع، تمانى حتت طريه حلوه وخيار، وجرجير ولوبيا، أقول خدوا دى للمأمور والست بتاعته قاعده والسمان، وكان فى يوم جمعة وكان ممنوع زملائنا يطلعوا، أنا طلبت منه تصريح، وقلت له الزرع مش بتاع مواعيد، يعنى ييجى حر يقوم الزرع يحتاج يشرب تانى يوم، فسمح لينا باثنين من بتوع البهايم وأربعة للزرع (سته ثيران زرعت لهم داير فدانين ونقطع لهم ونأكلهم وبعدين فى الشتا ابدر ثلاث أربع فدادين برسيم، ونمشى لهم ويأكلوا وكان المسئول عن البهايم سعد عبدالطيف، وعلى الشريف، وكان عندنا حمارين، حمار اسمة عنتر وحمار اسمة أبوزيد، وكنا نحول عليهم، ويوم السباخ نجيب العربية الكامبون بتاع المعتقل والزملاء يطلعوا بالمقاطف ومنهم الزملاء الباشوات ونعبى سباخ بتاع السجن ونحمل العربية ونروح نفرغ فى الأرض علشان الزراعة، وكان أحمد الرفاعى، وأنا كنت مسئول المزرعة، وكانت اللجنه بقى سمير عبدالباقى

وحسين عبد ربه وواحد زميل اسمه السيد يوسف من دكرنس، ورفعت السعيد كان معانا فى اللجنة، وكنت أنا رئيس للجنة مسئول عن إدارة المزرعة، وبعدين كل الزراعة ما تتسع كل ما يدونى هدايا بقى، علبة حلاوة طحينية، علب محفوظة، وافتتاح المزرعة بناعة سليم قول للدكتور سعد لما كنت بتمشى يوم الافتتاح، وكان يجيب المايوه وينزل يستحمى وكان يبقى مبسوط قوى.

وبالنسبة لاتحاد عمال الزراعه اللى عمله الأستاذ أحمد الرفاعى كان إتعمل فى السبعينيات وأنا كنت رحت مندوب عن النقابة العامة لعمال التراحيل فى مديرية التحرير، وكان فيه اتحاد لعمال الزراعة هو كان صعيدى، وهو كان المستشار بتاع النقابة دى أحمد، فأنا رحت هناك مديرية التحرير وبدأت أشوف المضايقات اللى بتحصل لعمال الزراعة وأبعث تقارير عنها ومش كده وبس، ده كان فيه تخريب فى مديرية التحرير، يعنى الذرة تتقطع وكانت الجرارات بتمشى فوقه، على الأرضية شبر يعنى خمستاشر سنتى الدره مفروط، فأنا بعت أيامها لوزير الزراعة تقرير وقلتله على اللى بيحصل فى الإنتاج وقلتله تعالى شوف وأرجو المعاينة وشوف المحاصيل المتبهدله وحاجات زى كده، وكتبت كمان للرجل رئيس النقابة، على البهدلة اللى فيها عمال التراحيل، وجاءوا وفتشوا وشافوا وكان فيه تحقيقات.

عوده إلى دقهلة ودمياط.

كل قرية كان فيها، أنا عملت إتصال بالسرو دقهلية نعمل إتصال بسيف الدين، فنبدأ الاتصال بالطريقة دى كل قرية تتصل بالثانية، فاحنا بقى أنا مثلا أروح أعمل قعدة فى وسط الناس دى وأناقشهم وأشوف العناصر البارزة فيهم وأكون لجنة فى البلد، واللجنة عليها أن تحصر المشاكل اللى فى البلد دى، توصلها للبلد الثانية، لأن أنتم ما تقدروش تقوموا بعمل والبلد الثانية بتيجى تحتل مكانكم، وكان بيحصل تكاتف من كل البلاد على أساس كده كنا بنختار المعارك اللى بتخش فيها، يعنى ما تجيش نعمل إضراب كده وكانت أبرز المعارك اللى دخلناها كانت فى ديسمبر ١٩٥٢، بعد الاصلاح الزراعى، وكانت مع واحد مقاول هنا اسمه أنور السنباطى واللى كان واخد الشغل واحد أسمه حنفى الشريف، وقدرنا ناخد الـ ١٨ قرش ونقصنا المقاولة، جيت فى الوقت الى اتزنق فيه ورحت عامل الإضراب فى الانتخابات عقب الإضرابات دى،

الإخوان المسلمين كان أغلبهم تلاقيهم حرفيين، وكان عدد قليل من عمال الزراعة، فكانوا يقولوا لهم ما تمشوش مع الشيوعيين، مشيهم معانا حقق لهم مكاسب، يقوموا يقولوا لهم مادام بيحققوا مكاسب نمشي معاهم، جينا نعمل نقابه ونعمل جمعيه عمومية، هما جبوا يعملوا جمعية عمومية، هم أخذوا خمسين صوت بما فيهم الفلاحين وأحنا خدنا ٧٥٠ من الأصوات، هم في العمل السياسي بينكمشوا، وإحنا معا العمال في الغيط، أي دول مدرسين، ومثقفين وترزيه وتجاريين، وإنما لنا أصلاً كان عملي في وسط الزراعة والفلاحين.

عن موقف الناس اللي جاءوا عنينا في المعتقل سنة ١٩٥٤، كان موقفهم مع الحريات، واحنا كنا عملنا اعتصام علشان نطلع لكن لما جه الصاوي وصدرت القرارات بتاعة الردة دي، عملنا المطلب إن احنا نسكن في غرف واسعة لأن احنا في الحالة دي لما نعمل اعتصام علشان نطلع حيضربونا بقى.

شهادة

ثريا محمد سعيد أدهم

الاسم: ثريا محمد سعيد أدهم

تاريخ ومكان الميلاد: ١٦ مارس ١٩٢٦ بحي الظاهر/ القاهرة

كان أبي وأمي أقارب من الدرجة الأولى (بنت خاله) ولذا فإنه بعد وفاة والديه، وكان هو لايزال صغيرا انتقلت العائلة إلى بيت خالهم وكونوا أسرة واحدة وكان على أبي وهو أكبر أخواته أن يتحمل مسئولية رعاية أخويه وأخته واختار بعد ذلك والدتي زوجة له. كان والدي يعمل في مجال تدريس الرياضيات في مدرسة العباسية الثانوية بمحرم بك مدينة الإسكندرية إبان ثورة ١٩١٩، ثم عاد من جديد للقاهرة ناظراً لمدرسة باب الشعرية الابتدائية أما والدتي فلم تكن تعرف القراءة والكتابة، ولكن والدي تولى ذلك بمعرفته وكان يعاملها باحترام شديد وحب وعريق ويناديها دائما بلقب «هانم» ويخرج معها كثيرا للتنزه أو زيارة أفراد العائلة والأصدقاء وللأسف لاتجد المرأة المصرية مثل هذا المعاملة الحنونه بعد مرور حوالي قرن من الزمان.

كنا أسرة كبيرة نتكون من ثمان بنات وولد واحد، وكنا متقاربين في العمر وتربينا في أسرة متحابة ومتقاربة جدا تسود فيها علاقات صحية حميمة أساسها من الأب والأم؛ لأن علاقتهما أكثر من ممتازة. كان والدي من النوع الذي يحترم المرأة احتراما كبيرا، ذو شخصية قوية عطوفة ومتحررة إلى حد كبير ولم يحدث أبدا أن فرق في المعاملة بين ابنه الوحيد وبناته الثماني وإن كانت أمي أحيانا تدلل أخي الوحيد؛ ومن ثم فقد لعب أبي دوراً محوريا في تكويني وأفكاري.

على الرغم من حياته العامة الواسعة وحبه الشديد لعمله، إلا أنه كان يولي بيته وأولاده كل الرعاية والاهتمام، فقد كان والدي هو صاحب الفضل الأكبر في ولعنا

---

* أجرت الحوار أ. انتصار بدر في الفترة من ٦ مايو - ١٤ يونيه ١٩٩٧، وقامت أ. حنان رمضان بإعادة تفريغ الشرائط وضبط صياغة الشهادة ثم راجعتها وأضافت عليها أ. ثريا أدهم.

الشديد بالقراءة الجادة والمتعمقة وكانت لديه مكتبه كبيره عربية وإنجليزية وفرنسية (للأسف قامت الحكومة بمصادرة هذه المكتبة الضخمة) علمنا كيف نتعمق فى دراسة الأدب والتاريخ ولايفرض علينا رأيا معينا ولا يناقشنا فى شئون حياتنا إلا إذا استشرناه قائلا يجب أن تتعلمى كيف تدبرين كل شئونك بمفردك وباستقلالية ومقولته الشهيرة «سلونى قبل أن تفقدونى متندمون أشد الندم».

ظروف حياتنا داخل المنزل لم تكن سهلة فعددنا كبير ووالدى كان مضطهدا فى عمله لأسباب دينية رغم حب الجميع واحترامهم البالغ لشخصه؛ ولكى نرفع من مستوى الحياة شجعنا على تعلم كل شئ: الخياطة والأشغال اليدوية والمنزلية لتنتج أشياء بسيطه نتصرف فيها بمعرفتنا لكى نستطيع الاشتراك فى المجلات العربية والإنجليزية الخاصة بالفتيات وباختصار تعلمنا ونحن مازلنا صغارا كيف ندبر كافة شئون حياتنا اليومية بأنفسنا وباستقلالةى تامة ولا تدخل من جانبه إلا فى حالة الخطأ الكبير، ومع كل هذا كان أبى فى غاية الحزم ولايسمح لأية واحدة من بناته بالتطاول على الكبار أو الخروج منفردة أو تقوم بأى تصرف غير لائق أو غير محترم.

كان أبى متحرراً للغاية؛ لذا فقد كان يحرم أية سيدة محجبة أن تدخل بيته لأنه يرى أن الحجاب ضد حرية المرأة وأن المرأة يجب أن تتكسب قوتها وتعمل عملا مفيدا لها وللآخرين، وله مقولة مأثورة إذا كان ايرادك لا يسمح لك بتعليم كل أبنائك فالأولى بالتعليم هن البنات قبل الصبيان لكى يكون لها سلاح تخوض به الحياة ويمنعها من أن تتصرف أى تصرف غير لائق فى مستقبل حياتها.

كنا جميعا صبيان وفتيات فى كل مراحل الدراسة من روضة الأطفال إلى الجامعة وعن نفسى فقد تلقيت تعليمى الأولى فى مدرسة روضة غمرة «غمرة الابتدائية للبنات» وأغلبنا كنا من التلميذات المتفوقات فى الدراسة.

كان منزلنا يمثل بيت العائلة الكبير رغم أن أعمامى كانوا أكثر غنى وكان يسكن عدد كبير من سيدات الأسرة المحتاجين إلى مساعدة «خالتى وعمتى وخالة أمى وجدتى» ولا نأكل بمفردنا أبدا فهناك دائما فى كل وقت زواراً من النساء والرجال.

هكذا قضيت طفولة سعيدة جدا للغاية وغنية، وكنا نلعب كثيرا باعتبارنا جميعا متقاربات فى السن وبيتنا هو مركز لتلاقى كل المعارف والأهل والأصدقاء سواء فى المدرسة أو الحى.

فى أواخر الثلاثينيات من القرن الماضى كنت أعيش وأتابع أحداث وتطورات الحرب العالمية الثانية وما سبقتها من ظهور تيار الفاشية، ومع أن كثيرا من المصريين فى هذا الحين كانوا يميلون للألمان نكاية فى المحتل البريطانى؛ إلا أنى لم أتعاطف أبدا مع الفاشية، وكان أبى أيضا يكره الفاشية والتعصب الأعمى وتعذيبهم لشعوب كثيرة فى أوربا. وخلال الحرب كان من المعتاد حدوث غارات جوية من جانب القوى الفاشية وقد ألقى طوربيد جوى بجوار المخبأ الواقع أسفل البيت وتسبب فى حدوث ضحايا عديدة من الأبرياء كباراً وصغاراً.

ومن ثم ففى نفس الوقت الذى كنت أكره فيه المحتل البريطانى كنت أكره أيضا الفاشية ولم أؤمن بأى من آرائها.

كان البيت الذى ولدت وعشت فيه طفولتى الأولى ذا تركيبة خاصة جدا، فقد كان يضم عائلات من أصول وتقاليد متباينة، ففى الدور الأرضى يسكن الشيخ حمودة أبو المطرب إبراهيم حمودة؛ وكان الشيخ حمودة من ملحنى هذا الجيل، ويقيم أسبوعياً حفلا غنائيا راقصاً كبيرا يستمر ممتداً لساعات طويلة، وكانت بنته الصغيرة «رقية» صديقتى وربيبتى المفضلة تفتح لى الباب الخلفى للمنزل لنشاهد ما يدور فى هذا الاجتماع البهيج من رقص وغناء وطرب، ومن هنا بدأ الفن يحتل جزءاً هاما من تفكيرى ويؤثر على نفسيتى وتكوينى ومزاجى حتى يومنا هذا.

فى نفس المنزل يسكن أيضا فى الدور الأرضى عائلة ذات ميول إخوانية وأبناؤها طلبة فى مدارس اللاسلكى ومعروفة باسم عائلة «جبر التميمى» التى اتهمت خلال عامى ١٩٤٨، ١٩٤٩ بتكوين المحطة السرية السلفية للأخوان المسلمين وحكم على أحد أبنائها بالإعدام ولكنه هرب إلى السعودية ثم لندن وكانت هذه العائلة تركب فى منزلها محطة إذاعة أرضية يتكلم فيها الصغار ليلتقط آباؤهم وأمهاتهم حديثهم من شقة كل عائلة من عائلات المنزل من الراديو الخاص بهم وفى شقتهم، وكانت هذه مغامرة طريفة للغاية فى هذا الوقت البعيد من القرن الماضى.

ويسكن أيضا فى نفس المنزل ١٠ شارع سعيد بالظاهر اليوزباشى محمود لبيب الساعد الأيمن للفريق عزيز المصرى ورئيس جمعية الشبان المسلمين فى هذا الوقت وله علاقات قوية مع الأخوان المسلمين، وإن لم يكن تابعا لهم وله نشاطات مختلفة ومتعددة . وقد عقدت فى منزله اجتماعات كبيرة تضم عناصر وطنية متباينة وبعض أعضاء جماعة الضباط الأحرار، وقد أقسم جمال عبد الناصر وخالد محيي الدين وعبد الحكيم عامر قسم الانضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين أمام رئيس الإخوان الشيخ حسن البنا فى نفس هذا المنزل حسب ما ورد في مذكرات خالد محيي الدين وإن كنا فى هذه الفترة لا نعرف أى صلة تربط بين جارنا والضباط الأحرار.

وفى مواجهة اليوزباشى محمود لبيب يسكن محامى بالمحاكم المختلطة من أصل يهودى وأولاده جميعا بنات وصبيان منضمين إلى عدة منظمات ماركسية مختلفة ومتصارعة على الدوام أحدهم فى العصبة الماركسية وأخرى في اسكرا ثم حدتو وبنت من بناته كانت خطيبة واحد من قادة الشباب الصهيونى فى نادى المكابى بالظاهر ولها فيه نشاط كبير وكثير.

وكان خطيب شقيقتى الكبرى روحية فى ذلك الوقت وزوجها فيما بعد هو توفيق أحمد البكرى من قادة الحركة الوطنية السودانية جاء إلى القاهرة هربا من عذاب وسياط المحتل البريطانى. وكان متدفقاً جدا ويكلمنا بأسلوب ساحر فى السياسة والاستعمار وحركة التحرر الوطنى فى كافة أنحاء الوطن العربى ويفتح لنا الآفاق لكى نناقش المشاكل السياسية والأدبية ويزودنا بالعديد من الكتب والمجلات والجرائد السياسية والأدبية المصرية والعربية.

أما أخى الوحيد فلم يكن لديه أى اهتمامات سياسية وإن كانت له ميول فنية ويحصد جوائز التمثيل المسرحى التى تقام سنويا برعاية وزارة المعارف. فكل نشاطه كان مركزا على الدراسة الجامعيه والأكاديمية، وفى مراكز البحث العلمى، وإن كان قد انضم لفترة قصيرة إلى جماعة «مصر الفتاة» والقمصان الخضر، وقد قام بعمل مشروع لدراسة أثر مرض الجلوكوما «المياه الزرقاء» على الأطفال فى كل من محافظتى البحيرة والإسكندرية ومسبباتها ودور الأم الريفية الجاهلة فى فقدان بصر أطفالها طبقاً لبدع وخرافات قديمة مما دعا هيئة الصحة العالمية W. H. O. إلى تبنى

المشروع والختيار، واحدا من حكماء طب العيون فى العالم وهو لقب لم يحصل عليه قبله أو بعده عالم طبيب من أفريقيا والبلاد العربية واسمه استاذ دكتور محيى الدين سعيد رئيس قسم أمراض الرمد والعيون بجامعة الإسكندرية.

كما كانت تقع أمام المنزل مدرسة مصر الثانوية للبنين الأهلية التى كانت تشتهر بالقيام بالعديد من المظاهرات السياسية، كما كان يعقد فيها أسبوعيا اجتماع كبير يحضره الشيخ حسن البنا زعيم ومؤسس جماعة الأخوان المسلمين ويحاضر فيه الشيخ حسن البنا، وهو محدث لبق ومفوهٌ للغاية. كنت أحب أن استمع لمحاضراته من شرفه منزلنا، ولكن لم أتأثر بأرائه المتعصبة لأننى منذ الصغر تربيت على الحرية الدينية والاستقلال الفكرى بدون أى تعصبات فمن الممكن أن أختار أصدقائى من أى دين وأى جنسية مسيحية أو يهودية، فإن هذا لا يطبع الفرد بطابع خاص يميزه أو يبعده عن مسار إخوانه سواء فى لمدرسة أو فى العلاقات العائلية والأسرية.

وفى نفس الفترة كانت تعقد فى مكان قريب من جامع الظاهر بيبرس حيث يوجد مقر النقابة العامة لعمال النسيج وكنت أحاول أن أسمع وأتابع ما يقولون من مناقشات وندوات من خلال الميكروفون.

هذه باختصار الأرضية التى نشأت فيها، وكونت تفكيرى واهتماماتى الشخصية فيما بعد: جو متفتح مملوء بالحياة والحب والفن تعلمت فيه أن أخدم نفسي بنفسي، وتعلمت المشاركة الوجدانية والعملية مع زملائى وزميلاتى فى البيت والعائلة والمدرسة، وأن أضع نفسى دائما فى المقدمة لمساعدة الغير بدون ترفع أو تسلط.

كنت كما ذكرت من قبل فى مدرسة روضة غمرة، وغمرة الابتدائية للبنات بشارع رمسيس، وكنت فى مراحل التعليم المختلفة من المتفوقين وبدأت فى المرحلة الابتدائية أتعلم اللغة الإنجليزية واتكلمها بطلاقة، كما كنت كثيرا ما أتحدث مع بنات الجيران باللغة الفرنسية ولذا كنت دائما متفوقة فى اللغات قراءة وكتابة؛ وهذا ساعدنى فى توسيع مداركى وثقافتى العامة.

كان أبى يكافئ العائلة لنجاحها وتفوقها المدرسى بإجازة طويلة (٣ شهور) نقضيها فى الأسكندرية على شاطئ ستانلى حيث نتعلم العوم وننطلق بحرية نلعب رياضة

سواء كنا كبارا أم صغاراً بلا أدنى تأثير للتربية التقليدية المقفولة التى كانت سائدة فى الثلاثينيات، كنت وأنا مازلت مراهقة أحب أن أحضر حفلات واجتماعات شقيقاتى الكبيرات سواء طلبة أو طالبات، وكان أبى يسمح لهن بدعوة زملائهن من الطلبة والطالبات إلى منزلنا، ويقدم لهم الشاى ويحضر مناقشاتهم التى لا تنتهى إلا لتبدأ من جديد. باختصار كان جو البيت مملوءاً بالحياة الواسعة العريضة بكل أبعادها من علم ورقص ومغنى وفن وتمثيل.. إلخ.

وعندما انتقلت إلى المدارس الثانوية التحقت بمدرسة الأميرة فوقية الثانوية للبنات (الأورمان الثانوية الآن) بالدقى ولكنى خلال الدراسة أصبت بحمى التيفود وأمضيت مدة طويلة جدا (٩٦ يوما) فى مستشفى الحميات بالعباسية بين الحياة والموت وقد أثّر فى هذا المرض صحياً وأصبحت ضعيفة من ذلك الوقت.

والتحقت بجامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) فى كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية، وكانت أغلبية الدفعة من الفتيات. وأساتذتنا أغلبهم أجانب ومعهم بعض الأساتذة المصريين منهم. د. لويس عوض. ود. سهير القلماوى و د. مؤنس طه حسين، وكان الدكتور لويس عوض كما هو متبع فى قسم آداب اللغة الانجليزية هو المكلف بمتابعة دراستى وأبحاثى فى الجامعة طوال فترة دراستى الجامعية من السنة الأولى إلى الليسانس.

سبقتنى أخواتى الأكبر منى فى التعرف على الجمعيات الثقافية المنتشرة داخل القاهرة فى ذلك الحين، يذهبن إليها للمشاركة فى الاجتماعات والندوات والمحاضرات التى تعقد بانتظام فى دار الأبحاث العلمية ومقرها حى المنيرة القريب من السيدة زينب، وقد تعرفت شقيقتى فايزة الطالبة بكلية العلوم جامعة فؤاد على هذه الدار حيث إن كلية العلوم كانت مركزا لتجمع التيارات اليسارية المختلفة وكثير من عناصرها أعضاء أيضا فى دار الأبحاث العلمية.

بدأت أواظب على حضور اجتماعات وندوات دار الأبحاث العلمية طوال عام ١٩٤٥ وهو نفس العام الذى فقدت فيه والدى فترك فراغاً كبيراً فى جميع أفراد العائلة وغير من اتجاهات محور كل فرد فيها. ولكى أملأ هذا الفراغ انغمست أكثر فى

المشاركة في نشاط جماعة دار الأبحاث العلمية التي كانت تمدني على الدوام بالوعي السياسي والقومي، كانت تمكني من القراءة العريضة في مختلف مجال النشاط الفكري وفي التربية السياسية نظرا لما تقدمه من وعي سياسي وفكري وكتب جديدة وجرائد مختلفة عربية وأجنبية واندمجت أكثر فأكثر في نشاط جديد وازداد وعيي السياسي والأدبي والفني وأخذ يتبلور بشكل جديد مختلف، بشكل جوهري عن مرحلة الطفولة والمراهقة.

تعرفت في دار الأبحاث العلمية على المناضلة فاطمة زكي صديقة شقيقتي فايزة وزميلتها في كلية العلوم، كما تعرفت على إنجي أفلاطون ولطيفة الزيات وعنايات أدهم المنيري الشهيرة بنفس اسمي ثريا أدهم وآسيا النمر وسعدية عثمان. ونتيجة لنشاط كل من شقيقتي فايزة وسعدية عثمان المعينتين في كلية العلوم فقد أصبحتا أول فتاتين مصريتين يفصلان من عملهما في الجامعة إبان حملة رئيس الوزراء اسماعيل صدقي ضد الشيوعية طمعا في تمرير معاهدة صدقي بيفن في يوليو ١٩٤٦.

بدأت إنجي أفلاطون المناضلة والفنانة في محاولة تجنيدي لكوني طالبة عاطفة على الحركة اليسارية وتتبع تنظيم الشرارة «اسكرا»، وكونت من شقيقتي فايزة وسعدية عثمان ومني مجموعة كانت إنجي تجتمع بنا أسبوعيا مرة أو مرتين على الأقل تقوم خلال ذلك بعرض سياسي عام لتطورات الأحداث السياسية في مصر والعالم بأسره، كما تنقل أي زميلة وتعرض ملخصا لكتاب ماركسي بنظرة باللغة العربية أو الإنجليزية ونناقشه ونقويم هذا الملحق وشرح جوانبه النظرية والفلسفية ثم توجه إلينا إنجي بعض الأسئلة حول مفهومنا لما قرأناه، حيث كان من المتبع في تنظيم الشرارة «إسكرا» أن يقضي أي عاطف فترة ستة شهور قبل انضمامه التنظيم. الذي كان معروفا عنه اهتمامه الشديد بالثقافة والتربية السياسية العميقة. بعد فترة الستة أشهر عرضت إنجي على شقيقتي فايزة الانضمام إلى التنظيم ولكنها فضلت أن تستمر كعاطفة؛ لأنها لاتريد أن تنضم إلى تنظيم سري، أما عني فقد أهمل الاتصال بي لأن التركيز كان على شقيقتي بالذات.

في بدايات عام ١٩٤٦ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية كان الشارع المصري في حالة غليان ثوري مطالبا بضرورة انهاء الإحتلال البريطاني وطرد المستعمر. وبدأ

يظهر فى جامعة فؤاد الأول أكثر من تنظيم سياسي يحاول كل منه أن يسيطر على مسار حركة الطلبة والطالبات فى الجامعة التى تموج بمختلف نواحى النشاط الاجتماعى والثقافى والسياسى من جمعيات للموسيقى الكلاسيك Gramophone Society فرق مسرحية تقدم مسرحيات عربية وأجنبية يتم عرضها على مسرح الجامعة، كما كنا نذهب أسبوعيا إلى نادى خريجى قسم اللغة الإنجليزية فى شارع المدابغ «شريف حاليا» لنستمع إلى محاضرات أدبية أو مشاهدة مسرحيات إنجليزية يقدمها قدامى الخريجين وعلى رأسهم المذيع اللامع محمد فتحى، وأنور نريطم ومصطفى حبيب وتوفيق أحمد البكرى والشريعى وأمينة السعيد ونعمات سعيد أدهم وغيرهم كثيرون.

هذه الصحوة التى ظهرت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية كان لها تأثيرا كبيرا على صحوة المرأة المتعلمة بالذات التى مارست بشكل واسع فى مجال العمل السياسى والاشتراك فى المظاهرات وأصبح للفتاة المصرية دور قيادى بارز تشارك بنشاط فى انتخابات اتحاد الطلبة وفى المظاهرات والندوات السياسية. ومن أبرز هذه العناصر النسائية ـ عنايات أدهم المنيرى «الشهيرة بثريا أدهم»، والتى انتخبت فى قيادة اللجنة الوطنية للطلبة بالإضافة إلى لطيفة الزيات، والتى كانت الخطيبة الأولى فى مظاهرات طلبة عام ١٩٤٦، وتستطيع أن تسكت بأسلوبها الساحر أى خطيب آخر ينتمى إلى التيارات الرجعية سواء من الإخوان المسلمين أو أحزاب السلطة والحكومة، برزت داخل الجامعة تيارات داخل النشاط الطلابى فى ذلك الحين التيار التقدمى ويضم الشيوعيين والماركسيين من مختلف التنظيمات السياسية، وبالإضافة إلى الطليعة الوفدية «الجناح اليسارى لحزب الوفد» وتيار رجعى يواجهه يضم طلبة من جماعة الإخوان المسلمين وحزبى الأحرار الدستوريين والسعديين.

أذكر هنا لعبة ذكية وطريفة كنت استخدمتها بالاتفاق مع عنايات أدهم فنظهر التماثل فى اسم كل منا، وكوننا فى قسم اللغة الانجليزية كلية الآداب فقد اتفقنا على أنه فى حالة أى تدخل من جانب المباحث ضد أى منا فإننا ننتحل شخصية الآخر، وتعطيهم عنوانه الأمن كنا نستخدم ذلك لصالح العمل السياسى بوجه عام.

فى يوم ٩ فبراير ١٩٤٦ بعد إجازة نصف العام الدراسى خرج الطلبة جميعا بالآلاف (حوالى ٣٧ ألفا) للتظاهر والتقوا حول نصب شهداء الطلبة يستمعون إلى الخطب النارية التى يلقيها كل من لطيفة الزيات عن التقدميين ومصطفى موسى عن

الطليعة الوفدية ومصطفى مؤمن عن الإخوان المسلمين وانضم إليهم طلبه مدرسة السعيدية وغيرها من المدارس الثانوية وقد رأا الخروج فى مظاهرة عارمة إلى قصر عابدين مطالبين بالحرية والاستقلال والتنديد بالمحتل الغاصب.

كانت الشعارات فى هذا اليوم مختلفة ومتباينة، لطليعة ممثلة التيار التقدمى تطلق شعار «كفاح واحد شعب واحد» فيرد عليها مصطفى مؤمن ممثل التيار الرجعى: «بلد واحد ملك واحد».

خرج الطلبة فى المظاهرة الحاشدة، وخط مسارها شارع الجامعة حتى ميدان الجيزة لينضم إليها طلبة المدارس الثانوية، ثم توجهت إلى كوبرى عباس وهناك حدثت مذبحة كبيرة بين قوات الأمن المتجمعة فى الجانب الآخر للكوبرى انتظارا لوصول المظاهرة إلى منتصف الكوبرى وفتحت عليهم الكوبرى وانهالت النيران والهراوات والعصا الغليظة تفتك بالطلبة وتدفعهم دفعا نحو الإلقاء بأنفسهم فى نهر النيل متأثرين بجراحهم. أما باقى المظاهرة فقد منعت بالقوة من الوصول إلى الكوبرى فانتظرنا على الجانب الآخر من الكوبرى ننتظر إخراج جثث الطلبة الشهداء من نهر النيل المعطر بدماء شهداء الطلبة لنلفها فى العلم المصرى الأخضر ونقلها إلى كلية الطب بالقصر العينى لتخرج مصر كلها فى وداعهم فى موكب حزين طويل فى اليوم التالى.

كرد فعل لمذبحة كوبرى عباس قرر الطلبة والطالبات المتجمعون فى جامعة القاهرة عدم خروج الشعلة المضاءة من مبنى الجامعة يحملها الطلبة الرياضيين إلى قصر عابدين مهنئين الملك بعيد ميلاده فى اليوم التالى ١١ فبراير وأطفأ آلاف الطلبة الغاضبين الشعلة المضاءة بالتبول عليها. وانتهت إلى الأبد الأسطورة الضاحكة لضرورة تقديم الطلبة شعلة مضاءة تهنئة للملك يوم عيد ميلاده.

بدأت المظاهرات تتكاثر وفى مواجهتها يشتد الضغط على الطلبة أكثر وأكثر، وفكر الطلبة فى مواجهة هذا الضغط الإرهابى من جانب الحكومة وقوات الأمن بتكوين اللجنة الوطنية للعمال والطلبة، ولكى تشاركهم الطبقة العاملة والتى كانت تخوض وقتها حركة إضراب واسعة لتحقيق مطالب اقتصادية. كانت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة منتخبة مباشرة من الطلبة فى كلياتهم والمدارس الثانوية، ومندوبى العمال

منتخبين من مصانعهم مباشرة، وهكذا تم تكوين تنظيم شعبى منتخب يقود كفاح كل من الطلبة والعمال فى نضاله الوطنى ضد المحتل الأجنبى، وكانت اللجنة تجتمع فى مبنى كلية الطب بالقصر العينى. وتضم الكثير من العناصر والقيادات الوطنية التى تلعب دوراً بارزا فى حينها وبعدها، أذكر منهم على سبيل المثال وليس الحصر: لطيفة الزيات، وعنايات أدهم المنيرى «ثريا أدهم» وحكمت الغزالى العاملة بشبرا الخيمة وآسيا النمر كلية الآداب ومصطفى موسى وجلال معوض وسيد البكار وأحمد صرياى من الطليعة الوفدية.

قررت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة أن يبدأ نشاطها يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ حيث تتوقف فيه كل وسائل المواصلات من ترام وأتوبيس، على أن تخرج فى هذا اليوم مظاهرتان رئيسيتان: واحدة تمثل الطلبة وتخرج من جامعة القاهرة وتتحرك الثانية من شبرا الخيمة، لتنضم المظاهرتان أمام قصر عابدين. كانت كل من المظاهرتين قوية للغاية، مما جعل القوات البريطانية التى تسكن فى ثكناتها القائمة بميدان التحرير «مبنى الجامعة العربية» وفندق هيلتون حالياً تطلق على جموع المتظاهرين النيران من سياراتها المنتشرة فى الميدان ومن شبابيك ثكناتها، ومن شرفات أسطح العمارات التى يقطنها الكثير من قوات المحتل بدون أى سبب أو احتكاك من جانب الجموع المتظاهرة، وبدأ المتظاهرون يغمسون أيديهم فى دماء الشهداء الذى سقطوا بنيران قوات المحتل، ويرفعونها أمام قوات المحتل مما أفقد هذه القوات الصواب فزادت من وحشيتها وأصيبت بحالة من الهلع، ومع ذلك استمرت المظاهرات طوال اليوم ومنعت قوات المحتل مظاهرة العمال التى قامت فى شبرا الخيمة من الوصول إلى ميدان الإسماعيلية «التحرير حاليا» ثم توقفت المظاهرات عند المغرب. ونظرا لأنه حدث فى نفس اليوم مظاهرات قوية فى الهند أيضا ضد الاستعمار البريطانى فقد قرر الاتحاد العالمى للطلبة واتحادات العمال العمالية اتخاذ يوم ٢١ فبراير عيدا عالميا لكفاح من أجل التحرر الوطنى. ومن أهم نتائج هذا اليوم المعظم ولارتفاع عدد الضحايا؛ فإن قوات الاحتلال البريطانى قررت أن تسحب قواتها من المدن الكبرى ومنها القاهرة.

بعد استقالة وزارة النقراشى نتيجة للتذمر الشعبى الواسع بعد مذبحة كوبرى عباس، تسلم رئاسة الوزراء إسماعيل صدقى الطاغية والديكتاتور، واتضح الفارق الواسع بين

مواقف كل من التقدميين وممثلي الأحزاب الرجعية، وعلى رأسها الإخوان المسلمين الذين أخذوا يمجدون رئيس الوزراء الجديد مرددين الآية القرآنية ،وأذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد نبيا، لمحاولة تبييض صورته أمام جماهير الشعب الثائر.

واستمرت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة في قيادة حركة التحرر الوطني لأنها كانت تمثل أول تنظيم شعبي ديمقراطي يجمع بين العمال والطلبة، وبعيدا عن الأحزاب السياسية السائدة في ذلك الحين، وعن طريق انتخابات حرة ديمقراطية وجدت اللجنة التنفيذية للطلبة واللجان الوطنية داخل المصانع.

واستمرت المظاهرات في الجامعة طوال العام، وعندما تشتد المظاهرات يصدر قرار بغلق الجامعات فترة ثم يعاد فتحها بعد أسبوع أو اسبوعين، وتتكرر هذه اللعبة أكثر من مرة.

قررت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة اختيار يوم ٤ مارس ١٩٤٦ يوما للاحتفال بذكرى شهداء معركة ٢١ فبراير ومذبحة كوبرى عباس، وإن كانت قد تركزت أساسا في مدينة الإسكندرية حيث أطلقت القوات البريطانية المتمركزة في ميدان محطة الرمل النيران على المظاهرات الشعبية العارمة في ميدان محطة الرمل، وفي ميدان المنشية وقد كان المسئول عن قيام هذه المظاهرة وتصعيدها التنظيمات اليسارية المختلفة والطليعة الوفدية.

من أهم نتائج حركة فبراير، مارس ١٩٤٦ قيام اللجنة الوطنية للعمال والطلبة والدور الذي لعبته الطالبات في المشاركة في هذه المظاهرات بل وقيادتها. وبرصفنا نساء واعيات بدور المرأة المصرية في الكفاح الوطني، وبأنها نصف المجتمع، فكرنا في تكوين ،رابطة فتيات الجامعة والمعاهد العليا، التي تعتبر أول تنظيم نسائي يظهر في الساحة من فتيات الطبقة الوسطى. وهذا التنظيم النسائي الوليد، وإن كان أغلبه من العناصر التقدمية واليسارية، فإنه ضم العديد من الفتيات الوطنيات من سائر الأحزاب القائمة وأذكر منهن المناضلات إنجي أفلاطون ولطيفة الزيات وعنايات أدهم المنيرى وسعدية عثمان وفايزة سعيد أدهم وفاطمة زكي وحورية مصطفى ونجيبة وآسيا النمر،

جنفييف سيداروس وعناصر مستقلة: د. عائشة راتب التى كانت وقتها طالبة بكلية الحقوق جامعة القاهرة.

بدأنا نعمل بنشاط نربط بين مطالب الحركة النسائية والحركة الوطنية عموما، نقول إن «المرأة هى نصف المجتمع وهى جزء لا يتجزأ من الحركة الوطنية».

عقدنا الاجتماع التأسيسى لهذه الرابطة فى مدرسة الليسيه الفرنسية بباب اللوق لإعلان الرابطة وبدء نشاطها. وقد حضر هذا الاجتماع، مئات من السيدات والفتيات، وقد حاولت قوات الأمن عرقلة عقد الاجتماع ولكن تم الاتصال بوزارة الداخلية فسمحت بعقد الاجتماع على ألا يتم خروج الحاضرات إلى الشوارع. وقد كان هذا الاجتماع ناجحا للغاية وأعلنا عن تكوين الرابطة وخطبت فيه على ما أتذكر كل من إنجى أفلاطون ولطيفة الزيات وآسيا النمر. وقد صدر بيان عن هذا الاجتماع نشر بالكامل فى مجلة الفجر الجديد التى كانت تصدرها فى ذلك الحين منظمة «الطليعة الشعبية للتحرر الوطنى».

بدأنا ترسيع الرابطة وطلبنا من المدارس الثانوية إرسال مندوبات لحضور اجتماعات الرابطة الوليدة، وكنا نجتمع فى الجامعة المصرية. ومن خلال هذه الرابطة تمكنا من إرسال وفد لحضور مؤتمر المنظمات النسائية العالمية التى اشتركت ولعبت دوراً فى الكفاح ضد الفاشية، وانبثق عن هذا المؤتمر تكوين الاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى فى باريس فى أواخر عامى ١٩٤٥، وأوائل ١٩٤٦.

حضر هذا الاجتماع العالمى من مصر كل من إنجى أفلاطون وصفية فاضل وسعاد كامل عن الرابطة بالاضافة إلى سعاد زهير الصحفية، وكن جميعا فى عمر العشرين عاما. كما تم الاحتفاء بالوفد المصرى والاعتراف به ومازال الاتحاد النسائى التقدمى التابع لحزب التجمع الوطنى الديمقراطى الوحدوى عضوا فى هذا المؤتمر العالمى حتى يومنا هذا، ولكن سرعان ما حل إسماعيل صدقى خلال حملته الشهيرة ضد الشيوعية فى يوليو ١٩٤٦ الرابطة ضمن باقى التنظيمات التقدمية واليسارية.

نشاطى داخل التنظيمات اليسارية اعتبارا من عام ١٩٤٦

كما ذكرت من قبل كنت عاطفة فى تنظيم الشرارة «اسكرا» منذ عام ١٩٤٥، وكان منها هناك العديد من التنظيمات الماركسية التى تعمل فى الحقل السياسى منها الحركة

لمصرية (ح. م)، العصبة الماركسية، تنظيم القلعة كما كانت هناك منظمة د. ش العمال والفلاحين، و«النجم الأحمر» وتنظيمات أخرى صغيرة وعديدة عددها حوالى ١٤ تنظيما.

خلال نشاطى فى تنظيم اسكرا كنت أعمل بصفة أساسية بين الطلبة أولا ثم بعد أن تمت الوحدة بين كل من الشرارة وح.م فى ١٩٤٧ تم تكوين تنظيم مستقل للفتيات بقسم العمل فيه إلى ثلاث مناطق طالبات. وعاملات، وربات بيوت وخصصت للعمل بين العاملات لأن جزءاً كبيرا من العناصر النسائية فى التنظيم كان ينتمى إلى أصول أجنبية ويهودية ولذلك من الصعب أن يعملن وسط العاملات العاديات.

وكنت على اتصال بعاملات يعملن فى مصانع مختلفة فى شبرا الخيمة من بينهن حكمت الغزالى التى كلفت بالالتحاق بأحد مصانع النسيج فى شبرا الخيمة ولعبت دورا بارزا سواء بين العاملات أو العمال ومحل تقدير كل العاملين فى مجال الكفاح الاقتصادى والسياسى للعمال، وقد شاركتها فى الكفاح فى مجال العاملات زينب العسكرى.

ومن أهم أحداث النصف الثانى من ١٩٤٦ حملة إسماعيل صدقى ضد الشيوعية فى يوليو من هذا العام والذى قام بها لضرب كفاح اللجنة الوطنية للعمال والطلبة والتى نادت بالقيام بإضراب عام فى ذكرى ضرب مدينة الإسكندرية، واستهدفت الحملة إغلاق كافة التنظيمات والجماعات التقدمية القائمة مثل دار الأبحاث العلمية، ودار الثقافة الجديدة، وجمعيه الفن، واللجنة الوطنية للعمال والطلبة، ورابطة فتيات الجامعة والمعاهد العليا، ومجلة الفجر الجديد، واعتقال القائمين على نشاطها تمهيدا لتمرير معاهدة صدقى - بيفن مع المحتل البريطانى. ولأول مرة تضاف المادة ٩٨ أ، ب، ج لصلب القانون والتى لم تكن موجودة من قبل لضرب الحركة الشيوعية الوليدة فى مصر.

وخلال عام ١٩٤٧ انحصر نشاط القوى التقدمية فى ٣ حالات مهمة.

الأولى: بعد فشل النقراشى باشا رئيس الوزارء فى الحصول على أى تنازلات من المحتل البريطانى عند عرض القضية المصرية على مجلس الأمن خلال سبتمبر

١٩٤٧ دعت الحكومة لاستقبال رئيس الوزراء استقبالا حسنا عند وصوله محطة مصر.

وخلال المظاهرة التى كانت الحكومة قد دعت إليها استغلتها العناصر التقدمية وبوجه خاص الفتيات اللاتى كن فى قمة المظاهرات التى قامت فى ذلك اليوم، فكان المتظاهرون يرفعون المناضلات فاطمة زكى وحكمت الغزالى ولطيفة الزيات وآسيا النمر ويرددون الشعارات التقدمية التى يطلقنها، ولكن سرعان ما تحرك رجال الأمن وفضوا هذه المظاهرات.

الثانية: تمت وحدة بين أكبر تنظيمين يساريين هما ح. م. واسكرا وتكونت منظمة جديدة «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى - حدتو» وإن كانت هذه الوحدة لم تتم بعد أى صراع أيديولوجى تشترك فيه القاعدة والقيادة ولكنها كانت مجرد اتفاق بين أقطاب كل تنظيم على حدة مما نتج عنه سرعة تفكك هذه الوحدة بعد عدة أشهر ودخلت الحركة اليسارية فى مصر فى سلسلة من الانقسام، فالوحدة فالانقسام من جديد، وهكذا ضربت الحركة عند نشأتها فى مقتل، ولم يتمكن الأعضاء المخلصون من تحقيق مكاسب وطنية أو حتى اقتصادية للشعب ولطبقة العمال والفلاحين.

ثالثا: ابتليت البلاد خلال صيف ١٩٤٧ بوباء الكوليرا الذى هدد ربوع الوادى وريفه وأودى بحياة آلاف من المصريين رجالا ونساء وأطفالاً، وقد استغل التنظيم الجديد «حدتو» تفشى هذا الوباء وقام بحملة ضد الكوليرا وتكوين مراكز لمكافحة المرض ومساعدة المرضى، ولعب دورا جماهيريا التخفيف من الإصابة به أو الوقاية منه. وقد اشتركت فى المركز الذى أسكن فيه بشارع النزهة نوزع المطهرات لقتل الميكروب وترشد الجمهور كيفية الحماية منه، مما قرب الكثير من جماهير الشعب خاصة فى المناطق الموبوءة أو المزدحمة الفقيرة.

عام الانقسامات:

فى بداية ١٩٤٨ بدأت داخل تنظيم حدتو بوادر اختلافات تنظيمية وسياسية، ولم تكن قد مرت سوى شهور قليلة على إتمام الوحدة. أول انقسام ظهر داخل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى هو التكتل الثورى الذى نظمه كل من شهدى عطية

لشافعي وأنور عبد الملك . وانتشر هذا الانقسام بوجه خاص وسط تنظيم الطلبة الذي انقسم بدوره إلى المنظمة البلشفية، ثم ظهرت صوت المعارضة والتي كانت تجاهر بأن خلافها الرئيسي هو خلاف سياسي مع خط قوات وطنية ديمقراطية الذي تدعو إليه القيادة وليس مجرد خلاف تنظيمي بسيط إذ إن صوت المعارضة كانت تنادي بالعمل ١٠٠ ٪ وسط العمال والفلاحين . وبعد أن كان الأمان حديديا ظهرت الاتصالات الجانبية على شكل واسع واختفى مبدأ أهمية المحافظة على الأمان وانتقلت الاجتماعات الواسعة إلى بيوت عامة واجتماعات واسعة كل طرف منهم يتهم الطرف الآخر بالخيانه والتفريط في وحدة وآفاق الحزب.

ومع ذلك الجو الملىء بجو الشرذمة والانقسام قرر التنظيم النسائي التابع لحدتو القيام بمظاهرة نسائية يوم ٢١ فبراير ١٩٤٨ رغم أن الحكومة أذاعت من خلال الراديو والإذاعة تحذيراً بعدم السماح بالقيام بهذه المظاهرة ولكننا تجمعنا مجموعة من النساء والفتيات في حدود ١٠٠ تقريبا بميدان الإسماعيلية «التحرير حاليا» وأخذنا نهتف ونرفع شعارات تندد بالحكومة وتخاذلها في مواجهة المحتل البريطاني، واتخذنا طريق سليمان باشا «طلعت حرب حاليا»، ولكن سرعان ما حاصرتنا قوات الأمن واعتقل العشرات من المتظاهرات كنت من بينهن ومعي لطيفة الزيات، وكان اتجاه المظاهرة نحو شارع سليمان باشا خطأ لأن هذا الحي راقٍ وليس به أي تجمعات شعبية وغالبا محال تجارية يملكها أجانب وليس لها أي اهتمامات سياسية وطنية، وتم احتجازنا في قسم عابدين حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ثم أفرجوا عنا . وقد انتحلت في هذا الموقف شخصية وعنوان عنايات أدهم المنيري كما كنت أفعل من قبل وبعد الإفراج عنا توجهت مع لطيفة الزيات إلى منزلها وعدت في اليوم التالي إلى منزلنا مما سبب مشاكل كثيرة لي داخل المنزل.

وفي خلال إحدى المظاهرات التي قامت في الجامعة خلال عام ١٩٤٨ بدأ الطلبة يطلقون لأول مرة شعار سقوط الملكية واقتحمنا قاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة المصرية وأنزلنا صورة الملك التي كانت معلقة في صدر القاعة ودسنا على الصورة بالاقدام وهتفنا ضد الملك وطالبنا بإسقاطه بينما كان طلبة الإخوان المسلمين يجرون وراءنا لضربنا بالسنج والكرابيج دفاعا عن الملك والملكية.

كنتيجة لاشتراكي في المظاهرة النسائية يوم ٢١ فبراير وفي الهجوم على قاعة الاحتفالات وانزال صورة الملك ودوسها بالأقدام سحب الحرس الجامعي مني كارنيه دخولي الجامعة لحين تقديمي إلى محاكمة تأديب.

وانغمست أكثر فأكثر في النشاط السري والعلني، وقبض علي وأنا اخرج من قهوة أسترا بميدان الإسماعيلية مع واحد من قادة حركة حدتو «كمال شعبان» فحولوني إلى نقطة كوتسيكا ومنها نقلوني إلى منزلي بشارع سعيد للتفتيش وجاء البوليس السياسي إلى المنزل وكان مليئاً بالأوراق التنظيمية، ولكني طلبت من وكيل النيابة دخول الحمام فرفض ثم ألحت فأرسلوا عسكرياً يفتش التواليت أولا ثم سمحوا لي بالدخول وسرعان ما فتحت الشباك وتسلقت السور لأصل إلى الحمام حيث كانت شقيقتي تستحم وطلبت منها إخفاء الأوراق التنظيمية حتى لايجدها البوليس. كنت أحمل عند اعتقالي مسودة تقرير عن خط قوات وطنية وديمقراطية، وفي تقديري أن هذا التقرير هو أحسن ما كتب حول هذا الخط السياسي وللأسف عجزت تماما في إظهار هذا التقرير الذي يدين ويكشف هذا الحزب اليميني الذي ابتليت به الحركة اليسارية المصرية..

عند إعلان الأحكام العرفية، ١٥ مايو ١٩٤٨ صدر أمر عسكري باعتقالي ولما كنت خارج المنزل، وقف أطفال الجيران في نواحي المنزل ليحذروني من الرجوع حيث ينتظر البوليس للقبض علي وهربت إلى منزل فاطمه زكي.

واقترب موعد امتحان الليسانس ففكرت والدتي في الاتصال بالنقراشي باشا رئيس الوزراء حينئذ، وطلبت من زوج شقيقتي توفيق أحمد البكري بأن يطلب منه الإفراج عني باسمها واسم المرحوم والدي محمد سعيد أدهم الذي كثيرا ما قدم خدمات جليلة للنقراشي عندما كان مدرس رياضة بالعباسية الثانوية بمحرم بك حيث كان يعمل مدرس رياضة، وفعلا استجاب النقراشي وصدر أمر بالإفراج عني حتى أتمكن من دخول امتحان الليسانس.

فقط حاولوا أن يمنعوني من دخول الامتحان، ولم ينجحوا، ونجحوني بتقدير مقبول رغم أني كنت متفوقة في الدراسة، حتى لا أستطيع أن أكمل دراستي في الجامعة بعد ذلك.

بعد الكلية تم تعييني مدرسة لغة إنجليزية في مدرسة القبة الفداوية بالعباسية وانتظمت في صوت المعارضة، وحدث اختلاف بين صوت المعارضة وخط القوات الوطنية الديمقراطية، فقد كان صوت المعارضة ينادي بحركة عمال مئة في المئة، أي يكون كل النشاط في الطبقة العاملة فقط وليس قوات وطنية ديمقراطية. ثم عقد المؤتمر الأول صوت المعارضة التي أصبحت م. ش. م الجزء الأكبر من كل تنظيم حدتو، وعندما تكونت المنظمة المصرية الشيوعية كانت أكبر تنظيم موجود في حدتو كلها، لكن لأن الخط كان يسارياً جداً، بدأت تتصفى الحركة بسرعة شديدة جداً، وكانت هناك صعوبة في الدخول وسط المصانع، حيث كانت الأحكام العرفية، كانت شبرا الخيمة ملغمة لا نستطيع أن نصلها إلا عن طريق الكوبري. غير أن حملات الاعتقال بدأت تزداد.

وبعد فترة أمرني التنظيم أن أترك عملي وأختفي، ونفذت فعلاً هذه التعليمات. واشتغلت محترفة، بعد ذلك كنت أعمل في منطقة القاهرة، وكان علي أن أتصل مرة في الأسبوع بقيادة التنظيم وآخذ منه التعليمات والتوجيهات. وفي نفس الوقت كنت أعمل في لجنة الصراع الأيديولوجي من أجل الوحدة بين التنظيمات الشيوعية من أول جديد.

وبقيت في هذا التنظيم، المنظمة المصرية الشيوعية، لكن كما ذكرت الإرهاب الذي كان سائداً والقبض على الناس جعله يتفكك، وبقيت إلى أواخر سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٤٩ تقريباً، وقد تم القبض علي في الشارع أنا وزميلة أخرى أثناء تسليم بعض المطبوعات، واتهمت بقلب نظام الحكم وأرسلت إلى سجن مصر، وحكم على حكمين، حكم بسنة، وحكم بثلاثة أشهر (إهانة المحكمة)، في هذا التوقيت كان يوجد حسين طنطاوي، ونحن كنا لا نعترف بهذه المحاكمات ونقاطع المحكمة فقد اتهمتهم أن هذه المحاكمة مثل محاكمة ساليزار، لذلك أخذت الثلاثة شهور سب محكمة. واستمريت في السجن لنهاية ١٩٥٠، وخلال هذه المدة أضربنا مرة عن الطعام للمطالبة بتحسين الأوضاع، فقد كان عكس سجن الأجانب تماما، وكانت معي في هذه القضية سعاد بطرس، وبعض عناصر أجنبية، وجنيفيف سيداروس، وفي أثناء وجودنا في السجن

تم القبض على قادة م.ش.م، ورحلوهم عندنا فى سجن مصر، منهم سيدنى سلامون، وأوديت حزان، كانت شخصية سيئة ديكتاتورة للغاية.

وبعد خروجى من السجن أمرنى التنظيم أن أترك القاهرة وأذهب إلى الإسكندرية، ولأن الحالة ا لمالية للتنظيم كانت صعبة للغاية، فكانوا يعطونى الأمر وعلى أن أبحث على شغل وأتكفل بنفسى وكنت بالطبع بعيدة عن أهلى لا أتصل بهم. وكانت معى فى هذه الفترة فاطمة زكى، وبعض العناصر العمالية فى الإسكندرية، واشتغلنا فى المصانع التى كانت موجودة فى محرم بك، وكانت تأتى لنا المجلة من القاهرة «كفاح الشعب» ونوزعها فى الإسكندرية.

و اشتغلت فى مكتب إعلانات، واستمريت فيه لمدة سنة ثم قال لى صاحب العمل إن احتياجاته أقل من كفاءاتى، لذا أرسلنى للعمل فى فندق سيسيل، وكان صاحبه رئيس قلم المخابرات البريطانية فى الإسكندرية، وكان يمتلك (١٦) فندقًا فى مصر. وعملت باسم مستعار وهو (ليلى فهمى) هذا غير اسمى التنظيمى سناء، حيث كان يحتاج لموظفه تقرأ له الخطابات والجرائد العربية، وفى نفس الوقت تعرف اللغة الإنجليزية. تم اختيارى لهذه الوظيفة؛ لأنى أعرف عربى وإنجليزى بشكل جيد، وكان يحبنى جداً، ولم يشك فى للحظة، وكان مرتبى فى البداية ٦ج ثم ٨ج، وآكل فى اللوكاندة، وكان لدى مكتب كبير جداً وسط محطة الرمل يطل على البحر، وفى هذا المبنى كانت تعقد اجتماعات كثيرة، مثل اجتماعات لبعض الجمعيات الخيرية التابعة للإنجليز، وكنت أحضر هذه الاجتماعات ومسئولة عن الدوسيهات التابعة لها كلها، ولكن كان يعقد اجتماع مرة كل شهر أو كل أسبوعين لا يحضره أحد سوى صاحب الفندق وسكرتير بنك باركليز، والقنصل البريطانى، وكنت أراهم . وأحياناً يطلب منى أن أحضر لأقدم لهم بعض الهدايا، ورغم ثقته فى إلا أن هذه الاجتماعات لم يكن أحد يرى أوراقها.

وتعرفت فى هذا الفندق على أحمد لطفى السيد باشا، كانت له غرفة خاصة، وكان يأتى ليشرب القهوة فى المكتب عندى، وقد تمت صداقة قوية جداً معه، وكان يريد أن يرجعنى الجامعة مرة أخرى لأكمل دراستى، لأنى بالطبع كنت أقول إنى لست معى شهادة جامعية، وأيضاً عرض على صاحب الفندق الإنجليزى انه مستعد أن

أسافر على حسابه لأكمل تعليمي. باعتبار أني قوية في اللغة الإنجليزية. هذا من ١٩٥٠ - ١٩٥١.

ثم بدأ الكفاح المسلح في القناة، وطلب مني التنظيم أن أترك الإسكندرية وأنزل القاهرة، وعندما وصلت إلى القاهرة أخبروني بأني سأعيش مع أوديت وسأكون مسئولة عن أمانها. أنا فكرت كويس جداً طوال الليل، فأنا لا اتفق أبداً أبداً مع أوديت، فتركت ورقة في البيت وقلت لهم «أنا أعلم أنكم ستتهموني بالبوليسية وبأني تخليت عن الكفاح، وأنا مستعدة لأي جزاء ترونه، لكني لا أستطيع أن أعيش تحت سقف واحد مع أوديت» وخرجت من البيت ورجعت إلى الإسكندرية مرة أخرى.

نسيت أن أذكر أني ورثت من والدي حوالي ٦٠٠ ج وأعطيتها كلها للتنظيم رغم أنني فصلت منه وأرسلوا لي قرار فصلي. وحاولت أن أبحث عن عمل بشهادتي، وأعيش عيشة أخرى في الإسكندرية، وفي هذه الفترة انقطعت علاقتي بالتنظيم تماماً، لأنه لم يكن مسموحاً لأحد أن يكلم الآخر، والذي يفصل لا أحد يكلمه، ولا تعرف من فصل، أو من لم يفصل، وبعد كل هذا التشدد الهيستيري حل التنظيم نفسه، وهاجرت أوديت للخارج.

واشتغلت في شركة فورد للسيارات، ولكن لم أستمر طويلاً لأنهم يضطهدون المصريين بشكل غريب جداً، وكانوا لا يريدون أن يعطوني شغلانة كويسة ثم اختلفت مع المدير المصري واتهمته بأنه لا يمكن أن يكون مصرياً، ولا أستبعد أن أسمع عنه أي شيء ضد بلده، وفعلاً بعد ذلك ثبت أن هذا الشخص كان جاسوساً لإسرائيل وحكم عليه بالإعدام. لا أتذكر اسمه الآن، هو كان مديراً لمكتب الدكتور النقيب. ثم انتقلت إلى شركة إنجليزية، ثم انتقلت إلى كفر الدوار وعملت هناك أمينة مكتبة، ومسئولة الترجمة وقد ذهبت في فترة مهمة قبل العدوان الثلاثي ١٩٥٦، وفي هذه الفترة كان المد الثوري في البلد قوياً بعد مؤتمر باندونج والدنيا تفتحت أكثر.

ونزلت لوحدي بدون أي اتصالات، للعمل وسط العاملات، وكونت فصولاً للتمريض، والمساعدة في تكوين لجان شعبية في قلب المصنع.

وهناك كانوا مستغربين جداً كيف لفتاة أن تكون بهذه الحيوية والنشاط وتستطيع أن تعمل وتخطب، وأنا كنت أعرف كل الأسرار لأن مكتبي كان موجوداً بجوار رئيس

الشئون القانونية، حيث يحضر دائما ضابط مباحث المنطقة، وعرفت كل العملاء، وفى هذه الفترة لم يكن يطلب من البنات عمل فيش وتشبيه. ولم يشكوا فى ولم يعرفوا عنى أى شىء، وكانوا مبسوطين منى لأنى أعرف أتكلم وأتناقش.

بعد ذلك سافرت للقاهرة، أحسست أنه ليس من المعقول الاستمرار فى هذا الوضع، وحاولت الاتصال بالزملاء القدامى الذين كنت أعرفهم من م.ش.م وأشوف هيعملوا إيه، ووجدتهم بدأوا يتصلون ببعض مرة أخرى، وقررنا أن نعيد التنظيم من أول وجديد ودخلنا فى الحزب الشيوعى المصرى (الراية) فى عام ١٩٥٧، وكنت عضو لجنة منطقة كفر الدوار، ولم يكن فى المنطقة فتيات، كان من الزملاء الرجال عبد المحسن الأعسر، وفايز علام (سكرتير النقابة) و انضم لنا محمود عطا الله رئيس نقابة عمال كفر الدوار للغزل الرفيع بعد الوحدة فى ٨ يناير، لأنهم كانوا تابعين لتنظيم العمال والفلاحين، و بالطبع فى عام ١٩٥٧ تمت الوحدة بين الحزب الشيوعى المصرى(الراية) والموحد وكونوا المتحد، وكان معنا من الموحد صالح عيد (أبو خالد) ومصطفى مسلم.

وكانت هذه الفترة تتميز بأنها فترة نشاط عمالى قوى جداً، وكانت منطقة كفر الدوار لها تقاليدها الخاصة خاصة بعد إعدام خميس والبقرى وتمت عدة إضرابات عمالية فى هذه الفترة، وكانت لها مطالب اقتصادية؛ ولأن النقابة كانت قوية جداً فقد نجحت فى تحقيق مطالب كثيرة، ورفعنا قضية على الشركة لتحسين الأوضاع كعمال تابعين للكيماويات والغزل والنسيج.

ونتيجة الوحدة الواسعة فى يناير ١٩٥٨ ودخول عناصر كثيرة فيها، بدأت تقل إجراءات الأمان التى كانت صارمة وبدأ يدخل عناصر من البوليس، وأصبح العمل الجماهيرى واسعاً أكثر وأكثر وبدأوا يعرفون أن لى نشاطاً شيوعيا سابقا، ثم طلب بعد ذلك سواء فتاة أو رجل أن يقدم فيش وتشبيه قبل استلام العمل. وعرف أنى على اتصال بالقاهرة.

وبعد مدة بسيطة من الوحدة بدأ يحدث انقسام فى الحركة، وفيه جزء انفصل وجزء لا، وحصل انقسام كبير بين عناصر حدتو وخرجوا، واستمريت فى حزب ٨ يناير، وكان المسئول عنا محمد بدر، كان من العمال والفلاحين، وهو زعيم عمالى كبير.

واستطعنا أن نعمل إضرابات كثيرة عن طريق القادة العماليين معنا، وكان يساعدنا شقيق محسن الأعسر الذى كان عضو مجلس إدارة فى الشركة ومن الضباط الأحرار، ولكن لم يحدث إضراب عندنا فى المصنع الكيماوى، لأنه لو وقف المصنع ينفجر، فالمصنع الكيماوى له أوضاع معينة.

فى أواخر ١٩٥٨ تزوجت وانتقلت إلى القاهرة، وقد قابلت زوجى (حلمى ياسين) فى أحد الاجتماعات، ثم قابلته فى حفلة فى بيت أحد الزملاء وبدأنا نتعرف ببعض، وكان يأتى أحياناً فى التنظيم عندنا، وطلب منى أن نتزوج بسرعة، لأنه كان متوقعا أن الضربة البوليسية ستبدأ فى سبتمبر، وأنه من الممكن أن يقبض عليه. وفعلاً تزوجنا ولم نعش مع بعضنا أكثر من شهرين، ثم أعتقل هو فى أول يناير ١٩٥٩، وانتقل إلى معتقل القلعة، وفى الحملة الثانية فى مارس ١٩٥٩ تم اعتقالى، وقد كنت فى هذه الفترة بين كفر الدوار والقاهرة، واعتقلت بطريق الصدفة، فقد كنت عند بيت حماتى، وكانوا حاضرين للتفتيش عن شقيق زوجى، كان هرباناً، وبالطبع كان مطلوباً القبض علىّ، ولفوا حولى سواء فى بيتنا القديم أو فى كفر الدوار، ولم يجدونى، وعندما رآنى الضابط، وكنت مصابة بالتهاب رئوى ومتعبة جداً، قال سوف ننقلها إلى المستشفى، وفعلاً اتفق معى أنه سيحضر بعد الإفطار، كنا فى رمضان، لنقلى للمستشفى. فى هذه الأثناء عندما ذهبوا إلى كفر الدوار للبحث عنى، قالوا لهم إنى فى إجازة. ومن ثم ألغوا أمر نقلى للمستشفى، وحولونى إلى السجن، ولحسن حظى فإن د.فريد حداد الشهيد كان على علم أنه ممكن يحدث اعتقال أوهروب، فأعطانى كمية كبيرة من الدواء حتى أستطيع أن أتحمل، وعندما جاءوا وجرونى إلى المباحث، كنت طوال الوقت أتقيأ دماً من فمى، وكان كل المعتقلين الجدد قلقين جداً علىّ، وكنت فى حالة خطرة جداً، ووصلت الساعة الثالثة صباحاً إلى سجن القناطر ووجدت أنه سبقنى عدد آخر من الزميلات، كنا حوالى ٢١ زميلة، وعندما وصلت كشفت على الدكتورة، وقدمت لى الكثير من المساعدة، وسمحت لى أن أتناول كل العلاج الذى كان معى، وهذا هو الذى أنقذنى فى السجن.

فى هذه الفترة احتدم الصراع بين جمال عبد الناصر والحركة الثورية فى العراق، وبدأت تزداد الضغوط على مصر، وأذكر أن هذه هى المرة الأولى التى يدخل فيها

عدد من النساء والفتيات السجن بهذا العدد الكبير، وكانوا يعتقلون الزوج وأحياناً الزوجة ويترك الأطفال صغاراً في سن المراهقة أو أقل من المراهقة بمفردهم في المنزل.

بالنسبة للحياة في السجن لم يسمح لنا بأن نتناول أكلاً خارجياً، فالأكل كان عن طريق ا لمتعهد، وكان سيئاً جداً، والمتعهد حرامي، ومتفق مع إدارة السجن أن يسرق.

واتبعت الحكومة مع السيدات بالذات طريقة التعذيب المعنوي، فطوال فترة الاعتقال التي زادت على أربع سنوات ونصف، لم يسمح للمعتقلة بزيارة أهلها، فتخيلوا لو سيدة تركت أولادها وزوجها ليس معهم، وفي سن خطرة، وليس لديها أخبار عنهم، ماذا تكون حالتها؟

وكان معي فاطمة زكي، وثريا إبراهيم، وثريا حبشي، وانتصار خطاب، وسعاد بطرس الطويل، وجنيفيف سيداروس، وليلى الشال، وليلى عبد الحكيم، وليلى شعيب، (إحدى عاملات شبرا الخيمة)، وإجلال السحيمي، وإيفون حبشي، ولميعة أبوالنصر، وهناك أخريات انضممن لنا مثل أسماء البقلي، ومحسنة توفيق، وكانت أسماء حاملاً في ابنها ياسر في ذلك الوقت، ولم تكن صغيرة في السن وكانت في حالة متعبة للغاية. ثم بعد فترة انضمت لنا إنجي أفلاطون بعد أن قدمت للمحاكمة، واتهامها أنها كانت متهربة، وقبض عليها في أثناء هروبها، وكانت متخفية في لبس فلاحة مصرية، كما انضمت لنا صهباء البربري خطيبة للشاعر الفلسطيني الثوري معين بسيسو، وهي مناضلة فلسطينية من غزة، وقد اعتقلت في غزة، لكنها حجزت في السجن الحربي، وكانت الوحيدة بالطبع في السجن الحربي ثم بعد فترة نقلوها إلى سجن القناطر.

أما لطيفة الزيات فقد تزوجت من رشاد رشدي وابتعدت عن العمل السياسي من ١٩٥١.

في إحدى الليالي سمعنا حديثاً لعبد الناصر عن طريق راديو السجن يقول فيه ،لا يوجد في مصر معتقلين ولا معتقلات،. فقررنا في اليوم التالي أن نعتصم، وقلنا طالما رئيس الجمهورية يقول لا توجد معتقلات، لماذا نحن هنا؟

وقابلوا هذه الحركة من ناحيتنا بحملة شعواء علينا، أدخلوا فيها عساكر من سجن الرجال، ومسجونات في قضايا المخدرات، والقتل، المحكوم عليهن بالأشغال الشاقة

المزيدة، كما اشتركت فيها كل السجانات، وفي هذا اليوم اشتركنا جميعاً في هذه الحركة سواء من كن في الحزب أو المنقسمات، وضربونا ضرباً عنيفاً جداً، وسحلونا من شعورنا من بواية السجن إلى عنبرنا. وبعد مدة أرسلوتني أنا وفاطمة زكي إلى التأديب في حجرة منفردة، وهي زنزانة صغيرة جداً، ومرشوشة بالماء كلها. ورغم أن طبيبة السجن، قالت إنني لا أتحمل ظروف التأديب لكن إدارة السجن صممت على هذا وفقاً لأوامر المباحث. واستمرت مدة التأديب عشرة أيام.

بعد ذلك بدأنا نتأقلم على حياة السجن، ونحاول تنظم بعض الأشياء، ومن أهم الحاجات التي كانت تتميز فيها الحياة في هذا المعتقل، أن علاقتنا كانت علاقة جيدأ جداً، وعملنا معاً حياة عامة مشتركة، والأغلبية كانت في الحزب، وفي الغالب كانت المنقسمات لا تزيد عن اثنتين، لكنهما عادة كن يشتركن معنا، وكانت مواقفنا تأخذها مع بعض.

ظروف السجن كما قلت كانت سيئة للغاية، والاتصال بالخارج في البداية كان صعباً جداً، ولم يتم ذلك إلا بعد فترة طويلة جداً. كنا ممنوعين من الجرائد، أو القراءة بشكل عام، ممنوعين من الشغل اليدوي، ومع ذلك نجحنا طوال الفترة في المحافظة على الروح المعنوية لنا، ولم تمض أي معتقلة على أي توقيع باستنكار الشيوعية، أو استنكار العمل السياسي. وعلى الرغم من أنه كان يأتي لنا رسائل من أبناء المعتقلات يطلبون من أمهاتهم، كما تطلب منهن المباحث أن يوقعن على ورقة ويخرجن، لأنهم يحتاجون إليهن جداً، وحياتهم صعبة للغاية بدونهن.

وكانت صهباء البربري الفلسطينية، مناضلة قوية جداً، وكانت تمثل لنا التضامن بين نضال مصر ونضال فلسطين ضد المعتدى الصهيوني، وهي كانت خطيبة الشاعر الفلسطيني معين بسيسو، وكان يرسل لها قصائد على شكل خطابات، وعندما يرسل لها الخطاب تقرأه على الجميع بطريقتها المميزة في الإلقاء سواء كان شعراً ثورياً يحيي فيه المناضلات المعتقلات، أو شعراً فيه لمسات الحب. وبالتالي كان يوم وصول هذا الخطاب يوم حفلة عندنا .

وكنا نقوم في الفترة الصباحية بتقسيم المعتقلات إلى فريقين، يقمن بلعب كرة السلة، يقوم بالإشراف عليهن فاطمة زكي، باعتبارها رياضية قديمة، وليلى الشال، كل هذا لقضاء الوقت.

وبعد مدة تمكنا من مصادقة عدد من المسجونات الرئيسيات في السجن، المسجونات ذات النفوذ، وقدمن لنا الكثير من المساعدات. كما تمكنا من إقامة علاقات مع السجانات، وكنا نتفق معهن على السماح لنا بقراءة بعض الكتب من مكتبة السجن، ولكن أن نحصل على الكتب في الفترة المسائية وليس في الفترة الصباحية.

كنا نعيش حياة عامة مشتركة بين الجميع، ولكن كنا نسمح بجزء خاص من فلوس الأمانات التي تأتي للفرد تتصرف فيها كما تريد، مثلاً للاستخدام في الاتصال الخارجي عن طريق السجانات، أو لشراء سجائر، وحتى اللاتي لم يكن يصل لهن فلوس من الخارج، كنا نعمل لهن جزءاً خاصاً لاحتياجاتهن الشخصية. وكان عدد المدخنات في السجن ليس كبيرا، ولكن كانت السجاير في السجن تستخدم بدلاً من العملة.

كان عنبرنا بعيداً عن المسجونات في قضايا أخرى، ولكنه كان أمام حجرة الموسيقى، وكانت تقود فرقة الموسيقى مسجونة شيوعية سابقة هي ماجدة عبد الحليم، وقامت بتدريب فرقة من المسجونات على بعض الآلات الموسيقية، وكانت تعزف لنا على الكمان بعض القطع الموسيقية الكلاسيكية، ومحكوم عليها بعشر سنوات على ما أعتقد، ولكنها بعد فترة تعبت جداً ومرضت مرضاً طويلاً خاصة بعد أن انقطع زوجها كمال عبد الحليم عن محاولة الاتصال بها.

وعندما يأتي أي زوار أجانب لرؤية السجن يكون كل هم إدارة السجن هو إخفاء المعتقلات. فمثلاً في زيارة سيزا نبراوي للسجن، وكان معها مجموعة من حقوق الإنسان، عملنا ضجة وأغلقوا علينا الشبابيك واستمرينا نهتف، ولكن لا فائدة. وأحياناً كانت تأتي بعض الفنانات للقيام بأدوار تمثيل، والجميع كن يقدمن لنا مساعدات كثيرة، بوجه خاص مريم فخر الدين، حيث كانت تأخذ أرقام تليفوناتنا وتتصل بأهالينا، وكانت تأتي لنا بحلويات وخلافه.

وفي هذه الفترة أصبت بحمى شديدة، وكان ذلك قبل عيد الأضحى مباشرة، وطلبت الطبيبة نقلي إلى مستشفى الحميات للعلاج، لأن السجن في إجازة خلال فترة العيد.

ورفضت المباحث تنقلي بشدة، وأثر ذلك على صحتي لأن حرارة جسمي وصلت إلى ٤١ درجة مئوية بدون أي علاج، وأصبت بعدها بانهيار عصبي، وحاولوا أن يعالجوني عن طريق المباحث، وكتبوا لي بعض الأدوية، ولكن حذرتني الطبيبة من تعاطي هذه الأدوية، لأنها ممكن أن تقضي علي نهائياً، وأنا كنت أثق في الطبيبة ولم آخذ العلاج. وكل ذلك ترك آثاراً على حتى اليوم واكتشفت بعد خروجي من المعتقل إصابتي بحمى شوكية في المخيخ الشمال مما أصابني بعقم دائم وخلل في الدورة الدموية بالمخ، خرجت من السجن في ٢٤ يوليو ١٩٦٣ بعد أربع سنوات وأربعة شهور، وباقي المعتقلين والمسجونين في إبريل ومايو من ١٩٦٤ لكن كان الحزب مهلهلاً للغاية ولم يكن له تأثير..

بدأت الحركة تصفي وتتصفى، حتى انتهت تقريباً، ثم بعد ذلك صدر قرار الحل في أبريل ١٩٦٥.

وهو الأمر الذي لا أتناوله في شهادتي ومدى صحته أو خطورته واترك هذا لرواد الجيل الصاعد لبحث هذا الموضوع الشائك وأن يقدروا مدى شجاعة وبطولة وتضحيات جيل اربعينيات وخمسينيات وستينيات القرن العشرين.

شهادة
حسونة حسين

إرهاصات التكوين*

الحزب الاشتراكى ٢١/١٩٢٢

بدأت مجموعة من الشباب المصرى فى تكوين أول حزب اشتراكى فى بلادنا، وكان مقره القاهرة وفرعه بالإسكندرية، وكان على رأس هذه المجموعة سلامة موسى - الكاتب المعروف - وعنان، وحسنى العرابى، بالإضافة إلى يوسف روزنتال، وشارلوت روزنتال، وصفوان أبو الفتح، وأنطون مارون وغيرهم[1] شعبان حافظ.

الحزب الشيوعى المصرى ٢٢/١٩٢٤

لم تستمر هذه المرحلة طويلا ليستكمل الحزب الاشتراكى بنيانه ونشاطه كحزب اشتراكى. فقد أعلن فى نفس العام عن اجتماع مؤتمر الكومنترن (اتحاد الأحزاب الشيوعية تحت شعار ياعمال العالم اتحدوا) بمدينة موسكو.

وكان قد تم اختيار حسنى العرابى كممثل للحزب الاشتراكى المصرى ومندوباً عنه إلى هذا المؤتمر الذى أعلن من شروطه لانضمام الأحزاب الاشتراكية للدولية الثالثة (الكومنترن) تغيير مسمياتها إلى الحزب الشيوعى بدلا من الحزب الاشتراكى وقبول الـ ٢١ بنداً.

وعاد حسنى العرابى إلى مصر بعد المؤتمر٢٢ وقدم تقريره المتضمن قبوله لـ ٢١ بنداً والتى على رأسها تغيير اسم الحزب، وقد رفض أغلب قادة الحزب الاشتراكى

* هذه الشهادة أملاها د. حسيبة على أبنه أوائل عام ١٩٦٤ قبل وفاته بسبعة أشهر.

وعلى رأسهم سلامة موسى تغيير مسمى الحزب إلى الحزب الشيوعي. إلا أن حسنى العرابى مؤيداً بموافقة زملائه على تقريره أقروا تغيير اسم الحزب إلى اسمه الجديد: الحزب الشيوعى المصرى، وموافقتهم على قبول باقى البنود وهم حسنى العرابى، صفوان أبو الفتح، أنطون مارون، عبدالحميد فرة، شحات إبراهيم، يانا كاكيس، شارلوت روزنتال ويوسف روزنتال[٢].

وعقب ذلك نقل مركز الحزب إلى الإسكندرية (مقر بشارع نوبار بالمنشية، ومقر بشارع عرفان بمحرم بك) وصار اسم الحزب «الحزب الشيوعى المصرى» وتكونت قيادة الحزب من السابق عرض أسمائهم كما اختير حسنى العرابى سكرتيراً للحزب، وكان الحزب الوحيد الذى له لائحة وبرنامج، فالوفد ظل لا يعتبر نفسه حزباً ومصراً على أنه وفد يمثل الأمة كلها..

قضية ١٩٢٤

فى هذه السنة أعلن الحزب عن موعد عقد مؤتمره واختيار مندوبه لحضور اجتماع الكومنترن. وأجر الحزب قاعة مسرح الكونكورديا بالإسكندرية (بشارع سعيد قرب المنشية) وحدد موعد الاجتماع وأعلنه. أمن الإسكندرية لم يعترض على عقد المؤتمر ولكنه تحفظ على مكان المؤتمر وطلب تغيير المكان.

وأصر الحزب على عقد الاجتماع فى المكان والموعد المعلن سلفاً، غير متوقع غدر السلطة، وتربصها بالحزب، وتم عقد المؤتمر فى المكان الذى اختاره الحزب إلا أن الأمن فض الاجتماع بالقوة واستكمل خطته المدبرة، فهاجم مقرات الحزب وصادر مطبوعاته، وسجلاته، ومراسلاته بالداخل والخارج، وتم القبض على قيادته وعلى الأعضاء بالجملة سواء الحزبيين أو نشطاء العمل النقابى، وكان العمل النقابى والعمل الحزبى متشابكين، ومقر الحزب هو مقر اتحاد العمال. وقدم الأمن قادة الحزب للمحاكمة واعتبر مراسلات الحزب مع الكومنترن اتصالا بجهات أجنبية (على أن الحزب كان علنيا واتصالاته الخارجية طبيعية) وأفرج عن باقى الأعضاء بعد تهديدهم وإرهابهم ومطاردتهم المستمرة.

بتقديم قادة الحزب للمحاكمة كانت الحكومة الوفدية قد بدأت الصدام مع الحزب الذى أثار خوفها ورعبها من قوة تحركات الحزب واتحاد العمال سنة ٢١ وقيادتهما

لسلسلة إضرابات قوية مطالبة بمكاسب اقتصادية واجتماعية مشروعة للعمال الذين لم تكن لهم أى حقوق تجاه أصحاب الأعمال وكانت الإضرابات التى قامت بها النقابات الثورية المنضمة إلى الاتحاد العام للعمال والذى انضوى تحت لواء الحزب الشيوعي. رغم إعلان هذا الأخير عن إيمانه بالكفاح المشروع من أجل هذه المطالب مثل الإضرابات والاعتصام. قد أرعبت البرجوازية ولذلك قام الوفد بمجرد وصوله إلى الحكم عام ١٩٢٤ بحل الاتحاد العام لنقابات العمال وضرب الحزب الشيوعي وسجن قادته بل واغتيال بعضهم، وبذلك وجه الضربة الأولى للروح الثورية فى مصر. وقدم للمحاكمة كل من حسنى العرابي، سكرتير الحزب، أنطون مارون (المستشار القانوني للنقابات واتحاد العمال) صفوان أبو الفتح سكرتير اتحاد العمال وعضو الحزب ومن قادته، والشحات إبراهيم، وشعبان حافظ، عبد الحميد قرة، وناكاكيس، عبدالحميد البسوسي، كرزون (روسي من شركة كسب النزهة) وواحد آخر لا أتذكر اسمه نفى خارج البلاد، لم تصدر إجراءات تجاه الحزب، قانونيا ظل وضعه غير محسوم حتى واصل سعد زغلول وحكومته سياسة تصفية لحزب وممارسة أبشع أنواع العنف والاضطهاد باتباع أسلوب التجويع والتشريد بفصل العمال وكل النشطاء وكل من له صلة أو تعاطف مع الحزب وبداية المطاردة وطلب الاستنكارات والتعهدات بعدم اعتناق البلشفية أو العمل أو تحبيذها، لقد فزعت البرجوازية والسلطة القائمة فى ظل الملكية والاستعمار والإقطاع من برنامج الحزب الذى نادى بالاستقلال الوطنى وتأميم قناة السويس ومصادرة الملكيات الزراعية وتحسين ظروف العمل وتحديد ساعات العمل والحق فى الإجازات المرضية والسنوية وكافة التأمينات الاجتماعية والاقتصادية للعمال، فهبت كل هذه الطبقات المستغلة فى حلف غير حكومي لسحق الحزب الوليد مستخدمة القمع والاضطهاد والحملات الإعلامية القذرة لتشويه دور الحزب ووصف البلشفية بالإباحية والكفر عملا على عزل الجماهير عن الحزب.

الحزب بعد قضية ١٩٢٤

بعد صدور الأحكام على حسنى العرابى سكرتير الحزب وأنطون مارون وصفوان أبو الفتح بالسجن ٣ سنوات لكل منهم وأغلب الباقين ٦ أشهر ومع اشتداد القبضة

البوليسية والهجمة الشرسة على الطبقة العاملة واتحادها العام وضربها، مما أثر على النشاط المشتعل سياسيا ونقابيا وخبت جذوة الحزب. وكان قد سبق للحزب في الفترة من عام ١٩٢٢، ١٩٢٣ أن أرسل بعض أعضائه وكوادره إلى موسكو للالتحاق بجامعة الأمم الشرقية البلشفية المعروفة باسم جامعة شعوب الشرق لإعداد كوادر حزبية مثقفة نظريا ونضاليا.

عام ١٩٢٧ - ١٩٢٨

بناء على المعلومات الواردة للكومنترن بما حدث للحزب بمصر بعد البطش به ومحاكمة قادته وسجنهم مما أثر على بنيانه ونشاطه لاستمرار الملاحقة والمطاردة لأعضائه ولأعضاء الاتحاد العام والنقابات، لذلك سنة ١٩٢٧ كلف الكومنترن محمد عبدالعزيز الدسوقي (كان قد سبقنا إلى جامعة شعوب الشرق) بالعودة إلى مصر لقيادة الحزب وإعادة نشاطه..

واستمرارا لاتجاه المزيد من دعم الحزب بمصر، كلفت (د. حسونة) بقطع دراستي بمعهد لينينسكي سكولا، وكانت الدراسة به عامين (بعد نهاية جامعة شعوب الشرق) وهو معهد متخصص رفيع المستوى يؤهل لدراسات متخصصة، وكنت المصري الوحيد الذي التحق به حيث كنت أود أن أصبح معلمًا بجامعة شعوب الشرق وقد ساعدني على الالتحاق به رفيقي محمد عمر[٣] إلا أن الكومنترن كلفني بقطع الدراسة عام ١٩٢٨ والعودة إلى مصر للعمل مع محمد عبدالعزيز، وصدر مع هذا التكليف توجيه بتناسي الخلافات السابقة التي كانت بيني وبين محمد عبدالعزيز بجامعة شعوب الشرق وعدت إلى مصر عام ١٩٢٨ لقيادة الحزب الشيوعي المصري مع محمد عبدالعزيز والعمل على إعادة جذوة النضال الشيوعي وإعادة بنيان الحزب.

بمجرد عودتي إلى مصر توجهت (حسب العنوان المعطى لي بموسكو بمعرفة مندوب الكومنترن هناك إلى منزل محمد عبدالعزيز بالقاهرة، وقابلني بترحاب شديد عجبت له لما كان بيننا من فتور هناك بالمدرسة، وبعد ثلاثة أيام من الإقامة بالقاهرة طلب مني العودة إلى الإسكندرية لممارسة النشاط بها، فطلبت منه أن أعمل بأي منطقة أخرى خلاف الإسكندرية لمعرفة البوليس بها بشخصي (فهي مدينتي وكل

نشاطي السابق على السفر) لكنه أصر على أن أعمل بها مقدما مبررات وحججاً على كثرتها ومع عدم اقتناعي بها إلا أنني في النهاية إزاء إصراره وعبث الحوار وافقت على وجهة نظره مجبراً (متذكرا التوجيه؛ تناسوا الخلافات السابقة).

وطلب مني أن أتوجه إلى دمنهور وأنتظر بها حتى يصلني خطاب منه به التوجيهات خلال أيام قليلة وقضيت بدمنهور حوالي أسبوع ولم يصل الخطاب المنتظر، فتركتها وتوجهت إلى الإسكندرية لأستقر بها وأبدأ العمل وممارسة النشاط والاتصال بمن أعرفه من باقي الرفاق.

مندوب الكومنترن (شامي):

عقب عودتي إلى الإسكندرية، اتصل بي فجأة أحد مندوبي الكومنترن، بمقر عملي (شارع عبدالمنعم بالفراهدة شارع المحافظة القديمة) وكان متخفياً حين حضوره، وتكشفت شخصيته الحقيقية، وعلمت منه أنه اتصل أولاً بمحمد عبدالعزيز سكرتير الحزب (وقد اتضح بعد ذلك أن التكليف الصادر إلى محمد عبدالعزيز من الكومنترن عند عودته، هو عقد مؤتمر وإجراء انتخاب قيادة جديدة للحزب وسكرتيرا عاما لها. إلا أنه لم ينفذ ذلك ونصب نفسه سكرتيرا للحزب بناء على ادعاء بأن ذلك هو قرار الكومنترن). وحاول محمد عبدالعزيز منع هذا المندوب من الاتصال بأي شخص من الحزب غيره. وكان يصد كل محاولة للمندوب للاتصال بمن يعرفهم شخصياً (مثلي) أو عمر (محمد عمر مقبل) وذلك بشتى الحجج. إلا أن المندوب أصر على لقائنا وتمكن من الوصول إلي وطلب مني مقابلة (عمر). وكان الاسم الحركي لهذا المندوب (شامي) وكان مدرساً بمدرسة (شعوب الشرق) وكنا نعرفه أنا وعمر معرفة شخصية خلال الدراسة بها.

لم أكن قد عرفت مكان عمر بعد في الإسكندرية، لكنني تمكنت من التوصل إليه. واجتمع المندوب بنا، وأبلغنا خلال هذا اللقاء، بضرورة عقد مؤتمر لانتخاب لجنة مركزية وتوزيع المسئوليات وكلفني بكتابة تقرير عن العمال والنقابات في مصر. على أن يكون هذا الاجتماع دون حضور ووجود محمد عبدالعزيز، حيث إن المندوب استراب فيه، ويود مناقشة تصرفاته داخل هذا الاجتماع.

وقبل بدء المؤتمر الذى حدده المندوب. وحدد موعده. وحدد مكاناً معيناً عن طريق مندوب اتصال، ليتم الانتقال إلى مكان انعقاد المؤتمر (السرى) طبقاً لقواعد الأمان، ثم يحضر مندوب الاتصال حسب الاتفاق، فى المكان والموعد المحددين بمعرفة المندوب لإتمام المؤتمر حسب الترتيبات السرية التى تولاها المندوب.

وطالعتنا الصحف اليومية المصرية، فى اليوم التالى، بنشر صورة المندوب والقبض عليه ونفيه.

بعد نفى المندوب، اتصل بى (الشحات إبراهيم) من الزقازيق، وهو أحد قيادات الحزب الشيوعى المصرى فى تلك الفترة، كما أنه أحد قيادات الحزب قبل قضية ١٩٢٤ - ١٩٢٦. وحكم عليه بالسجن وأخطرنى أن محمد عبدالعزيز هو الذى وشى بالمندوب (شامى) للبوليس وتسبب فى نفيه. وناقشنا حول اتهامه هذا، فاستطرد الشحات مؤكدا أن محمد عبدالعزيز أرسل تابعاً له يرصد تحركات المندوب فى مصر ويراقبه، وقد وشى به للبوليس بعد أن علم باتصالاته بالعديد من الرفاق، وموضوع المؤتمر.

واتصل بى من ناحية أخرى محمد عبدالعزيز ليبلغنى أن الشحات هو المسئول عن القبض على المندوب والوشاية به للبوليس.

وكان نتيجة هذين الاتصالين بى وإلقاء كل منهما التهمة على الآخر أن امتدت شكوكى إلى الاثنين، الشحات وعبدالعزيز، وطلبت منهما، على إثر ذلك، أن نسافر نحن الثلاثة: [الشحات - عبدالعزيز - حسونة]، وكان الثلاثة حينذاك يشكلون العناصر البارزة فى الحزب، إلى الكومنترن للتحقيق فى واقعة القبض على شامى وملابساتها.

مندوب آخر للكومنترن

وحدث خلال الأيام التالية للإعداد للسفر وإجراءاته السرية والتجهيز له، أن حضر مندوب آخر من الكومنترن من الحزب الألمانى ومعه سكرتيرة له (وربما كان ذلك لاستكمال الشكل الظاهرى لزيارة مصر، كأى أجنبى، فى ذلك الوقت، إحكاما لدواعى الأمان).

حضر هذا المندوب بناء على التقارير التي أرسلت إلى الكومنترن من محمد عبدالعزيز (سكرتير الحزب) عن طريق سكرتير الحزب الفلسطيني (أبا زيان) الذي كان صديقاً لمحمد عبدالعزيز ويماثله في الخيانة. كان هذ التقرير مبالغاً فيه جداً جداً عن قوات الحزب وقوته ونشاطه وعدد المتضمين إليه، وسيطرته على الطبقة العاملة المصرية وارتباطها به (تقرير عن قوة جماهيرية رهيبة مزعومة).

وأمام هذا العرض الذي يؤكده سكرتير الحزب، طلب المندوب أن يصدر الحزب قراراً لتحقيق مطلب اقتصادي بسيط، القيام بمظاهرة عمالية تطالب بتحديد ساعات العمل. وكان هذا الإجراء بسيطاً ما دام الحزب بهذه القوة والنفوذ، كما أن مطلب تحديد ساعات العمل مطلب اقتصادي بسيط مقارنة بهول ما احتواه التقرير عن أوضاع حزبية مبالغ فيها، خاصة وأن ساعات العمل حينذاك كانت بلا حدود، كما أن هذا المطلب جماهيري يسهل تحريك الطبقة العاملة حوله والمطالبة به في تظاهرة سلمية.

وأود أن أوضح أن طلب المندوب إصدار هذا القرار، كما أرى من وجهة نظري، إنما كان للتأكد من حقيقة التقرير المشار إليه ومعرفة قوة الحزب الحقيقية والواقعية.

ولحق المندوب الألماني بسابقه المندوب شامي، وتصدرت صورته وسكرتيرته الصحف المصرية، وخبر القبض عليهما وإبعادهما عن البلاد مع قصة وهمية مختلقة عن علاقة داعرة له معها تتنافى وديانة وقيم البلاد.

يبادر محمد عبدالعزيز في نفس اللحظة بإرسال تقرير للكومنترن، يتهم فيه المندوب الألماني بمحاولته كشف أمان الحزب وقواته، وقيامه بأعمال لا أخلاقية مع سكرتيرته، تتنافى وتقاليد البلاد.

السفر:

إثر هذه الضربات المتلاحقة للمندوبين، زادت رغبتي في الإسراع بالسفر لبحث الأمر هناك، والتحقيق فيه بمعرفة الكومنترن، والمندوبين اللذين تم القبض عليهما وطردهما من مصر.

اعتذر الشحات عن السفر متعللاً بأسباب عائلية، وأمام إصرارى سافر عبدالعزيز فجأة بمفرده قبلى دون ترتيب ذلك معى. ولاحقته مباشرة عقب سفره المفاجىء خشية أن يكون قد عقد النية على تدبير ما فى الخفاء.

وصلت اليونان، حلقة الاتصال لأرديسا، فوجدت ما كنت أخشاه، إذ قابلتنى عراقيل شديدة باليونان من الحزب الشيوعى اليونانى، لإتمام الرحلة إلى أوديسا. وعاملنى سكرتير الحزب اليونانى بجفاء أقرب للاضطهاد، إلا أننى صممت على السفر، وهددت بالانتحار محملا إياهم مسئولية ذلك. وخلال ترددى على مسئول الحزب اليونانى لإنهاء إجراءات السفر إلى أوديسا، تقابلت مصادفة - وفى وجود سكرتير الحزب اليونانى - بمحمد عبدالعزيز. وفوجىء السكرتير بالترحاب الشديد وحرارة اللقاء التى قابلنى بها عبدالعزيز، فوجم وبهت، وغير مشاعره وموقفه تجاهى واتضح كل شىء؛ اتضح سر جفاء وفتور الرفاق اليونانيين ومحاولتهم عرقلة سفرى لأوديسا. لقد قصد عبدالعزيز بسفره المفاجىء منفرداً إلى اليونان منع سفرى لموسكو للكومنترن وذلك بادعاء أن هناك من يشتبه فيه ويسعى للسفر إليها، وكانت خطته أن أصل إلى اليونان ثم تتعذر مواصلتى السفر، إذ أوضح للرفاق اليونانيين أن هذا القادم غير مرغوب فيه، وعليهم إرجاعه وقطع الطريق أمامه وعدم مساعدته فى إتمام السفر، إذ كانوا هم حلقة الوصل لإتمام هذه الرحلة سراً. إلا أن سفرى خلفه مباشرة أفسد خطته خاصة وأن مقابلتى له فى اليونان أمام الرفاق غيرت موقفهم حيث لا يمكنه الاستمرار فى لعبته أثناء وجودى.

أوديسا - موسكو

وصلت أوديسا، واتصلت فيها بمندوب الكومنترن (كينا جرزسكى) وقابلتنى هنالك نفس العراقيل كى أصل إلى موسكو. حيث أخذ هذا المندوب يتعلل بأن إجراءات الاتصال بالكومنترن شديدة الصعوبة والسرية فى هذا الوقت، ونصحنى بالعودة إلى مصر، رافضا معاونتى حتى بعد نفاد النقود القليلة التى معى، رافضاً مساعدتى على المعيشة، على الطعام، وظل الأمر هكذا وأنا أحاول إقناع هذا المندوب المتعنت بلا مبرر واضح، وهو يزداد صلفا ورفضاً ليرغمنى على الرجوع إلى مصر.

وحدث خلال ترددى على مقر الكومنترن، وأنا أتلهف وأبحث عن المعارف القدامى أو زملاء الدراسة، أن التقيت بشامي (مندوب الكومنترن السابق) وعلمت منه أنه بعد عودته من مصر منفيا، أصابته أضرار حزبية شديدة وتجمدت مسئولياته، وأنه ليس فى وضع يسمح له بالمساعدة الشخصية وقام بتوصيلى بفاسيلى عضو الحزب الروسى وعضو لجنة حماية الثورة، وذلك بعد أن أوضحت لشامي سبب حضورى وأهميته وموقف كينا جرسكي الغريب. وكان لمساعدة شامي وفاسيلى لى أثرها فى نجاحى فى الاتصال بالكومنترن.

الكومنترن:

قدمت إلى الكومنترن تقريرى بخصوص محمد عبدالعزيز. ولكن كانت هنالك صعوبة لانعقاد الكومنترن فى جلسة سريعة، خلال هذه الفترة القصيرة، خاصة وأنه كانت هنالك جلسة خاصة بالحزب الشيوعى المصرى، منذ خمسة عشر يوما قبل وصولى تقريبا.

أخذ تقريرى، وتم إطلاعى على محضر جلسة الكومنترن هذه والخاصة بالحزب المصرى، فوجدت أنه قد ورد بها تشكيل للجنة المركزية للحزب (حسب ما قدمه محمد عبدالعزيز) وهى تتكون منه سكرتيراً ويتكاكيس وأمين يحيى وحسونة حسين واثنين آخرين مجهولين. ولاحظت أن هذا التشكيل المعلن بمعرفة محمد عبدالعزيز يمثل لجنة ضيقة العدد، ومعظم عناصرها لا يصلح للقيادة، وأن إدراجه اسمى كان للتمويه فقط، حيث إننى قطعت دراستى بمدرسة لينين وأرسلت إلى مصر بتكليف الكومنترن، الأمر الذى يصعب عليه معه عدم وضعى فى الاعتبار. كما قام بإبعاد شعبان حافظ ومحمد عمر من هذا التشكيل. قدمت تقريرى إلى الكومنترن مطالبا بإدانة محمد عبدالعزيز وعزله بسبب موضوع تسليم المندوبين وتصرفاته المريبة.

وكان موقف الكومنترن عقب ذلك غير حاسم.

وصدر قرار بعزل نشاط كل من حسونة حسين ومحمد عبدالعزيز عن بعضهما، ووضع الحزب الشيوعى المصرى تحت المراقبة.

فصل النشاط ١٩٢٩ / ١٩٣٠

بدأنا العمل منفصلين، كل منا عن الآخر. ونشطت مع رفاقى محمد عمر، وشعبان حافظ، ومحمد سلامة، ومحمد منصور، والعتال، وتيوفانى، وآخرين.

وظل الأمر هكذا ١٩٢٩ / ١٩٣٠ وأنا أقود رفاقى فى النشاط الحزبى والنقابى وتوسيع الحزب بشكل سرى، حيث حرم النشاط العلنى.

كانت دور الحزب قد أغلقت منذ ضربة ١٩٢٦/١١/٢٤ سواء مقرها بالمنشية خلف مبنى الحقانية (المحكمة المختلطة) أو الآخر بمحرم بك بشارع عرفان. وطورد أعضاء الحزب وحل الاتحاد العام.

وخضنا داخل الطبقة العاملة نضالا ضد سياسة الحكومات البورجوازية للسيطرة على الطبقة العاملة بعد أن استشعرت قوتها خلال الأعوام السابقة ١٩٢٢/ ١٩٢٤. ضرب الاتحاد العام وتركز نشاطنا فى الإسكندرية ودمنهور بالبحيرة وخاصة مركز المحمودية والعطف ومطوبس، وكذلك المحلة وطنطا وبورسعيد، حيث توجد مجموعة نشطة من أعضاء الحزب، ممن لم يتأثروا بضربة ١٩٢٤ من الرفاق القدامى فى كل من الإسكندرية والبحيرة.

مندوب ثالث من الكومنترن وأول مايو:

ظل الوضع على ما هو عليه، نعمل بشكل مستقل عن محمد عبدالعزيز، حتى اتصل بنا عام ١٩٣٠، قبل شهر مايو، مندوب من الكومنترن يحمل تكليفاً بتوحيد العمل مع محمد عبدالعزيز، وبمناقشة القرار مع المندوب لغرابته وللأسباب السالفة الذكر، ومن خلال بعض المعلومات التى تبادلناها مع المندوب تيقنا من صدق القرار الذى يحمله المندوب، فقد كنت أتشكك فى صدور قرار كهذا بتوحيد العمل مع محمد عبدالعزيز.

وإزاء هذا القرار، وكنا قرب أول مايو، ونعد للاحتفال بعيد أول مايو، عيد العمال العالمى، وخضوعاً للقرار، مع الحذر والحيطة من عبدالعزيز، رأينا أن يكون إصدار منشور أول مايو والحملة الدعائية فرصة تكشف طبيعة عبدالعزيز واستعداده، إذ رغم هذا القرار فإننا لم نتخلص من الشك فيه، وعلى ذلك اتفقنا مع المندوب وقررنا:

أن تتولى كل مجموعة، مستقلة عن الأخرى (مجموعتنا ومجموعة عبدالعزيز) طبع المنشور بمعرفتها على حدة في كل من الإسكندرية والقاهرة أساسا وبورسعيد والزقازيق والمحلة، إن أمكن، وذلك بعد الاتفاق على صيغة موحدة للمنشور.

حل أول مايو، ولم يصدر المنشور ويوزع إلا في مدينة الإسكندرية، حيث النشاط المركز لمجموعتنا، وحيث كانت الإسكندرية تمثل الثقل الصناعي والتجاري في تلك الحقبة وذلك خلافًا لما تم الاتفاق عليه، بصدوره وتوزيعه في كل من القاهرة والإسكندرية.

منشور أول مايو ١٩٣٠:

أعددنا المنشور وتم طبعه. وتم تجهيز أدوات الكتابة على الحوائط. كان المنشور يدعو إلى وحدة الطبقة العاملة ويحثها على الاتحاد لتحقيق مطالبها؛ تحديد ساعات العمل وتحديد الأجور.. إلخ، وتعريف بقيمة أول مايو. حدث كل ذلك قبل أول مايو، حيث تم تجهيز كل شيء، وعقد اجتماع وقت الغروب في الحديقة العامة برأس التين أمام القصر الملكي. وهذه الحديقة متنزه عام متسع هادئ يقضي فيه الناس وقت أمسياتهم والبعض منهم في جماعات، مما لا يثير الشك فيها، كما أن البوليس يستبعد عقد اجتماع سري قرب قصر الملك. ومثل هذا المكان يسهل التفرق منه إلى باقي أنحاء المدينة.

واجتمعنا وكان معنا بعض الرفاق الحزبيين اليونانيين. وكانت خطة العمل على النحو التالي:

جلس الرفاق الذين سوف يقومون بتوزيع المنشور والذين سيقومون بحملة الكتابة على الحوائط للاتفاق على توزيع المناطق والمسئوليات، وذلك وقت الغروب وبداية الظلام.

وكان هناك اتفاق مع رفيق يوناني على إحضار المنشورات وأدوات الكتابة في سيارة خاصة، في ساعة محددة تسمح بالانتهاء من توزيع المسئوليات وحلول الظلام بعيداً عن مراقبة وأعين البوليس السياسي.

كما كانت هنالك سيارة خاصة أخرى تنتظر، حتى تحمل السيارتان الرفاق

للانتشار فى المدينة فى ساعة واحدة، ليتم توزيع المنشور والكتابة فى وقت واحد تقريبا، قبل أن يستشعر البوليس السياسى الأمر ويبدأ فى الانتشار فى باقى الأحياء.

وكان ضمن الرفاق المجتمعين بحديقة رأس التين فى انتظار وصول السيارتين (رفيق) عميل ومرشد للبوليس السياسى حسب ما اتضح بعد ذلك. وكان هذا الشخص، لحسن الحظ، ضعيف البصر، وكان اتفاقه مع البوليس، أن يقوم بإشعال سيجارته، وطبقا لإشارة معينة، مع كمين البوليس، ساعة وجود المنشورات، ليتم الهجوم على المجتمعين والقبض عليهم متلبسين ومعهم المنشورات حتى لا ترى النور.

ومع مرور الوقت وحلول الظلام وضح ارتباك هذا العميل وقلقه وكثرة أسئلته عن وصولها واستعجاله تسلمها. (ولم يكن يعلم بطريقة وصولها وموعدها سواى وتيوفانى) وقد لاحظنا أنا وتيوفانى وبعض الرفاق حركة مريبة لأشخاص على بعد منا يزدادون عددا، ويقتربون ببطء منا متربصين، فأخذتنا الريبة فى الرجل وفيهم، خاصة أن السيارة المحملة بالمنشورات وأدوات الكتابة كانت قد وصلت، فطلبت من تيوفانى وبعض الرفاق الإسراع إلى السيارة، وأخذ ما بها وتركه مع باقى الرفاق فى الحديقة، ثم يستقلون هم السيارة وينطلقون بها مسرعين، مما يوحى للكمين المتربص بأنهم يفرون بالمنشورات. وبسبب الظلام انخدع رجال البوليس وانطلقوا بسيارتهم خلف السيارة الهاربة المسرعة ومطاردتها، ظنا منهم أن بها المنشورات. وعلى الفور أخذنا السيارة الأخرى والمنشورات وباقى الرفاق وانطلقنا فى المدينة. وأخذت كل مجموعة جزءاً من المنشورات، وتم إغراق أحياء الإسكندرية بالمنشورات والكتابة على الجدران من أجل وحدة الطبقة العاملة المصرية والعالمية والمطالبة بتحديد ساعات العمل والأجور وحفر الشعار العالمى «يا عمال العالم اتحدوا» على جدران مدينة الإسكندرية ليمتد عبر السنين حتى صار ذلك اليوم عيداً عالمياً معترفاً به فى مصر. مع الفارق فى الاحتفال به وقتها ومغزاه اليوم.

وهكذا رغم تخاذل محمد عبدالعزيز، ورغم المرشد البوليسى، نزل المنشور إلى أحياء مدينة الإسكندرية، وتمت الكتابة على الجدران احتفالاً بعيد أول مايو، كما يحتفل به كل الرفاق فى العالم أجمع. أنجزت المهمة البطولية قبل القبض على قيادة

الإسكندرية (حسونة حسين، شعبان حافظ، تيوفانى).

وصدرت الصحف المصرية تحمل الخبر وخبر القبض وعمل قضية.

قضية أول مايو ١٩٣٠:

تم القبض على المناضلين الأوائل والمتهمين فى هذه القضية:

الدكتور حسونة حسين - شعبان حافظ وتيوفانى (وهو مناضل يونانى بمصر) واثنى عشر فرداً آخرين ومحمد عبدالعزيز.

أفرجت النيابة عن محمد عبدالعزيز دون كفالة ولم يقدم للمحكمة، كما برىء الاثنى عشر لعدم توافر الأدلة وعجز النيابة عن ربطهم بالقضية (رغم اشتراكهم فى هذا العمل النضالى) وكان فيهم محمد محمد إبراهيم والبكر ديستريادس. وصدر الحكم على بستة أشهر، ونفى تيوفانى (حماية - لا تنطبق عليه الأحكام الأهلية) وحكم بسنة على شعبان حافظ لسابق سجنه فى قضية ٢٤/ ١٩٢٦.

وعلى أثر ذلك لم يعد هنالك مجال للعمل أو قبول أى توجيه بالعمل مع عبدالعزيز فقد تأكدت خيانته وعمالته لدينا، وقررنا التخلص منه. لكننا قررنا أن نستفيد منه مالياً قبل ذلك، بالمشاركة في جمع النقود اللازمة لتهريب شعبان حافظ بمعرفتنا.

تهريب شعبان حافظ:

اتصلت بمحمد عبدالعزيز بالقاهرة، وطلبت منه مساعدة مالية لتهريب شعبان حافظ قبل صدور الأحكام المشار إليها وخروجنا من النيابة بكفالة مالية لحين الانتهاء من المحاكمة، وذلك لتوقع صدور حكم طويل عليه بسبب القضية السابقة، فما كان من محمد عبدالعزيز إلا أن قال: «خليه يروح فى داهية، دا ابن ....»، الأمر الذى لم أتمالك معه نفسي، وكنا نسير بمحاذاة النيل بالقاهرة (قبل الكورنيش طبعاً) فأمسكت بخناقه وحاولت أن ألقيه فى النيل لإغرقه حقاً وحقيقة، فقد طفح بى الكيل من هذا الرجل الذى لا ريبة عندى بعد الآن فى خيانته. وأثارنى تطاوله على شعبان، بما هو منطبق عليه. كدت أحقق إغراقه، غير أنه أخذ يستغيث، وتجمع بعض الناس ليخلصوه من يدى. وساهم ماليا، مرغما ومكرها، فى عملية تهريب شعبان حافظ خارج البلاد، قبل نظر القضية والحكم القضائى السابق. وحاول أن يعرف كيفية

إخراجه من البلاد، ولم أمكنه من ذلك بالطبع. فقد صار الشك يقينا فى هذا الخائن، خاصة بعد عدم وفائه بأى عمل مشترك حسب الاتفاق لإصدار منشور أول مايو، وبعد إفراج النيابة عنه وتصرفاته السابقة المريبة، الأمر الذى حدا بنا إلى إدانته وقطع الصلة به نهائيا بعد الإعداد لهروب شعبان حافظ.

الكومنترن يسحب اعترافه بالحزب الشيوعى المصرى:

استمر النضال الشيوعى بقيادة حسونة حسين ورفاقه من أعضاء الحزب القديم وعاد شعبان حافظ سراً إلى مصر لينضم إلى رفاقه.

وكان الكومنترن قد أصدر فى تلك الحقبة قراراً بسحب اعترافه بالحزب الشيوعى المصرى نتيجة الأعمال الخيانية لمحمد عبدالعزيز وطرد ونفى المندوبين من مصر، وعدم الوصول إلى الحقيقة لصعوبة الاتصال وصعوبة الصلة بالكومنترن والتحقيق فى هذه المسائل تحقيقاً يقينيا. خاصة وأن هذه الفترة معاصرة لظهور جماعة التخريب داخل الاتحاد السوفيتى وكان التشدد فى الأمان والحيطة مقدماً على كل اعتبار.

وتكاتف الرفاق: حسونة، شعبان حافظ، محمد عمر على قيادة العمل الحزبى فى مصر، مع زملائهم محمد سلام، ومحمد منصور والعتال بالبحيرة (المحمودية) وآخرين منهم الرفاق اليونانيين نيوفانى[4] وغيره، ولم يعتبروا قرار سحب الكومنترن للاعتراف بالحزب الشيوعى المصرى سبباً أو ذريعة للاستسلام، بل ناضلوا كأشرف ما يكون المناضلين حتى ماتوا على إيمانهم الذى لا يتزعزع بالشيوعية، عاملين من أجل نشر تعاليمها والنضال من أجل مبادئها التى كانت بوصلة للنضال ضد الاستعمار والملكية ومن أجل الطبقة العاملة المصرية.

وظلوا كذلك حتى انصهروا مع الحركة الشيوعية الحديثة. كرافد أصيل التقى بالروافد الحديثة. ودخلت مجموعة الحزب الشيوعى المصرى، بقيادة رفيقهم حسونة حسين بكاملها فى الحركة المصرية، ليس كأفراد، أو فلول جيش مندحر، بل كمجموعة ماركسية لينينية لها نضالها ووجودها وكيانها ومراكز نشاطها، ويمكن القول يقينا إن الإسكندرية بصفة خاصة والبحيرة أيضا، بصرف النظر عن بعض المدن الأخرى، كانتا تحديداً، كمجال عمل، على نشاط مجموعة الحزب الشيوعى القديم فقط. حتى تكونت الحركة المصرية (ح.م). وكان الدكتور حسونة حسين عضو اللجنة المركزية

تكونت الحركة المصرية (ح.م) . وكان الدكتور حسونة حسين عضو اللجنة المركزية بالحركة المصرية عضواً غير عادى. فهنالك مدارس الكادر التى أنشئت حينذاك والمجموعة الخضراء وترجمتها والتى شارك فيها عدد من مجموعة الإسكندرية، منهم محمد عبدالكريم من محرم بك و د. محمد الشبيطى من العطارين بالإسكندرية، وكل تلك الأعمال تسجل نشاط ودور مجموعة الحزب القديم فى ذلك العمل، بقيادة د. حسونة . لقد طبعت المجموعة الخضراء فى الإسكندرية إن لم يكن كلها، فأغلبها. وانطلقت من الإسكندرية، إلى باقى التنظيم. وكان ذلك بسبب المقدرة الفائقة للمجموعة القديمة على العمل السرى المنظم وارتباطاتها بعمال الطباعة (بالعطارين).

***

وقد تحدث الدكتور حسونه مع ابنه عادل عن محمود حسنى العرابى، وعبدالرحمن فضل وقام عادل حسونة بتسجيل ما ذكره والده فيما يلى:

محمود حسنى العرابى

كان من قادة الحزب الاشتراكي الأول ذى الاتجاهات الاشتراكية المتباينة، وبعثة الحزب إلى موسكو لحضور مؤتمر «الأممية الثالثة» للاشتراكية (الكومنترن) وكانت الاممية الثالثة قد وضعت ٢١ شرطاً (بندا) للانضمام لهذه المنظومة الدولية وعلى رأس هذه الشروط أن يحمل الحزب اسم «الحزب الشيوعى» تمييزا للاحزاب الشيوعية ذات العقيدة الماركسية اللينينية عن أحزاب اشتراكية الدولية الثانية.

وقد قبل شروط الانضمام، وعند عودته لم توافق أغلبية قيادة الحزب ذات الاتجاهات الاشتراكية الليبرالية والنقابية على هذه الشروط ووافق عليها قلة من القيادة وكون هؤلاء بقيادة محمود حسنى العرابى الحزب الشيوعى المصرى الأول ونقلوا مقره من القاهرة إلى الاسكندرية ونشط الحزب فى أوساط الطبقة العاملة وكون أول اتحاد عمال مصرى يتبع الحزب.

وحسنى العرابى من أصول برجوازية صغيرة من أغنياء الأرياف وقد ورث عن والده ١٢ فداناً كان ينفق من ريعها على النشاط الحزبى. إلا أن ثقافته الاشتراكية والماركسية لا تتعدى قراءة كتاب «الاشتراكية» لمكدونلز. وشخصيته فردية متسلطة ذو نزعة زعامية فردية مغامرة، وبعد انفراده بقيادة الحزب والاتحاد العام للعمال التابع للحزب. فقد قبض على المهام الرئيسية بيده من سجلات العضوية سواء للحزب أو الاتحاد إلى المراسلات الخارجية الأممية.

وبعد ضربة الحزب القاصمة فى ١٩٢٤ وأثرها المدمر بسبب علانية الحزب وعدم تحسبه والاحتياط لمواجهة هذه الضربة المباغتة ومغالاة حسنى العرابى فى قوة الحزب وكانت هذه المغالاة مع ضعف الوعى التنظيمى (فالحزب وليد) سبباً فى عدم الحرص وتهيئة الحزب لمواجهة هذه الضربة بالتحول إلى العمل السرى بعد إلغاء علانيته وحظر نشاطه وتقديم قادته للمحاكمة وصدور أحكام بالسجن عليهم. وداخل السجن جرت مواجهة من بعض الرفاق القياديين (صفوان أبو الفتح) لحسنى العرابى لهذه السلبيات.

وقد حكم عليه وعلى صفوان أبو الفتح(٥) وأنطوان مارون والشحات إبراهيم، وقد هجر الفكر الشيوعى والعمل الشيوعى بعد أن أدرك أن الطريق إلى الشيوعية طويل ولامكان فيه للزعيم الفرد. وهذا غير مستبعد على تكوينه الشخصى كبرجوازى صغير مغامر محب للزعامة بهرته انتصارات الثورة البلشفية فانجذب إليها دون عقيدة طبقية أو ايديولوجية أصلية. ثم وجد فى هتلر الزعيم النازى قائد الحزب الاشتراكى الألمانى وخطبه وشعاراته الديماجوجية النازية النموذج الذى يتفق وهواه فانتقل من الرهان على الشيوعية إلى الرهان على جواد النازية الألمانية، (وقد ظن رفاق الحزب أنه قد غادر مصر إلى ألمانيا ومات هناك إلا أنه اتضح أنه لم يمت وتواجد فى مصر ومات بها(٦) «وقد انتهى المطاف بمحمود حسنى العرابى بعد يأسه إلى ألمانيا النازية حيث عمل مدرساً للغة العربية وهذا قبل أن يعود إلى مصر ويعمل مترجما بجريدة المساء».

ومن عجائب الحركة الشيوعية المصرية هو اختراق بعض الأفاقين من الشيوعيين السابقين المرتدين لتجمعات شيوعية وخداع بعض قادتها حسنى النية قليلى الخبرة التنظيمية بل والأخطر من هذا. وهو ما يستدعى مراجعة واعترافاً بالخطأ التاريخى والنقد الذاتى من مؤرخى الحركة الشيوعية. أن يرفع مؤرخو الحركة الشيوعية لأمثال حسنى العرابى وعبد الرحمن فضل أسماءهم بحسبهم من الرواد الأوائل ومنارا وقدوة يستحقون التمجيد، وبذلك يرفعون (نفايات الحركة الشيوعية) إلى مصاف الأبطال وقدموهم على صفحات مؤلفاتهم لجمهور القراء على أنهم مثال ومن عظماء الحركة الشيوعية. هذا الخطأ التاريخى وقع فيه مؤرخ مثل د. رفعت السعيد. وكذلك لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية حتى عام ١٩٦٥ بالتعاون مع مركز البحوث العربية

للدراسات العربية والإفريقية ـ واللجنة تضم عناصر من مختلف التنظيمات الشيوعية السابقة ـ وقد أسرفت اللجنة فى تكريم هؤلاء ـ (حسنى العرابى ـ وعبد الرحن فضل) وضعت اسميهما إلى قائمة «شهداء ومناضلون» إصدار لجنة إحياء ذكرى شهداء ومناضلى اليسار لمجرد أنهما كانا فى بدايتهما بالعمل السياسى أعضاء أو حتى قيادة للعمل الشيوعى الذى انقلبوا عليه ويجب رفع اسميهما من قوائم الشرف ما تقتضيه الأمانه العلمية والحقيقة التاريخية. ونأمل مراجعة قوائم الشهداء وتنقيتها من أسماء مثل حسنى العرابى، الذى تحول إلى الفكر النازى المعادى للشيوعية وصار عميلاً لصالح ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية وهذه المرة تأتى الشهادة ضده بغير قصد من أحد قادة الحركة الشيوعية «الحديثة» الذى جمعته المصادفة مع حسنى العرابى معتقل واحد لمدة ست أو سبع أسابيع بضاحية الزيتون عام ١٩٤٢ إذا يقول هنرى كورييل[٧] «تم اقتيادى إلى فيلا كبيرة بضاحية الزيتون ووجدت هناك ما يقرب من خمسين شخصاً.. الذين تم حجزهم.. وهم جميعاً من المصريين.. مناضلين نشيطين لصالح دول المحور ويتميزون بعدائهم الشديد للشيوعية والسامية وكان الاتصال الأول بهم مثيراً للقلق.. إذ اتفق الجميع على تصفية الحساب معى فى الليلة نفسها فلم يتم قبولى بأى غرفة. ولكن كان هناك شخصان أتيا لنجدتى أحدهما بارون روسى أبيض عرض على مشاركته غرفته بعد أن وجد فى شخصا من وسطه، (يقصد الاجتماعى) أما الآخر وكان شخصاً ذا نفوذ. فهو أمين سابق فى الحزب الشيوعى المصرى![٨] أقصى فى ظروف لا أعرفها حتى اليوم بواسطة الدولية الشيوعية[٩] فأصبح عميلا ألمانيا[١٠]! لماذا أظهر تعاطفا؟؟ ربما لأننى ماض لايزال يشعر بالحنين إليه؟ راجع أوراق هنرى كورييل والحركة الشيوعية المصرية دراسة د. رؤوف عباس ص ١٠٥ـ ١٠٦.

عبد الرحمن فضل

نحول إلى قصة تتصدر الصحف، التى أطلقت عليه لقب «ذارع البحار» حيث ظل على ظهر الباخرة اليونانية، التى تسلل إلى سطحها يوما ظنا منه بإمكانية تسلله إلى داخل البلاد عائدا من رحلته إلى موسكو التى طالت، حيث قد ذهب إليها فى أوائل

العشرينيات مع بعض من أرسلهم الحزب بغرض الدراسة الماركسية.. لكن خاب ظنه وظل على ظهر السفينة فى اقامه اجبارية تقبلها ربان السفينه شهوراً ذهابا وإيابا من الموانى المختلفة التى تعمل السفينة على خطوطها. دون أن يتمكن من مغادرتها أو تتمكن إدارة السفينة من الحصول على موافقة أى من سلطات تلك الموانى بقبول نزوله على أرضها فقد أصبح بلا جواز سفر مصرى معتمد أو أى جواز بديل. فقد أسقطت عنه السلطات المصرية جنسيته، وصار بلا هوية، وغير مرغوب فى عودته للوطن أو مجرد السماح له بمغادرة السفينة إلى أى ميناء مصرى، حيث كانت التعليمات محددة وقاطعة بكل موانئ مصر لرجال أمن الموانى الراصدين والمتابعين لحركة السفينة فى غدوها ورواحها بالحذر واليقظة التامة فى تنفيذ الأوامر الأمنية بعدم تخطيه خطوة بعيدا عن سطح السفينة تحسباً وحرصاً من نقل عدوى البلشفية - حسب التسميه الشائعة للثورة الاشتراكية - لمواطنيه(!!) فقد عاش عبد الرحمن ببلاد انتصار الثورة البلشفية فترة كافية لأن يصبح ناقلاً للعدوى إلى أبناء الوطن، والحذر والتحوط من أمثاله واجب مقدس لدى السلطات القمعية ممثلة التحالف الطبقى الرجعى المعادى لأى حركة منظمة دولياً للطبقات الشعبية من العمال والفلاحين وصغار الموظفين والمثقفين المستنيرين خاصة ذوى الاتجاهات الاشتراكية والنضالية، لأن هؤلاء نظرهم رعايا يحكمون ويطيعون وعليهم الاذعان. ولهم هم، الإدارة والإمارة، المال، والسلطة بالتحالف مع ملكية مستبدة وتبعية بغيضة للاستعمار.

وهكذا فرض على الربان أمر واقع، بجانب فطرة إنسانية دعته لقبول ضيافة جبرية لعبد الرحمن فضل على ظهر السفينة، عاجزين جميعا عن التخلص منه بأى ميناء بأى دولة بالطرق القانونية أو الودية أو على سبيل التسامح الموقت، فالحلف المعادى للشيوعية يمتد على نطاق العالم الحر (!!) بحكم الحصار ويناصب العداء للشيوعية الفتية خاصة بعد قيام أول ثورة تحقق بناء دولة لها.

وقد كان قرار إسقاط الجنسية عن عبد الرحمن امتداداً لتنفيذ قرار أصدرته السلطة المصرية تجاه كل المصريين الذين توجهوا إلى الاتحاد السوفيتى فى بداية العشرينات للدراسة بموسكو ولم يغادروها فوراً امتثالاً للأمر الصادر بإسقاط الجنسية عن كل مصرى لم يبادر بتنفيذ هذا الأمر الغاشم الذى كان بمثابة حلقة من حلقات التحالف

لمبكر للبرجوازية المصرية والاقطاع والاستعمار فى العداء للاشتراكية والشيوعية العالمية والمحلية وإيذانا بالميلاد المبكر لمكافحة أى نشاط حزبى او نقابى منظم واع بحقوقه الديموقراطية والاجتماعية خاصة إن كان باسم أو بقيادة الطبقة العاملة وحزبها الطليعى خاصة وأن نجاح ثورة ضد الرأسمالية والاقطاع والاستعمار، لم يعد نظريات ومدونات فى الكتب بل صار واقعا وحقيقة ماثلة تثير الرعب والفزع لكل الطبقات المستغلة بل الهلع على ضياع امتيازاتهم الطبقية من تراكم رؤوس أموالهم وزيادة أملاكهم وحيازاتهم منفردين بالسلطة فاستنفروا كل أجهزتهم القمعية والتشريعية وأبواق دعاياتهم للبطش بالحزب الشيوعى المصرى الوليد وبأول اتحاد عمال مصرى، حيث جرموا نشاطهما والانتماء إليهما بمصادرة مقراتهما ونشراتهما وطاردوا أعضاءهما والمتعاطفين معهما فى كل مكان. وأخيرا بضمير ميت قرروا مصادرة جنسيتهم وإسقاطها عن الطلبة الدارسين بالاتحاد السوفيتى سواء من علمت السلطات بسفره مسبقا أو لاحقا (عبد الرحمن فضل، شعبان حافظ).

وقد تابع كوادر الحزب القديم بقيادة د. حسونة، موضوع إسقاط الجنسية عن أعضائه وإبعادهم عن الوطن لمجرد ذهابهم إلى موسكو.. وقرر الحزب التعامل مع واقعة عبد الرحمن فضل الذى ظل حبيس السفينة ذهابا وإيابا.. ويقول د. حسونة[١٠] فى جلسة معه عام ١٩٦٤ «لقد تابعنا هذه المشكلة كحزب وقررنا تحدى السلطات وإثبات عجزها وفشل سياسة الإبعاد وإسقاط الجنسية ـ عملياً ـ عن أعضائه، وأن الشيوعيين المصريين من الكفاءة والمقدرة على تحدى السلطة وإجراءتها القمعية، وشرعنا فى وضع خطة لإنزال عبد الرحمن من ظهر السفينة اليونانية إلى أرض الوطن رغم أنف الأمن العام. وكانت الخطة التى عرضتها على رفاقى بسيطة ومدروسة من كل الجوانب ومنظمة على خطوات متتابعة بما يضمن نجاح مراحل تنفيذها.. تبدأ الخطة بدفع الرفاق اليونانيين أعضاء الحزب بالاتصال سراً بمسئولى التوكيل الملاحى التابعة له السفينة حيث سيكون ذلك سهلاً عليهم بحكم المواطنة والثقة بالتالى بهم، ومن خلال هذه الاتصالات يتوصلون إلى التعرف على من بيدهم شئون السفينة وقبطانها.. وبعد ذلك ينتقلون إلى المرحلة الثانية من الخطة بحذر، فى مكاشفة هؤلاء باعتبارهم وسطاء (ظاهريا) مندوبين عن أسرة عبد الرحمن فضل ـ جيرانهم فى السكن[١١] والذين لجأوا

إليهم للتوسط لدى بلدياتهم المسئولين عن السفينة وقبول اقتراح الأسرة بالخطة لإنهاء هذه المأساة حرصاً على حياة ابنهم وإنقاذه من هذه الورطة. ولم تكن أسرة عبد الرحمن المزعومة التى يتحدث عنها وباسمها الرفاق اليونانيون سوى الحزب والخطة خطته وقد اتخذ من أسرة عبد الرحمن مبرراً لتدخلهم بدواع إنسانية محضة. وقد أشرك الحزب فعلاً شقيق عبد الرحمن فى بعض اللقاءات مع المسئولين بالتوكيل الملاحى كمجرد تواجد مادى دون إطلاعه وإشراكه فى تفاصيل ومرعد الخطة الموضوعة حرصا على أمان تنفيذها وعدم تسرب معلومات منها للأمن.

كما ركز هؤلاء الرفاق اليونانيون على إغراء أصحاب السفينة وقبطانها بالفوائد العملية على نجاح هذه الوساطة، وقبول الخطة البسيطة والمحكمة لنزول عبد الرحمن من ظهر السفينة على مسئوليته ومسئولية ذويه (المفترضين) بنجاح فقط بتعاون مسبق مع قبطان السفينة والتنسيق معه حتى يتخلص من هذه الضيافة الإجبارية التى تكلفهم إعاشة وتعرضهم لمخاطر واردة مع طول المدة بلا حل بالإضافة إلى البعد الإنسانى.. خاصة وأن كل المطلوب من ربان السفينة فى هذه العملية فقط تهيئة ومساعدة عبد الرحمن على تفهم الخطة ودوره فيها لحظة التنفيذ بشخصه.

وتوزعت أدوار تنفيذ الخطة الموضوعة كالآتى: بعد مغادرة السفينة لميناء الإسكندرية قبل الغروب وإقلاعها نحو المياه الدولية، وبمجرد ترك المرشد المصرى للسفينة بعد عبورها البوغاز جهة المكس، وتولى ربان السفينة قيادتها. هنا يبدأ دور الجانب اليونانى فى العملية حسب المتفق عليه سلفاً. حيث يتم تسيير السفينة بأقل سرعة متاحة وعلى أقرب مسافة آمنة داخل المجرى الملاحى بالقرب وبحذاء الساحل فى اتجاهها ناحية العجمى أقصى غرب الأسكندرية، قبل انحرافه نحو المياه الدولية لمواصلة رحلته المعتادة.. وعند بقعة محددة متفق عليها على هذا النحو والسفينة فى سيرها الهادى إلى أدنى سرعة حيث تتلقى إشارة ضوئية من مركب صيد يقترب من السفينة حسب الخطة ويقوم بعض البحارة المكلفين من الربان بتجهيز عبد الرحمن فى اللحظة الفاصلة بوضعه داخل طوق نجاة ويتم إيقاف حركة رفاص السفينة لحظات إنزاله بأمان من فوق سطح السفينة إلى مياه البحر حيث يبقى داخل طوق النجاة وسط مياه البحر بملابسه إلى أن يصل إليه رجال مركب الصيد المتابع لخط سير السفينة

رلحظة الإنزال حسب الإشارات المتبادلة مع كلا الجانبين تأمينا لسلامة الضيف الذى أنهت هذه المغامرة علاقته بالسفينة وضيافتها نهائيا. وصار الآن فى سبيله لضيافة رفاقه الذين صار عليهم استكمال الخطة وإخراجه من البحر إلى البر إلى سيارة ينتظره داخلها بعض الرفاق المكلفين بنقله إلى داخل مدينة الأسكندرية بملابسه المبللة والذى عليه تحمل الإحساس ببرودة جسده بسببها وبسبب المدة التى مكثها داخل مياه ، البحر فى قلق واضطراب حتى ركوبه هذه السيارة فى ظل تحوز بالمخاطرة والترجس. إلى أن وصلت السيارة به فى صحبة رفاقة إلى حى هادىء من أحياء رمل الإسكندرية، وهو حى الإبراهيمية حيث كان كل سكانه من اليونانيين وفى منزل من طابقين ملحق بحديقة كبيرة تحيطها محلات تغلق بعد الغروب. والحى بكامله وخاصة هذا الجزء منه الذى يقع به المنزل قليل السكان، شديد الخصوصية والهدوء بعيدا عن العيون الفضولية. وقد اختار د. حسونة مسكنه هذا البعيد عن نشاط الشرطة وملاحقاتها الأمنية حيث الأمن مستتب بهذه المنطقة بكل أحيائها التى يشغلها أجانب أغلبهم من المهنيين وأصحاب أعمال ينتمون للطبقة الوسطى وبعض شرائحها العليا.. لذا فقد أعد سكنه لاستقبال عبد الرحمن وسط أسرته كبداية لتأمين وضعه الجديد داخل البلاد وجهز كل ما يلزم من أدوات تدفئة وملابس وأدوية لازمة له لاستعادتة عافيته وصحته بعد رحلة شاقة فوق ظهر السفينة فى وضع غير مريح إقامة ومأكلاً وما تعرض له من مخاطرة النزول من السفينة وبقائه باليم فترة بكامل ملابسه إلى رحلة متوترة حتى استقر فى أمان بمنزل د. حسونة واللذين كان يعرف كل منهما الآخر. مما ساعد عبد الرحمن على استعادة عافيتة بسرعة فى ظل إقامة آمنة توفرت له فيها كل احتياجاته بترحاب رفاقى حميم سواء من د. حسونه أو من أفراد الأسرة الذين تعاونوا فى إنجاح قصة الهروب كطرف مكمل لدور الحزب وقيادته.. بعد فترة من تأمين عبد الرحمن كان قد أعد مكان آخر لينتقل إليه إمعانا فى الأمان والاحتياط. وهكذا انتقل عبد الرحمن من منزل الإبراهيمية إلى منزل الرفيق محمد عمر الكائن فى حى أكثر أمنا وأكثر ارستقراطية، حى سابا باشا الذى به كثير من الأسر الانجليزية من العاملين فى جيش الاحتلال سواء عسكريين أو مدنين إلى جانب شرائح جنسيات أخرى ذوى الانتماء للوظائف العليا والمناصب الهامة بالبنك الكبرى، حى أغلبه من

ذوى الياقات المنشاة. وكان عمر قد استقر عقب وصوله له مصر من موسكو فى صحبة زوجته الفاتنة الروسية وأولاده الثلاثة وبحسبه لاعب سيرك محترف سابق كلاعب ترابيز، وعدم وجود مجال لمزاولة عمله بمصر فقد تمكن من الحصول على محل كبير بالشارع الرئيسى الذى يبدأ من عند قسم الرمل حاليا حتى محطة ترام سابا والمحل يتبع أملاك شركة الكهرباء الأجنبية وقتها التى تتكون من مساحة كبيرة مسورة داخلها وحدتان للسكن إحداهما بعمق المساحة بعيدا عن الطريق والأخرى شقة متسعة وجيدة خلف المحل فى مدخل هذه الساحة الواسعة، وقد تمكن محمد عمر عن طريق أقاربه الذين يعملون بشركة الكهرباء وهم من أصول سودانية مثله الذين تمكنوا باتصالاتهم وعلاقاتهم بالشركة أن يؤجروا لمحمد عمر المحل والمسكن من الشركة حيث أنشأ مشروعاً يتناسب وهذا الحى الراقى ويحقق دخلاً جيداً ويتناسب مع عدم خبرته بعمل خلاف عمله الاصلى، هذا المشروع لن يحتاج منه إلا إلى حسن الإدارة وحسن التعامل والاستفادة من معرفته بعدة لغات من خلال عمله بالسيرك العالمى الذى كان يعمل به ويجوب العالم قبل استقراره بموسكو وارتباطه بالحركة الشيوعية والتحاقه بجامعة شعوب الشرق بها. وهكذا تحول إلى صاحب أول مغسلة ومصبغة وكى بهذا الحى الثرى والذى يحتاج لهذا النوع من النشاط حيث يعتمد سكانه على الغسيل والكى وبوفرة سواء لملابسهم أو كافة المفروشات. على هذا أستأجر محمد عمر عدداً من العمال واشترى الأدوات اللازمة للعمل التى كانت وقتها شديدة البساطة.. وهكذا أدار محمد عمر مشروعه بنجاح شديد لما يتحلى به من صفات جسمانية (بحكم عمله الرياضى السابق) وبشرته السمراء وملامحه الوقورة الطيبة التى تشع ثقة بالنفس وصفاء وحسن خلق يستند إلى وعى ومعرفة وعقلية ذات جذر سياسى وفكر علمى بالاضافة إلى معرفته باللغة الانجليزية والفرنسية حيث كان يحرر بها الفواتير لعملائه منهم. كان دخل محمد عمر من هذا المشروع كبيرا ينفقه على احتياجاته وأجر مناسب لعماله، وأغلبه ينفق على النشاط الحزبى. ولم تكن احتياجاته كبيرة حيث أبعدت السلطات زوجته الروسية عن مصر ورحلتها مع أولادها إلى روسيا باعتبارها مواطنة روسية غير مسموح أو مرغوب فى إقامتها بمصر. اذن انتقل عبد الرحمن فضل للاقامه بمسكن محمد عمر بسابا باشا

حيث إقامته ستطول هذه المرة حتى يستقر الحزب على المكان المناسب لإقامة دائمة وعمل دائم له بشكل مستقل ويبدأ منه رفيقه عمله الحزبى حسب تكليفات الحزب واحتياجات العمل الحزبى، وبالطبع فإن الحى كان شديد السكون بعيداً تماما عن أى شك أو تخيل أن يتواجد به عبد الرحمن فضلا إذا عرف الأمن العام مغادرة عبد الرحمن السفينة واحتمال نزوله إلى أرض مصر.

وظل عبد الرحمن هناك حتى تم اختيار مدينة صغيرة بالقرب من القاهرة لإقامته وبداية نشاطه العملى والحزبى حيث تم تأسيس ورشة نجارة بسيطة وذات إمكانية مناسبة لمزاولة عمله المهنى - حيث أنه نجار أصلاً - ومن خلال هذه الورشة وتوطنه بهذا الموقع الجديد واختلاطه بسكانه ومعرفة الأبعاد الأمنية والواقع الاجتماعى للمكان جيرانه الجدد الذين سيصبح واحداً منهم وصاحب عمل بينهم ومنوطاً بالقيام بنشاط ودور حزبى داخل هذا المجتمع من جذب عناصر واعية ونشطة وثورية للعمل الحزبى والفكر والبرنامج الحزبى داخل هذه البيئة الجديدة التى استقر بها بعد هذا الكفاح المضنى والسلسلة المتصلة من جهد جميع أعضاء الحزب بدءاً بالبرنانيين والرفاق القياديين وغيرهم فى وضع خطة نزوله من السفينة وإدخاله سراً إلى البلاد رغم أنف الأمن وتحدى جبروته بنجاح، إلى تأمين مكان مستقر له وتهيئة إمكانيات عملية لمزاولة مهنته للمعيشة والتلاحم مع الوسط الاجتماعى المتواجد داخله فى هذه المدينة المختارة كموقع مناسب لمد النشاط الحزبى وبناء قواعد حزبية بها. وهذا يمثل الوجه الآخر من العملية التى يحمل أحد وجهيها حماية أعضاء وكوادر الحزب من البطش البوليسى الذى يصل إلى درجة محاولة القهر المعنوى والجسدى والتصدى لذلك وإفشاله، هذا وجه أما الوجه الآخر للعملية وهو الجانب العملى والإيجابى فهو الاستفادة من كادر من كوادر الحزب وإعادة تهيئته لممارسة دوره ونشاطه داخل الحزب وحمل فكره وبرامجه السياسية والعمل على نشرها وسط الجماهير العاملة حيث أن الحركه الثورية للحزب الشيوعى نحو تحقيق العدالة والديموقراطية والاشتراكية لا تملك الا وسيلتين: الوعى والتنظيم. هكذا كان المرجو بعد هذه المرحلة المضنية المحكمة فى قصة عبد الرحمن فضل أن يستعيد الحزب والرفاق كادراً - حسب ظنهم - يضيف إلى العمل الحزبى المأمول منه كعضو قديم

والمفترض زيادة وعيه وخبراته النضالية خلال تواجده بموسكو، وقد صمد فترة لايستهان بها فوق السفينة رايح جاى ـ بلا أمل ملموس فى نهاية ذلك، وجاء الأمل من صنع الحزب الشيوعى المصرى الذى أصبح يعمل بشكل سرى بعد تجريم نشاطه، ومطاردة كوادره، ومع هذا ظل الحزب حيا، وبدأ من ١٩٢٨ إعادة البنيان الحزبى وإعادة عافيته وسط الجماهير وكانت عملية نجاح هروب عبد الرحمن فضل جزءاً من هذا الجهد فى الإعلان عن وجوده وعن مقدرته على تحدى جبروت السلطة والانتصار على ممارستها التمعيه والحاق الهزيمة بها، ولكن مع الأسف فى النهاية سقط القناع وتعرت حقيقته الانتهازية. فبعد استقراره فى الورشة التى أقامها له الرفاق من أموال الحزب بدأ العفن يتضح فى سفور.. لم يعد الفارس فارساً بل انتهازياً استغل جهد الحزب وتنكر للنضال بل بلغ به الأمر بالتهديد بإخطار الشرطة عن كل من يحاول الاتصال به والنذل استباح جهد ومخاطر الرفاق وتعرضهم للسجن وكل ما قاموا به إحساساً بالمسئولية تجاه زميل لهم، استباح كل هذا حتى يتمكن من الاستقرار ليبيع رفاقة وماضيه مقابل حريته الشخصية ومصالحه.

خاتمة مؤسفة (الإضافة من عندى)

بعد خروجنا من المعتقل عام ١٩٦٤ وكان قد مات آخر كوادر الحزب القديم سنة ٢٤ د. حسونه ونشرت أسرته نعيه فى الجرائد القومية فى نوفمبر ١٩٦٤ وكان قد سبقه فى الرحيل من نفس الحزب محمد سلامة من المحمودية ومحمد عمر وشعبان حافظ.. فى هذه السنه منذ إبريل ١٩٦٤ وخروج الشيوعيين من المعتقل وزيارة خرشوف لمصر وترحيب جمال عبد الناصر وإشادته بالصداقة المصرية السوفيتية والتحالف والصداقة الصريحة المعلنة للملأ التى تربط مصر وشعب مصر بالاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية.. وتصالح النظام مع الشيوعيين المصريين وتواجد كثير منهم بالصحافة والمؤسسات الحكومية. فى هذا الظرف المستجد الجديد ـ يظهر من خلف الزمن البعيد الوجه القبيح للمستنكر المرتد عبد الرحمن فضل، وبعد أن تأكد من مرت كل من يعرفه من الرفاق القدامى وبعد أن تأكد مما يجرى على الساحة من مصالحة بين النظام والشيوعية، ولم تعد الشيوعية والشيوعيون محل ملاحقة ومطاردة وسجن، والاشتراكية كلمة مبتذلة على لسان الجميع من الخائن للثورى. حيث أصبحت شعار

المرحلة .. وبكل صفاقة يرتدى عبد الرحمن فضل الرداء القديم الثورى ويتصل ببعض الزملاء الأفاضل الذين مازالت رومانسية الثورية وحميمية رابطة النضال المشترك قائمة لديهم، وتعظيم وتقدير نضال قدامى المناضلين أحياء أو أمواتاً قيمة معتبرة مازالت مستمرة في وجدانهم.. حيث تمكن من التقرب والتعرف على الزميل شحاته الشار المعلوم عنه أنه قد حقق نجاحا وثراء من صناعة التريكو وامتلاكه مصنعاً يدر عليه دخلاً كبيراً بعد مرحلة من المعاناة والعصامية أثمرت هذا النجاح وليد خبرة طويلة فى هذا المجال ولذلك كان مشهوراً بين الرفاق بالقاهرة وبالإغداق على كافة زملائه الذين فى حاجة لمعونة مالية.

وتحرك عبد الرحمن فضل نحو الهدف وتزيا بزى ثورى كاذب، مدعياً كونه أحد الرعيل القديم من المناضلين متخذا من بطولة الحزب القديم فى إنقاذه من أسر السفينة، بطولة فردية كاذبة من صنع خياله، وجعل من واقعة حقيقية ومعروفة بدون تفاصيلها تكئة يبنى عليها سلسلة من الأكاذيب والادعاءات يمكن نسجها من مخزون قديم عايشه وخبله وتنكر له وعاد اليوم يظهر بين الاجيال الجديدة من المناضلين ويتربع على أحضان محبتها وتقديرها وتوفيرها له باعتباره تجسيداً لماض مجيد. ويزداد إغداق المال والمحبة والثقة عليه. وتصل به الفجة للاتصال أو يسعى للاتصال به - الأمر سيان - أحد مؤرخى اليسار ليستمع منه وينقل عنه ويضعه فى كتبه ضمن رواد النضال ورموزها - ولحق به آخرون فى تمجيد هذا المرتد المستكر المدعى وتقديمه للأجيال المعاصرة على أنه واحد من رواد الحركة الشيوعية وأبطالها - بل على رأس رموزها الحقيقية - لا يحق لأحد أن يخلط الباطل بالصالح - لا يجوز أن يصنع مؤرخونا بأيديهم هؤلاء فى مصاف الأبطال. ولا يفيدهم أن يعترفوا بخطئهم ونقد أنفسهم نقداً ذاتيا وتصحيح وقائع التاريخ الذى زيف تدليسا أو استسهالا، ولاتفيدهم لمراجعة تصويبيا وتصحيحا، ولايعيبهم أنهم كانوا ضحية دجال لبعض الوقت ولكن يعيبهم أن تظل الأجيال المعاصرة والقادمة من المناضلين أسيرة أكذوبة من صنع أيديهم[١١].

الهوامش

(١) انطون مارون وكان مستشاراً قانونياً لنقابات العمال للإتحاد العام لعمال مصر وعضو قياديا بالحزب الشيوعي المصري سنه ٢٤ وقبض عليه ضمن قيادة الحزب وكوادره عند حله وتقديمهم للمحاكمة بالاسكندرية. وبعد صدور الحكم وسجنه بسجن الحضراء بالاسكندرية قام بالإضراب عن الطعام احتجاجاً على لمعاملته واستشهد خلال إضرابه.

(٢) وقد أبعد الأخير بعد ذلك عن قيادة الحزب.

(٣) محمد عمر مقبل من أصل سوداني كان لاعب سيرك عالمي وبقى بروسيا وشارك في ثورة ١٩١٧ وكان عضو الحزب الروسي.

(٤) كان من السهل على الأجانب في ذلك الزمن بعد نفيهم أن يعودوا ثانية.

(٥) أصلا من جوار الاسكندرية من الطرح بجوار مدينة رشيد وعمل مدرساً لغة العربية بمدرسة نبوية موسى بالاسكندرية وقد رفضت ضغوط البوليس عليها لفصله من عمله بالمدرسة. وفي فترة لاحقة بعيدة عن هذا التاريخ أسس مدرسة أهلية بشوتس رمل الاسكندرية وكان له ولدان هما مصطفى صفوان أبو الفتح. أستاذ علم النفس المعروف بفرنسا. ومحسن. وابنه تقيم بمحرم بك بالاسكندرية.

(٦) المصيلحي لواء مكافحة الشيوعية كتابه المعنون: قصتي مع الشيوعية.

(٧) المصدر السابق

(٨) يقصد محمود حسني العرابي السكرتير العام للحزب الشيوعي المصري ١٩٢٣ - ١٩٢٤ تعليق د. رؤوف عباس. ومن الغريب أن يذكر كوريل حسني العرابي بصفته الحزبية السابقة ولم يذكره بالاسم مع أنه معروف لديه اسما بحكم هذه الصفة. ومعروفا لديه بحكم المعايشة ٦ أو ٧ أسابيع وكان بينهما أحاديث طويلة. المصدر السابق. ولماذا لم يعاتب منه الإجابة على تساؤلاته.

(٩) التساؤل لهنري كوريل(!!) الدراية الشيوعية لاعلاقة لها بإنفصاله الذي هو لأسباب داخليه تخص شخصيته وتكوينه. وموقف الرفاق منه.

(١٠) والاستنتاج أيضا لهنري كوريل. حسني العرابي بعد قضاء مدة العقوبة قضية ١٩٢٤ - هجر العمل الحزبي الشيوعي وتحول إلى النازية بإرادته والتساؤل والنتيجة التي رآها كوريل غير مفهومة(!!).

(١١) من ميناء الاسكندرية يوم الأحد ١٩٢٦/٥/١٦ ركبت لمقتنية الركاب الروسية باتشكرا. التابعة للخط الملاحي المصري «شركة آمون أسكندرية/ أرديسا. قاصداً زيارة أخرى للتقيم بمرسكو الصحفي مجلة القطم السوفيتي. وأثناء أقامتي هناك. أخذتني لزيارة العمه زينه. شقيقة والدته الروسية لتحكي بعض ما تذكره والدنا وزملائه، وأسجل هذا رأيها في عبد الرحمن فضل حيث قالت جرفيا. وهذا مترجمه عنها أغني «عبد الرحمن فضل شخص سئ يغازل الفتيات لعبي، عكس والدنا فقد كان جاداً وذو موهبه..

شهادة
سعيد أبوطالب

رحلة لم تكتمل

الاسم: سعيد أبوطالب(1)

تاريخ الميلاد: ٢٤/٨/١٩٣٧ الإسكندرية.

المؤهل: ابتدائية قديمة سنة ١٩٥١.

فترة السجن والاعتقال: حكم بالسجن سنتين عام ٥٤، واعتقال من ٥٩ إلى ٦٤ البداية..

مات والدى وهو فى الثانية والأربعين مريضاً بداء السل، كان يعمل فى البوليس السرى، قالت لنا والدتنا إنه مات من الفقر والقهر لعدم تمكنه من سد أقل احتياجاتنا، كنا خمسة أشقاء وشقيقات وأمنا، وقد صرفت الداخلية لنا أربعة جنيهات ونصف مكافأة عن مدة خدمة والدنا، كان علينا أن نعيش بهذه القروش وبعد أن تنتهى نموت. تولى أخى الأكبر وكان فى الثالثة عشر من العمر مسئولية سد رمقنا، عمل صبياً بورش زخارى، وتدرج إلى أن تمكن من الالتحاق بمعسكر الجيش الإنجليزى بأبى قير، ثم عمل بشركة النحاس بحجر النواتية، كنت وقت وفاة والدى فى الخامسة من العمر. دلوعة وشقى جداً - كل أطفال الحارة يشتكون منى، وبصعوبة بالغة ذهبت إلى مدرسة حجر النواتية الأولية، كنت طايح وعاوز ألعب - متمرداً على كل شئ، ولا أذكر كيف أنهيت دراستى الأولية التى كانت مدتها أربع سنوات، ولا السنوات الثلاث التى

(1) أجرى الحوار فريد جورج فريد مارس ٢٠٠٢.

قضيتها بمدرسة الرمل الابتدائية. والغريب أننى حصلت على الشهادة الابتدائية عام ٥١ . كانت فترة مضطربة فى حياتى لا أذكر تحديداً كيف عشتها ولا كيف مرت، كل ما أذكره حالة الحرمان التى كنت أحياها يوميا. تخلل هذه الفترة التحاق أخى الكبير بجماعة الإخوان المسلمين وكنت أذهب إلى شعبة باكوس ألعب هناك وأراقب اجتماعاتهم وأسمع شعاراتهم التى يغلب عليها طابع التدين ليؤثروا بها على الشباب، واعتقل أخى بمعسكر أبى قير لعدة شهور، قابل هناك أناساً جديدين وتعرف على أفكار جديدة، بعد الإفراج عنه بدأت ألحظ تردد وجوه مختلفة عندنا بالبيت، وكنت أسترق السمع من وراء الباب، كانت تتردد على ألسنة المجتمعين عبارات الشيوعية والاشتراكية والثورة، وكنت فى نفسى أشعر بالغبطة والسعادة لأن أخى يقوم بمغامرة ويتحرك بحذر، حتى طريقته فى التصرف معنا اختلفت إلى مزيد من الحب والحنان، ثم بدأت أحس بتقربه منى وتوجيهى للعناية بالدرس ومساعدتى بالشرح.

الانضمام للحركة الشيوعية:

وكان ذلك أوائل ٥٤ وكنت لم أكمل بعد السابعة عشر، وكان أخى معتقلا بسجن أسيوط، وقد تركت دراستى الثانوية والتحقت بالعمل فى شركة سباهى للغزل كاتب إنتاج بيومية سبعة عشر قرشا، ولا أذكر السبب الذى حفزنى لمناقشة العمال بضرورة وأهمية عمل نقابة للدفاع عن مصالحهم وتحسين أحوالهم. ولم تمض أيام إلا وطلبتنى إدارة الشركة وصفت حسابى، سعدت جداً لإحساسى بأنه قد تم فصلى بسبب حديثى مع العمال.

وبينما كنت أتجول فى الدنيا حائراً، تقابلت. لا أعرف إن كان ذلك مقصوداً أم مصادفة. بشخصية كثيراً ما كنت أراها مجتمعة مع أخى فى منزلنا، كنت أعرفه باسم رشدى وقد سألنى عن أحوالنا وكيف نعيش، ولما هم بالانصراف طلبت منه أن أراه مرة ثانية فابتسم وحدد لى موعداً، وتقابلنا وسألته عن معنى كلمة اشتراكية، تكلم كثيراً، لكن كل ما فهمته منه، القضاء على الفقر وعدالة توزيع الدخل، أما باقى الكلام فقد كان ثقيلا على فهمى، بعد عدة لقاءات ودردشات أحضر معه كتيبات صغيرة ونشرات وطلب منى قراءتها وإخفاءها، وهنا بدأت سعادتى، فما دامت هناك أسرار إذن توجد مخاطر وهذه هى قمة المغامرة. كنت ألبس «شورت» وأضع المنشورات

وسط كتب مدرسية وأتسكع في الشوارع والحواري وألقى بها حينما يخلو الطريق، قرأت عن عصابة الفاشية والحرب وضرورة التخلص منها، وعن عملاء الرجعية والاستعمار وعن الثورة وحتمية التغيير، وعن أحداث كفر الدوار وإعدام خميس والبقري شهيدي الطبقة العاملة المصرية، وبدأت أندمج وتستهويني الفكرة نفسها بتجنيد صاحب لي كان يلعب معي وقمنا بتوزيع المنشورات سويا، وفي أحد أيام عام ٥٤ قبض علينا في منطقة سان استيفانو ومعنا منشورات كنا نوزعها، وكانت هذه بداية احتكاكي بالبوليس السياسي والصاغ سعد عقل الذي قام بتفتيش منزلي وعثر في الدولاب بين الملابس على جريدة راية الشعب وكتيبات أخرى، وقام سعد عقل بالاعتداء عليّ بالضرب حتى أدله على من أعطاني المنشورات لكن دون جدوى، كان موقفي صلباً بعكس صاحبي عبد الفتاح الذي كان يصغرني بعام فقد اعترف بأنني الذي أحضرت له المنشورات، وفي النيابة أنكرت صلتي بأي شئ فاستشهد البوليس السياسي بوجود أخي في معتقل أسيوط بنفس التهمة.

كنت أحس بفخر والحديد في يدي ومعي حرس مكون من ضابط واثنين من العساكر وصول وسيارة لوري خاصة بي وحدي، في حركة دائبة بين مديرية أمن الإسكندرية ونيابة المنشية التي أمرت بإيداعي سجن الحضرة، وقد فوجئ الزملاء بدخولي عليهم العنبر بشورت ومعي شاب آخر يترنح في فزع، كان السؤال عن اسم التنظيم الذي نتبعه أو اسم جريدته، فقلت راية الشعب وهكذا تلقفتنا أيدي الزملاء، كان فاروق بلبل المسئول السياسي للحزب في السجن والذي سألنا عن كيفية القبض علينا وعما قلناه في التحقيق، وبعد فترة وجيزة اتضح للزملاء أننا ناصعو البياض فكريا.

وفي السجن قرأت كثيراً وتعلمت من خلال محاضرات الرفاق عن ماهية الاشتراكية والثورة البروليتارية وعن دور الحزب لإنجاز هذه الثورة، ثم كان الحكم عليّ بالسجن سنتين رحلت بعدها إلى سجن القناطر، وتعرفت على رفاق آخرين تعلمت منهم الكثير وبدأت الأمور تصبح أكثر وضوحاً.

تم الإفراج على قبل العدوان الثلاثي على مصر بأيام قليلة، وكانت تعليمات الحزب أن ندافع عن أرض الوطن ونعبئ الجماهير وننظمها في فرق دفاع شعبي، وفي منطقة الرمل بالظاهرية قمنا بعمل مؤتمرات شعبية كان يحضرها عاطف نصار المسئول من

الدولة عن المقاومة الشعبية وكانت صلتنا به شبه يومية، كان الاستعداد للدفاع عن مدينة الإسكندرية يشرف اليسار المصرى بحق، وللأسف لم تحافظ على صلتنا بالجماهير التى بدأت تعرفنا من خلال معركتنا الباسلة ضد المستعمرين، إذ فور انتهاء العدوان انتهت صلتنا بالشارع المناضل.

كلفنى التنظيم بتوطيد صلتى بالفنان هجرس النحات، وقد علمنى كيف أساعده فى صب اللوحات ودهانها، كان يأمل أن أتعلم منه فن النحت، لكن هدفى انصب على تشجيعه لعمل معرض كبير لمنتجاته، وتفرغت له تماما وكنت أجرى معه مناقشات سياسية أحافظ بها على اتجاهه، وقد فهم دورى جيداً وكان سعيداً لاهتمامنا به.

تطور دورى فى التنظيم حينما كلفت بالاتصال برفيق فى القاهرة هو سعد زهران ذهبت له فى منزله بباب الخلق وهناك عرفنى على شخص كان معه وفاجأنى بالقول إنه الرفيق خالد، وكانت دهشتى كبيرة وسعادتى بأن أحظى بمقابلة سكرتير عام الحزب أكبر، رحب بى الرفيق خالد وأخطرنى بأنه قد وقع على الاختيار للعمل فى للجهاز الفنى للحزب مع الرفيق نجيب سدراك الذى كان هاربا من حكم بالسجن عشر سنوات، ورفيق آخر لا أذكر اسمه، وتوجهت إلى المعادى لمقابلة نجيب، وكان علىّ أن أتأكد تماما أننى غير مراقب وكنت لا أزال «شقي عفريت» من السهل أن أنظف طريقى من أى متتبع لى، وقابلت نجيب وكان علىّ أن أعيش نفس ظروفه هاربا من حكم سجنه، واستأجرت فيلا بمنطقة الزيتون، وقمت بنقل المطبعة على مراحل، وتسلمت من فرنسيس لبيب حروف الطباعة من منزله بشبرا، وبعد فترة صف الحروف، وبدأنا طباعة صفحة جورنال كبيرة لأول مرة تحت إشراف نجيب الفنى، وقد سميت بعد ذلك بالمطبعة الجانبية، وكان مسئول الاتصال من تنظيم حدتو، ولم أصحبه إلى مكان المطبعة رغم إلحاحه، كنت أسلمه المطبوعات فى أماكن متطرفة، فقد كانت الثقة برفاق تنظيمنا فقط، حيث إن الوحدة لم تتم بشكل طبيعى صحيح، كانت وحدة شكلية بين القيادات، وليست نتاج صراع فكرى يصفى الخلافات السياسية ويقرب وجهات النظر بين القواعد وبعضها والتى دامت لعشرات السنين، امتلأت فيها النفوس بالكراهية والاتهامات المتبادلة بالخيانة والبوليسية، وظهرت الحلقية أكثر داخل المعتقل حيث الزنازين مقسمة يسكنها رفاق كل تنظيم على حدة. لقد ولدت الوحدة

بعوامل فشل مؤكدة، وانتهت بحل الحزب والاندماج داخل الاتحاد الاشتراكى تحت قيادة عبد الناصر الذى صفى اليسار المصرى لحساب الإمبريالية العالمية وكان مسئولاً عن الجرائم البشعة التى ارتكبت ضدنا.

يناير ٥٩ والرحلة إلى أبوزعبل:

كنت أتعجب وأنا أستمع إلى بعض الرفاق يحكون عن أنهم حينما تعلن الأحكام العرفية يقومون بتجهيز شنطة بها فوطة وبيجاما وفرشة أسنان وينتظرون وصول المباحث العامة لاقتيادهم إلى المعتقل وكأنها رحلة سياحية معتادة، ولما جاءت ضربة يناير ٥٩، قمت بوضع بعض الاحتياجات فى شنطة وتركت المنزل متوجهاً إلى المجهول، وفى سوق باكوس المزدحم بالبشر وضع واحد أفندى يده فى يدى قائلا «يلا يا سعيد، سعد بك عاوزك» وبسرعة البرق كانت قبضة يدى اليسرى - لأنى أشول - تأخذ طريقها إلى ذقنه فوقع أرضًا، فقذفته بالشنطة وجريت وسط الناس، ثم إلى الحوارى والأزقة المتعرجة - التى لعبت فيها زمان وعارفها كويس - وسرعان ما اختفيت عند أسرة صديقة أقمت عندها عدة أيام، وعن طريق الفنان هجرس قابلت الزميل سعد حماد المحامى الذى حكى لى أن الحملة الناصرية شملت غالبية الرفاق تقريبا، وأن علىَّ أن أختفى هذه الأيام وأن أكون حريصا، وبعد أيام اتصل بى سعد حماد وحدد لى موعداً بالقاهرة لمقابلة رؤوف زكى فى بوفيه محطة باب الحديد، وفرحت أن عادت صلتى ببواقى التنظيم، وللأسف حينما تمت المقابلة أبلغنى أن أرجع إلى الإسكندرية وسوف يتصل بى بمعرفته، ولم أسمع عنه شيئا بعد ذلك ولا أعرف حتى الآن لماذا طلب أن يرانى؟!

مضت الأيام ثقيلة رتيبة يتخللها أحيانا كتابة بعض المقالات باليد وعمل نسخ منها بالكربون، كان سعد حماد يحضر لى رؤوس المواضيع وبعض أخبار الزملاء ومايتعرضون له من تعذيب وحشى بالمعتقلات، وكان يمدنى بعناوين بعض الشخصيات لأرسل لهم بالبريد ما أكتب، وكان مجرد الإحساس بأننى أفعل شيئاً أى شئ يريح نفسى قليلا.

كانت ظروفى المالية سيئة جداً، والأسرة التى أعيش بينها فقيرة، لذا اضطررت إلى الذهاب عند زميل كان يتعاطف معنا وطلبت منه بعض النقود ولما هم بإعطائها

لى، وكان ذلك فى محل ملكه بسوق باكوس، أحاط بى عدد من مباحث أمن الدولة لأجد نفسى فى قبضة سعد عقل ثانية الذى تركنى مع الأفندى الذى سبق أن ضربته فى سوق باكوس وجريت، ونلت علقة ساخنة، وفى اليوم التالى كنت فى طريقى إلى مباحث أمن الدولة بالقاهرة ومن هناك تحرك بى لورى كبير مع الحرس المعتاد إلى معتقل، علمت بعد ذلك أنه سجن أبوزعبل الذى وصلت إليه بعد منتصف الليل بقليل.

كان الليل كئيباً، وشكل الحرس والضابط الذى استقبلنى غير مريح، لكننى كنت هادئا ومطمئنا إلى أننى سوف أستريح بعد هذه الرحلة المتعبة وسوف أقابل الزملاء وأطمئن عليهم. اصطحبنى ضابط السجن داخل مكتبه وطلب منى الجلوس وعرض علىّ كوب شاى ساخن، شكرته وقلت له أنا عايز أنام، أجرى اتصالا تليفونيا وكان يتكلم بصوت منخفض ويرمقنى بين الحين والآخر، أنهى المكالمة وسألنى، إنت شيوعى؟ قلت نعم، قال هيا يا أستاذ تقابل زمايلك ولو أنك ستوقظهم من النوم. فتجهت مع السجان إلى الباب الكبير الذى أحدث صليلا مرتفعا هز سكون الليل، وفى داخل الحوش طلب منى الضابط أن أخلع ملابس وألبس ملابس السجن، رفضت قائلا إننى معتقل ومن حقى أن ألبس ملابس ملكية، رجانى أن أنهى هذ الموضوع لأنه هو الآخر تعبان يريد أن ينام وعندما أقابل زملائى سأجد أن عنده حق، اقتنعت وعلى مضض خلعت ملابسى، وعند الملابس الداخلية توقفت، قال لى «ياسيدى، هيه جت على دى اخلعها هى الأخرى، أصبحت عاريا تماما، وفجأة انشقت الأرض عن ستة سجانة ليلتهب جسدى بالخيزران وجريد النخل والشوم دون توقف، ألقيت بنفسى متعلقا برقبة الضابط وممزقا له إشارة رتبته وأمسكت عن يده الشومة التى كادت أن تنزل على رأسى وصحت.. «ياولاد الكلب يا سفلة، ده أنا حوديكم فى داهية ده إنت حتة ضابط معفن..» حدث ذلك على مسمع كل المعتقل، وجن جنون السجانة ولم أعد أشعر بعد ذلك بشئ، أفقت من إغمائى فوجدت نفسى ملقى فى زنزانة انفرادية لايوجد بها شئ، والفجر يتلمس طريقه فتحت الزنزانة وانهالوا علىّ بالضرب من جديد مع أقذر الشتائم وأقبحها، وكنت غير قادر على المقاومة وأغمى علىّ من جديد وفى الصباح أفقت على صوت عال ودبيب يهز الأرض.. شمال يمين، شمال يمين، شمال يمين.، دون توقف، تحاملت على نفسى واتجهت إلى الباب ونظرت من فتحة الباب،

كانت طوابير هائلة من البشر تجرى فى الحوش الكبير، والشوم والعصى والشتائم تنهال عليهم، كانوا بملابس السجن البيضاء والوجوه غير واضحة، وانفتحت زنزانتى وأمرونى بالخروج والدخول فى الطوابير والجرى معهم، خرجت لكننى رفضت الجرى وجلست على الأرض والعصى تنهال عليَّ، ومن داخل الطوابير جاءتنى أصوات تحثنى على الوقوف والجرى، وأخرى تشجعنى قائلة شد حيلك يا بطل.. وبدأت أعرفت أنهم الرفاق فى طابور العذاب، وازددت إصراراً على عدم إطاعة أوامر السجانة، وسرعان ما حملونى وألقوا بى داخل الزنزانة. علمت بعد ذلك أن الضابط الذى استقبلنى هو السفاح يونس مرعى.

بعد ساعات صعد الرفيق عبدالمحسن الأعصر إلى شباك زنزانتى وطلب منى التوقف عن استفزاز ضباط المعتقل حتى لايقتلونى، قلت له بصعوبة أريد أن أرى الرفيق خالد، بعد قليل شاهدت وجها شاحباً وتعرفت بصعوبة على الدكتور فؤاد مرسى الذى قال لى شد حيلك وحاول ألا تستفز أحداً لأن الموقف هنا سيئ جداً وهناك مؤامرة لقتلنا جميعا.

واستمر طابور التعذيب يوميا، وكان بعد أن يتوقف، يهز المعتقل ثلاث مرات هتاف بحياة الرئيس جمال عبد الناصر، لقد كان هذا أسوأ موقف للرفاق فى سجن أبوزعبل، ضرب وتعذيب يومي مستمر، ثم هتاف بحياة من أمر بهذه المجزرة البشعة.

ثانى يوم لى بالأوردى دخل زنزانتى ضابط «بغل»، علمت بعد تلك أنه المجرم عبد اللطيف رشدى، وبصوت جهورى فيه «صياعة» سألنى إنت شيوعى يا ولد، قلت له أنا سوابق وكان محكوما عليَّ فى قضية شيوعية، قال يا ابن الكلب، وانهال على ومن معه بالضرب، طالبا منى أن أشتم الشيوعية والزملاء. لم يتلق منى إجابة، ثم أنهى الضرب بسرعة وانصرف ولم يتعرض لى ثانية.

قضيت بالحبس الانفرادى خمسة عشر يوما، دون برش أو بطانية، فقط مجرد جردل للتبول وآخر للشرب وامتنعت خلال هذه الفترة عن الأكل تماما، وعلم الزملاء من أحد السجانة بذلك، ومن جديد حضر إلى شباك زنزانتى الرفيق عبدالمحسن

الأعصر وطلب منى تناول الغذاء، وقد تم ضبطه ونلت أنا وهو علقة إضافية على ذلك.

بعد ذلك دخلت عنبر ٢ واستقبلنى الزملاء بحفاوة بالغة، ولما قلت لهم لماذا السكوت على هذه المهانة؟ سخر منى البعض قائلين «.. يا ابنى إنت لسة جاى إمبارح ومش عارف حاجة».. وحتى الآن لا أعرف معنى هذه الجملة.

وبدأت أجرى مع طابور عنبر ٢ وكنت وسط من يهتفون بحياة عبد الناصر، وكان أن تحركت مع الركب إلى الجبل حيث الأشغال الشاقة بتكسير الحجارة، كنا نسير حفاة الأقدام على حصى صغير مدبب وأرض مرشوشة بالمازوت الملتهب من حرارة الشمس، وأول يوم لى بالجبل نلت أكثر من عشرين شومة على رجلى احتفاء بقدومى، عشت سيناريو يوميا عبارة عن ضرب وتعذيب وأشغال شاقة بالجبل، وغذاء عبارة عن شئ مطبوخ داخله كمية من الذباب ومرشوش بالتراب لتحسين مذاقه.

ويوم استشهاد الرفيق شهدى عطية كان فداء لنا، توقف الضرب والتعذيب وتقرر تصفية المعتقل وترحيلنا إلى الواحات.

عشت فى معتقل الواحات حياة كلها حيوية وانطلاق، قراءة ومحاضرات وشطرنج وكرة سلة، وكما يقال.. «الطيور على أشكالها تقع».. تعرفت على الرفيق إبراهيم أبو حديدة واكتشفنا إمكانيات بعضنا، كان شقيا وشجاعاً وسريع البديهة، كنا نسطو سويا على مخازن المعتقل، نستولى على الزيت والسكر والتوابل والبصل والثوم، ونسلم هذه المواد لرفاق الحياة العامة لاستخدامها فى تحسين أكل المعتقل (اليمك) وكنا نحصل على مكافأة، بضع سجائر زيادة، وجندنا عسكرى البروجى كوسيلة اتصال بالأهالى يسلمهم خطابات الزملاء ويحضر منهم ما نطلبه من نقود وأجهزة راديو ترانزستور وأقلام وأوراق وأى شئ نحتاجه، وكان يضع ما يحضره فى كيس ويدفنه فى مكان متفق عليه بالمزرعة، أقوم أنا وإبراهيم بإحضار هذه الممنوعات، نتحزم بها وندخل المعتقل وسط الزملاء أثناء عودتنا من المزرعة.

كنت فى أول دفعة أعلنت الإضراب عن الطعام من أجل الإفراج عنا، وتوالت الدفعات المشاركة، وقد استمر الإضراب سبعة عشر يوما، ونقلت لمستشفى الواحة إثر هبوط حاد فى الدورة الدموية، ونقل معى عدد من الرفاق أذكر منهم الرفيق رؤوف

نظمى الذى ساءت حالته بدرجة كبيرة، وقد رفضنا العدول عن الإضراب أو تناول أى محاليل لإنقاذنا، وثانى يوم لنا فى لمستشفى، وكان اليوم السابع عشر، حضر إلينا رفيق مسئول وأخطرنا بانتهاء الإضراب، وقد رفضت مغادرة المستشفى إلا بعد تحسن حالة الرفيق رؤوف، الذى كانت تنتابه تقلصات حادة عنيفة فى يديه ورجليه وإغماءات متواصلة.

جاء الإضراب هذه المدة الطويلة لمجرد تسجيل موقف، ولم يحقق أى مكسب، كانت قيادة الحزب تتخبط وقراراتها غير مدروسة، ولا تختار لها الوقت المناسب لتحقيق مكاسب مؤكدة، حتى الموقف السياسى لقادة الحزب كان فى تحليلاته لطبيعة النظام الحاكم يتأرجح من احتكار وشبه احتكار، إلى برجوازية من نوع جديد، أو الطبيعة المزدوجة للبرجوازية الوطنية، أو نظام يحقق بعض الإصلاحات ذات الصبغة الاشتراكية، وبإحساس عال وفهم للحالة المتردية التى وصل إليها المعتقل، قام الرفاق، رؤوف نظمى، شكرى عازر، ثروت إلياس، بالإعلان عن قيام تنظيم الأفق الذى انضم إليه عدد كبير من الرفاق، وذلك لتنشيط الحركة السياسية والنظرية للزملاء، فكانت الجريدة اليومية الناطقة التى تقدم الأخبار والتحليلات السياسية، علاوة على الدراسات النظرية المبسطة، وعرض للأفكار المختلف عليها والانطلاق بها فى أروقة العنابر وحوش المعتقل لعمل مناقشات جادة حولها.

كان الأفق شكلاً من أشكال الانقسام الواعى، متمسكا بعضوية الحزب، محافظا على تماسك الرفاق، ومقويا لمعنوياتهم على استمرار احتمالهم لطول سنوات الاعتقال.

لم تستطع سنوات السجن وتشديد عبد الناصر على استمرار تعذيبنا أن تنال منا، أغلبنا ينتظر الإفراج ليواصل النضال ويستكمل المسيرة. لم نكن نتصور أن هناك اتصالات تجرى فى الخفاء، وأن القيادة قررت التسليم للديكتاتورية، والاتفاق على حل كافة التنظيمات الشيوعية، مقابل بعض المناصب الوظيفية الكبرى، والانخراط أفراداً فى الاتحاد الاشتراكى يخدمون فى حزب النظام الذى قتل العديد من أبطالنا وعذب آلاف الشرفاء. وهكذا أفرج عنا عام ٦٤، وبعد لحظات من الزمن جاءت العناوين الرئيسية لجرائد حكومة الديكتاتورية، تزف البشرى لأسيادها الخوارجات بأن سياسة التصفية قد نجحت، وأن التنظيمات الشيوعية قد أعلنت تنكيس أعلامها والتحقت بحزب الدولة.

خيانة كانت ضمن المخطط الإمبريالي للقضاء حتى على كلمة «اشتراكية» في العالم، وحصار الدولة السوفيتية وتدبير المؤامرات ضدها، وإثارة الحروب والسباق على إنتاج وتطوير أسلحة الدمار، لزعزعة قدرات النظام الوليد. لكن الرفيق ستالين أقام صرحا قويا ودولة عظمى وقفت تحمي الشعوب من تسلط قوى الإمبريالية، وقدمت المساعدات الضخمة لدول العالم الثالث على حساب قوت الشعب السوفيتي، وبعد وفاته قامت مجموعة من المنحرفين بمهاجمة السياسة الاقتصادية للرفيق ستالين واتهمته بالدكتاتورية وأدانت فترة حكمه، وكان أن بدأت ثقة الشعب السوفيتي في كل شئ تهتز إلى أن جاء جورباتشوف ليجد أرضاً خصبة لأفكاره، وليعلن فشل النظرية الاشتراكية. واليوم يحصد حتى من أيدوا وهللوا وفرحوا لانهيار الاتحاد السوفيتي الذل والمهانة والعار، على يد البلطجة الأمريكية وأتباعها والتي انفردت بحكم العالم واستولت على ثرواته، نتيجة خيانة فادحة غيرت وجه العالم، وهزت تاريخ الأمم والشعوب.

لكن سيظل الأمل في يد الأجيال القادمة القادرة على تغيير كل هذا، والتي حتما ستحمل الراية وتجدد التاريخ ويتواصل النضال.

ولابد أن أذكر المناضلين العزيزين رؤف نظمى (محجوب عمر) وعبد اللطيف هنداوى اللذين أدين لهم بالكثير في مراحل نضالي كلها.

شهادة
طه سعد عثمان

النشأة الدينية :

كان لنشأتى فى أسرة فقيرة معدمة، وفى بيئة مسلمة متدينة، أثر كبير فى تكوين شخصيتى وفكرى، وقد ساعد تفوقى فى اللغة العربية الفصحى الذى يرجع الفضل الأول فيه إلى عمى المرحوم الحاج طه عثمان مصطفى، حيث اعتنى بتعميق حبى للغة العربية حتى حصلت فيها على جائزة المغفور له على مبارك باشا فى امتحان الشهادة الابتدائية عام ١٩٢٨ من الجمعية الخيرية الإسلامية حيث كنت بمدرسة أسيوط الابتدائية، وكانت الجائزة سهماً من أسهم بنك مصر، وكان لذلك أثره أيضاً فى شغفى بالقراءة وخاصة فى سير العظماء من المسلمين الأوائل من أمثال أبى ذر الغفارى وعمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم ممن كانت سيرهم تحمل معنى العدل والانحياز للفقراء.

كما كان ارتباطى بمجموعة من شباب القرية المنتمين إلى الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية أثره أيضا حيث عن طريق ذلك كانت دراستى للدين الإسلامى من زاوية أنه دين العدالة والمساواة بين البشر كما تتساوى أسنان المشط، والدين الإسلامى هو دين التكافل الاجتماعى، فليس بمؤمن من بات شبعان وجاره جائع، وغير ذلك كثير مما أوجد فينا الأمل، ليس بالتمتع بنعيم الآخرة فقط، بل وأيضا فى التمتع بطيبات الدنيا (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا، خالصة لهم يوم القيامة).

وكانت فطرة الحقد الطبقى مركزة فى نفسى وفى أعماق شعورى من الأغنياء من المسلمين العاطلين أو شبه العاطلين، الذين يتمرغون فى نعيم الدنيا، فهم يملكون

الأراضى والأبعديات والحدائق الواسعة، وهم يسكنون السرايات والقصور ويأخذون ثمار كل ما ينتجه الفلاح من الأرض ولا يتركون له إلا شظف العيش ودون أن يعملوا شيئا، والأغنياء أيضا هم المتعلمون الذين تمكنت أسرهم من دفع مصاريف المدارس الثانوية التى تصرف لكل طالب فيها وجبة غذاء يومية فيها الطبيخ واللحم والأرز والفاكهة، وهم الذين يفطرون في بيوتهم بالبيض والسمن، ويتعشون بالفراخ والجبن الذى تنتجه عائلاتنا ويحرم أبناؤها منه لبيعه للأغنياء لشراء الحد الأدنى من ضرورات المعيشة، وللصرف منه على تعليم بعض الأبناء فى المدارس المجانية وخاصة مدرسة المعلمين الأولية والمدرسة الصناعية، أما النسبة الضئيلة المخصصة للمجانية فكان الأغنياء يحصلون عليها أيضا بالوساطات والمحسوبيات واستغلال السلطة والنفوذ، وكان رفض دخولي مدرسة بنى سويف الثانوية فى ١٩٢٩ رغم أن شروط المجانية تنطبق على لتفوقى وصغر سنى، كان ذلك مما زاد حقدى على الأغنياء، إذ اضطررت إلى دخول المدرسة الصناعية لأن الدراسة فيها بالمجان، أما مدرسة الفنون التطبيقية بالجيزة والتى كانت مصروفاتها السنوية اثنى عشر جنيها، فلم أدخلها بالمجان إلا بتوسط قريب لى هو المرحوم كمال الدين ظافر ابن خال والدى الذى كان سكرتيرا لمدرسة الفنون الجميلة بالقاهرة، وفوق ذلك فإننى كنت أول القطر فى تخصص صناعة النسيج وكان من المقرر أن يدخل الأول والثانى من التخصص بالمجان، وكان أن تدخل عمى كمال الدين لإفشال مؤامرة إبعادي عن المدرسة ليدخل أحد أبناء الأغنياء الذى كان أبوه من كبار موظفى السراى الملكية.

كانت مدرسة الفنون التطبيقية بالجيزة هي المدرسة الوحيدة فى التخصص العالي للنسيج في القطر كله، وكان سكنى بالدقى لى شارع داير الناحية فى الحى الفقير القديم، وفى نفس الوقت كانت معايشتي لأولاد الأغنياء من طلبة المدرسة الذين كانوا يحضرون إليها بسياراتهم الخاصة، والذين كانوا يرفضون تناول طعام الغداء فى المدرسة استكبارا، بينما كان الفقراء من أمثالى يفرحون بالحصول على نصيبهم مما يتركه أولاد الأغنياء، إذ كانت وجبة الغداء هى قوام غذائنا الأساسي، ففيها الخضار المطهو والفراخ أو اللحم أو السمك مع الأرز والفاكهة يوميا، أما وجبتى الإفطار والعشاء فكنا لا نتناول فيها إلا البتاو الذى ترسله لنا أسرنا من البلد، والغموس كان الفول المدمس والكشك والجبن الخالى من الدسم.

وعندما ارتبطت بالإخوان المسلمين وأنا طالب وتشربت ما كان في دعوتها من نواح اجتماعية، وتكافل بين المسلمين وحق للفقراء على الأغنياء، كل ذلك بالإضافة إلى نشأتي الدينية الفقيرة، مما جعلني أنحاز بعنف إلى الفقراء قبل أن أعرف شيئا عن الصراع الطبقي ولا عن المدلول العلمي للاستغلال وفائض القيمة.

بداية الوعي الطبقي:

بعد تخرجي ونزولي في الحياة العملية واشتغالي في مصنع النسيج الميكانيكي المملوك لعلي إسلام باشا في بني سويف، ثم بعد ذلك في مصانع النسيج الميكانيكي بشبرا الخيمة، ارتبطت بالحركة النقابية وانتخبت في ١٩٣٨ رئيساً للنقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكي وملحقاته بالقاهرة وضواحيها والتي كان مقرها في دار حزب العمال المصري بزعامة النبيل عباس حليم. ثم انتقلت إلى شارع خمارويه بشبرا مصر عندما استقلت عن نفوذ جميع الشخصيات والأحزاب السياسية ثم إلى شبرا الخيمة إلى أن حلتها الحكومة في ٣٠/ ٤/ ١٩٤٥. وانغمست في الكفاح النقابي من أجل مطالب العمال رغم أنني كنت أعمل مشرفا فنيا (كونتر متر) في مصنع نسيج الأقمشة الحديثة لصاحبه هنري بيار وشركاه، وكان عملي مساعدا لأحد المهندسين الفرنسيين حيث كانت غالبية أصحاب مصانع النسيج الميكانيكي في تلك الفترة من الخواجات، وقليل منهم كانوا من المتمصرين، بينما الغالبية الساحقة من المهندسين والفنيين كانوا من الخواجات رجالا ونساء.

وبدأت أفكر في مطالب العمال التي يخوضون المعارك من أجلها، والتي كانت غالبا المطالبة بزيادة مليم أو مليمين في أجر تشغيل المتر من القماش، واتجهت إلى استخدام ما حصلت عليه من علم من دراسة مقايسات النسيج لمعرفة التكلفة الفعلية للمنتج، وهالني قلة نصيب العامل من عائد الإنتاج، وأدركت مدى الظلم الواقع على العمال والذي لا يقل بشاعة عن استغلال مالك الأرض للفلاح، وقد توصلت لذلك قبل أن أدرس التعبير العلمي لفائض القيمة، كما أدركت أن الفائض يذهب إلى جيوب الخواجات، وأن الحكومة المصرية تساعد هؤلاء الخواجات على استغلال المصريين.

كانت القضية الوطنية مشتعلة ضد الاستعمار البريطاني الذي كان مرأى جنوده وهم يجوبون شوارع القاهرة مستفزا للشعور الوطني، وكان قد سبق أن اشتركت مع زملائي طلبة الفنون التطبيقية وطلبة الجامعة في مظاهرات ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ وقد أتاح لي عملي في النسيج نساجاً على نول ومساعدا وميكانيكيا أقوم بإصلاح الأعطال الميكانيكية في الأنوال والأجهزة ثم رئيس مصنع يطلع على بعض خفايا التشغيل، أتاح لي ذلك معرفه أكثر لما يتعرض له العمال من إرهاق وقلة ما يحصلون عليه من أجور، بينما يحصل الرأسماليون على أكثر من عشرة أضعاف ما يحصل عليه جميع عمال المصنع، وفي الوقت الذي يتمتع فيه الرأسماليون بمستوى المعيشة الباذخ وركوب السيارات الفارهة، كان العمال يسيرون على أقدامهم مسافة تزيد على خمسة كيلو مترات يوميا ذهابا وعودة من شبرا المظلات حيث كانت آخر مواصلات القاهرة في ترام رقم ٨ إلى مصانع شبرا الخيمة وبهتيم، وغير ذلك كثير في الصحة والمسكن والملبس وغيره، مما جعلني أحس بمدى الاستغلال الواقع على العمال وبصورة أقسى مما كان يقع على الفلاحين من ملاك الأرض، ولمست في نفس الوقت ما يمكن تحقيقه للعمال من مكاسب إذا ما تضامنوا وآمنوا بحقوقهم وكافحوا للحصول عليها مع الثقة في النجاح والاستعداد للتضحية.

وفي هذه الفترة بدأت أحضر نقاشات بين قدامى النقابيين من المهن الأخرى عن الطبقة العاملة وحقوقها ودورها في المجتمع ومستقبلها في تطوره، واشتركت في حلقات نقاش كان يقودها شيخ النقابيين المرحوم محمد يوسف أحمد النجار وشهرته محمد يوسف المدرك، عن تطور المجتمعات الشيوعية من البدائية إلى العبودية إلى الإقطاع، إلى الرأسمالية، وكان المدرك يفيض في الحديث عن ثورات الفقراء وثورة العبيد والثورة الفرنسية، وعندما وصل في النقاش إلى الثورة البلشفية والتي خصصت لها جلسة خاصة، ظللت طول الجلسة صامتا لم أفتح فمي لا بسؤال ولا بنقاش، وخرجت مشتت الفكر عازما على عدم الاشتراك في هذه المجموعة في أية جلسة أخرى، رغم حبي وثقتي الكبيرة في الغالبية العظمى من الحاضرين وتقديري لكفاحهم وتضحياتهم، بعد أن سمعت الكثير عما قدموه من تضحيات وما تعرضوا له من متاعب في طريق العمل على تقدم الحركة العمالية والنقابية.

كنت قد سمعت عن الشيوعية والشيوعيين كلاما كثيرا، وارتسمت على أساسه فى ذهنى صورة للشيوعى على أنه إنسان همجى بدائى لا يحلق شعره ولاذقنه، ويكتفى من اللباس بما يستر عورته وبعضهم لايسترها، وأن الشيوعى لا يعرف قانونا ولا نظاما ولا تقاليد، ولا يعرف أسرة ولا زوجة ولا أولادا، فالكل أبناء الدولة، والأخطر من ذلك أنهم أشد أعداء الإسلام والمسلمين، لأنهم أشد عداء من الكفرة واليهود والوثنيين لأنهم ملحدون لا يعترفون بوجود إله ولهذا فهم يحاربون جميع الأديان وجميع الأنبياء، وأنهم صورة من يأجوج ومأجوج المفسدين فى الأرض، وقد تركز ذلك فى ذهنى مما سمعته من فقهاء المسلمين ومشايخهم وأيضا مما كان يردده بثقة فى صحته كثير من المتدينين من بسطاء الناس وحتى الأميين منهم، وكان ذلك يتراكب فى التوقيت مع بداية الحرب العالمية الثانية واضطرار الحكومة المصرية بتوجيه من إنجلترا إلى تخفيف القيود على الحديث عن الاشتراكية حتى لاتغضب روسيا التى دخلت الحرب ويؤملون فى الاعتماد عليها لهزيمة هتلر والفاشية.

لم أنم تلك الليلة، وأخذت إجازة من عملى فى المصنع، وذهبت إلى المدرك فى منزله مبكرا، ودار بيننا نقاش طويل، ثم تكرر النقاش فى عدة أيام متوالية، قلت له فيها كل ما فى نفسى عن الشيوعية والشيوعيين، وعن عزمى على مقاطعة جلساتهم التى تناقش فيها الثورة البلشفية، ولم ألحظ ما كنت أنتظره من المدرك من اندهاش أو انزعاج من كلامى، بل ظل صامتا حتى أفرغت كل ما عندى، وفى هدوء سألنى المدرك إذا كنت على استعداد لأن أقتنع بغير ما أعتقد أنه صحيح إذا ثبت لى صحة ما أعتقد أنه خطأ، فأجبته بالإيجاب، ثم بدأ يشرح لى استغلال ملاك الأرض، والإقطاعيين للفلاحين كأنه فلاح أو ابن فلاح، واستغلال الرأسماليين للعمال وسرقة الأغنياء لعرق وكد الكادحين، وبأمثلة من الواقع المصرى مبسطة حول قضايا عشت بعضها فى الريف ومازلت أعيش بعضها فى المصانع، وأعطانى بعض الكتب فقرأتها بشغف كبير للوصول إلى الحقيقة ومن تلك الكتب: قصة الأم وقصة البدرول والأرض الصينية وبعض أدبيات الماركسية البسيطة والمطبوعة باللغة العربية.

وهنا أقر عن صدق أن ثقافة المدرك وسعة اطلاعه وصبره وعدم طعنه فى الدين الإسلامى ولا فى أى دين آخر، بل واستشهاده فى بعض الأحيان بآيات من القرآن

الكريم والأحاديث النبوية الشريفة لإثبات صحة ما يقول، وأخيرا كان إسهابه في شرح وتوضيح معنى وأهداف حرية العقيدة للجميع، ومع علمه بصلتي بالإخوان المسلمين كثيرا ما كان يستشهد بآيات أو أحاديث أو قصص من أئمة المسلمين السابقين عن العدالة الاجتماعية، وهو الأمر الذي جعلني أثق في صحة كلامه مما جعلني أقتنع بأن ما سمعته من قبل عن الشيوعية والشيوعيين إنما هو دعاية إنجليزية استعمارية يؤيدها وينشرها الأغنياء والرأسماليون والسراي الملكية في مصر حتى لا يحصل الفقراء وخاصة العمال والفلاحون على حقوقهم التي يسرقها الأغنياء، ولم تنته المناقشة التي استمرت نحو ثلاثة أسابيع إلا وقد اقتنعت بأن الماركسية مبدأ الفقراء وخاصة الطبقة العاملة، وهي طريقة للمساواة وإلغاء استغلال الإنسان للإنسان، وهنا أقرر أيضا أن المدرك لم يدعني عقب ذلك النقاش الطويل وعقب إدراكه لاقتناعي بعدالة الماركسية، لم يدعني عند ذلك إلى الدخول في أي تنظيم أو حزب سياسي.

بداية الارتباط بالماركسية:

كان ذلك في عام ١٩٤٢ عندما اقتنعت بأن الشيوعية ليست شيئاً سيئاً كما كنت أعتقد سابقاً، بل هي التي تعمل على نصرة العمال والفلاحين على مستغليهم، وكانت النقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكي وملحقاته بالقاهرة وضواحيها والتي كان مقرها في شارع سعد زغلول بشبرا البلد، كانت قد ارتبط بها العمال بشكل واسع لما كانوا يحققونه من مكاسب تحت قيادة النقابة، وأصدرت النقابة مجلة شبرا، وفي هذه الفترة بدأ بعض المثقفين يترددون على النقابة عارضين خدماتهم ومنهم المحامون والأطباء، ولكن كانت لدينا حساسية من التعامل مع مثل هؤلاء؛ خاصة وقد كنا قريبي عهد بالنجاح في استقلالية الحركة النقابية عن الشخصيات والأحزاب السياسية، تلك السيطرة التي عانت منها الحركة النقابية كثيرا ولهذا تعاملنا مع هؤلاء المثقفين بحذر شديد، ورفضنا أي تدخل من جانب أحد منهم في شئون النقابة الداخلية عندما حاول بعضهم ذلك، وأذكر أن محمود العسكري قال لي عن أحد الأطباء الذين عرضوا خدمات طبية على المشتركين في النقابة: إن هذا الطبيب اشتراكي من الذين يتبنون قضية الطبقة العاملة والدفاع عنها، ولم يستمر ويصمد من المثقفين أمام إصرارنا على حصر عمل المثقفين على الخدمات فقط سوى الأستاذ يوسف درويش المحامي الذي

كان حريصاً على العمل فى حدود مساعداته القانونية فقط للنقابة وأعضائها، إذ كان يترافع فى القضايا وخاصة عن العمال الذين يقبض عليهم بسبب قيامهم أو قيادتهم للإضرابات والعمليات الكفاحية، وكان يتقاضى لذلك أجراً رمزياً أو بدون أجر فى أحيان كثيرة، إلى أن توقفت علاقته بمجلس إدارة النقابة ثم باللجنة العامة للمندوبين؛ حيث قدم بعد ذلك خدمات أخرى مثل تدريس اللغتين الانجليزية والفرنسية والمعلومات العامة فى المدرسة التى أنشأتها النقابة بدون أجر، وسمح له ذلك بالتدرج فى الاشتراك فى مناقشة المشاكل العمالية، ولكن بدون أى تعال أو فرض رأى أو استعمال اصطلاحات سياسية واقتصادية ضخمة لايفهمها العمال، بل كان كثيرا ما يظهر امتنانه للعمال لأنهم علموه شيئاً جديدا، وانتهى الأمر برفع الكلفة بينه وبين العمال، مما سمح للعمال بالتقرب منه أكثر وسمح له بدراسة شخصية كل منهم أكثر.

وأذكر من الاشتراكيين الذين اتصلوا بنا فى تلك الفترة الأستاذ (نجيب) ولا أتذكر بقية اسمه وهو الذى كان مفتشا بمكتب العمل وقد أدى لنا خدمات ومساعدات كثيرة، وقد عرفت فيما بعد فى عام ١٩٤٧ أنه مرتبط بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو).

بدأت أحصل على بعض المخطوطات الماركسية من المدرك والعسكرى ويوسف درويش، وأقرأها كدراسة للاشتراكية، ثم بدأت تجمعنا مقابلات نحن الأربعة (المدرك والعسكرى ويوسف درويش وأنا) ولكنها لم تأخذ شكل الاجتماعات التنظيمية التى يدرس ويناقش فيها جدول أعمال محدد، ولكنها أخذت الشكل المنظم والمنتظم عندما تقرر ترشيح المرحوم فضالى عبدالجيد لمجلس النواب عن دائرة شبرا الخيمة فى عام ١٩٤٥، واتسعت الحلقة لتضم زملاء آخرين منهم محمد قطب وكيل أول النقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكى ومحمد مدبولى سليمان سكرتير نقابة عمال شركات البواخر البحرية ومحمود حمزة رئيس النقابة العامة لعمال الأحذية، وسيد محمود حسن وشهرته (سيد جزر) الذى كان رئيساً للنقابة العامة لعمال النسيج اليدوى وملحقاته بالقاهرة، وعبد الرازق عبدالرحمن رئيس نقابة عمال مخازن الأدوية والصيدليات ومحمد وحيد الدين عضو مجلس إدارة نقابة عمال شركات البواخر البحرية، وبدأت الاجتماعية تعقد فى شبه سرية، وهذه المجموعة هى التى قادت بطريق غير مباشر

وغير معلن معركة الانتخابات البرلمانية فى شبرا الخيمة فى عام ١٩٤٥ . كما أصدرت عددا من المنشورات السرية بتوقيع (طليعة العمال) حول بعض المشاكل العمالية ومنها القوانين العمالية والبطالة.

وبعد الانتهاء من معركة الانتخابات النقابية هذه عرض يوسف درويش فكرة إنشاء تنظيم سياسى مستقل للطبقة العاملة المصرية، وتكونت الهيئة التأسيسية ممن وافقوا فقط مع استبعاد من اعتذروا لأسباب مختلفة، وبدأ الاستعداد للعمل الذى انتهى بأن أعلنت الهيئة تحت اسم «لجنة العمال للتحرير القومي - الهيئة السياسية للطبقة العاملة» فى ٨ أكتوبر ١٩٤٥ وقد ذكرت كل التفاصيل عن تكوين تلك الهيئة فى الكتاب الثالث من مذكراتى ووثائق من تاريخ الطبقة العاملة والذى أصدرته عن الطبقة العاملة والعمل السياسى، ولاداعى للتكرار.

وفى هذه الفترة أيضا ناقشنا الماركسية كمبدأ وقررنا أن تكون لجنة العمال للتحرير القومى هى الخطوة الأولى العملية لتكوين حزب مستقل للطبقة العاملة الذى عليه أن يقود جماهير الكادحين لتحقيق أهداف الثورة الوطنية الديمقراطية، وهى التى تبدأ بتحقيق الاستقلال الوطنى وطرد الاستعمار البريطاني، والإطاحة بركلائه فى مصر من الرأسماليين والإقطاعيين وعلى رأسهم الأسرة المالكة التى خانت شعب مصر وساعدت الإنجليز على احتلالها، وذلك دون نسيان أو تناسى المطالب الاقتصادية والديمقراطية العاجلة لكافة الفئات الكادحة من عمال وموظفين وفلاحين وصغار تجار وجنود الجيش والبوليس وغيرهم، وفى هذا الإطار ضمت كل البرامج التى ساهمت فى إعدادها هذه الحلقة بنوداً تخص مطالب كل فئة من الكادحين المصريين.

الارتباط العضوى بمنظمة طليعة العمال:

اتسع النشاط على نطاق الحركة العمالية والنقابية من كل المهن وفى مختلف المناطق، وأصدرنا (مجلة الضمير) التى قبض علينا فيها بسبب مقالات كتبناها (المدرك والعسكرى وأنا) ومعنا الدكتور عبدالكريم أحمد السكرى (صاحب ورئيس تحرير المجلة)، وقد أوردت ذلك تفصيلا فى كتاب (الطبقة العاملة والعمل السياسى) .

وبعد خروجنا من السجن فى منتصف عام ١٩٤٦، طلب المدرك مقابلتى لأمر هام على انفراد، ولفترة طويلة سوف يستغرقها مناقشة الموضوع الذى يريدنى فيه، وفى هذه المقابلة عرض علىّ الارتباط العضوى بتنظيم شيوعى سرى أوسع من دائرتنا العمالية، إذ يضم عمالا آخرين وعددا من المثقفين الوطنيين التقدميين، الذين آمنوا بنظرية الطبقة العاملة وارتبطوا بها فكريا وآمنوا بقضيتها، ووافقت على الفور بترحيب كبير، لأن الأرض كانت ممهدة تماما لتلقى البذرة، وكان ذلك هو التتويج التنظيمى لفترة طويلة من العمل المنظم ولكن بدون راية ولا قواعد تنظيم ولا لائحة تحكم تصرفاتنا وتحدد حقوق وواجبات كل منا، وبدأ يزداد ترديد اسم (طليعة العمال) الذى كان يردد بين قدامى النقابيين، ولكن بمعنى جديد ومضمون جديد وإن كان اسم التنظيم (طشت).

ولقد كان لهذا الارتباط العضوى (الرسمى إن صح التعبير) أثر كبير على نفسى وعلى فكرى من عدة أوجه، فقد أحسست بعظم المسئولية وثقل الحمل الذى وضع على أكتافى، وبدلا من العمل الذى يبدو متناثرا وشبه موسمى، أصبحت مسئولا عن الانخراط فى نسيج متكامل من العمل المترابط ذى الهدف البعيد وهو تحقيق الاشتراكية فى مصر، وأهداف قريبة هى التى تخدم هذا الهدف البعيد وتكون خطوات فى طريق تحقيقه، وأدركت أنه علىّ كخطوة أولى أن أستعرض بدراسة عميقة كل ما مرّ بى أثناء عملى النقابى وأثناء التحضير للعمل السياسى، وأن أعرف ما يدور فى الشارع المصرى عن الاشتراكية وكل ما يرتبط من منظمات وتحركات كى لا أضع قدمى فى خلاء فأفقد توازنى.

المنظمات الشيوعية الأخرى:

فى النصف الأول من أربعينات القرن العشرين، كانت توجد ثلاث حلقات ماركسية هى طليعة العمال المعروفة، باسم (جماعة الفجر الجديد) نسبة إلى مجلة الفجر الجديد التى كان يصدرها عدد من المثقفين المصريين المرتبطين بهذا التنظيم بطريقة أو بأخرى ومنهم أحمد رشدى صالح وأبوسيف يوسف وأحمد صادق سعد، وكانت شهرة اسم طليعة العمال ترجع إلى ارتباط ثلاثة من القادة النقابيين المرتبطين بالتنظيم وهم محمد يوسف المدرك ومحمود محمد العسكرى وطه سعد عثمان والذين سبق أن اشتركوا فى إصدار منشورات عمالية موقعة بهذا الاسم، والحلقة الثانية كان

اسمها الحركة المصرية للتحرر الوطني (حمتو) والتي كان على رأسها هنري كورييل. والثالثة كان اسمها الشرارة (إسكرا)، وكانت الحلقتان الأخيرتان قريبتين من بعضهما في الفكر وأسلوب العمل، وقد تحقق فعلا بعد ذلك توحيدهما في الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو) عام ١٩٤٧.

وهنا لابد لي من الإشارة إلى بعض الشروط التي يبدو أنها أخلاقية، ولكنها كانت أساسية في اختيار من يرشح للارتباط العضوي بمنظمة طليعة العمال، ومن أهمها أن يكون مستقيم الخلق بمعنى ألا يكون مقامرا ولا مدمنا للخمر أو أي مسكر آخر ولا منحلا جنسياً، وأن يكون حسن السمعة بين المحيطين به، وصادقاً وأمينا وموثوقا به، هذا بالإضافة إلى أن قاعدة التجنيد الأساسية كانت من بين العمال ومن خلال المعارك الكفاحية ومن القيادات التي تظهر صلابة في تلك المعارك، وقد استطردت في ذلك لأني لا أريد أن أتعرض هنا لأسلوب التجنيد في المنظمات الأخرى والذي كانت تذاع عنه بعض الأقاويل.

كانت منطقة شبرا الخيمة وخاصة عمال النسيج الميكانيكي فيها، من أنشط الفئات العمالية كفاحيا على نطاق القطر المصري كله لدرجة أنه أشيع عنها أنها (المنطقة الحمراء) وقد لفت ذلك نظر الشيوعيين الذين كانوا في حلقات ضيقة من المثقفين وللأجانب فيها دور قيادي، فاتجه الشيوعيون نحو المنطقة الحمراء للعمل فيها ولتجنيد قيادات منها لضمها إلى عضويتها، وبالنسبة لطليعة العمال فقد نجح يوسف درويش المحامي أمام المحاكم المختلطة وقتئذ في الارتباط ببعض القيادات من بين عمال النسيج الميكانيكي وعمال شركات البواخر البحرية وذلك في وقت مبكر منذ عام ١٩٤٢ ولكن ليس على أساس عمل تنظيمي شيوعي، وحتى عام ١٩٤٥ كانت المنظمتان الأخريان (حمتو وإسكرا) لم ترتبطا بعد بعمال شبرا الخيمة، وكان تركيز اتصالهما بنقابة عمال المحلات التجارية ذات الطابع الأجنبي في غالبية عضويتها، ونقابة عمال دور السينما وكانوا في غالبيتهم من الطلبة الذين يعملون في دور السينما في المساء مع الانتظام في الدراسة في الصباح، وأذكر من نقابة عمال المحلات التجارية دافيد ناحوم ومن عمال السينما مراد إلياس القليوبي وحسين كاظم، وكان نفوذ الماركسيين إلى ١٩٤٥ في شبرا الخيمة محصوراً في طليعة العمال والعناصر التي

ارتبطت بها بعد تكوينها، ولكن لم تعلن طليعة العمال عن هويتها الماركسية ولا حتى أعلنت تشكيلها التنظيمي، وقد أدى هذا الانغلاق الشديد لتلك المنظمة في أسلوب التجنيد إلى أضرار كبيرة أخطرها تجميد العلاقة مع بعض القيادات العمالية رغم الثقة الشديدة منهم في أفراد طليعة العمال وكفاحيتهم والاقتصار في العمل معهم عند حدود الأعمال الجماهيرية العلنية، وعدم تطوير هذه الصلات إلى صلات سياسية وتنظيمية وكانت المفاتحة أو الحديث عن الماركسية في حدود ضيقة وعلى استحياء رغم أن الماركسية هي نظرية الطبقة العاملة والتي من الطبيعي أن يقبل عليها ويرتبط بها المكافحون من أبنائها.

ولعل القارئ يتساءل عن حديثي في تلك الفترة عن طليعة العمال التي لم تعلن رسمياً إلا في النصف الثاني من عام ١٩٤٦، ولذلك أقول إنني أعتبر وجود طليعة العمال في الساحة المصرية وبين صفوف الطبقة العاملة والمثقفين المصريين منذ تكوين الحلقة الأولى في عام ١٩٤٣ والتي كانت مكونة من جزء من العمال كان منهم المدرك والعسكري وطه سعد ومحمود حمزة ومحمود قطب ومحمد وحيد الدين ومحمد مدبولي سليمان ومعهم يوسف درويش وجزء من المثقفين الذين كانوا يعملون في الصحف الوفدية، ثم أصدروا مجلة الفجر الجديد التي صادرها إسماعيل صدقي ضمن ما صادر من الصحف في ١١ يولية ١٩٤٦ أي قبل إعلان منظمة طليعة العمال بشهور، بينما كان المعروف لكل التقدميين في مصر أن المنظمة التي وراء مجموعة العمال المشار إليها وكل ما قامت به من أعمال ووراء مجلة الفجر الجديد وما تقوم به من تنوير ماركسي هي منظمة الفجر الجديد.

وعندما قبض علينا في قضية مجلة الضمير في أول يناير ١٩٤٦ - أنا والمدرك والعسكري - وجدت الحركة المصرية فرصتها سانحة للاتصال ببعض القيادات الوسيطة وعرض عضوية تنظيم سري شيوعي عليها - وهو ما لم تكن طليعة العمال قد قامت به بعد - ولقيت هذه الدعوة أرضاً خصبة من التراث الكفاحي والوعي الطبقي الذي نما من خلال المعارك الكفاحية، فارتبط بالحركة المصرية بعض قيادات عمال النسيج ذات الرصيد الكبير من ثقة جماهير العمال من أمثال محمد محمد شطا وأحمد علي خضر وفكري الخولي ومصطفى بقشيش وغيرهم، وفي نفس فترة الخمسة أشهر التي قضيناها في السجن من أول يناير إلى ٣٠ مايو ١٩٤٦، كان زملاؤنا في الخارج

مشغولين بقضيتنا ومراعاتنا فى السجن بشكل استنفد جزءاً غير قليل من جهدهم بالإضافة إلى العمل العلنى فى القضايا العمالية والوطنية.

وهنا أذكر حقيقة تاريخية وهي أنه فى سبتمبر ١٩٤٥ وأثناء خطوات الاستعداد لارتباط عمال مصر بالحركة النقابية العالمية، وتكونت من أجل ذلك اللجنة التحضيرية لمندوب نقابات عمال مصر فى مؤتمر النقابات العالمى بباريس ودون تطويل أو تكرار لماذكرته بالتفصيل فى الكتاب الرابع من مذكرات ووثائق من تاريخ عمال مصر والذى خصصته بعنوان (وحدة الحركة العمالية فى مصر والعالم) أقول إنه سافر إلى باريس وفدان باسم عمال مصر، الأول مكون من محمد يوسف المدرك فقط وكانت خلفه منظمة طليعة العمال، والثانى كان يمثله دافيد ناحوم ومراد إلياس القليوبى ومحمد عبدالحليم وكانت خلفهم منظمتا (حمتو وإسكرا) متعاونتين وبذلك انتقل الخلاف بين الحلقات الماركسية باتجاهاتها الرئيسية إلى الحركة النقابية وفى شكل منظمتين نقابيتين عماليتين هما مؤتمر الشركات والمؤسسات الأهلية الذى كانت خلفه حمتو وحدتو، واللجنة التحضيرية لمندوب نقابات عمال مصر فى مؤتمر النقابات العامى والتى كانت خلفها منظمة طليعة العمال، وأعيد تأكيد أن هذا يدل على أن منظمة طليعة العمال كانت موجودة فى ساحة العمل النقابى العمالى والسياسى قبل إعلان تكوين منظمة الطليعة الشعبية للتحرر (طشت) بسنوات.

وعندما خرجنا من السجن فى ٣٠ مايو ١٩٤٦، وجدنا أن بعض القيادات النقابية من القاهرة والأقاليم وممن كانوا أعضاء فى اللجنة التحضيرية، قد ارتبطوا بمنظمتى حمتو وإسكرا تنظيمياً.

العمل السرى:

أذكر فى البداية أننى كنت رئيساً للنقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكى وملحقاته بالقاهرة وضواحيها والتى كان مقرها شبرا الخيمة، ثم كنت أمينا للصندوق ثم مراقبا عاما للنقابة، وكانت شعبيتى وزعامتى العمالية لاتحتاج إلى دليل، وكنت ضمن من قاموا بحركة استقلالية الحركة النقابية عن الشخصيات والأحزاب السياسية، وكنت سكرتيرا لتحرير مجلة شبرا التى كانت تصدرها النقابة العامة لعمال النسيج

لميكانيكى، وكنت سكرتيرا للجنة التحضيرية لمؤتمر نقابات عمال مصر ثم أحد سكرتيرى مؤتمر نقابات عمال القطر المصرى، وكنت عضو الهيئة التأسيسية للجنة العمال للتحرير القومى (الهيئة السياسية للطبقة العاملة) واشتركت فى الغالبية العظمى من الاجتماعات التى عقدتها المجموعة العمالية من منظمة طليعة العمال، ورغم كل ذلك وغيره فإنه لم يعرض على الارتباط العضوى بمنظمة الطليعة للتحرر كتنظيم شيوعى سرى يعمل على تحقيق الاشتراكية فى مصر، إلا بعد خروجى من السجن فى قضية الإضراب العام الذى دعت إليه اللجنة التنفيذية لمؤتمر نقابات عمال القطر المصرى فى ٢٥ يونية ١٩٤٦، بعد أن اختفيت أنا ومحمود العسكرى بكفر أبو محمود فى المنوفية حيث استضافنا الأستاذ أحمد حسنين رحمه الله لمدة تقرب من ثلاثة أشهر كانت تعقد اجتماعات دورية خلالها يحضرها محمد يوسف المدرك ويوسف درويش، حيث كان أحمد أفندى حسنين يخلى لنا الجناح الذى نعقد فيه الاجتماع من بيته الريفى الرحب، ولا يتدخل فى أى عمل نقوم به أثناء الاجتماعات أو خارجها.

وبعد ذهابى إلى النيابة وإفراجها عنى بكفالة إذ كان الإفراج قبل الهروب والاختفاء بطريق خطأ روتينى، وعندئذ عرض على الارتباط العضوى بالتنظيم وعرضت علىّ اللائحة فوافقت عليها وانتظمت فى إحدى الخلايا وبدأت ممارسة واجبات وحقوق العضوية، وبعد فترة ليست طويلة انتخبت - بطريق التزكية من قيادة التنظيم - مسئولا تنظيميا لمنطقة القاهرة.

ورغم اللطمة الذى أخذناها بقفز حدتو - سوف أذكر هنا مجازا كلمة حدتو تعبيرا عن التنظيمين اللذين كوناها بعد ذلك - عندما قفزت على الكوادر العمالية التى ربيناها وضمتها إليها بسهولة، بل ظل أسلوب الانغلاق هذا سائدا، وقد اشتكى لى الزميل أحمد سالم سالم من عمال شبرا الخيمة أنه ظل أكثر من أربع سنوات بين عاطف ومرشح للترشيح ومرشح، رغم كل ما كان يقوم به من جهد فى العمل الجماهيرى بل وفى العمل التنظيمى السرى، ورغم المداومة على حضور حلقات المرشحين وقراءة المطبوعات ودفع الاشتراك.

وإذا كان هذا الانغلاق قد حمى التنظيم من تسلل العناصر البوليسية إلى حد كبير جدا، وبالتالى من القضايا التى قدم فيها أعضاء من التنظيم للمحاكم، إلا أن التزيد فى

هذا الحرص المتعنت الذى زاد عن كل مبرر قد أفقد التنظيم إمكانية كبيرة كانت متاحة له للانتشار الأفقى التنظيمى بين العمال بل وبين الفلاحين.

وبعد الارتباط العضوى بطليعة العمال، وبعد انعقاد مؤتمر القاهرة الأول الذى عقد بمنزل المرحوم عبدالرحيم على موسى بباب الخلق وعلى بعد خطوات من مقر محافظة القاهرة (كان عبدالرحيم على موسى صاحب مطبعة الشباب الحر التى طبع فيها كثير من المطبوعات العلنية الخاصة بالكفاح النقابى والسياسى سواء قبل إعلان تكوين منظمة طليعة العمال رسمياً أو بعدها) وبعد أن انتخبت من هذا المؤتمر مسئولا تنظيميا لمنطقة القاهرة، تركت العمل فى شبرا الخيمة وتفرغت للعمل السرى والتنظيمى البحت فى منطقة القاهرة، وتولى المرحوم محمود العسكرى مسئولية منطقة شبرا الخيمة، وأذكر أننى حضرت عدة مدارس كادر كان يدرس فيها منهج لإعداد القادة من الناحية النظرية وأيضا من حيث الانتفاع بالخبرة العملية للآخرين ومن أهم تلك المدارس التى تركت أثرا فى تكوينى تلك التى أعدت بالإسكندرية بمسكن المرحوم محمد مدبولى سليمان الذى كان يواجه سراى رأس التين الملكية، وقد استمرت المدرسة أسبوعا كاملا لبعض قيادات التنظيم فى ١٩٤٧.

سدت أبواب العمل الرزقى فى وجهى بعد قرار اتحاد الصناعات بعدم تشغيلى فى أى مصنع نسيج، وبعد أن حاولت العمل فى مهنة حرة كقومسيونجى لتوزيع البضائع واستخرجت لذلك ترخيصاً فعلا ولكننى فشلت نظرا لارتباطاتى بالعمل التنظيمى، ثم التحقت بالعمل المهنى فى شركة شل بوتاجاز بمساعدة كبير المهندسين بها وكان اسمه رينيه فرفرة وكان زميلا فى تنظيم طليعة العمال، وعينت مفتشاً على أجهزة البوتاجاز بالمنازل ثم مهندساً للتركيبات، وأتاح لى هذا العمل - بمساعدة فرفرة وتغطيته لى - أتاح لى تخصيص جزء كبير من وقت اليوم للعمل التنظيمى، كما أتاح لى فى نفس الوقت تغطية للاتصالات التنظيمية بحيث كان يصعب ملاحقتى أو مراقبتى نظرا لتنقلى الكثير بين الشقق وبين العمارات، ثم التحق بالعمل فى نفس الشركة وفى ورشة التركيبات المرحوم محمد مدبولى سليمان زميلى فى التنظيم وفى لجنة العمال للتحرير القومى وفى الكفاح العمالى، وبدأت العمل مع بعض العمال لبث الوعى بطريقة هادئة، وفى فترة وجيزة أمكن تحقيق بعض المكاسب للعمال منها

صرف الملابس المجانية الخاصة بالعمل وكيلو لبن يوميا مجانا باعتبارهم يعملون فى أعمال ضارة بالصحة وهى استنشاق البوتاجاز، ولما لم تكن هناك أية خسائر نتيجة لكفاح الذى حقق للعمال تلك المكاسب، فقد شجع ذلك العمال على قبول فكرة تكوين نقابة لهم حيث كان يسمح القانون لكل خمسين عاملا بتكوين نقابة إذا أرادوا.

وفى مكتب الأعمال النقابية وبمساعدة المدرك، أعددت الأوراق وقدمت التسجيل فى مصلحة العمل، وزادت صلتى بالعمال أكثر وتكثف اتصالى بالعمل السياسى فزادت ثقتهم بى ولم أترك الشركة إلا وكانت قد تكونت بها خلية نشطة.

وافق التنظيم بعد ذلك على أن ألتحق بمدرسة الإسماعيلية الابتدائية الحرة بشارع شبرا مصر، ولم يعطل عملى بالمدرسة جهدي فى العمل التنظيمي بل كان غطاء له وأحيانا مساعدا، وعندما التحقت بالعمل فى فبراير ١٩٤٨، لم يلحظ ذلك البوليس السياسى، لأنى ألحقت ابنى محمد بنفس المدرسة وكثيرا ما كنت أدخل المدرسة من الباب الخلفى، كما أن المختص بشئون العمال فى البوليس السياسى فى ذلك الوقت ومسئولا عن شبرا الخيمة وشبرا مصر كان مخبرين فقط هما سيد بدر الذى كان يسكن فى منطقة الحافظية بشبرا مصر ومحمد حسين الذى كان يسكن فى شبرا البلد وكان معهما سامى الكونستابل وبعض المرشدين.

وعندما أعلنت الأحكام العرفية فى ١٥ مايو ١٩٤٨ بسبب دخول الجيوش العربية ومنها المصرية أرض فلسطين بعد إعلان دولة إسرائيل وقبض على عدد كبير من القيادات العمالية والنقابية فى القاهرة وشبرا الخيمة ولم يقبض علىّ، كلفت من التنظيم بتولى العمل فى شبرا الخيمة بالإضافة إلى القاهرة، واندفعت فى العمل بشكل كبير للمحافظة على مستوى الترابط والاتصال بين أجزاء التنظيم، وبرزت فى نفس الوقت مهام سياسية جديدة تتعلق بالمعتقلين من الزملاء والدفاع عنهم والمطالبة بالإفراج عنهم، بالإضافة إلى تجميع العائلات وترابطها ثم فضح استخدام الأحكام العرفية ضد الوطنيين والمطالبة بالإفراج عنهم، وأذكر أنه كان يصدر منشور كل أسبوع مطبوع على البالوظة وكان يوزع فى القاهرة وشبرا الخيمة، كما كانت ترسل منها نسخ بالبريد للشخصيات العامة والنقابية والوطنية من الذين لم يعتقلوا وكذلك لجميع الصحف وخاصة الوفدية لأن الوفد فى تلك الفترة كان خارج الحكم، وفى هذه الفترة زادت صرامة السرية وتنفيذ قواعد الأمان بدقة، الأمر الذى كان من أهم العوامل التى حمت

التنظيم من غارات البوليس السياسى ومنعت زيادة عدد من اعتقلوا، ومن المهم أن أذكر أنه لم يعتقل من الأعضاء إلا العمال.

وفى هذا الصدد أشير إلى أن من اعتقل كانوا بعض العمال الذين كان لهم دور جماهيرى علنى بارز فى حركة العمال الكفاحية، ولم يعتقل من المثقفين إلا يوسف درويش الذى كان فى عنبر الشيوعيين المصريين، وكان قد قبض عليه هو وطه محمد فودة ومحمد متبولى سليمان نتيجة خطأ فى تطبيق الأمان اعترفوا به بعد ذلك، ولما لم يضبط معهم ما يشكل قضية شيوعية فقد تم ترحيلهم إلى معتقل هاكستب بعد تحقيق النيابة والإفراج عنهم بلاضمان، أما صادق سعد وريمون دويك فقد كانوا فى المعتقل فى العنبر الخاص باليهود والشيوعيين الأجانب عموما، وحتى خروجنا من المعتقل فى فبراير ١٩٥٠ لم أعرف صلة غيرهم بالتنظيم وحتى صلة هؤلاء لم نعرف إلا على نطاق ضيق جدا وفى حدود ما تقضى به ضرورة الاتصال والعمل السياسى.

وأذكر بهذه المناسبة أننى بعد إعلان الأحكام العرفية فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وفى أثناء امتحان شهادة إتمام الدراسة الابتدائية، وكنت منتدبا للمراقبة فى إحدى اللجان، فوجئت بزميل مدرس كان فى إحدى الخلايا، وكنا بحكم العمل التنظيمى نتقابل كثيرا خلال أكثر من عام ونعرف بعضنا بالأسماء المستعارة، التى تحولت بعد إعلان الأحكام العرفية إلى أرقام وأصبح لكل منا رقم يتعامل به، وكان هذا الزميل المدرس يتحدث كثيرا عن كفاحات عمال شبرا الخيمة وعن محمود العسكرى وطه سعد دون أن يعرف شخصيتى، ولما عرف اسمى من كشف توقيع حضور المراقبين إلى اللجنة، حضر فى الاجتماع التالى ثائراً لأن إخفاء شخصيتى عنه دليل على عدم الثقة فيه وقرر الانقطاع عن العمل التنظيمى، واحتاج الأمر إلى جهد ثلاثة أسابيع كاملة لكى أقنعه بأن ما حدث هو أسلوب تنظيمنا السرى فى الأمان، ولا يمس ذلك شرفه أو نزاهته أو الثقة فيه من قريب أو من بعيد فضلا عن أن الأمر احتاج إلى استعانتى بأحمد رشدى صالح فى ذلك، وعندما عاد لممارسة عمله التنظيمى كان أكثر نشاطا وإقداما وحرصا على تطبيق قواعد الأمان.

فى معتقل هاكستب والطور:

أدى اتساع نشاطى، رغم حرصى الشديد، إلى لفت نظر البوليس السياسى إلى تحركاتى، مما أدى إلى اعتقالى من الشارع وأنا فى طريقى إلى المنزل فى ١٦/١١/١٩٤٨ بعد ما يقرب من ستة أشهر من إعلان الأحكام العرفية، وهنا أقرر أن التنظيم رغم اعتقال عدد غير قليل من أعضائه والمرشحين للعضوية قد قام بأعمال كثيرة للمحافظة على استمرار العمل السياسى السرى جماهيريا وتنظيميا، كما كان للتنظيم دور كبير فى تنظيم العائلات من زوجات وأمهات وأخوات وبعض آباء المعتقلين وتوجيههم للضغط على المسئولين فى الحكومة من أجل تحسين ظروف المعتقلين فى الداخل من حيث الغذاء والتصريح بالصحف والمجلات والكتب والأوراق والأقلام وحضور الطلبة للامتحانات فى آخر العام وزيارات العائلات المفتوحة للمعتقلين فى هاكستب، وكل ذلك مع وضع مطلب الإفراج عن المعتقلين فى المقدمة. وأذكر أن للمعتقلين الشيوعيين فى هاكستب فى الفترة الأولى قد أضربوا عن الطعام من أجل المطالبة بأن تصرف الحكومة مبلغا شهريا لأسرة كل معتقل تحت اسم (كفالة العائلات) وقامت العائلات بتنظيم المظاهرات التى طافت بدواوين الحكومة ودور الصحف حتى استجابت الحكومة وصرفت كفالة عائلات مبلغ سبعة جنيهات لأسرة كل معتقل، وكذلك علبة بها عشره سجاير يوميا لكل معتقل.

وعندما دخلت المعتقل وجدت الحديث العلنى والمناقشات والندوات عن الماركسية والشيوعية، كما لاحظت أن الشيوعيين المعتقلين مقسمون إلى عدة فرق، تدعى كل منها أنها الوحيدة الثورية والوحيدة التى تملك الخط السياسى السليم والخالى من الانحرافات، ومن أبرز التنظيمات التى انقسمت على الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) فى تلك الفترة منظمة العمالية الثورية (ع . ث) التى اتهمت قيادة حدتو بالانحراف إلى خط القوات الديمقراطية، وهنا تجدر الإشارة إلى أن تنظيم طليعة العمال كان متهما بالانحراف النقابى، وأقرر هنا أن جميع المعتقلين من تنظيمنا كانوا من العمال فيما عدا يوسف درويش، وأقرر أيضا أن دراستنا جميعاً للنظرية الماركسية وأدبياتها كانت قليلة، ولهذا حرصنا على الانتفاع بفترة وجودنا مع عدد من المثقفين المصريين الماركسيين للحصول على أكبر قدر من المعلومات فى هذا المجال،

وقد أقيمت في المعتقل مدارس كادر كنا جميعا نحرص على حضورها كمتلقين، بينما كان المحاضرون غالبيتهم من منظمة (ع . ث) الذين كان كثير منهم معيدون في الكليات الجامعية والذين استطاعوا أن يترجموا كثيرا من الكتب التي كانت تدرس في مدارس الكادر من الإنجليزية أو الفرنسية إلى العربية، وأقرر أننا جميعا نحن العمال قد خرجنا بحصيلة نظرية ماركسية لم يكن من السهل الحصول عليها لولا فترة المعتقل التي كانت توفر الوقت الكافي لذلك.

في المعتقل كانت تطبق أنظمة جماعية في المعيشة هي الحياة العامة التي كانت على درجتين، الأولى تخص جميع المعتقلين ما عدا الشراذم (الذين يرفضون الاشتراك في المنظمات الموجودة في المعتقل) والمشبوهين المتهمين بالاتصال بالبوليس السياسي، حيث كانت لجنة الحياة العامة المنتخبة من المعتقلين بطريقة ديمقراطية هي التي تقوم بالاتصال بالإدارة واستلام الطعام من المتعهد وتنظيم عمليات طهيه وتوزيعه وتوزيع أعمال الخدمات العامة وخاصة خدمة الطبخ وإعداد الطعام وغسيل الأواني، كما كانت لجنة الحياة العامة تقوم بتنظيم وقت المعتقلين ابتداء من طابور الرياضة في الصباح وتحديد أوقات الطعام وقراءة الصحف بصورة جماعية وحتى أوقات النوم.

وأما الدرجة الثانية من الحياة العامة فكانت داخلية تخص كل مجموعة أو تنظيم وفق ما يقرره أعضاؤه، وكنا نحن مجموعة عمال شبرا الخيمة نعيش عيشة جماعية ١٠٠ ٪، بمعنى أننا انتخبنا أمينا للصندوق كانت تسلم إليه كل الطرود من ملابس ومأكولات وتوضع النقود تحت تصرفه ليصرف منها حسب حاجة كل زميل وبموافقة الجميع.

وبالنسبة لوجود عدد من المنظمات، ولرغبة القواعد في تحقيق وحدة حقيقية بين كل التنظيمات ينتج عنها حزب حقيقي للطبقة العاملة المصرية فقد تكونت لجنة للتنسيق بين المنظمات، وكان بها ممثل أو أكثر من كل تنظيم، وكانت هذه اللجنة تتفق على تحديد نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف السياسي، وكانت تقدم تقارير بنقاط الاتفاق لمناقشتها ودراستها وتعميق فهمها، كما كانت تنزل تقارير عن نقاط الاختلاف ورأي كل تنظيم فيها، حيث تناقش جميعها في المجموعات، وتعد الردود المكتوبة

عليها، وكان الصراع الأيديولوجى يدور بطريقة ناصحة حسب رأيى، وأعتقد أن الآفة الأساسية فى عدم إتمام الوحدة بين الشيوعيين المصريين تكمن فى القيادات، التى كانت تحرص على الحفاظ على مراكزها الزعامية وبطريقة فيها التعالى المدمر.

وأستطيع أن أقرر أن بعض من دخلوا المعتقلات ولم يكونوا يعرفون شيئًا عن الاشتراكية والشيوعية قد خرجوا منها وهم مؤمنون بأن تحقيق الاشتراكية هو السبيل الوحيد لإلغاء الظلم الاجتماعى والقضاء على استغلال الإنسان للإنسان، وفوق ذلك الإيمان بإمكانية بل وحتمية تحقيق الاشتراكية.

ولاشك عندى أنه قتنظيم المعيشة من داخل الحياة العامة وشغل أوقات الفراغ والدراسة والتثقيف الذى أدى إلى زيادة الوعى بالأهداف التى من أجلها دخلوا المعتقل، والوعى بتحديد العدو الطبقى المسئول عما يتعرضون له من مآسى هم وأسرهم، كل ذلك قد ساعد على رفع الروح المعنوية للمعتقلين، وساعد على محافظتهم على صحتهم رغم قسوة الظروف خاصة فى فترة المعتقل وتماسكهم نفسيا.

وعندما تقرر غلق المعتقلات والإفراج عن جميع المعتقلين وحاول فؤاد سراج الذى كان وزيرا للداخلية وقتئذ أن يؤخر الإفراج عن مجموعة من العمال، وأشيع أنه سينقلنا إلى معتقل فى الوادى الجديد، شددت العائلات فى تأييدها لتحركنا فى الداخل حتى تم الإفراج عنا جميعا ولم يضعف منا أحد، وعندما عرض علينا ضباط البوليس السياسى التوقيع على تعهد بعدم الاشتغال بالسياسة رفضنا جميعا، وخرجنا من المعتقل أكثر وعيا وأكثر فهما وأكثر ثقافة وأكثر استعدادا للتضحية عن يوم دخولنا المعتقل.

الانتقال إلى الصعيد:

صدر قرار من الحكومة بعد سقوط وزارة إبراهيم عبدالهادى فى ١٩٤٩ بصرف مرتبات جميع الموظفين الذين اعتقلوا من جهات عملهم، وصرفت أسرتى فعلا نصف مرتب مدة الاعتقال قبل الإفراج عنى، وصرفت أنا الباقى بعد ذلك، وكانت أسرتى تصرف فى نفس الوقت كفالة العائلات للمعتقلين، واستلمت عملى مدرسًا بمدرسة رقى المعارف الابتدائية بجزيرة بدران بشبرا، ثم عينت فى نفس السنة ١٩٥٠ مدرسًا للنسيج بمدرسة طما الابتدائية للصناعات بسوهاج، وكان من الطبيعى أن ينتقل عملى الحزبى إلى أقرب قيادة لمكان عملى والتى كانت فى المنيا.

وهنا أذكر واقعة أراها مهمة وهى أن التنظيم قد عرض علىّ الاحتراف قبل سفرى إلى الصعيد، ولم أقتنع بمبررات الاحتراف، خاصة وأننى قد اختفيت فى إجازة المدارس الصيفية مدة شهرين فى منزل بمصر القديمة قبل تقديم استقالتى من العمل المهنى ووجدت أننى لم أقدم للتنظيم خلال تلك الفترة حتى نصف ما كنت أقدمه وأنا غير محترف، ولم يصرف لى التنظيم مليما واحدا لأنى كنت أصرف مرتبى من المدرسة، وأخبرت التنظيم أننى سوف أخرج إلى العلنية وبمذكرة شرحت فيها أسباب رفضى للاحتراف والاختفاء والمعيشة تحت الأرض، فتقرر فصلى من التنظيم، ثم عدّل القرار إلى تنزيلى إلى مرشح، وقد أبلغنى بالقرار أحمد رشدى صالح بعد مناقشات وبعد محاضرة طويلة ألقاها علىّ عن عدم إيمانى بقضية الطبقة العاملة، وسافرت وأنا مرشح إلى طما ثم جاءنى لويس إسحق ليبلغنى بأن التنظيم قد أعاد النظر فى القرار وقرر تنزيلى إلى عضو وأننى أصبحت تابعاً لمنطقة المنيا، وكنت قد التقيت بلويس قبل ذلك أكثر من مرة فى اجتماعات حزبية، ولكن بالأسماء المستعارة ولم أعرف شخصيته الحقيقية أو يعرف شخصيتى إلا بعد أن اضطرتنا ظروف العمل الحزبى والاتصالات السياسية إلى ذلك، ويهمنى بهذه المناسبة أن أذكر أننى كلفت بالمسئولية السياسية عن التنظيم فى المعتقل حتى الإفراج عنا.

وفى فترة وجودى فى طما قمت بأعمال سياسية منها الاشتراك فى تنظيم مظاهرة وطنية تقدمها القس وأئمة المساجد ومفتى الوعظ الإسلامى وكل قوة بوليس المركز برئاسة المأمور الوطنى أحمد عبدالباقى جردة وذلك بمناسبة اعتداء الإنجليز على محافظة الإسماعيلية، وبجوار العمل الحزبى بدأت فى تكوين مجموعات من المرشحين لعضوية التنظيم منهم مجموعة حرفى نجار كان معروفا باسم على الأعور وثلاثة من طلبة المدرسة الصناعية واثنين من طلبة المدرسة الثانوية وأحد الفلاحين الذى كان قد دخل الأزهر ولم يكمل تعليمه فيه، كما توليت مسئولية مجموعة من طلبة مدرسة الأمريكان بأسيوط.

وفى المنيا قمنا بعمل مطبعة بالوظة بدائية طبعنا عليها عددا من المنشورات وأعدنا كتابة وطبع عدد من المقالات الهامة التى كانت ترد فى نشرة كفاح الشعب ونقوم بتوزيعها على الأعضاء والمرشحين والعاطفين، وترتب على ذلك قرار من التنظيم بتصعيدى إلى عضو لجنة منطقة المنيا، كما امتد النشاط إلى جمعية الشبان المسلمين

وجمعية الشبان المسيحيين وبعض القرى التي تكونت بها مجموعات مرشحين والتي غالبا ما كانت تعقد اجتماعات لجنة المنطقة في مزارعها وحدائقها.

وذات صباح حضر إلى المدرسة مأمور مركز طما (أحمد عبدالباقي جودة) وطلبني للتحدث على انفراد في أمر هام ودون أن يشعر أحد ممن بالمدرسة، وأخبرني أنه قد جاءت إشارة من مباحث المديرية في سوهاج بأن هناك شخصاً اسمه سعد طه عضو في تنظيم شيوعي وطلبوا مني تفتيشه وتفتيش مسكنه والقبض عليه وأنه - المأمور - كان رئيساً لقسم البوليس السياسي في كفر الدوار ويعلم عني وعن نشاطي الكثير سواء النشاط العمالي أو الشيوعي، كما يعلم أنني المقصود بالإشارة الواردة من المديرية، ولكنه مستعد أن يساعدني ويحميني إذا تصرفت معه كرجل.

وسادت فترة صمت ظننت فيها أنه يساومني لأعمل معه مرشداً خاصة وأن العمل في نادي المدرسين بالمدرسة الثانوية الذي ساهمت في إنشائه كان قد اتسع نشاطه وأصدر عندنا من مجلات الحائط، ولعل المأمور قرأ ما يدور في ذهني فقال لي:

لاتذهب بعيدا، فأنا أعرفك جيدا، ولن أقدم على أن أطلب منك ما يدور في ذهنك، ويهمني أن أعرفك أنني نقلت من كفر الدوار إلى طما عقابا لي لأني كنت منحازا إلى حقوق العمال المعقولة، وغير المغالي فيها، والآن أطلب منك أن تذهب إلى بيتك فوراً، وتقوم بتفتيشه جيدا والتخلص من كل ورقة تتصل بالنشاط الشيوعي أو حتى العمالي، ومن ناحيتي فسوف أكتب تقريرا بأنه لا يوجد في طما شخص بهذا الاسم وأن الاسم القريب من ذلك هو طه سعد المدرس بمدرسة الصناعات وقد قمت بتفتيش منزله ومكتبه في المدرسة وفتشته ذاتيا ولم أعثر على أي شيء يتصل بالنشاط الشيوعي.

ثم التفت إلي مبتسماً وقال: اسمع يا شين شين، حذار لو جاءت لجنة من المديرية وقامت بتفتيش منزلك أن تجد فيه قصاصة تخالف ما سأكتبه في التقرير لأن ذلك سوف يضرني، ودفاعا عن نفسي سوف أضرك كثيراً، وعليك أن تأتي إلي في المساء لكي تعطيني تماما، طبعاً أنت مستغرب شين شين يعني إيه؟ يعني شئون شيوعية.

وفي المساء أعطيته التمام بنظافة منزلي، فأخبرني أن طالبا اسمه نبيل صبحي قد قبض عليه في سوهاج ومعه أوراق شيوعية وأنه وجدت في جيبه نوتة بها اسم سعد طه وفي صفحة أخرى كلمة طما سوهاج والحمد لله انتهى الموضوع.

وعندما اتسع العمل الحزبى فى بنى سويف وتكونت منطقة بمسئولية المرحوم محمد شبل إسماعيل حماد، انتقل عملى الحزبى إليها عندما نقلت إلى مدرسة الفيوم الثانوية الصناعية، إلى أن تكون قسم للتنظيم فى الفيوم تابع لمنطقة بنى سويف.

حريق القاهرة:

اتسع نطاق الحركة الوطنية بعد مجىء وزارة الوفد إلى الحكم فى ١٩٥٠ بعد سقوط وزارات حكم الأقلية، وتشكلت لجنة وطنية عامة فى القاهرة بعد أن تشكلت لجنة تحضيرية ولجان فرعية فى المصانع والمدارس والأحياء، واتسع نشاطها الذى كان له دور كبير فى إجبار وزارة الوفد على إلغاء معاهدة ١٩٣٦، واتخاذ قرارات تشغيل العمال الذين تركوا العمل فى معسكرات الجيش البريطانى فى منطقة القنال، وتشكلت لجنة وطنية فى المنيا كان مقرها جمعية الشبان المسيحيين، كما تشكلت لجنة وطنية فى طما كان مقرها نادى المعلمين بالمدرسة الثانوية وكان لى دور فيها.

وعندما أعلن عن حريق القاهرة وإعلان الأحكام العرفية وإقالة وزارة مصطفى النحاس الوفدية، بادرت بالذهاب إلى المنيا حيث عقد اجتماع طارىء للجنة المنطقة لدراسة الموقف، وأبلغت فى هذا الاجتماع بتكليفى بالذهاب إلى شبرا الخيمة والاتصال ببعض أعضاء التنظيم الذين حددوا بالاسم كما أبلغت بطريقة الاتصال بهم لجمع شمل التنظيم فى شبرا الخيمة بعد القبض على بعض القادة وهروب البعض وتمكنت بمساعدة ومساهمة كل الرفاق الذين بالمنطقة من عقد كونفرنس فى قرية بيجام، واستمر الاجتماع من الثامنة صباحاً حتى الثامنة مساء، وانتخبت فى الاجتماع لجنة منطقة جديدة وأقرت خطة العمل ووزعت التكليفات وتقرر عقد اجتماع شهرى للجنة المنطقة، وبعد انتهاء الاجتماع وقبل انصرافنا، جاءنى عامل عادى - ليس عضوا فى التنظيم - ليخبرنى بأن حملة من قوات المطاردة البوليسية تستعد للتوجه من شبرا البلد إلى بيجام للقبض على الشيوعيين المجتمعين فيها، فأسرعنا بالتفرق وانصرف أبناء بيجام إلى منازلهم والباقون وكنت منهم اختبأنا فى الحقول حتى مرت الحملة وعادت إلى شبرا البلد، وعلمت أن الذى انتخبناه مسئولا للمنطقة قد قابل الحملة عند أول بيجام وتبادل مع قائدها كلمات قليلة لم تسمع ثم عادت بعدها الحملة إلى شبرا البلد، ولم

يخطر ببالى أو يبال أحد من الزملاء، فى الاجتماع التالى أن يكون (ز- ن) أكثر الحاضرين حماساً وأكثرهم نشاطاً هو مرشد يعمل مع البوليس السياسى إلى أن اتكشف أمره بعد شهور بعد أن سلم قضية حكم فيها على عبدالتواب حسن عثمان بالسجن خمس سنوات وكان هو الوحيد المتهم فى قضية حمل وتوزيع منشورات ضد الملكية والمناداة بالجمهورية كنظام لحكم مصر، وذلك لأن احتياطات الأمان التى كان يتبعها التنظيم قد ساعدت على عدم القبض على الذين كانوا من المفروض أن يتسلموا المنشور الذى أعد بمناسبة عيد جلوس الملك.

قيام حركة الجيش:

عندما قامت حركة الجيش، فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، كنت فى قريتى الكرم الأحمر بنى سويف مع والدتى التى كانت فى أيامها الأخيرة، وجاءنى أهل القرية منذ الثامنة صباحا يهنئوننى بهذا الحدث المفرح وخاصة المثقفين من مدرسين وطلبة جامعة وموظفين. وبعد طرد الملك بدأ الحديث عن الإصلاح الزراعى وتحديد الملكية وتوزيع الأرض على الفلاحين، وهى موضوعات كنا قد ناقشناها من قبل كثيرا خصوصاً بعد صدور وتوزيع برنامج لجنة العمال للتحرير القومى وبيان اللجنة الذى كنت أحد الموقعين عليه كلجنة تأسيسية وكان هناك رأيان:

الأول يعتبرها حركة وطنية يجب تأييدها خاصة بعد طرد الملك، والرأى الآخر قال إنه انقلاب عسكرى ولا يمكن لحكم عسكرى أن يكون فى صالح جماهير الشعب أو أن يسمح بإقامة ديمقراطية كاملة، وقررنا رفع الرأيين إلى قيادة التنظيم فى القاهرة وانتظار القرار النهائى بالرأى الحزبى الملزم وكلفت من التنظيم بعد ذلك بالإقامة الدائمة فى شبرا الخيمة طوال فترة الإجازة المدرسية وحتى آخر سبتمبر حيث كانت الدراسة تبدأ فى أوائل أكتوبر من كل عام، وساعد على تغطيتى وعدم انتباه البوليس السياسى لى ولما كنت أقوم به من نشاط عاملان، الأول أننى فى بداية المدة كنت أعمل مصححا فى كنترول دبلوم المدارس الصناعية فى الصباح، وفى المساء كان النشاط السياسى مع الحرص الشديد فى الأمان، والثانى هو عملى فى الفترة اللاحقة لانتهاء التصحيح فى أحد مصانع النسيج كميكانيكى نسيج بأجر؛ حيث كنت أقوم

بتركيب وتشغيل وصيانة الأنوال، وهنا لابد من أن أعترف بالمساعدة الكبيرة التى قدمها لى وللتنظيم المرحوم حسن عامر الذى كان من أنشط مندوبى العمال فى مصنع سباهى ١ ثم فصل وطورد، ثم افتتح مصنعا صغيراً بمنطقة سوق الأحد بأرض نوبار بشبرا الخيمة، فقد عيننى عنده فى البداية كميكانيكى نسيج، ولما علم أن البوليس السياسى قد اكتشف أمرى وأنه يراقبنى- أى البوليس السياسى - ودفع بأحد مرشديه ليعمل فى مصنع مجاور ومهمة أساسية هى مراقبتى والكشف عن اتصالاتى، فتفاهم حسن عامر معى ومع بعض الزملاء وقررنا أن أترك المصنع بعد أن أوجد لى عملا آخر لم يعلم البوليس السياسى عنه إلى أن غادرت القاهرة.

وعندما سافرت إلى عملى فى طما فى أول أكتوبر ١٩٥٢، كان قد أفرج عن عدد كبير من الزملاء المعتقلين من عمال شبرا الخيمة، سلمتهم العمل السياسى بها وعدت إلى العمل فى منطقة الصعيد بالمنيا.

كان التنظيم قد أصدر قراره بتأييد حركة الجيش خاصة بعد طرد الملك فاروق، والإعلان عن الإصلاحات وأهمها قانون الإصلاح الزراعى وتوزيع الأرض على الفلاحين، ثم حدثت بعد ذلك أحداث ثلاثة غيرت موقف التنظيم من حركة الجيش التى لم تكن قد سميت ثورة بعد.

أول تلك الأحداث الاجتماع الذى عقده عمال شبرا الخيمة على قهوة عوف بشبرا انبابة بإعداد وتوجيه من طليعة العمال، وقد اتخذ العمال فى هذا الاجتماع الذى تحول بالفعل إلى مؤتمر سياسى، عدة قرارات، منها تأييد حركة الجيش ومطالبة الضباط الأحرار بتحقيق المطالب الشعبية، وكان للإفراج عن بعض العمال الذين اعتقلوا عقب حريق القاهرة وظهورهم فى المؤتمر مع من كانوا قد اختفوا عقب إعلان الأحكام العرفية لكى لا يقبض عليهم، كان لذلك أثره فى حماس العمال ونجاح المؤتمر الذى انفض عن تشكيل لجنة لصياغة البيان الذى سيرسل إلى قيادة حركة الجيش والتوقيع عليه باسم العمال، وبعد انصراف عدد من الحاضرين، هاجم البوليس المؤتمر الذى شمل قهوة عوف وما حولها من فراغات وقبض على عشرة من العمال وهم:

محمد عبد المجيد أبو سيف - أحمد على يوسف - محمد إبراهيم - سيد الجندى - على العدل - محمد أبو حشيش - أمين الغندور - عبدالرحمن رضوان - صادق المهدى - زين أحمد زين.

كما قبض على اثنين من منزليهما لأنهما لم يحضرا المؤتمر وهما محمد عبدالغفار وعلى حسن زكى، وقدم الجميع للنيابة للتحقيق ثم للمحكمة، وقدم العمال في بداية التحقيق إلى النيابة مسودة البيان الذى أعدوه لإرساله لمجلس قيادة حركة الجيش ولكن وكيل النيابة رفض إثباته وقال إنه يحقق فقط في قضية شيوعية، ثم واجه وكيل النيابة المقبوض عليهم بعدد من مطبوعات تنظيم الراية (الحزب الشيوعي المصرى) واتهمهم بأنهم كانوا يوزعونها في المؤتمر، ولما أنكروا اتهم عبدالرحمن بحيازتها ولهذا حكمت عليه المحكمة بالسجن خمس سنوات وبراءة الباقين، وبعد النطق بالحكم هتف صادق المهدى بسقوط المحكمة العسكرية فحكم عليه بالحبس شهرا، وهنا أقرر أن جميع المقبوض عليهم كانوا أعضاء أو مرشحين في منظمة طليعة العمال ولم يكن أى واحد منهم على صلة بتنظيم الراية الذى اتهموا بتوزيع مطبوعاته السرية.

أما الحادثة الثانية فكانت مظاهرات العمال السلمية في كفر الدوار والتى هتفوا فيها ضد إدارة الشركة وبمطالبهم وأيضا بتأييد حركة الجيش وحياة محمد نجيب، ثم كان ما قوبل به العمال من قوات الجيش من عنف وقسوة وقتل، وأخيرا تلك المحاكمة الظالمة بل الصورية التى حكم فيها بالإعدام على الشهيدين مصطفى خميس ومحمد البقرى كما حكم على عدد كبير من العمال بالأشغال الشاقة والسجن والحبس، مع ما صاحب ذلك من حملة إعلامية شرسة وظالمة ليست موجهة إلى عمال كفر الدوار فحسب، بل إلى الطبقة العاملة كلها بالتهديد والإنذار بل وامتد شرر التنكيل إلى عمال الإسكندرية الذين حوكم من عمال النسيج منهم عدد حكم عليهم بالسجن والغرامة، وقد أصدر التنظيم منشورا مركزيا ضد إجراءات القمع لعمال كفر الدوار، وقد ساعدت هذه الأحداث بالإضافة إلى بروز سيطرة الإخوان المسلمين ودورهم الفعال فيها على رجحان كفة الاتجاه الذى كان يقول في داخل التنظيم، إن ما حدث في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إنما هو انقلاب عسكرى وليس حركة وطنية ديمقراطية وشعبية واتخذ قرار بالمناداة بإسقاط الدكتاتورية العسكرية.

وعندما تقرر عقد اجتماع في نادى المعلمين بالجزيرة لتأييد حركة الجيش على أن يحضره أنور السادات ممثلاً لقيادة الجيش، درس التنظيم الأمر بصفة عاجلة وأصدر توجيهاته إلى أعضائه ومرشحيه بالحديث في المؤتمر في موضوعين رئيسيين، وهما المطالب العمالية والحريات العامة والنقابية، ثم الدفاع عن عمال كفر الدوار ومعارضة توجيه تهمة التخريب والإتلاف إلى العمال، مع المطالبة بالبحث عن المجرمين الحقيقيين الذين دبروا الأحداث من بين الرجعيين، وكانت أصابع اتهام جماهير العمال تشير إلى حافظ عفيفي باشا رئيس الديوان الملكي وابنه الذي كان يعمل موظفاً بشركة مصر للغزل والنسيج الرفيع بكفر الدوار والتي وقعت فيها الأحداث باعتبارهما المدبرين الحقيقيين والأصليين لأحداث القتل والتخريب.

وفي هذه الفترة أيضاً صدر التقرير السياسي الذي قدمه المكتب السياسي للمنظمة إلى اللجنة المركزية - مارس ١٩٥٤ - وفي الجزء الخاص بالوضع المحلى من هذا التقرير الشامل ذكر (أن هذا يوضح طبيعة الوطنية الزائفة التي تدعيها العصابة العسكرية الحاكمة، كما يوضح استعدادها المستمر لتسليم بلادنا إلى المعسكر الأنجلو أمريكي، وهذا هو الخطر الداهم الذي يهدد سلامة شعبنا وحياته من جراء الحكم العسكري الذي يحظى أساساً بتأييد الاستعمار الأمريكي) وانتهى التقرير إلى أهداف ثلاثة هي:

- إعلان الحياد وتحقيق الجلاء بلا شرط والقضاء على النفوذ الأمريكي.

- إلغاء الحكم العرفي والإفراج عن المعتقلين والمسجونين السياسيين وإطلاق الحريات السياسية والنقابية.

- إسقاط الحكومة العسكرية وتشكيل حكومة ائتلافية برئاسة الوفد لإجراء انتخابات حرة لإقامة حكم نيابي جمهوري ديمقراطي.

وأما القوة الرئيسية كما وردت في التقرير السياسي فهي الطبقة العاملة والبرجوازية الوطنية، والاحتياطي المباشر من جميع الطبقات والأحزاب المعادية للنظام الراهن على النطاق المحلي ونضال جميع الشعوب المحبة للسلام والمناضلة ضد الاستعمار وذلك على النطاق العالمي، وأما الاحتياطي غير المباشر فهو الخلافات المتزايدة بين

الاستعماريين الأمريكي والبريطاني في داخل حركة الجيش، أما الخط التنظيمي لتحقيق ذلك فهو تحالف الطبقة العاملة موحدة صفوفها حول برنامج وطني ديمقراطي في تنظيم سياسي مع الوفد، وتحالفها أيضا مع جميع القوات المعادية للاستعمار والحكم العسكري.

وحتى مؤتمر باندونج كان موقف المنظمة من حركة الجيش هو العداء الشديد ووصفها بأنها عصابة عسكرية قد شنقت خميس والبقرى غداة وصولها للحكم، فإرادة سفك الدماء ونشر لواء الإرهاب الحالك هي طبيعة السياسة الفاشية وهي تطور طبيعي للحكم الذي أقامته في بلادنا الاستعمارية الأمريكية، وكان الشعار الذي يتصدر مجلات التنظيم ونشراته السرية (من أجل بناء الحزب. والتخلص من الحكم العسكري الفاشي).

وقد ركزت المنظمة على الجبهة المتحدة وأساساً مع الجماهير الوفدية باعتبارها سبيل الإنقاذ من الفاشية، ولهذا دعت المنظمة إلى تكوين لجنة للجبهة المتحدة في كل مصنع وكل حي وكل مدرسة، وكانت الشعارات المترددة بكثرة (تسقط حكومة الفاشية والحرب - تحيا الجبهة المتحدة).

ولا أريد هنا أن أتحدث عن موقف التنظيم من جميع القضايا الرئيسية التي كانت مثارة على الساحة المصرية والتي كانت محل جدل واختلاف في التحليل بين المواطنين بل وبين الماركسيين بعضهم وبعض ومنها السياسة الدولية والموقف من المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي - حركة التحرر العالمية عامة والعربية خاصة - القضية الوطنية المصرية وكيفية معالجتها - الموقف من السودان والوحدة وحق تقرير المصير - قضية فلسطين والموقف من الصهيونية - وحدة الحركة الشيوعية المصرية وأسلوب تحقيقها - العمل الحزبي الداخلي والنقد والنقد الذاتي - الكفاح السياسي والكفاح النقابي والعلاقة بينهما - المقومات الفكرية والنظرية للمنظمة - الموقف من الوفد - المركزية الديمقراطية وتطبيقاتها الصحيحة.

الانتقال إلى الفيوم:

نقلت إلى مدرسة الفيوم الثانوية الصناعية في نوفمبر ١٩٥٤، ونقلت بالتالي علاقتي التنظيمية المباشرة إلى لجنة التنظيم في بني سويف، والتي كان مسئولها

المرحوم محمد شبل إسماعيل حماد مدرسا بالثانوى وصاحب معهد ليلى للتعليم ببنى سويف وأذكر فى هذه الفترة أن التنظيم قد أبلغنا من القاهرة بأن مسئول الاتصال الذى كان يتولى توصيل البوسطة من القاهرة إلى بنى سويف وبالعكس مشكوك فى اتصاله بالبوليس وله تصرفات مريبة، وطلبوا التحرى الدقيق لمعرفة الحقيقة، ولم يستغرق الأمر وقتا طويلا حتى تأكدنا من اتصاله بأحد ضباط المباحث العامة ببنى سويف عن طريق أحد المرشدين كوسيط، واتخذنا إجراءات عزله بهدوء ودون أن يشعر، ولزيادة التأكيد أخبرته بعد حضورى أحد الاجتماعات بأننى سوف أحمل البوسطة الخاصة بالفيوم وأسافر بها فى سيارة الأتوبيس التى تغادر بنى سويف فى الساعة الخامسة مساء، وأخذت منه البوسطة رزجرته ألا يحضر إلى السيارة حتى لايشك فيه أحد، ولم يكن أحد من أعضاء لجنة المنطقة يعلم شيئاً عن ذلك إلا الزميل الذى سلمته البوسطة ليوصلها للفيوم بطريقة أخرى بعد يومين.

وقبل قيام السيارة بخمس دقائق صعدت إليها وفى يدى سبت به بعض الفاكهة ومغطى جيداً بحيث لا يظهر ما بداخله، ولمحت هذا الجاسوس عن بعد ومعه اثنان من الأفندية أشار لهما على فتظاهرت بأننى لم أرهم، وصعد الأفنديان إلى السيارة وبعد تحركها بربع ساعة وقفت. ووجدت أمامها سيارة بوكس «بوليس» نزل منها ثمانية أفراد دخلوا السيارة وقاموا بتفتيش كل من فيها ظاهريا وشبه صورى، أما أنا فقد قاموا معى بتفتيش دقيق جداً وعندما أرادوا تفتيشى ذاتيا اعترضت فأخرج أحدهم كرنيه البوليس ثم أعادوا البحث والتفتيش مع كل المجاورين لى من الركاب، وفتشوا السائق والمحصل وسألوا السائق إن كان أحد قد أخذ لفة ورق ونزل قبل قيام السيارة فأجاب بأنه لم ير أحداً يحمل أوراقاً، ثم نزلوا جميعاً من سيارة الأتوبيس وعادوا بالبوكس إلى بنى سويف بينما استمر الأتوبيس فى سيره للفيوم.

كان السائق يعرفنى عن طريق ترددى على مقر مؤتمر نقابات عمال الفيوم الذى كان رئيسه المرحوم محمود أمين على رئيس النقابة العامة لعمال النقل الميكانيكى، وهمس السائق فى أذنى قبل أن أنزل من السيارة فى الفيوم بأن أقابله فى مساء مثل

هذا اليوم من الأسبوع القادم عند محمود أمين فى دار مؤتمر العمال، وفى الموعد المحدد أخبرنى بأنه قد وصلت إلى المباحث إخبارية عن طريق شخص من بنى سويف بأننى سوف أحمل أوراقاً شيوعية إلى الفيوم، وطلب منى بنصح حنون زمالى أن «أمدى اللعب شوية».

التحول إلى تأييد ثورة ٢٣ يوليو:

عندما تمت صفقة الأسلحة التشيكية لمصر عام ١٩٥٥ وبعد حضور عبدالناصر من مؤتمر باندونج وبروزه كمناصر لحركات التحرر الوطنى ومعادٍ للاستعمار العالمى، بدأ تنظيم طليعة العمال يغير من خطه وموقفه واتجاهه من عبدالناصر الذى كان قد أصبح وقتئذ هو كل شيء فى السلطة، ولم يكن أحد يذكر حركة الجيش ولا مجلس قيادة الثورة.

عندئذ بدأ التغيير الذى اتضح فى قرارات اللجنة المركزية لطليعة العمال فى اجتماع مايو ١٩٥٥ والتى كانت بدايتها تأييد اللجنة المركزية لقرارات مؤتمر باندونج، وقالت إنها تعتبر انعقاد المؤتمر والقرارات التى توصل إليها، تسجيلا للتغييرات الهامة التى حققتها انتصار الشعوب وتعاظم الحركات التحريرية ضد الاستعمار فى آسيا وأفريقيا، وبهذا المعنى يعتبر المؤتمر وقراراته انتصاراً للشعب المصرى، وأن كفاحنا نحن الشيوعيين جنبا إلى جنب مع جميع الوطنيين الشرفاء لتنفيذ قرارات باندونج هو فى الوقت ذاته كفاح من أجل سلامة بلادنا من خطر الدمار بأسلحة القتل الجماعى، وهو كفاح من أجل تخليص اقتصادنا القومى من قبضة المستعمرين من الإنجليز والأمريكيين وهو كفاح من أجل السيادة القومية ومن أجل التعاون مع جميع الشعوب وتأييد لنا فى النضال ضد الاستعمار العالمى، وأخيراً انتهت قرارات اللجنة المركزية بدعوة المواطنين إلى النضال بدون هوادة من أجل حكم نيابى ديمقراطى على أساس انتخابات حرة تجريها حكومة محايدة.

وقد أحدث هذا التغيير فى موقف التنظيم وتوجهه ضجة فى القواعد ونوقش الموضوع بطريقة ديمقراطية واسعة فى كل مستويات التنظيم، بل وحتى المرشحين اشتركوا فى المناقشة، فلم يكن من السهل الانتقال من موقف العداء السافر والاتهام

للفاشية والدكتاتورية العسكرية المطلوب إسقاطها إلى حتى موقف الملاينة بل والتعاون لمجرد حضور عبدالناصر مؤتمر باندونج، خاصة وأن الأحكام العرفية كانت مازالت قائمة وسيفها مسلط على رقاب أى تحرك عمالى أوشعبى، وكان الزملاء المقيدة حريتهم مازالوا فى السجون يتعرضون لأنواع التعذيب المختلفة وتتعرض عائلاتهم فى الخارج للجوع والتشرد وانتهت المناقشات إلى قرار بتوجيه خطاب إلى رئيس الوزراء الذى كان فى رأيى بداية اتجاه شديد إلى اليمين قذف بالقضية الطبقية إلى الخلف على حساب القضية الوطنية.

توجهت طليعة العمال بهذا الخطاب الشامل إلى رئيس الوزراء فى أواخر عام ١٩٥٥ . وقد أحدث صدوره مناقشات واسعة وحامية فى جميع مستويات المنظمة نظرا للظروف التى كانت قائمة وقت صدوره، وقد اتهم بعض الرفاق وكنت أنا منهم، المكتب السياسى بالانحدار الشديد نحو اليمين، ولكن الأحداث التى وقعت على الساحة المصرية، قوّت من ساعد المتبنين للاتجاه السياسى الجديد للمكتب السياسى.

ومن القراءة المتأنية للخطاب وللبرنامج الذى انتهى به نجد أن جزءا كبيراً من المآخذ التى كانت على الحكومة قد تغيرت مهما كانت درجة التغيير، فرأينا الاتجاه إلى تحسين حالة المعتقلين والمسجونين الشيوعيين فى السجون، ثم بدأت الإفراجات عن المعتقلين، وما إن حل شهر يونيه ١٩٥٦ حتى كانت المعتقلات قد أغلقت والأحكام العرفية ألغيت، وصدر الدستور المؤقت لأول مرة منذ عام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ثم كان العداء السافر للأحلاف العسكرية الاستعمارية وما تبعه من إظهار العداء للاستعمار، مما أدى إلى أن يسحب البنك الدولى تمويله للسد العالى، الأمر الذى تطور إلى تأميم عبدالناصر لقناة السويس والعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، وهنا كان اتجاه التنظيم إلى الوقوف مع جمال عبدالناصر وحكومته ووضعه فى الصف الأول من أعداء الاستعمار، ولم يكن ذلك الاتجاه معتدلا، بل كان منحدراً بشدة أدت إلى جعل الغلبة الكلية للفكر والعمل للقضية الوطنية، وإهمال القضية الطبقية إلى حد التلاشى، وغطى الانبهار بالإنجازات الوطنية على كل شىء وكان ذلك موقف الغالبية العظمى من أعضاء التنظيم حتى فى القواعد.

العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦

في ١٨ يونيه ١٩٥٦ بدأت مرحلة جديدة بهرت الجميع بإنجازاتها الوطنية، وعلى نطاق التنظيم كله، كان الاتجاه الساحق لتغليب القضية الوطنية، وما إن أعلن عبدالناصر في ٢٦ يوليه ١٩٥٦، تأميم قناة السويس وجعلها شركة مساهمة مصرية ثم إعلان الطريقة التي تم بها تنفيذ التأميم وإفشال مؤامرة سحب المرشدين الأجانب والتهديدات الاستعمارية، ثم وقوع العدوان فعلا على بورسعيد، حتى صدرت الأوامر من التنظيم بالانخراط في جيش الحرس الوطني، والتدريب على حمل السلاح والتطوع للقيام بكل ما يطلب منهم، وكان التوجيه عاما إلا للأشخاص الذين تقتضي مهامهم الحزبية أن يتواجدوا في أماكنهم لمتابعة سير المعركة من الداخل والنشاط الحزبي كالجهاز الفني وأجهزة الاتصال وغيرها.

في هذه الفترة كنت مدرسًا بمدرسة الفيوم الثانوية الصناعية، وقد دعيت إلى مؤتمر في القاهرة (كونفرنس) حضره ممثلو مناطق الوجه القبلي للتنظيم: أسيوط - سوهاج - المنيا - بني سويف - الفيوم - بحضور عدد من ممثلي المناطق الأخرى واللجنة المركزية، ونوقش في هذا الاجتماع الوضع السياسي بعد تأميم قناة السويس، وتقرر تعبئة كل إمكانيات التنظيم للمعركة القادمة لا محالة بين نظام عبدالناصر والاستعمار العالمي، وذلك بالوقوف بشكل مطلق خلف حكومة جمال عبدالناصر، ولم يكن من الواضح وقتئذ أن يحدث العدوان الاستعماري الصهيوني على مصر بالطريقة والتوسع الذي حدث به على بورسعيد.

وفي الفيوم كنت مسئولا ثقافيا عن (مركز الخدمة الاجتماعية) وهو ناد مسائي له مبنى مستقل داخل أسوار المدرسة، وكان يبدأ العمل فيه من بعد انتهاء الدراسة بساعة واحدة وحتى الحادية عشرة مساء، وفي هذا المركز كان يوجد قسم خاص لاستذكار الطلبة لدروسهم، وقسم لأدوات التسلية (الطاولة والشطرنج) وقسم آخر خاص بالنشاط الثقافي، وهذا القسم الأخير كان هو الحائز على أكبر قدر من جهدي ووقتي، فعن طريق لجنة الثقافة صدر العديد من مجلات الحائط ذات الطابع السياسي والوطني والتي تغفل الاتجاه الطبقي وصدر كتابان لطالبين وبعض المطبوعات والنشرات الوطنية، وكان المركز مزدحما في كل مساء بالطلبة من المدرسة والمدرسة الثانوية

العامة والمدارس الإعدادية رغم أن المدرسة الثانوية والإعدادية للبنين كانت بها مراكز خدمة، ولكن حرية النشاط المختلف والنشاط الرياضى أيضا جذب الطلبة للاشتراك فى مركز خدمة المدرسة الصناعية.

وبعد تأميم قناة السويس ووضوح اتجاه الاستعمار للاعتداء على مصر، قمت بتجنيد كل إمكانيات المركز لخدمة المعركة القادمة وحصر المهام الحاضرة للتنظيم وقتئذ فى الدفاع. لقد كان موقف التنظيم فى ذلك الوقت هو الدفاع عن عبدالناصر وحكومته ، وأعتقد أنه كان تعبيرا عن موقف الشيوعيين عامة وعن طليعة العمال بشكل خاص، رغم أن الشيوعيين المحكوم عليهم ظلوا فى الواحات الخارجة هم والإخوان المسلمون، وفى ظروف معيشة غاية فى القسوة فى معسكر جناح، ورغم أن العريضة التى تقدموا بها إلى جمال عبدالناصر عن طريق السجن ليسمح لهم بشرف الدفاع عن أرض الوطن فى بورسعيد مع استعدادهم للعودة إلى السجن بعد الانتصار على العدوان، ولكن إدارة سجن الواحات قابلت ذلك بالرفض وبمحاولة استفزازهم للاعتداء عليهم، وتم ذلك بعد اتصال إدارة السجن بالمسئولين فى القاهرة.

وقد ساعد على سيادة هذا الخط اليمينى فى طليعة العمال عاملان:

الأول: فرجة الديمقراطية التى سمح بها النظام أثناء العدوان الثلاثى رغم أن عبدالناصر قد أمر بجمع السلاح من الجماهير حتى فى بورسعيد عقب جلاء جنود العدوان مباشرة، ولكن مما لا شك فيه أنه قد سمح وخاصة للمثقفين فى هذه الفترة بحرية الكلام والكتابة.

والثانى: أن عبدالناصر أعلن عن إجراء انتخابات لمجلس نيابى- لأول مرة منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو- الأمر الذى فسر على أنه إقدام على ديمقراطية حقيقية.

الانتخابات البرلمانية ١٩٥٧

رغم أن موقف ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وعبدالناصر بالذات من عدائه للشيوعيين لم يتغير فى جوهره رغم كل الأحداث، ذلك الموقف الذى كانت قمته اعتبار الشيوعية جريمه اجتماعية وليست سياسية، ولهذا لم يسر على المتهمين بها أو المحكوم عليهم

فى قضاياها، ما يسرى على القضايا السياسية، ولهذا ظل الشيوعيون فى السجون ولم يطبق عليهم قرار العفو عن المتهمين بالجرائم السياسية قبل ثورة ١٩٥٢ وظلوا فى السجون والمنافى.

ولكى لا أطيل فإنى أحيل القارىء إلى الكتاب الثانى من (مذكرات ووثائق من تاريخ عمال مصر) عن الطبقة العاملة والانتخابات البرلمانية الذى ألفته ونشرته مكتبة مدبولى عن الانتخابات النيابية التى خاضتها الطبقة العاملة المصرية فى معركتين أثناء الحكم الملكى وسيطرة شبه الإقطاع والرأسمالية، فى أعوام ١٩٤٥ حيث رشح العمال فى دائرة شبرا الخيمة المرحوم فضالى عبدالجيد وفى ١٩٥٠ حيث رشح المرحوم محمد يوسف المدرك، وفى ١٩٥٧ حيث رشح طه سعد عثمان، ولقد فتح باب الترشيح لكل من يريد ترشيح نفسه ما عدا المحرومين من مباشرة حقوقهم السياسية بسبب ثبوت إفسادهم للحكم أثناء النظام الملكى.

صدر قرار بحرمان كل من اعتقل أو سجن منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ من الترشيح أيا كان سبب اعتقاله، وبذلك رفض قبول أوراق عدد كبير من الشيوعيين وخاصة العمال الذين لم يفرج عنهم إلا فى ١٩٥٦.

كما صدر قرار بإعطاء التنظيم السياسى الأوحد الحكومى وهو الاتحاد القومى حق الاعتراض على أى مرشح، ثم ما تلا ذلك من صدور قوائم من وافق الاتحاد القومى على ترشيحهم خالية من الغالبية العظمى من الشيوعيين الذين سبق أن قبلت أوراق ترشيحهم، وبذلك حرموا من استكمال المعركة الانتخابية.

وقد تراكب مع ظروف هذه المعركة ظروف خاصة بالطبقة العاملة المصرية كان من أبرزها الطريقة التى أعلن بها عن تكوين الاتحاد العام لنقابات عمال مصر فى تاريخ ٣٠ يناير ١٩٥٧، ثم صدور القرار الجمهورى الشهير رقم ٨ الذى اشترط أن يكون طالب الترشيح للمراكز القيادية فى أى تنظيم نقابى، عضوا عاملا فى الاتحاد القومى، والاتحاد القومى بدوره - وهو تطور لهيئة التحرير - كان يرفض أن يعطى لأى شيوعى أو تقدمى أو حتى عامل نقابى شريف شهادة يدخل بها معركة الانتخابات النقابية، وبذلك أصبحت مجالس إدارات النقابات العمالية مفروضة

بالتعيين فى شكل انتخابات مزيفة، وكانت المباحث العامة بالتعاون مع إدارات الشركات والرأسماليين هم الذين يضعون قوائم المرشحين لمجالس إدارات النقابات العمالية.

بالنسبة لما قامت به طليعة العمال فى تلك المعركة، فقد تكون مكتب لإدارة المعركة مقره مكتب الأستاذ يوسف درويش المحامى بشارع شامبليون، واشترك فى هذا المكتب عدد من المستقلين الوطنيين والديمقراطيين ومن الضباط الأحرار الذين كانوا خارج السلطة، وقام هذا المكتب بجهد كبير فى الربط بين المرشحين التقدميين فى مختلف الدوائر ومساعدتهم فى دعايتهم الانتخابية، وأصدر المكتب بيانا هاما مطولا بعنوان (ماذا يريد الشعب من ممثليه فى مجلس الأمة) كان يعتبر بحق برنامجا متقدما لتلك المرحلة، كما قامت منظمة طليعة العمال بترشيح عدد من رموز قيادتها فى بعض الدوائر أذكر منهم محمد حلمى يس فى دائرة الحلى بروض الفرج وحسين توفيق طلعت فى دائرة الساحل بشبرا مصر.

وأما بالنسبة لي فقد استدعانى التنظيم من الفيوم وعرض على الترشيح بعد أن رفض قبول أوراق فؤاد عبدالمنعم شحتو عن دائرة شبرا الخيمة، لأنه كان ضمن من اعتقلوا بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ولم أكن مقتنعاً بالترشيح لأنه كانت لدىّ قناعة سياسية بأن عبدالناصر لن يسمح للشيوعيين بالدخول إلى أول مجلس نيابى يصرح به خاصة إذا كانوا من العمال الذين لهم تاريخ فى الكفاح النقابى والسياسى، ولكن تنفيذا لقرار التنظيم حصلت على إجازة من منطقة الفيوم التعليمية وقدمت أوراق ترشيحى، ثم باشرت العمل وفق ما هو مبين فى الكتاب الثانى من مذكرات ووثائق من تاريخ الطبقة العاملة.

ولن أتحدث هنا عن المعركة الانتخابية اكتفاء بما ورد فى الكتاب الثانى ولكن يهمنى أن أذكر بعض الملاحظات:

١ ـ كان رجال عبدالناصر قد صرحوا لعدد من القيادات العمالية المرتبطة بهم، بترشيح أنفسهم فى الانتخابات مع وعد بإنجاحهم، ومن هؤلاء أعضاء بارزون فى مجلس إدارة الاتحاد العام لنقابات عمال مصر، ومنهم أحمد فهيم الذى قدم أوراق ترشيحه فى دائرة شبرا الخيمة، وفى نفس الوقت أعلنت حدتو أن أحمد فهيم هو مرشحها فى الدائرة وشكلت لجنة من أعضائها لإدارة معركته الانتخابية، وبذلك

رشح اثنان من القيادات العمالية والنقابية فى مواجهة بعضهما فى الدائرة، أحمد فهيم عبدالمعطى وخلفه منظمة حدتو، وطه سعد عثمان وخلفه منظمة طليعة العمال.

٢ - حسم الاتحاد القومى حرج جماهير العمال وحرج الشيوعيين والتقدميين فى نفس الوقت باعتراضه على ترشيح طه سعد عثمان والسماح لأحمد فهيم بإتمام المعركة.

٣ - اجتمعت اللجنة الحزبية المكلفة من طليعة العمال بالإشراف على المعركة فى شبرا الخيمة وقررت بالإجماع الاشتراك مع لجنة حدتو فى العمل على تأييد أحمد فهيم.

٤ - بعد سقوط أحمد فهيم ولم يكن له حق الإعادة، اجتمعت اللجنة الانتخابية العامة والتى بها ممثلون لحدتو وطليعة العمال وقررت الوقوف مع الدكتور أحمد شاكر فى مواجهة الشلقانى، وفعلا نجح أحمد شاكر وكانت أول مرة تخرج فيها دائرة شبرا الخيمة من عائلة الشلقانى الذين كان منهم الوفدى ومنهم من هو فى أحزاب الأقلية.

٥ - بتكليف من التنظيم ذهبت إلى سرادق أعد للدعاية للدكتور عبدالعظيم أنيس الذى كانت حدتو قد غضبت عليه فرشحت ضده عبدالعزيز مصطفى من عمال النقل، واعتدى البوليس على السرادق وهدمه وقبض على نحو الأربعين مواطناً ثم أفرج عنا بعد تحقيق النيابة بغير ضمان.

٦ - عدت إلى الفيوم لألحظ أن المباحث العامة بالفيوم التى لم تكن تعرف شيئاً قبل المعركة الانتخابية عن اتصالاتي بالشيوعيين، وجدت أنها قد وضعتنى على رأس قائمة المراقبين لنشاطهم الشيوعي، وقد تأكدت من ذلك عندما نصحنى زميلى مختار المرصفى المدرس بالمدرسة بأن أخفف من اتصالاتى بالشيوعيين أو أقطع صلتى بهم إن أمكن لأنه علم من أخيه المفتش فى وزارة الداخلية أن العيون قد فتحت على وأن الحكومة مقدمة على معركة مع الشيوعيين.

فوجئت بعد ذلك بقرار من المنطقة التعليمية بإلغاء إشرافى على مركز الخدمة وإسناده إلى مدرس اللغة العربية بالمدرسة بدون إبداء الأسباب.

وحدة ٨ يناير ١٩٥٨

لقد أدت بعض المواقف لحركة الجيش من حركة الطبقة العاملة المصرية وأهمها معركة انتخابات ١٩٥٧ ، وطريقة تكوين الاتحاد العام لنقابات عمال مصر بالتعيين، والقرار الجمهوري رقم ٨ والموقف من الشيوعيين المسجونين بالإضافة إلى عمليات اضطهاد وملاحقة العمال النشيطين ومحاربتهم في رزقهم، الأمر الذي بدأ يزداد ويتسع بالإضافة إلى سحب جزء غير قليل من الضوء الديمقراطي الذي وجد أثناء وبعد العدوان الثلاثي على بورسعيد وحتى انتهاء معركة الانتخابات البرلمانية... أدى ذلك كله إلى وقفة مع النفس وإلى أن يراجع عدد كبير من طليعة العمال التي أعلنت تكوين حزب العمال والفلاحين الشيوعي المصري (ع. ف) أدى ذلك إلى أن يراجعوا موقفهم الفكري والنضالي من حركة الجيش، رغم أن الانبهار بانتصارات عبدالناصر السياسية وخاصة على نطاق العداء للاستعمار كان لايزال قائما، وكانت تضاف إليه إضافات ذات مغزى عند الشيوعيين وهي توسيع التعاون بشكل كبير مع المعسكر الاشتراكي وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي.

وفي نفس هذه الفترة لم يكن الانبهار بوطنية عبدالناصر وعدائه للاستعمار قاصراً على الشيوعيين المصريين بشكل عام و (ع. ف) بشكل خاص، وإنما امتد إلى الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية والأوربية، وكانت وحدة منظمات الحركة الشيوعية المصرية محل اهتمام كبير من تلك الأحزاب التي ضغطت لإتمام الوحدة، على اعتبار أن الظروف تلائم تماما قيام تلك الوحدة، وعلى أن تصفى الخلافات في الداخل، وكان على رأس الأحزاب التي ضغطت على المصريين من أجل الوحدة الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الشيوعي الإيطالي.

وقد أثمرت تلك الضغوط بالإضافة إلى الظروف السياسية والوطنية العامة التي كانت تسود الجو المصري، وبدأ بالفعل من يناير ١٩٥٧ تبادل الرسائل بين الحزب الشيوعي المرحد وبين طليعة العمال بخطاب موجه من المكتب السياسي للحزب الشيوعي الموحد إلى اللجنة المركزية والمكتب السياسي لمنظمة طليعة العمال، وكان ذلك رداً على الخطاب المرسل من طليعة العمال بتاريخ ١٩٥٦/١٢/٢١.

كانت لجنة التنسيق من ممثلين للثلاث منظمات الرئيسية التي تحمل اسم الشيوعية في مصر، إلا أن من الواضح من تبادل الوثائق والرسائل أنها كانت بين قيادتين، بينما كانت منظمة الحزب الشيوعي المصري (الراية) لاترد على الرسائل، وقد جاء في آخر الخطاب المرسل من المكتب السياسي لطليعة العمال إلى اللجنة والمكتب السياسي لمنظمة الحزب الشيوعي المصري المرحد بتاريخ ٣٠ يناير ١٩٥٧ حيث جاء في آخره ملحوظة: (مع أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المصري لاترد على خطاباتنا إلا أننا تمشيا مع خطتنا في الوحدة نسلم نسخة من هذا الرد إلى مندوبيهم في لجنة العمال) كانت طليعة العمال تحرص على نشر كل ما يتعلق بالوحدة مع المنظمات الشيوعية المصرية الأخرى في مطبوعاتها السرية. كما كانت تهتم بأن تناقش الرسائل المتبادلة حول الوحدة في جميع المستويات، ونظرا لظروف (البحبحة) الديمقراطية، فقد كانت لجان العمل تناقش ذلك أيضاً مع المنظمات الأخرى، وكان معروفاً أن الوحدة سوف تتم لا محالة ودون استكمال الشروط التي أقنعت طليعة العمال قواعدها بها كشرط لسلام واستمرار الوحدة دون انفجارات.

وعند مناقشة وحدة المنظمات الشيوعية المصرية في منطقة الفيوم لحزب العمال والفلاحين الشيوعي المصري، كان عدد أعضاء (ع. ف) ثمانية عشر عضوا، وبعد مناقشات طويلة ومرهقة في جلسات متعددة تدخل فيها لمحاولة الاقناع بالوحدة المرحوم لويس اسحق الذي أرسلته اللجنة المركزية بصفته مسئول الصعيد، إلا أنه لم يوافق على دخول الوحدة سوى أربعة فقط، هم الذين اندمجوا في حزب ٨ يناير واحترمنا رغبة من قرروا التوقف لأن العمل الحزبي في الأساس عمل تطوعي.

ولاشك عندي أن عدم قبول الأربعة عشر الدخول في الحزب الواحد لا يرجع إلى الخوف أو التراجع أو عدم الإيمان والاقتناع بالمبدأ، وإنما يرجع إلى ما كان ينشر في مطبوعات طليعة العمال عن خيانة المنظمات الأخرى للحركة الشيوعية ولقضية الطبقة العاملة، وعلى سبيل المثال فقط، فقد نشرت مجلة المقاومة الشعبية النصف سرية والتي كانت تصدرها طليعة العمال لتوزع على الأعضاء والمرشحين والعاطفين ثم المكافحين الشرفاء بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٥٤، نشرت نص البيان الذي أصدره بعض قادة حدتو من السجن العسكري الحربي بتأييد الحكم العسكري الفاشي، وقد

وصفت المقاومة الشعبية هذا البيان وإرساله للحكم بأنه خيانة، وكذلك نشرت طليعة العمال استقالة (راشد) من حدتو وطبعتها بخط يده.

فى الغالبية العظمى من المجلات والنشرات كانت تهاجم حدتو، ثم فجأة تنشر محاضر التنسيق ثم يعلن عن إتمام الوحدة، وفى رأيى أن ذلك مبرر كاف لموقف الزملاء الذين طلب بعضهم اتصالات فردية مستمرة مع مسئول من (ع. ف) وأعلن آخرون انسحابهم من العمل إلى حين ومن كل العمل السرى.

وقد ساعد على هذه البلبلة ما كان يتم أثناء الاستعداد لوحدة ٨ يناير، حيث كانت تتم المناقشات بتفاصيلها عن التكوين العضوى للتنظيمات فى صورة شبه علنية على المقاهى وفى الحدائق العامة، وحتى ما كان يتم منها داخل المنازل، كان يتم بدون أى حذر أمنى، وكان هناك إصرار تحت ستار معرفة جدية العضوية على ضرورة ذكر الأسماء الحقيقية وعدم الاكتفاء بالأسماء الحركية، وكذلك نوع العمل ومكان العمل لكل عضو من أعضاء التنظيمات الثلاثة (حدتو. الراية - ع ف) الذى يقدم لدخول الوحدة، ولازلت أذكر قول ضابط المباحث العام (عبدالرحمن مكى) عندما قبض علىّ فى أول يناير ١٩٥٩ عندما قال فى شماتة (الفضل لوحدة ٨ يناير فى كشف نشاطك أمامنا بعد أن ظللنا أربع سنوات وأكثر ولا نعرف عن نشاطك الشيوعى شيء).

تكونت لجنة منطقة الفيوم لحزب ٨ يناير ١٩٥٨ على ما أذكر من اثنين من طليعة العمال وواحد احتياطى، ومن حدتو ٤، ولم يكن للراية أى عضو فى الفيوم، ومع هذا كان مسئول المنطقة المعين من اللجنة المركزية هو محمد عباس سيد أحمد أحد أعضاء الراية سابقا، وكان حضوره من القاهرة فى أكثر المرات بسيارته الخاصة لحضور اجتماعات لجنة المنطقة من أهم العوامل التى سهلت على البوليس السياسى فى الفيوم معرفة أعضاء لجنة المنطقة ومواعيد الاجتماعات وأماكنها، الأمر الذى سهل دقة عمليات القبض فى أول يناير ١٩٥٩ ثم فى حملة ٢٨ مارس ١٩٥٨، وهنا أقرر أن الخطأ يتحمله الجميع حيث كنا نتصرف كما لو كنا فى حزب علنى معترف به من السلطة وليس حزباً سرياً، وهنا وللخبرة أذكر بعض أسباب كشف الشيوعيين فى الفيوم. فعندما لاحظنا مراقبة التتبع لنا حيث كانت ترصد سيارة محمد عباس من

وقت دخولها منطقة سنورس إذ كنا نتنقل بها من منطقة السيليين إلى بعض الحدائق أو بركة قارون هربا من الرقابة ولكننا كنا نلحظ بعد فترة أن الرقابة خلفنا، ولم نهتم. كذلك شراء الأمن لمسئول الاتصال بين منطقة الفيوم وقيادة الحزب بالقاهرة، بالتهديد أولا ثم بالترغيب بعد ذلك وعدم تنبهنا كلنا إلى مسعدنه على المقاومة في الوقت المناسب، خاصة رأنه حكى لنا بأمانة قصة تعرضه للمراقبة وتهديد عبدالعزيز شاكر مفتش المباحث عامة بالفيوم له بالاعتداء عليه وعلى زوجته وأولاده، إذا لم يشتغل لحسابه ويسلمه البوسطة للاطلاع عليها قبل تسليمها سواء في القاهرة أو إلى الفيوم، ثم التلويح له بالمساعدات المالية وضمان عدم كشفه لنا، مع تشكيك عبدالعزيز شاكر له في أعضاء لجنة المنطقة واتهامهم بالكفر والإلحاد وخيانة الوطن وعمالتهم وتنظيمهم للاتحاد السوفيتي رأس الكفر في العالم.

ورغم الصراحة التي ذكر بها هذا الزميل كل التفصيل في لجنة المنطقة، إلا أننا اكتفينا بإصدار قرار له بعدم مقابلة عبدالعزيز شاكر دون أن نقدم له مساعدة جدية لحمايته من نفسه ومن عبدالعزيز شاكر وكلفنا بمراقبته.

كلفنا بتدبير مكان نؤجره لإقامة أحد الزملاء المحترفين، وكان من الطبيعي أن نعطي ضمانات شخصية منا لصاحب المنزل بأن الساكن رجل طيب وتحت ضماناتنا خصوصاً وإنه كان غريبا لم يكن قد وصل إلى الفيوم من قبل، وفوجئنا بأن هذا الشخص ذو شكل مميز ممن تقول عنه (ضد الشمس) شعره أبيض ووجهه أبيض ورموش عينيه بيضاء وشكلة مميز جدا، مما جعلنا نطالب سحبه قبل مضى شهر وبعد أن ترك لنا متاعب أمنية كبيرة، إذ عرف مخبرو المباحث العامة شكله، وكان يكفي تتبعه لمعرفة كل اتصالاته بنا.

ورغم كل هذه الظروف غير المواتية، فقد استمرت لجنة المنطقة في عملها وانتظمت اجتماعاتها، ووضعت خططا للعمل الجماهيري بين الطلاب وفي وسط الفلاحين في مركز إطسا، حيث بدأ الطلاب يوصلوننا بأهلهم من الفلاحين وساعدناهم بالفعل في حل بعض المشاكل مثل انتظام دوران الري بعد الشكوى لمفتش الري من تصرفات البحارة، وإقامة كوبري بدلا من المتهالك الذي كثرت الحوادث بسببه، وأقامته الحكومة من ميزانيتها، وأخيراً كان نجاح المنطقة في الاشتراك في مدرسة

الكادر التى أقيمت فى الإجازة الصيفية للمدارس ولمدة عشرة أيام فى مكان هو فيلا فى الدقى مع الإقامة الكاملة دون الخروج منها إلا لأصحاب الفيلا الذين كانوا يحضرون لنا لوازم المعيشة من أكل وشرب وخلافه، وفى مدرسة الكادر درست مواضيع ثلاثة:

١ ـ دراسة نظرية عن أهم معالم الماركسية وأهمية وضرورة وجود حزب مستقل للطبقة العاملة.

٢ ـ موقف المنقسمين بعد ٨ يناير وعوامل انقسامهم والخلافات معهم.

٣ ـ المطالب الشعبية التى كان الحزب قد أصدرها بعد الانقسام ووسائل طرحها على الجماهير الشعبية والعمل على تبنى الجماهير لها والعمل على تحقيقها كل فيما يخصه.

وأشهد أن جميع من حضروا قد خرجوا محصنين ضد الانقسام بمن فيهم أعضاء حدتو سابقا، وبحصيلة نظرية ماركسية تكفي للفهم السليم للظواهر. وأخيراً بفهم واضح لبرنامج المطالب الشعبية ورؤية عامة عن كيفية طرحه بين الجماهير.

وكان نزول برنامج المطالب الشعبية من حزب ٨ يناير يعتبر تصحيحا للنظرة الفكرية اليمينية التى سادت بين الشيوعيين المصريين منذ مؤتمر باندونج، وكانت بداية لطرح المفهوم الطبقى والتحيز لقضايا الجماهير الكادحة بجوار التوجه الوطنى المعادى للاستعمار والرجعية المحلية، ولنزعج عبدالناصر وحكومته عندما بدأ أعضاء الحزب يطرحون شعاراته الجديدة والمطالب الشعبية فى المؤتمرات الجماهيرية التى كان يعقدها الاتحاد القومى، وزاد الانزعاج مع زيادة تبنى الجماهير لشعارات الشيوعية. وقال رجال عبدالناصر وأيدهم المنقسمون أن ذلك تطرف يسارى وتخريب لمؤتمرات الاتحاد القومى، وكان من أشهر أحداث تلك الفترة ذلك المؤتمر الذى أقامه الاتحاد القومى فى ميدان عابدين وخروج الجماهير هاتفة بمطالبها وخاصة الديمقراطية وسقوط القرار الجمهورى رقم ٨. وخطت السلطة خطوة فى محاولة احتواء الشيوعيين، عندما استدعى أنور السادات ـ ممثلا لعبدالناصر ـ بعض أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى (٨ يناير) وكان من بينهم محمود أمين العالم،

وأدار معهم نقاشا طويلا كان محوره ضرورة أن يتخلى الشيوعيون عن تنظيمهم المستقل ويعملوا في السياسة من داخل الاتحاد القومي، وأنهى الاجتماع الذي استمر إلى ما بعد منتصف الليل بتهديد فج ورنج بأنه سوف يصفي التنظيم بالإجبار إذا لم يحله الشيوعيون وجودهم التنظيمي طواعية.

وبعد يومين اثنين كان الإنذار العملي بتنفيذ تهديد أنور السادات، وذلك باعتقال ثمانية من أنشط عناصر الحزب وغالبيتهم من العمال وممن قاموا بدور في طرح برنامج الحزب للمطالب الشعبية في مؤتمرات الاتحاد القومي، حيث أودعوا بسجن قنا مع المجرمين معتادي الإجرام، وعوملوا معاملة لايليق أن يعامل بها الإنسان حتى لو كان أسير حرب.

قضية يناير ١٩٥٩

تصاعدت المواجهة بين حكومة جمال عبدالناصر والشيوعيين المصريين ولم يأت الإنذار الأول باعتقال الثمانية من أعضاء الحزب بما كان يرجوه جمال عبدالناصر من الخوف والانكماش، وفي نفس الوقت كان أعضاء حدتو بعد أن أكملوا انقسامهم وسرقوا مطبعة الحزب وأعلنوا حزبهم (الحزب الشيوعي المصري - حدتو) يعملون على التأييد المطلق للحكومة ومحاربة الحزب (٨ يناير) بشتى الوسائل بما فيها القول بأن الحكومة سوف تقبض على كل الشيوعيين ماعدا أعضاء حدتو، بينما كانت نشاطات الحزب تتسع ويكسب كل يوم جماهير جديدة إلى جانب شعاراته ثم عضويته.

وفي الفيوم بدأت مضايقات المباحث العامة لكل المعروفين من أعضاء الحزب بمن فيهم أعضاء حدتو الذين لم يخرجوا في الانقسام ومنهم محمود مرسي الجزمجي وجابر بريقع بائع الصحف وآخرون، وبالمناسبة أقول للتاريخ أنه لم يخرج أحد في الانقسام من أعضاء حدتو السابقين في الفيوم، وكلهم أدانوا الانقسام، وتدخلت المباحث العامة لعزلي من المسئولية الثقافية لمركز الخدمة العامة بمدرسة الفيوم الصناعية، وإن كان ذلك لم يؤثر إلا بحرماني من المكافأة الشهرية التي كنت أتقاضاها بينما ظل عملي ونشاطي في المركز كما هو، بل إن الطلبة وغيرهم من المترددين على المركز زاد ارتباطهم بي وإقبالهم على النشاط الثقافي السياسي، وظللت أعد كلمة الصباح التي

كان يلقيها طالب فى طابور الصباح واستمرت بل زادت مشاركتى فى مجلات الحائط التى بدأت تنقد الأوضاع وطرح مطالب الطلبة والتجار والفلاحين فى المقالات والكاريكاتير مع الاستمرار فى فضح أساليب الاستعمار الأنجلو أمريكى وذكر حركات التحرر الوطنى وأخبارها عربيا ودوليا.

ومن أنجح المجلات تلك التى كانت تغير أسبوعياً ومكونة من لصق قصاصات من الصحف عليها وبها تصريحات المسئولين قبل وأثناء معركة العدوان الثلاثى وأثناء المعركة الانتخابية، وفى النصف الآخر من المجلة قصاصات صحف لما يناقض ذلك سواء من تصريحات المسئولين أو من شكاوى المواطنين.

ومن أول يناير ١٩٥٩، وبعد منتصف الليل بقليل هاجم منزلى الضابط اليوزباشى (عبدالرحمن مكى) على رأس قوة من الجنود والمخبرين، وبعد تفتيش المنزل بطريقة سيئة جدا خاصة بالنسبة لإزعاج الزوجة والأطفال، قبض علىّ وأودعنى قسم البوليس، وفى الصباح اصطحبنى إلى المدرسة، وحاول أن أظهر أمام الطلاب فى طابور الصباح وفى يدى الكلبشات، وبعد أن فتش مكتبى فى المدرسة الذى كان زملائى المدرسون قد أخلوه إلا من كراسات التحضير، حاول تفتيش مكاتب المدرسين الآخرين فاعترضت وتصديت له وشجع ذلك موقف المدرسين الآخرين الذين تحرشوا به فخرج إلى غرفة ناظر المدرسة وحاول أن يأخذ منه أو من المدرسين إقراراً بأننى كنت أقوم بنشاط شيوعى فى المدرسة مستغلا وظيفتى وترددى على مركز الخدمة ففشل، بل قوبل بعدم الاحترام، وفى المساء رحلت مع الزملاء الذين قبض عليهم من الفيوم بطريقة مهينة جداً إلى مقر المباحث العامة بلاظوغلى، فوجدت كثيرا من الزملاء الذين أعرفهم من مختلف مناطق القطر سواء من أعضاء حزب ٨ يناير أو من المنقسمين وكذلك من لم يكن لى سابق معرفة بهم، أما القضية ومنذ أول يناير ٥٩ وحتى الإفراج عنى فى ١٩٦٤/٤/٣ فلن أتعرض لها لأنى خصصت لها كتابا لم ينشر بعد عنوانه (الأوردى جهنم الأحياء) وفيه كثير من التفاصيل عن التنقل من القلعة إلى الواحات إلى سجن مصر إلى سجن الحضرة إلى أوردى ليمان أبى زعبل جهنم الأحياء إلى الواحات ثانيا حتى الإفراج عنى، وبما فى ذلك الموقف العام فى القضية ثم أسماء بعض من استشهدوا ولا داعى لتكرارها، فإنى أرجو أن ينشر ذلك الكتاب ذات يوم.

مقدمات حل التنظيمات الشيوعية

انتهت مرحلة التعذيب العنيف فى أوردى ليمان أبى زعبل بعد مقتل الشهيد شهدى عطية الشافعى الذى كان المتهم الأول فى قضية الحزب الشيوعى المصرى حدتو أثناء حفل الاستقبال بعد محاكمتهم فى الإسكندرية، وبانتهاء الشغل فى الجبل ووقف الضرب بالشوم وتكسير الزلط والبازلت فى الجبل والضرب بالفلكة واللف للتفتيش وطابور التعذيب المسمى طابور الرياضة وغيرها، كان محتما أن ينتهى الأوردى بكل أنواع تعذيبه بعد أن فشل فى كسر نفوس الشيوعيين، خاصة بعد بدء عمليات المقاومة من النزلاء معتقلين ومحكوم عليهم، والتى كان ضمنها قيام فريق بالإضراب عن الطعام وكنت منهم، ثم تفكك جو المعاملة العام من جانب الحراس من الجنود الذين بدأوا يتحدثون معنا ويخالطوننا ويسهلون لنا الحصول على ما كنا فى أشد الحاجة إليه، وبعد أن فتح باب الزيارات من العائلات خاصة ذات الأوضاع الاجتماعية والمالية المتميزة إلى ذويهم من المعتقلين والمسجونين حاملين فى أثناء الزيارات الطعام والملابس والأدوية: عندئذ فقد أوردى ليمان أبى زعبل مقوماته كمعسكر تعذيب وكان لابد أن ينتهى. وبالفعل وبدأت السلطات فى نقل المعتقلين على دفعات إلى سجن المحاريق بالواحات الخارجة، وبقى نزلاء عنبر ١ وبه ثلاثة وستون من المتهمين الذين حوكموا فى قضية الحزب الشيوعى المصرى ٨ يناير وكنت منهم بعد وفاة المرحوم سعد الدين التركى قبل المحاكمة: وكانوا يعتبرون فى نظر إدارة المعتقل والدولة قيادة نزلاء الأوردى جميعهم.

نقلت إلى مستشفى القصر العينى لإجراء عملية فتق أصبت به فى الأوردى من جراء الجرى والضرب وحمل الأحجار الكبيرة، وأثناء وجودى فى المستشفى تحت العلاج، أبلغت بحكم المحكمة فى القضية رقم ٨ حصر أمن دولة عليا والتى كانت الأحكام فيها بالبراءة على البعض وكنت منهم، وأحكام بالأشغال الشاقة عشر سنوات وهذه كانت من نصيب من اعترفوا أثناء المحاكمة وأمام المحكمة العسكرية العليا بعضوية الحزب الشيوعى المصرى وأحكام أخرى من سنة إلى سبع سنوات على البعض الآخر، وعند عودتى إلى الأوردى بعد عملية الفتق كانت الأحكام قد أعلنت على جميع الزملاء المتهمين فى القضية، وبدأ الإعداد لمرحلة نقلنا من الأوردى إلى سجن المحاريق بالواحات الخارجة.

رغم مقتل الشهيد شهدى عطية الشافعى الذى كان قائد حدتو، ورغم تعرض من كانوا معه فى القضية لتعذيب جعل الكثيرين منهم معرضين لخطر الموت أو العاهات المستديمة، فقد ظل الخط السياسى لحدتو هو تأييد عبدالناصر والدفاع عنه وعن نظام حكمه، وتبرير ماحدث للشيوعيين بأنه من أعمال الأجهزة الرجعية فى الحكم وعلى رأسها المباحث العامة التى تعمل جوهريا ضد عبدالناصر، وكانوا يرون من واجبهم أن يحولوا دون أى محاولة لحجب التأييد عن عبدالناصر.

وبالمناسبة فإن أعضاء حدتو بعد القبض على الشيوعيين فى أول يناير ١٩٥٩ بمن فيهم أعضاء حدتو وأعضاء حزب ٨ يناير، أشاعوا فى معتقل القلعة وسمعت هذا من أكثر من واحد منهم بأنه قد قبض عليهم بطريق الخطأ وأنهم سوف يفرج عنهم بمجرد انتهاء التحقيق مع الجميع، لأن عبدالناصر يعلم أنهم يؤيدونه، وأن المقصود أصلا بهذه الحملة هم أعضاء ٨ يناير الذى كانوا يسمونه (التكتل) لأنهم يعارضونه وهم الذين خربوا مؤتمرات الاتحاد القومى، وظلوا كذلك حتى أعلنوا أمام المحكمة العسكرية العليا فى الإسكندرية أنهم المؤيدون لسياسة عبدالناصر والمدافعون عنها.

أما تنظيم الحزب الشيوعى المصرى ٨ يناير فكانت النظرة العامة فى داخله كما عاصرتها واشتركت فيها هى أن الوضع السياسى العام فى القطر كله هو الذى يحكم الظاهرة، وأن للديمقراطية إذا فقدت فلاضمان لبقاء حتى الحقوق التى يحصل عليها الفقراء وخاصة العمال، أما القطاع العام فكان يعتبر رأسمالية الدولة الاحتكارية والحكم تعبير عنها وممثل لمصالحها.

وبهذه المناسبة مازلت أذكر نقاشى مع المرحوم لويس إسحق على باب عنبر سجن المحاريق، بعد أن جمعت حاجياتى متجها إلى البوابة الرئيسية للسجن بعد أن ورد اسمى فى كشرف الدفعة المرحلة للإفراج عنها، وبعد أن رأى لويس فى عينى وفى تعبيرات وجهى الأسى والأسف والخوف من أن تطول مدة سجن المحكوم عليهم خاصة بمدد طويلة وهو منهم لأنه كان معترفاً بعضوية الحزب الشيوعى المصرى أمام المحكمة، قال لويس: «لقد قلت لك من قبل وأثناء المحاكمة وقبلها عند مناقشة موضوع الاعتراف بعضوية الحزب وإصرارى على هذا الاعتراف، قلت لك إن القضية سياسية فى المحل الأول، وإن الإفراج عن المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة عشر سنوات لن يتأخر سوى شهور فقط بعد الإفراج عن جميع المعتقلين وتصفية المعتقلات، ومازلت

عند هذا الرأى وأن خروجنا لن يتأخر سوى شهور فقط وسنتقابل فى الشارع المصرى.

وقد تحقق ما قاله لى لويس إسحق، فقد صدر عفو شامل ألغى الأحكام التى صدرت عليهم فى قضايا الشيوعية وما ترتب عليها من آثار، ولكن لويس لم يخرج إلى الشارع المصرى، وإنما خرج من السجن إلى القبر بعد أن قتل برصاص البوليس قبل خروج آخر مسجون بأيام فقط.

وأعود إلى الموقف السياسى فى داخل الحزب، إذ تطور من المعارضة الموضوعية لسياسة عبدالناصر فى تكميم الأفواه وإلغاء الديمقراطية، مع الاتجاه إلى سياسة التقارب مع الغرب وخاصة أمريكا، وتطور الموقف إلى رفع شعار الإسقاط لعبد الناصر وحكومته، وأعلن الشعار فعلا بعد أن وافق عليه غالبية أعضاء لجنة منطقة الواحات أعضاء قياديين وأعضاء عاديين، إذ نوقش الأمر أولا فى المجموعات ثم عقد مؤتمر من مسئولى المجموعات واللجنة القيادية وافقت أغلبيته على رفع شعار الإسقاط.

ولكن بعد صدور إجراءات يوليو ١٩٦١ الاقتصادية، فتح النقاش فى الموقف وقدمت تقارير سياسية بعضها طالب بإلغاء قرار الإسقاط وبعضها طالب ببقائه. ونوقشت التقارير فى المجموعات ثم عقد مؤتمر عرضت فيه توصيات المجموعات وانتهى إلى قرار بما يشبه الإجماع بإلغاء قرار الإسقاط.

وهنا أقرر أن رأيى والذى كان يتبناه عدد كبير من العمال هو أن إجراءات يوليو ١٩٦١، ١٩٦٣ وما حققته من مكاسب للكادحين وللطبقة العاملة بشكل خاص كانت فى حقيقتها تحقيق لكثير من المطالب التى كافح العمال من أجلها طويلا، وأن تلك الحقوق قد وردت كمطالب فى برنامج الحزب الشيوعى وفى تقرير المطالب الشعبية الصادر عن الحزب فى أواخر عام ١٩٥٨، وأقول إن هذه الإجراءات وآثارها قد أحدثت هزة عنيفة فى فكر الغالبية العظمى من نزلاء سجن المحاريق بالواحات الخارجة من الشيوعيين سواء كانوا معتقلين أو محكوم عليهم.

وفى الوقت نفسه بدأ بعض المثقفين وخاصة من أصحاب الأوضاع الاجتماعية والمالية المتميزة الذين كنا نسميهم (أبناء البيوتات) بدأ هؤلاء يبدون تشاؤمهم من إمكانية الخروج من السجن دون المساومة مع عبدالناصر، بعد أن سحب البساط من

تحت أقدام الشيوعيين وكسب إلى صفه الكادحين عامة والطبقة العاملة خاصة بما حققه لهم من مطالب، وبدأ الهمس بذلك فى داخل الحزب على استحياء أحيانا، وبأسلوب الحوار السياسى، وأحيانا أخرى فى شبه علانية، وكان ذلك يحدث فى داخل الحزب بينما كان التأثير جارفاً فى داخل حدتو حيث قررت فى النهاية أن فى السلطة مجموعه اشتراكية يقودها جمال عبدالناصر، وبدأ النقاش حول التنظيم المستقل للشيوعيين، وهل له ضرورة؟ أم أن الموقف الصحيح هو حل التنظيم والتعاون فى العمل السياسى مع المجموعة الاشتراكية ومن داخل تنظيم السلطة السياسى (الاتحاد الاشتراكى العربى).

فى هذه الفترة أيضاً بدأت همسات حول مقابلات تمت بين بعض أبناء البيوتات من أعضاء اللجنة المركزية فى حزب ٨ يناير وبين ممثلين للسلطة أو لجمال عبدالناصر شخصياً وذلك من أجل الإفراج عن جميع المعتقلين والمسجونين الشيوعيين فى مقابل حل الحزب وإنهاء الوجود المستقل لتنظيم الشيوعيين، على أن يفسح الاتحاد الاشتراكى وهو التنظيم السياسى الواحد والأوحد فى الساحة المصرية، مكانا للعمل السياسى فى داخله للشيوعيين، ولا أريد هنا ذكر أسماء من تردد الحديث عن مقابلات تمت بينهم وبين سفراء السلطة أثناء ترحيل الشيوعيين للعلاج من أمراض حقيقية أو مفتعلة فى سجون أسيوط وقره ميدان بالقلعة بالقاهرة، وكذلك ما كان يتردد من عروض وردت مع بعض الأسر فى الزيارات على لسان مسئولين كبار فى الدولة بهدف التمهيد لإتمام الصفقة مع قيادة الحزب الشيوعى المصرى ٨ يناير، أما حدتو فقد كان أمرها قد حسم بقرار أن فى السلطة مجموعة اشتراكية.

وسوف أذكر هنا واقعة حضرتها بنفسى عندما كنت فى سجن أسيوط للعلاج وكان معى سليمان سيدا روس وسيد عبدالحميد ودكتور من أبناء البيوتات وآخرون لا أذكر أسماءهم، وكنا نتمتع ببعض الانفراج فى السجن مثل فتح الأبواب وسهولة التعامل مع الكانتين وإرسال الخطابات تحت رقابة السجن طبعـاً للعائلات، ودون تفصيل فقد أخبرنا الدكتور بأن الإدارة استدعته للتحقيق معه فى خطاب أو رسالة ضبطت مع أحد السجانين، وكانت مرسلة إلى أخيه الدكتور ليرفعها إلى عبدالناصر، وكانت الرسالة تحمل تحليلا سياسيا ينتهى بمطالبة عبدالناصر بالإفراج عن جميع المعتقلين

والمسجونين الشيوعيين لأنهم السند الذى يجب أن يستند إليه الحكم ضد الرجعية والاستعمار المتربص به، هذا ما قاله الدكتور فى خطابه الذى قرر فى التحقيق معه أن الرسالة له ودافع عنها وعما فيها من أفكار وذلك فى محضر التحقيق الذى أجراه معه مأمور السجن، وفى تلك الفترة كان الدكتور قد انضم إلى حدتو وبذلك كان اتصاله بعبدالناصر وإرساله لرسالة إليه منطقياً ومتفقاً مع تفكيره.

ولكن فى داخل الحزب الشيوعى المصرى ٨ يناير، وضحت ثلاث شرائح بدأت كل منها تتجمع وتجرى مناقشات فيما بينها، أولها من كانوا فى ع. ف قبل الوحدة، وثانيها من كانوا فى الراية قبل الوحدة، وثالثها من كانوا فى حدتو قبل الوحدة وظلوا فى داخل الحزب ولم يخرجوا مع الانقسام ولايحتاج ذلك إلى دليل على أن تلك الاتصالات والمناقشات كان تدور على أساس حلقى.

وبجوار هذه الشرائح الثلاث كانت هناك مجموعة يسمون أنفسهم المستقلين عن الحزب وعن حدتو وذلك - كما قيل - لتغطية مواقفهم ورغبتهم فى عدم الإعلان عن هويتهم، وذلك إما لأنهم مستقلون فعلا وغير منظمين وإما لأنهم فعلا يريدون التغطية على هويتهم أمام جواسيس المباحث العامة الموجودين داخل المعتقل.

أما الأعضاء الذين من أصل حدتاوى، فقد اتجه أصحاب الفكر اليمينى منهم وكذلك الذين لم يجدوا راحتهم داخل الحزب، اتجهوا بعد جهود من حدتو إلى العودة للمنظمة الأم (حدتو) خاصة بعد أن وجد الجو فى سجن المحاريق المفتوح عمليا طوال اليوم فرصة للمقابلات التى أقنعتهم بأن قيادات حدتو لم تنقسم وإنما هى مؤامرة دبرها التكتل المتحالف بين الراية و ع. ف.

وأما الأعضاء السابقون فى الراية فقد أعلن بعضهم الانقسام عمليا عن الحزب فى صورة تكتل سموه الأفق وكانت لهم مجلة منطوقة بنفس الاسم شعارها (وصاح ملاح من أعلى السفينة، أرض فى الأفق) وكان فكرهم فى حقيقته معارضاً لخط التوافق المطلق مع عبدالناصر، وبالتالى يطالبون بالمحافظة على التمايز السياسى والتنظيمى عن عبدالناصر ويتمسكون به، وكان أغلب هؤلاء من الطلبة أو حديثى التخرج وخاصة من كلية الطب، أما بقية أعضاء الراية القديمة فقد كانت لهم مشاوراتهم ولقاءاتهم المستقلة، وإن ظلوا تنظيميا داخل لحزب مع أعضاء ع. ف السابقين

والباقين من أعضاء حدتو السابقين في إطار تنظيمي واحد.

أما أعضاء ع. ف سابقا وكانت نسبة كبيرة منهم من العمال، فقد ظلوا على الفكر السياسي المعلن والذى كان يعتبر وقتئذ في نظر البعض يساريا، وهؤلاء كانت لممثليهم في قيادة التنظيم في الواحات مقابلاتهم مع بعضهم البعض ومع أفراد من القواعد. كما كانت تفعل الراية تماما - وإنني أقرر عن معايشة وعن يقين بأن العمال في القواعد من أصل ع. ف سابقاً لم يشترك منهم في تلك الحلقيات إلا عدد قليل جدا ومن المقربين، وكانت الاتصالات - لو تمت - تتم بطريقة فردية وعلى استحياء شديد، متخلفة بخلاف سياسي وتنظيمي مبدئي وباسم الدفاع عن الحزب، وكان هذا الفريق وأنا منهم محل تركيز من الجميع حتى من حدتو في مجالات فتح واستمرار النقاش السياسي معهم بهدف استقطابهم خاصة من جانب أعضاء حدتو سابقاً والراية.

بعد فشل حسن المصيلحي واللواء همت في تحقيق ما كان يرجوه عبدالناصر من حملة التعذيب الوحشي الإجرامي اللا إنساني وبأساليب يعاقب القانون على استخدامها مع الحيوانات، ولم يتحقق الانهيار الكامل للشيوعية وللشيوعيين، لجأ المصيلحي إلى طرق أخرى لتحقيق نفس الهدف ومنها.

١ - أشاع بين العائلات بأن الشيوعيين لن يخرجوا من الواحات إلا إلى القبور وترتب على ذلك انهيارات في الأسر، فرأينا زوجات يطلبن الطلاق وبعضهن طلقن فعلا ورأينا خطيبات تتركن الخطيب بل ويتزوجن بآخر رغم قصة الحب الشديد الذى كان بينهما، ورأينا كثيرا من العائلات يضغطن على أبنائهن للتخلى عن الحزب الشيوعي، وكانت قمة المأساة وفاة زوجة عبدالعليم عمارة واثنين من أبنائه بعد تناولهم طعاما فاسدا ولم ينج من الأسرة إلا الأولاد الثلاثة الذين كانوا بالمدارس ولم يتناولوا الطعام المسموم، بالإضافة إلى ما وصلنا من متاعب تلقاها أسر العمال في المعيشة وضياع مستقبل الأبناء والبنات الذين تركوا التعليم ليعملوا ويساعدوا الأسر.

٢ - حول المصيلحي معتقل القلعة إلى معهد لغسيل المخ استدعى إليه عدداً من المعتقلين على دفعات من الذين أخبره عملاؤه بأن مقاومتهم قد ضعفت، وكلف عددا من المثقفين ومشايخ الأزهر على رأسهم الشيخ أبو زهرة لإجراء عملية

غسيل لمخ للشيوعيين بما كانوا يلقونه من محاضرات، ثم عرض عليهم الإفراج مقابل التوقيع على ورقة باستنكار الشيوعية والطعن فى وطنية الشيوعيين، ورغم تعدد الأفواج فإن العملية لم تنجح بالصورة التى أرادوها ولم يوقع إلا نفر قليل بعضهم لم يكن لهم ارتباط بالتنظيمات الشيوعية قبل اعتقاله.

٣ - أنهى عدد من المحكوم عليهم فى قضايا شيوعية مدة الحكم المحكوم بها عليهم ورحلوا إلى القاهرة لإطلاق سراحهم ولكن المباحث العامة وضعت فى مقابل الإفراج التوقيع على ورقة باستنكار الشيوعية والطعن فى وطنية الشيوعيين فرفضوا وبذلك أعيدوا إلى السجن كمعتقلين.

كان عبدالناصر قد أصدر قرارا إجراميا ليس له مثيل لا فى أيام الحكم الملكى ولا حتى فى أيام الحكم الإنجليزى المباشر والحماية، وهو وضع المعتقلين السياسيين فى السجون العادية مع حرمانهم من كل الحقوق التى تكفلها لائحة السجون لنزلائها، وبذلك عاد المفرج عنهم من الشيوعيين إلى سجن الواحات كمعتقلين ليحرموا ممن زيارة عائلاتهم لهم ومن تبادل الخطابات من وإلى العائلات، وخلعوا الملابس الداخلية والأحذية والبدلة الزرقاء ليلبسوا بدله البيضاء بدون ملابس داخلية ولا أحذية.

٤ - غرس حسن المصيلحى بعض عملائه فى وسط المعتقلين، واشترى بالترغيب بالإفراج والترهيب بالموت، بعض العناصر المتهارة التى كانت تنقل إليه كل ما يدور فى داخل السجن بتقارير مفصلة، وأذكر أننا كنا بعد كل نشاط سياسى ينتهى بكونفرنس أو مؤتمر حزبى، كنا نرى مأمور السجن أو أحد ضباطه يدخل إحدى الغرف ويتوجه مباشرة إلى المخبأ الذى وضعت فيه كل الأوراق والتقارير والمحاضر والقرارات وغيرها، فيخرجها ويحملها ليرسلها إلى المسئولين فى القاهرة، دون أن يرتب على ذلك قضية كما كان متبعاً من قبل أو حتى يسأل عن من المسئول عن هذه الأوراق، ولعدم التأكد من شخصية الجاسوس فكان يسود جو من التشكك والريبة حتى فى عناصر لايمكن بطرق الشك إليها، وكان ذلك من عوامل تبرير الضعف أمام من يريدون التخلى عن الكفاح.

٥ـ الأخطر من كل ذلك هو إشاعة الفكر السياسي الذى يدعو إلى التخلى عن التنظيم المستقل للشيوعيين الذى أصبح لا لزوم له ولا داعى لأن يتحمل الشيوعيون السجن والاعتقال والتعذيب خاصة وأن عبدالناصر قد حقق الكثير مما كان يطالب الحزب الشيوعي به، ومن الممكن الاستمرار فى العمل السياسى داخل الاتحاد الاشتراكى، بل قالوا إنه من الممكن أن يتحول عبدالناصر إلى مؤمن بالشيوعية ويكون كاسترو مصر والشرق العربى.

٦ـ كان عدد غير قليل من المعتقلين قد نفذت طاقتهم الصمودية لأسباب عدة منها طول المدة وفقدان الأمل فى الإفراج السريع وكانوا يغلفون ذلك بالممارسات الخاطئة التى يقوم بها بعض قيادات الحزب، وكمثال ففى الوقت الذى كان نصيب المدخن سيجارة كل أسبوع، كان أحد أعضاء اللجنة المركزية يدخن أكثر من عشرين سيجارة يوميا وعلنا وكان بعض المقربين تتلقى عائلاتهم مساعدات فى الخارج، بينما غالبية عائلات العمال تقاسي من المعيشة. ولقد فاتحنى هؤلاء وبعضهم مع الأسف من العمال الذين تحملوا الكثير فى سبيل صمودهم البطولى. وقالوا إنهم قد تعبوا وأصبحوا غير قادرين على الاستمرار فى تقديم التضحيات. وإذا كانوا يصرون على بقاء الارتباط بالحزب ورفض التوقيع على أية ورقة مقابل الإفراج، إلا أنهم لن يزاولوا النشاط التنظيمى الحزبى بعد خروجهم من المعتقل.

على هذه الصورة ـ فى رأيي ـ كان الوضع فى سجن المحاريق فى آخر أيامه، ومع ذلك كان الجو المفتوح يسمح بنشاط واسع ثقافى وإعلامى فى مدارس الكادر ومدارس محو الأمية والدراسات الفنية فى النسيج والميكانيكا، بالإضافة إلى المجلات المسموعة والمقروءة التى كانت تصدر.

الإفراج

غادرت سجن المحاريق بالواحات الخارجة فى يوم ١٩٦٤/٤/٣ فى الطريق إلى القاهرة مع دفعة من المعتقلين التى غادرت السجن الحربى فى يوم ١٩٦٤/٤/٤ إلى منازلهم، وبعد يومين أو ثلاثة سادت فيها فرحة اللقاء، تكشفت لى مأساة المعيشة التى تحياها الأسرة.

بعد الإفراج عنا بفترة قصيرة بدأ الإعلان عن تشكيل لجان لتشغيل المفرج عنهم من الشيوعيين، فى الوقت الذى بدأ الحديث فيه عن موقف الحزب من السلطة بعد أن أفرج عن جميع المعتقلين وألغيت الأحكام الصادرة فى القضايا وآثارها بالنسبة لكل من حكم عليهم ووضح أن هناك فريقين فى قيادة الحزب واللجنة المركزية، وأخذوا يبذرون أفكارا ويعقدون مناقشات تدور كلها حول التنظيم المستقل للطبقة العاملة (الحزب الشيوعى المصرى) وهل هناك ضرورة له بعد كل ما حدث من تغيرات فى المجتمع؟ وكان الكلام فى البداية على استحياء وبالتلميح ثم أصبح بالتصريح وعلنا.

ولاشك - وإن كان هذا رأيى الخاص - أن أجهزة عبدالناصر كانت لديها تفاصيل دقيقة عن كل ما يدور وعن موقف كل شخص ورأيه، وانعكس هذا على نتائج لجان التشغيل، فالمتحمس لحل الحزب تمهد أمامه السبل، ويوضع فى الوظيفة أو العمل المجزى والمريح، أما من كانوا يعلنون تمسكهم ببقاء الحزب حتى مع إعلانهم عن ضرورة التعاون مع الاتحاد الاشتراكى كتنظيم له كيانه المستقل وليس بانضمام أفراد، فهؤلاء كانت توضع أمام تشغيلهم العراقيل، وإلى أن صدر قرار حل الحزب فى ١٩٦٥، كان بعض هؤلاء، وغالبيتهم العظمى من العمال لم يلتحقوا بأى عمل إلا فى أعمال أو مصانع صغيرة، وصرح بعض المسئولين لهم بأن عدم موافقتهم على حل الحزب هو السبب فيما هم فيه، وظل بعضهم إلى النهاية لايجدون إلا أعمالا مرهقة فى القطاع الخاص، ويكفى أن أقول إن غالبيتهم قد انتهت خدمتهم وأحيلوا إلى المعاش على أساس الحد الأدنى نظراً لقلة الأجور وقلة مدة الاشتراك فى التأمينات، ومن هؤلاء على سبيل المثال فقط أحمد سالم سالم - محمد عبدالمجيد أبو سيف - المرحوم عبدالحفيظ بيومى - جرجس عزمى وغيرهم كثيرون.

ولازلت أذكر بهذه المناسبة عندما استدعانا ضابط المباحث العامة (حسن حسنى) رئيس قسم مكافحة الشيوعية بشبرا الخيمة عقب أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ بأيام وبدأ تهديده لنا بقوله:

(أنتم تعلمون أنكم جميعاً من أصل تاريخى واحد فى المنظمات الشيوعية المصرية، وأنكم جميعاً لم توافقوا على حل الحزب الشيوعى المصرى فى ١٩٦٥، وأن ملفاتكم تثبت أنكم كنتم دائما إلى جانب الطرف اليسارى فى الحركة الشيوعية، فاحذروا القيام بأى عمل وإلا فلن تلوموا إلا أنفسكم).

ومن المؤكد أنه لم يكن هناك أمر قد صدر باعتقالنا وإلا كان نفذه، ولكن ذلك كان تهديداً لحسابه الخاص، ولما لم ينكر أحد منا عدم موافقته على حل الحزب ولا أصله التاريخي، لان فى كلامه وتحول تهديده إلى نصيحة إلى أن انصرفنا.

حل الحزب الشيوعى المصرى

لقد استغل عبدالناصر وجهازه السياسى الذى لا أشك فى أنه أوسع من الاتحاد الاشتراكى، واستغلت الرجعية المصرية المضروبة واللابسة لرداء التقدمية رياء ونفاقا واستغل كل أعداء الشيوعية كمبدأ، واستغل كل من أراد أن ينفض عن كاهله مسئولية العمل السياسى المستقل وخاصة من قيادة الحزب وأعضاء اللجنة المركزية بل وقيادات وزعامات بعض المناطق الذين فقدوا الثقة فى أن يكون للشيوعية والشيوعيين مستقبل فى مصر، استغل كل هؤلاء الوضع وتكاتفوا لتحقيق هدفهم وهو إنهاء التنظيم المستقل للطبقة العاملة المصرية وإعلان حل الحزب باسم موافقة الغالبية الساحقة من كوادره.

وفى اعتقادى أن هذا القرار كانت له آثار أكبر وأعمق حتى مما طمح أعداء الشيوعية فى تحقيقه ويكفى أن أرصد من وجهة نظرى الشخصية طبعاً حالة أعضاء الحزب بعد اتخاذ قرار حل الحزب وإعلانه بشهور قليلة:

فريق من قيادات الحزب وأعضاء اللجنة المركزية ممن كان لهم دور كبير فى اتخاذ قرار حل الحزب، والذين استغل بعضهم علاقاته الشخصية بل وارتباطاته بالأصل التاريخى فى الترويج لفكرة الحل. وهذا الفريق قد حصل على الراحة الاقتصادية، سواء فى داخل أسرته وتحللها المادى أو فى دخله الخاص من العمل الذى التحق به أو غير ذلك، وأما من ناحية العمل السياسى والفكرى فقد انفتح أمامه باب الكتابة فى الصحف والمجلات والكتب الدورية وغير الدورية وغيرها، وتذكر بهذه المناسبة مجلة الطليعة التى كانت تصدرها دار الأهرام ومجلة الكاتب القاهرية الشهرية التى كان يسيطر عليها الماركسيين، وكذلك بعض المؤسسات مثل دار المعارف والمؤسسات الصحفية. وأذكر أني دعيت فى ١٩٦٦ إلى مركز الدراسات السياسية والاقتصادية بالأهرام حيث تكون مركز للدراسات النقابية والعمالية برئاسة المرحوم الدكتور عبدالرؤوف أبو علم، وأذكر ممن كانوا فى عضوية هذا المركز شيخ النقابيين محمد يوسف المدرك والأستاذة أمينة شفيق والأستاذ عبدالمنعم الغزالى الجبيلى،

ووضعت خطة للبحوث كلفت فيها بعمل بحث عن العمال والإنتاج وقدمته للمركز، وكلف عبد المنعم الغزالى بالكتابة فى تاريخ الطبقة العاملة المصرية، وهو الذى قام بنشره فى كتاب بعد ذلك، وقد شعرت بأن هناك عدم رغبة فى استمرار العمل بالمركز، ووصل الأمر إلى أنه لم يكن يحضر الاجتماعات رغم تحديد المواعيد مسبقاً إلا أنا وحدى فانقطعت عن الذهاب لمقر مجلة الطليعة بمؤسسة الأهرام التى كانت مقرا للمركز.

وبالإضافة إلى فتح الباب على مصراعيه أمام الشيوعيين للعمل كأفراد، فقد أنشىء المعهد الاشتراكى والذى كان يشرف عليه أيضاً فريق من المثقفين الشيوعيين وكذلك أنشئت منظمة الشباب الاشتراكى بالإضافة إلى صدور الميثاق الوطنى وإقراره بحتمية الحل الاشتراكى لمشاكل المجتمع المصرى، وقد قام على صبرى أحد عمد النظام الأساسيين بإصدار كتاب بعنوان (حتمية الحل الاشتراكى) ولا ننسى فى هذا الصدد تحسن العلاقات فى كافة المجالات الاقتصادية والعسكرية والثقافية مع المعسكر الاشتراكى بشكل عام والاتحاد السوفيتى بشكل خاص، وفى المقابل كان تراجع التيار الدينى المتطرف بقيادة الإخوان المسلمين عن الظهور بشكل قوى فى الشارع المصرى، كل ذلك أثر فى سيادة الجو الذى أوحى وروج لفكرة عدم ضرورة التنظيم المستقل للطبقة العاملة، بل توهم البعض أن الديمقراطية آخذة فى الازدهار، وأن سلطة الفرد المطلقة والحزب المتمثل فى الفرد توشك أن تنتهى لتحل محلها المنظمات البديلة التى يعدها الشيوعيون، هذا رغم أن عبد الناصر لم يتخل للحظة واحدة عن أسلوبه الفردى فى إدارة دفة الحكم، وفى تصفية أية محاولة لإحياء الحركة فى الشارع المصرى الجماهيرى نحو الديمقراطية الحقيقية، وذلك رغم الشعارات الزاعقة عن علاج مشاكل الديمقراطية بمزيد من الديمقراطية، هذا عن الفريق الأول (المثقفون الكبار وأبناء البيوتات).

أما الفريق الثانى فهو الفريق المتوسط الحال اقتصاديا سواء الطلبة أو من الخريجين الجدد وخاصة من كلية الطب، وأما الموظفون الصغار الذين كان قد صدر قرار بفصلهم من الخدمة وشملت الكشوف الملحقة بالقرار الجمهورى أسماءهم، والذين لم يكونوا يطمعون اقتصاديا بعد خروجهم من السجن إلا فى العودة إلى العمل وتسوية

حالاتهم المادية والذين كان عليهم لفترة أن يكون ذلك همهم الأول، بعد أن وجدوا أنفسهم بعد الخروج من السجن وقد أصبحوا عبئاً على عائلاتهم، وهنا يجب التنويه إلى أن بعض هؤلاء وعن طريق الوساطات قد حصلوا على أوضاع متميزة وأكثر كثيرا مما كانوا عليه قبل الحبس فى ١٩٥٩، والمؤهل لذلك هو تركيز ذوى النفوذ لهم. ويمكن أن يضاف إلى هؤلاء الدائرون فى فلك القيادات من المثقفين والزعماء الذين لعبوا أو لعب بهم على أساس الأصول التاريخية ومنهم فريق من العمال، وهؤلاء سارع جهاز عبدالناصر وعن طريق المثقفين الكبار بمساعدتهم، بتقديم العون لهم لضمان الولاء غير المباشر للاتجاه الجديد، فبعضهم التحق بأعمال وحصلوا أجوراً أكثر مما كانوا يطمعون فيه وما كانوا يحصلون عليه قبل القبض عليهم، وهؤلاء دفعوا إلى مصيدة الترويج لحل الحزب، ثم لتمجيد وعبقرية ذلك القرار بعد صدوره وإعلانه، وإنى لأذكر هنا أننى لا أتهم أحدا من هؤلاء بالخيانة عن فهم ووعى، ولكن الظروف العامة والارتباطات الخاصة جعلتهم يعتقدون أنه لم يكن فى الإمكان أبدع مما كان، وأنه لم يكن من الممكن عمل شىء أفضل مما تم عمله، وخاصة مع جو الانبهار بالانتصارات فى الميادين المختلفة التى كان يحققها نظام عبدالناصر فيما عدا مسألة الديمقراطية.

أما الفريق الثالث فكان من العمال وبعض صغار الموظفين الذين ظل فكرهم مرتبطاً بضرورة بقاء التنظيم المستقل للطبقة العاملة لاعتبارين رئيسيين، الأول أن بقاء الحزب الشيوعى المستقل عن سيطرة السلطة هو الضمان الوحيد لعدم انتكاس كل ما تحقق من مكاسب، وهو الضمان أيضاً لغلق الطريق أمام إعادة سيطرة الرجعية على الاتحاد الاشتراكى، الأمر الذى صرح به عبدالناصر مرارا بأن الرجعية قد سيطرت على هيئة التحرير ثم على الاتحاد القومى، وأما الاعتبار الثانى فهو أن وجود الحزب الشيوعى المستقل لايعنى بالضرورة الحرب المستمرة بينه وبين الاتحاد الاشتراكى، إذ يمكن التعاون الجبهوى المثمر بين التنظيمين، وهذا التعاون يمكن أن يحرك الشارع الجماهيرى المصرى والجماهير الشعبية للوقوف ضد أى مؤامرات يقوم بها الاستعمار أو تقوم بها الرجعية وأنصارها فى الجهاز الحكومى وفى جهاز عبدالناصر نفسه.

هذه نماذج فقط مما كان عليه ويشعر به فريق من العمال الذين لاينضوون تحت أى من الاتجاهات، والذين رفضوا محاولات الزعماء من نفس أصلهم الطبقي للسير تحت البنديرة، لكي يراقبوهم في كل ما يقولون بالحق وبالباطل، ووصل الأمر إلى مداه بعد الخروج من السجن، إذ استبعد عدد من هؤلاء - وكنت أنا منهم - من الدعوة إلى بعض الاجتماعات التي ووفق فيها على حل الحزب، بدعوى أننا معروف رأينا من المناقشات السابقة، وإن وجودنا يحدث بلبلة هم في غنى عنها، وكان الاتجاه واضحًا أن المطلوب كان التصديق على الصفقة التي تمت بكل تفاصيلها وانتهى الأمر، وكانت الاجتماعات والكونفرنسات والمؤتمرات بغرض إقرار تحصيل حاصل، ولإضفاء الشرعية الديمقراطية على قرار اتخذ قبل أن نطرح القضية للنقاش والتصويت، كان آخر اجتماع حضرته بخصوص حل الحزب قد تم بمنزل فؤاد عبدالمنعم شحتو بدمنهور، وكان سطح المنزل الذي عقد الاجتماع فيه مزدحما بشكل كثيف وعند التصويت كانت الغالبية العظمى من الحاضرين وهم من العمال ضد قرار حل الحزب الشيوعي المصري، وأكثر ما حز في نفسي أن يقف ممثل اللجنة المركزية للحزب والذي كلف بحضور الاجتماع ليقول بأعلى صوته بعد سماعه الكلمات العنيفة التي تدين الموافقين على حل الحزب، وبعد أن قال أحد الحاضرين إن هذا القرار باطل ولن ننفذه، عندئذ وقف ممثل اللجنة المركزية وقال بأعلى صوته (أي واحد هيحاول يعمل تنظيم شيوعي مستقل هنبلغ عنه).

أزمة الحركة الشيوعية حتى عام ١٩٦٥

وفي النهاية أستطيع أن ألخص أزمة الحركة الشيوعية المصرية في المرحلة الثانية التي بدأت من أواخر ثلاثينيات القرن العشرين حتى ١٩٦٥ من واقع المعاصرة والمشاركة في الآتي:

١ - قيام العناصر الأجنبية وخاصة اليهودية بتكوين الحلقات الأولى للشيوعيين، ورغم توسع حركة دخول الفكر الاشتراكي في أوساط المصريين مثقفين وعمالا وطلابا، إلا أن سيطرة هؤلاء الأجانب ظلت تلعب دورها حتى النصف الثاني من الأربعينيات، وهذا لا ينتقص من الدور البطولي الذي قام به المصريون من أصل يهودي كأفراد ظلوا يتمسكون بالماركسية.

٢ - رغم ارتباط قيادات عمالية ذات قيادات وزعامات جماهيرية، وقيام تلك القيادات بدور فاعل فى الحركة النقابية والسياسية والمعارك المطلبية، ثم ارتباط تلك القيادات بالفكر الاشتراكى وانضمامها إلى عضوية المنظمات الشيوعية المصرية، إلا أن قيادة تلك المنظمات ظلت متركزة فى العناصر البرجوازية ولم يصل إلى عضوية المكتب السياسي أو اللجنة المركزية إلا أفراد، بعضهم سار تحت البندين وأفسد وتبرجز سلوكيا.

٣ - كان النشاط وسط الطلاب فى كليات الجامعات والمدارس الثانوية وحتى الأزهرية، من أقوى النشاطات الشيوعية الوطنية التى شهدتها الساحة المصرية، ولكن الواقع يقول إن الطالب بعد تخرجه وانغماسه فى الحياة العملية يخف اهتمامه بالعمل العام وخاصة الشيوعى وحتى الوطنى لدرجة التلاشى أحيانا، ولهذا وجدنا أنه لم يستمر منهم فى العمل الشيوعى بعد التخرج إلا عدد قليل، ومع الأسف أن بعض الطلاب قد كلفوا بمسئولية خلايا عمالية عضرة أو مرشحة لعضوية منظمات شيوعية.

٤ - الغالبية العظمى من الجالسين على كراسى قيادة المنظمات الشيوعية فى المكتب السيسى واللجنة المركزية وفى جميع المنظمات كانوا من العناصر المثقفة البرجوازية ولاشك عندى فى أن ذلك كان من أهم أسباب الانقسامية فى الحركة الشيوعية التى كانت كلها مرتبطة بحدتو.

٥ - سلفية النظرة إلى النصوص الماركسية وتقديسها واعتبار أن حفظها هو مقياس الثورية ودون فهم الماركسية كمنهج للفكر والعمل، وإهمال دراسة الواقع المصرى وطبقاته من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الفكرية والسلوكية.

٦ - إذا كانت الماركسية تقول إن الطبقة العاملة هى قائدة الثورة لتحقيق الاشتراكية، فإنها قالت أيضا إن الفلاحين هم جيش الثورة، ولكن الحركة الشيوعية المصرية لم تخلق لها جذورا قوية وسط الفلاحين وكان عمل الشيوعيين المصريين وسط الفلاحين ضعيفاً جداً.

٧ - الانقسامية فى منظمات الحركة الشيوعية المصرية التى قادتها العناصر البرجوازية فى قيادات المنظمات والتى اتخذت شكل الصراع العدائى الذى استنفد

جزءاً غير قليل من عهدها فى محاربة بعضها البعض بدلا من توحيد الجهد ضد العدو الطبقى، بينما كانت العناصر القاعدية من الشيوعيين من مختلف المنظمات تتعاون فى ميدان العمل والحقل الجماهيرى، خاصة العمالى والطلابى، وكثيرون منهم كانوا يرفضون ويدينون الاتهامات التى كان يرجهها البعض للآخر.

٨ - فهم موقف الماركسية من الدين فهما خاطئا، أدى إلى فهم بعض الشيوعيين - نتيجة ما درس لهم فى مدارس الكادر - أن الإلحاد شرط من شروط الإيمان بالشيوعية، وترديد البعض لمقولة (الدين أفيون الشعوب) فى بعض الأوساط الشعبية، والسلوك الخاطئ لأفراد بطريقة لاتتفق مع تقاليد الشعب المصرى وأخلاقياته.

٩ - عدم الفهم الصحيح لموقع كل من القضية الوطنية والقضية الطبقية فى الصراع، والذى أدى فى بعض الأحيان خاصة مع التطورات التى حدثت فى الواقع المصرى، أدى ذلك الفهم غير الصحيح إلى تغليب القضية الوطنية بشكل شبه مطلق على القضية الطبقية ومصالح الجماهير الكادحة بالعمل تحت جناح البرجوازية ومن خلال العضوية الفردية لهم فى تنظيم السلطة السياسية، وهو ما أدى أخيراً إلى حل التنظيمين الشيوعيين الكبيرين (حزب ٨ يناير ١٩٥٨ وحزب حدتو) فى مأساة وجريمة الحل فى ١٩٦٥.

١٠ - التركيز على المركزية وإهمال الديمقراطية فى العمل الداخلى للمنظمات الشيوعية مما كان من أسباب الانقسامية لعدم قبول الرأى الآخر والتعايش معه.

١١ - الذيلية المطلقة للاتحاد السوفيتى وتقديس وتنفيذ كل ما يصدر منه من قول أو عمل، دون دراسة علمية لما إذا كان ذلك يتفق مع الواقع المصرى أم لا.

١٢ - وأخيراً ضربات السلطة القاسية بكل أجهزة قمعها بشكل مستمر ومتصاعد فى العنف حتى فى المراحل التى كان فيها نشاط الشيوعيين مسانداً للسلطة فى مواجهة الإنجليز والملك قبل نجاح حركة الجيش وحتى فى مساندة سلطة يوليو فى مواجهة الاستعمار العالمى والرجعية المحلية بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وكذلك مساندة عبدالناصر فى حربه ضد الصهيونية ولتأييد حركات التحرر العربية والأفريقية.

النهاية

وهنا أستطيع أن أقول إن نهاية رحلتى مع الماركسية تنظيميا كانت بصدور قرار الحل للمنظمتين الشيوعيتين الرئيسيتين فى الساحة المصرية وهما الحزب الشيوعى المصرى ٨ يناير والحزب الشيوعى المصرى حدتو، ورغم ذلك فمازلت مؤمنا بحقيقتين تحكمان تفكيرى على الدوام وإلى اليوم وهما:

١ - أن الاشتراكية هى الحل الوحيد والحتمى لمشاكل الكادحين والفقراء على وجه البسيطة بشكل عام وفى مصر بشكل خاص، والطبقة العاملة المصرية بشكل أخص، وإن كنت أومن بشكل أساسى وفى نفس الوقت بأن البحث عن منهج لتحقيق الاشتراكية فعلاً فى الواقع المصرى يجب أن يراعى ظروفه ودون تمسك سلفى بالنصوص، فالماركسية كمنهج علمى تخضع للاجتهاد والتطور وإلا فقدت مضمونها.

٢ - أن جميع الأديان لم تأت إلا لتحرير الشعوب الكادحة من مستغليها، وإن الإيمان بالله والدين الإسلامى لايتعارض إطلاقًا مع الإيمان بالاشتراكية والعمل على تحقيقها، بل أعتقد أن الكفاح فى سبيل تحقيقها من عوامل التقرب إلى الله، الذى حرم الظلم على نفسه وجعله بين الناس محرما.

كان طبيعيا أن أبحث عن ميدان أعمل فيه ويكون ميسراً لى لأواصل العمل من أجل الطبقة العاملة والشعب المصرى، وبعد تفكير وصلت إلى قناعة بأن هناك تغييما أو محاولة تجاهل لتاريخ الطبقة العاملة المصرية، وأن الغالبية العظمى ممن كتبوا عن تاريخها من المثقفين الذين لم يعايشوا ظروفها ويمارسوا آلامها ويحسوا بآمالها، وحتى من كتب من هؤلاء، كانت كتاباتهم مقتطفات استند بعض المثقفين إليها لملء فراغ فى بحثه.

وفكرت فى سد جزء من هذا النقص، مع إيمانى بأن تاريخ الطبقة العاملة المصرية لايمكن أن يقوم به على الوجه شبه الأكمل إلا هيئة تتوفر لها إمكانيات كافية فبدأت فى هذا المجال، إلى أن انفتحت أمامى مجالات أخرى سوف يكون للحديث عنها مكان آخر.

شهادة

عادل حسونة حسين إسماعيل

البيانات الشخصية :

الاسم : عادل حسونة حسين إسماعيل.

تاريخ وموطن الميلاد : ١٩٣٨/٢/١٠ - الإسكندرية.

فترات الاعتقال : ١٩٥٥ حتى ١٩٥٦ لمدة عام واحد، ٥٩/٣/٢٨ حتى ١٩٦٤/٤/٤ «خمس سنوات».

بيانات أخرى تفيد فى التعرف على السيرة الذاتية :

والدى د. حسونة من قيادة حزب ١٩٢٤، وله دوره عام ١٩٢٨ فى كشف خيانة محمد عبدالعزيز.. وإنزال عبدالرحمن فضل من على ظهر السفينة التى ظل عليها عدة أشهر ممنوعا من مغادرتها..

أنهى دراسته الماركسية بجامعة شعوب الشرق بموسكو، فى الفترة من ١٩٢٣ حتى ١٩٢٨، حيث عاد إلى مصر. وقطع دراسة متخصصة بمعهد للقادة «لينسكى سكولا» عام ١٩٢٨ لمواصلة الكفاح وإعادة بناء الحزب بعد ضربة ١٩٢٤. وقام مشاركًا زملاءه من قيادة الحزب القديم «عمر و شعبان حافظ» بمواصلة العمل الحزبى سرا، وهو عمل لم ينقطع، وإن تأثر بإجراءات الحكومة، وتجريم وتحريم ومطاردة العمل الشيوعى فى مصر منذ قضية ٢٤ وسجن قياداته. وواصل مع زملائه النضال حتى بعد تجميد الكومنترن لعضوية «الحزب الشيوعى المصرى»، بسبب القبض على مندوبيه، وخيانة محمد عبدالعزيز الذى كان يثق به الكومنترن حتى عام ١٩٢٧.

سجن عام ١٩٣٠ (بسجن الحضراء) - قضية توزيع منشورات عيد العمال في مايو سنة ١٩٣٠ - قضية حكمت شعبان حافظ وآخرين. سجن عام ١٩٤٦ بسجن الأجانب بالإسكندرية (عدة أشهر وأفرج عنه)، سجن عام ١٩٥٣ حتى ١٩٥٥ لمدة سنتين وثماني أشهر، تحت التحقيق، في قضية حكم عليه فيها بعامين.

شقيقتي (زهيرة) - توفيت - زوجة الزميل جابر محمود، كانت عضوا بالحركة الديموقراطية للتحرر الوطني بالقسم النسائي، ثم عضواً قيادياً بمنطقة الإسكندرية بعد حل القسم النسائي(١٩٥٣ - ١٩٥٦) كانت، إلى جانب عملها الحزبي، نشطة وسط أسر المسجونين بالإسكندرية، وقيادتهم في مواجهة الأمن، والتظاهر للإفراج عن المعتقلين والمسجونين تحت التحقيق لمدد طويلة دون النظر في أوضاعهم، ولوقف سوء المعاملة، وقبض عليها وأسر المسجونين بالإسكندرية بقسم العطارين لقيامهم بمظاهرة بشوارع الإسكندرية تحمل لافتات تطالب بالإفراج عن الشيوعيين، وتحسين معاملة المسجونين وقضوا يومين، وأفرجت عنهم النيابة قبل وقفة العيد الكبير عام ١٩٥٤.

وأذكر بالتقدير والاحترام دور والدتي الشجاع والقوى في مساندتها لنا ولزملائنا وتحملها المشاق وسوء الأحوال المالية، ورعايتها لنا في شموخ بإرادتها المنفردة منذ ارتباطها بوالدي خلال فترات القبض عليه وهروبه، ثم بعد انضمامنا- نحن الأبناء- للحركة الشيوعية، ظلت دائما، رغم المعاناة الشخصية، فخورة بنا جميعا وبنضالنا- مشاركة كل الأسر في تحركاتها ومظاهراتها من أجل المسجونين الشيوعيين. وظلت تعطى المثل الحي للزوجات والأمهات في تحمل المحن وتحدي السلطة. ولي أن أذكر بكل فخر أنني كنت أول حالة تزامن انضمام أب وابن للحركة الشيوعية بمصر، وأول حالة بمصر يتزامن فيها سجن واعتقال (الأب والابن) لشيوعيتهما في عام ١٩٥٥، الأب بسجن الحضراء، والابن بمعتقل أوردي ليمان أبو زعبل). أذكر هذا ليس للفخر بهذه الأسبقية ولكن كشاهد مجسم وملموس مع غيره من الشواهد على تواصل الحركة الشيوعية المصرية- عملا وفعلا- وليس قولا وحسب على استمراريتها من ١٩٢٤ حتى الحل ١٩٦٤.

الارتباط بالحركة الشيوعية

ارتباطي بالحركة الشيوعية، حالة خاصة مختلفة عن بدايات الرفاق بالارتباط بالحركة الشيوعية؛ فلا الحركة الوطنية المتصاعدة؛ ولا النضال النقابي، ولا التحيز الفكري من خلال القراءة، كان سبباً لارتباطي بها.

السبب ببساطة أننى ولدت فى أحضان الحركة الشيوعية المصرية. وحتى الرابعة أو الخامسة من عمرى، وقبل أن تتكون عندى ملكة الفرز والاختيار، لم أعرف لى أعماماً غير عمى «عمر» وعمى «شعبان»، ثم خلال تواجدنا بالمحمودية بحيرة خلال الحرب العالمية الثانية عرفت عمى «محمد سلامة» وعمى «محمد منصور»، وكلهم أعضاء وكوادر حزب ١٩٢٤.

ومرت أعوام وصرت فى مرحلة الطفولة المميزة، وأدركت وقتها أن هؤلاء الأعمام ليسوا أعماما برابطة الدم، بل أعمام برباط أقوى وأمتن، رباط النضال من أجل هدف واحد نبيل. فقد ظل عمّاى «شعبان وعمر» يترددان على منزلنا بالإبراهيمية بالإسكندرية، فى مواعيد متواترة، وحدهما مرات، ومع آخرين لا أعرفهم مرات أخرى، كما كان يلفت نظرى وقتها تردد مجموعة من الشباب على منزلنا، يلبسون الزى العسكرى الخاص بالطيران لعدة أسابيع، ثم انقطع حضورهم الذى كان يستمر لعدة ساعات يجلسون إلى أبى الذى يتحدث إليهم طويلا وينصتون إليه.

وهكذا رأت عينى، وسمعت أذنى، ووعت مداركى منذ نعومة أظافرى، الاجتماعات المنظمة والحلقات الدراسية (مدارس الكادر) والأمان، والعمل السرى. ووعيت مبكرا جداً أن هؤلاء جميعاً، أبى وزملاءه، مجموعة من الرجال يجمعهم حزب واحد، وينشطون من أجل تحقيق نظام جديد، وأنهم بسبب نشاطهم هذا معرضون للقبض عليهم فى أى لحظة. ولذلك هم حذرون فى حركتهم واجتماعهم. وكانت هناك «أم»، ترد على استفساراتنا باقتضاب، وبقدر ما تعى من أقوال للأب لها عن حزبهم وأهدافه من إقامة العدالة والمساواة والاشتراكية. وكانت تطلب منا عدم الحديث عما يدور بداخل منزلنا من اجتماعات. وكان هذا بمثابة أول درس فى الأمان. وقد وجدت هذه الاجتماعات الحماية من طريقة حضور المترددين وانصرافهم فرادى، والأهم ما يوفره الحى الذى نسكن فيه (الإبراهيمية التى كانت حياً خاصا باليونانيين ولم تكن به إلا أسر نادرة مصرية)، وبعد سكانه عن الفضول. وبعده عن شكوك جهة الأمن فى وجود نشاط سياسى بين سكانه.

ومع مرور الوقت، ومن أحاديث والدى معنا، المباشرة أحيانا وغير المباشرة حيناً، وضحت لنا أهداف حزبهم الرئيسية. كانت على الأقل تختلف تماما مع أهداف

الأحزاب الأخرى القائمة والمتصارعة على الحكم دون تغيير أو مساس بالنظام القائم المبنى على الملكية واستغلال العمال والفلاحين، وإبعادهم كطبقات عن أى مشاركة حقيقية فى توجهات الحكم. وأن طبقات أخرى فى المجتمع هى التى توجه دفة الحكم بما يضمن مصالحها. وهكذا، وبشكل مبسط، عرفنا أن المجتمع ينقسم إلى عدة طبقات غير متجانسة المصالح، وأن أقدر وأكثر هذه الطبقات سعيا للثورة على الأوضاع القائمة من استعمار وملكية وإقطاع ورأسمالية مستغلة هى الطبقة العاملة والفلاحون لأنها أكثر طبقات المجتمع بعداً عن الاستغلال وأكثر هذه الطبقات قهراً وظلماً. باختصار وعينا أن هناك مجتمعا ونظاما رأسماليا مستغلا ونظاماً اشتراكيا غير مستغل. وأن هذا الأخير أكثر قدرة على تحقيق العدالة والمساواة، وهو الأقدر على القضاء على الفقر والجهل والمرض، الآفات الثلاث التى يعانى منها الشعب.

إلى جانب هذا العامل المعيش، كان هناك جانب تنويرى يقوم به أبى تجاهنا من إذكاء للروح الوطنية، والحديث عن القيادات الوطنية الأولى المعادية للاستعمار والتبعية والقيادات الفكرية المستنيرة. ومصاحبته لنا - قدر المتاح من وقته - إلى المتاحف بالإسكندرية - والقاهرة والأهرامات، حتى ندرك أمجاد المصريين منذ فجر التاريخ ، والشعور بالزهو بهذه الأمجاد الغابرة، ويقظة الشعور الغيور على نهضة الوطن وتطوره، من خلال هذه الرحلات، وانطباعنا عما نراه. كان يربط بين ما نراه وبين تشابك العلاقات بين الأمم، وقيام الإمبراطوريات واختفائها والعلاقة السببية بين كل هذا ووضعنا الحاضر. باختصار، غرس فينا أبى أساسيات كانت هى البوصلة التى هدتنا لاختيار المشاركة فى النضال من أجل الشيوعية بإرادتنا عندما نضج وعينا وأصبحت لنا القدرة على اتخاذ القرار.

وكان منتصف عام ١٩٥٣ زمن التحول من مرحلة الارتباط الأسرى، إلى الارتباط التنظيمى، عن وعى مسبق بكل تبعات هذا الارتباط من اعتقال أو سجن، بل لقد عشنا بأنفسنا انعكاس هذا الارتباط على أسرة المناضل بالتبعية وتلقائيا، من معاناة معيشية، لقلة دخل الأسرة، مع زيادة الالتزامات على الأسر من استمرار مساندتهم وتوصيل الطعام لهم يومياً إلى السجن، والزيارات، وتحمل سخافات رجال السجون، والتحرك والتظاهر لمنع أى عسف وسوء معاملة لهم، والاصطدام بالسلطات، والتعرض

لتعسف رجال الأمن فى قمع هذه التحركات، والحجز بأقسام الشرطة، هذا إلى جانب الفراق، والشرود، والقلق، وانتظار المحاكمات التى يجرى تعمد إطالة إجراءاتها. كل هذا يظهر بجلاء كيف أن ارتباطى أنا وشقيقتى بالحركة الشيوعية - وقد سبقتنى هى فى الارتباط - كان منذ البداية حالة خاصة من خلال معايشة قوى النضال والنشاط العملى الذى كان أبطاله بشر يتحملون هم وأسرهم تبعات النضال، والمعاناة المزدوجة للمناضل وأسرته، خلال طريق طويل من أجل غاية نبيلة، وليس لمصلحة آنية.

ارتبطت بتنظيم الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) فى منتصف ١٩٥٣ فى سن الخامسة عشر وكنت عضواً قاعدياً بالتنظيم بإحدى وحداته، أشارك فى النضال العملى بكل مناحيه من دعاية وتنظيم، وبث الوعى الوطنى والاشتراكى بين الجماهير. فالعمل الشيوعى ليس عملاً عشوائياً، أو جهداً فردياً حراً، بل هو عمل جماعى منظم من خلال بيان حزبى. وطبيعى أن يكون مجال نشاطى فى هذه البداية داخل مجالى العضوى وهو المدرسة الثانوية، وبين الطلاب بمدرستى، العباسية الثانوية بالإسكندرية والأصدقاء بالمدارس الأخرى.

بجانب هذه الواجبات العامة الحزبية، فقد كنت وشقيقتى همزة الوصل بين الكوادر داخل سجن الحضراء والتنظيم خارجه، من خلال زيارات الوالد.

وخلال هبة مارس ١٩٥٤ المطالبة بعودة الجيش لثكناته، وإقامة حياة ديموقراطية، شاركت ومجموعة من الرفاق والمتعاطفين معنا وبعض الطلبة من الأحزاب والاتجاهات الأخرى، المتفقة معنا فى المطالبة بحكم دستورى نيابى ديمقراطى ضد الديكتاتورية العسكرية وحكم الفرد. قمنا بالمظاهرات داخل المدرسة، والتحرك بها إلى خارج المدرسة، وعزل العناصر الطلابية المعادية وعدم تمكينها من إفشال المظاهرات، وخلال ذلك كنت أقوم بحملة دعاية وإثارة من خلال جريدة حائط طلابية أرأس تحريرها بإشراف مدرس لغة عربية من أنصار الديموقراطية. وكنا نستخدم شعارات جريدة الوفد، والبيانات المنشورة على صفحاتها ونداءات الكتاب والشخصيات العامة التى تدعو الشعب إلى التمسك بالحرية والديموقراطية، وانتخاب لجنة تأسيسية لوضع دستور للبلاد، وانتخاب مجلس نيابى وإقامة حكم مدنى ديمقراطى. وكان تيار الديموقراطية كاسحاً فى هذا الوقت، إذ لم يقف ناظر المدرسة والمدرسون ضد تحركاتنا هذه، بل كانوا متعاطفين مع حركة الطلاب.

وأذكر بهذه المناسبة عن موقف الطلبة بمدرسة العباسية (وكذلك بكافة المدارس والجامعات) أنه كان بالمدرسة شقيق للرئيس جمال عبدالناصر بين طلابها وهو (حسين عبدالناصر- زوج ابنة المشير فيما بعد)، وكان يشاهد كل هذه التحركات، ويسمع هتافاتهم المعادية للنظام القائم وبعضها معاد للرئيس شخصيًا، ويستمع للمناقشات الطلابية الصاخبة ضد النظام، ومع هذا فقد كان غريبا أن يظل على صمته مهذبا ومحايداً لايتدخل .

وبعد نهاية أزمة مارس لصالح النظام العسكرى، وبقاء سلطة البلاد بين يديه، زاد من قبضته على الحكم ومن أساليبه الديكتاتورية، وبعده عن الديموقراطية، ومطاردة كل المفكرين وأساتذة الجامعات، وكل الذين ناصروا هبة مارس، وبالأخص الشيوعيين. وزادت حملات الاعتقال والقضايا، فى ظل هذا الوضع شديد النهر، والقبض على أغلب قيادات التنظيم. وتشكلت لجنة منطقة جديدة للإسكندرية بدلا من الذين تم اعتقالهم، أو القبض عليهم للمحاكمة. وصعدت إلى لجنة قسم الرمل، مع مجموعة من سكان هذا الحى العمالى والذين لم يسبق اعتقالهم. وعمل كل الرفاق، بعد هذه الضربات، بروح المحترف الثورى. وأعطينا كل وقتنا وطاقتنا للعمل الحزبى ومضاعفته لتعويض نقصنا العددى نتيجة حملات الاعتقال والحجز. وكثفنا من توزيع المنشورات، وكتابة الشعارات المعادية للدكتاتورية العسكرية والدعوة لإسقاطها.

كما كنا ندعو ونتحرك بين الجماهير فى كل المواقع تحت الخط السياسى الذى تبناه التنظيم وقتئذ، وهو إقامة الجبهة الوطنية مع كل القوى المعادية للدكتاتورية العسكرية، وتبنى شعار «لجنة تأسيسية» لوضع دستور ديمقراطى، وانتخاب برلمان. وقد أصدرت لجنة المنطقة (الجديدة) بالإسكندرية نشرة غير دورية باسم «الجبهة»، كنا نقوم بتوزيعها بجانب دعوتنا لكل القوى للانضمام للجبهة.

وقد تمكنا فى إحدى زيارتنا لسجن الحدراء من إدخال نسخة من هذه النشرة إلى الزملاء، والذين قاموا بدورهم من خلال زملاء مرحلين إلى سجن القناطر من توصيلها إلى باقى الرفاق هناك، وكان لذلك أثره على الكوادر بالداخل لاستمرار العمل بالخارج رغم الضربات المتلاحقة.

ومن التحركات الجماهيرية التى تستحق الذكر فى هذه الفترة العصيبة التى كانت تمر البلاد بها، قيام الزملاء داخل سجن الحدراء بالإضراب عن الطعام من أجل

المطالبة بسرعة إجراء المحاكمات، حيث كانوا يتركون لسنوات دون محاكمة، بغرض حجز الكوادر أطول مدة تحت التحقيق، خشية صدور أحكام بالبراءة، وكذلك المطالبة بتحسين أحوالهم المعيشية داخل السجن. وقمنا على أثر ذلك، بالعمل على تجميع أهالى المسجونين من مختلف القيادات، من خلال اتصال شقيقتى بهذه العائلات التى تحمست للمشاركة فى أى تحرك، وأذكر من هذه العائلات والدة الزميل عادل كامل وزوجة شقيقه، وشقيقه أحمد البكار، ووالدة سعيد ربيعة، ووالدتى وغيرهن من السيدات والآنسات من أهالى المسجونين، وأذكر من بين هذه الأسر شقيقة زميل اسمه ألبير أرولاى وكان لوالدته محل شهير «أولد إنجلند» بشارع شريف بالإسكندرية، وهو الشارع المزدحم وقتها بالمحلات التجارية الراقية، هذه السيدة لم تتردد فى الموافقة على الاشتراك فى هذا العمل مع باقى الأسر. وكانت من أوائل الحاضرات إلى مكان تجمعهن صباحاً بميدان «محطة مصر». وكانت مظاهرة صامتة ناجحة وقوية فى تحديها لكل الظروف الإرهابية بعد نكسة «١٩٥٤». وانكماش العمل النضالى وإرهاب الجماهير عن القيام بأى تحرك. فقد كانت هذه المظاهرة تسير فيها سيدات وآنسات رافعات عاليًا شعارات المطالبة بالإفراج عن المعتقلين والمسجونين الشيوعيين. والمطالبة بوقف المعاملة السيئة بالسجون وقد سارت هذه المظاهرة حاملة اللافتات فى تحد للأمن لمسافة مئات الأمتار من ميدان محطة مصر حتى مبنى المحافظة القديم والذى كان بداخله مكتب المباحث العامة لمكافحة الشيوعية، وعلى رأسه «ممدوح سالم والسيد فهمى». وسعد عفرة، رئيس مجلس الوزراء السابق، ووزير الداخلية السابق، ورئيس حى وسط الإسكندرية فى عهد الرئيس أنور السادات فيما بعد. وقد جن جنونهم لهذه المظاهرة، خاصة بعد أن علموا بسيرها لمئات الأمتار فى أكثر شوارع الإسكندرية ازدحاما، وعاقبوا كل عساكر المرور المتواجدين بالخدمة على تقاطع الطرق، خلال مسار هذه المظاهرة الصامتة دون العمل على إيقاف مسيرتها. وقدمت المتظاهرات عريضة المطالب، وتم القبض عليهن، واحتجازهن بحجز قسم العطارين، حتى ظهر اليوم التالى. وتم عرضهن على النيابة التى أفرجت عنهن. كما أفرجت عن شقيقتى بكفالة مالية ـ لقيادتها هذا التحرك. وحفظت القضية، فيما بعد، حيث لم تكن سياسة اعتقال السيدات قد بدأت بعد، فأفرج عنها.

وكنت إلى جانب نشاطي الطلابي، أشارك أعضاء قسم الرمل - الجديد - في العمل على إعادة النشاط النقابي بمصانع منطقة الرمل بالسيوف والعوائد، كما شاركت في توزيع المنشورات بشكل متواصل بمنطقة المصانع بهذا الحي. الشركة العربية للغزل والنسيج، والطريل، والمتحدة وغيرها بمنطقة السيوف والعوائد.

لقاء مع الزميل «شعبان حافظ»

في الفترة من نهاية ١٩٥٣ إلى بداية ١٩٥٤، قام بزيارتنا بمنزلنا «عمي شعبان حافظ» وكان بصحبته شخص آخر لا نعرفه. وفي وجود عمي شعبان، لايمكن إلا أن يكون الجزء الأكبر من الحديث حول السياسة وأوضاع البلد. وقد أبديت ملاحظة خلال ذلك عن تخاذل قيادة الوفد في موقفها من الحكم القائم. وكان رد عم شعبان أن هناك مواقف أكثر خزيا من شيوعيين يناصرون الحكم، ويدعون العمال إلى الهدوء، وعدم القيام بإضرابات احتجاجا على إعدام زميليهم بكفر الدوار (خميس والبقري) (وكان يقصد حدتو التي أيدت الثورة عند قيامها وظلت تؤيدها حتى صدور الحكم بإعدام العاملين)، وقد غيرت موقفها بعد ذلك وصار خطها السياسي مماثلاً للخطوط السياسية لكافة التنظيمات في رفع شعار إسقاط الديكتاتورية العسكرية. ولم يكن مني إلا التصدي بعصبية لهجوم عمي شعبان على حدتو- التي غيرت موقفها مع أنها أكثر التنظيمات حركة بين الجماهير. أما باقي التنظيمات فنشاطها الأكبر كان في الهجوم على حدتو وكوادر حدتو الأكثر نشاطا عمليا. وقد كان ردي هذا إعلانا كافيا عن هويتي التنظيمية، وسعد عمي شعبان باكتشافه انضمامي للحركة الشيوعية - حتى وإن كنت في تنظيم آخر. واستمر الحديث بود وأبوة، وقد شارك الزميل الآخر في الحديث والذي كشف عن هويته هو الآخر كزميل بمنظمة النواة مع عمي شعبان (وهو الزميل بكر الشرقاوي) الذي تواصل بيني وبينه اللقاء. ورغم اختلاف انتمائنا التنظيمي، وفارق السن، حيث كنت في السادسة عشرة. قامت بيننا صداقة، وتبادلنا مطبوعات كلا التنظيمين وتناقشنا طويلاً حول «وحدة الشيوعيين»، ومن خلاله عرفت رأي النواة في الوحدة (لجنة تحضيرية - تنسيق - نشرة للصراع الفكري - مؤتمر وانتخاب لجنة مركزية)[1]. وبعد سلسلة من الحوارات حول كيفية الوحدة اقتنعت بوجهة النظر تلك

مقابل وجهات النظر الأخرى (حدتو - الأم، الراية - لا شيوعية خارج الحزب، دش - النمر الذاتى). وحملت وجهة النظر هذه إلى رفاقى بلجنة القسم حيث كان الحديث حول الوحدة يتزايد بين كوادر التنظيمات، وعارضنى المسئول وقتها - حيث إن وجهة نظر حدتو التقليدية أن هذه التنظيمات انقسمت عن حدتو وعليها العودة إلى التنظيم الأم. وطال الجدل، وتصاعد خلافنا إلى لجنة المنطقة التى رأت أن من حقى عرض وجهة نظرى مع الالتزام بموقف التنظيم. ثم تطورت الأحداث وتغير موقف التنظيم بقبول لجنته المركزية خارج السجون (عبدالجابر خلاف، وصلاح حافظ..) إلى التنسيق مع باقى التنظيمات وكذلك قيادات السجن بالعمل على الوحدة والتى تمت عام ١٩٥٥ على أسس مختلفة عن شعار النواة (صراع - تمزتمر) وتمت الوحدة على أساس تحديد نقط الخلاف والدمج بين التنظيمات التى تجمع كلها على الموقف من النظام القائم وتتبنى شعار الإسقاط، وحل أى خلافات فكرية من خلال الصراع الداخلى..

وتم اعتقالى فى بداية عام ١٩٥٥ (مع الإعلان عن انعقاد مؤتمر باندونج).

وتقابلت فى سجن الأجانب بالزملاء محسن الخياط، وحمدى مرسى. أما حمدى، فكنت أعرفه كزميل المدرسة الثانوية، وعضواً بنفس التنظيم. أما الزميل محسن، فقد كان أول لقاء لنا - ونظراً لأن شقيقيه كانا زميلين لى بنفس الفصل الدراسى، ولكونه من المحمودية - بحيرة المرتبطة بذكريات عزيزة ومتصله بالأعمام - محمد سلامة وأسرة المرحوم محمد منصور - فقد تصادقنا مع أنه من تنظيم مغاير - النواة - وربطت بيننا الصداقة واستمرت حتى بعد نهاية الاعتقال.

اعتقلنا وقد علمنا بإتمام الوحدة وإن لم يكن الدمج قد بدأ بين الأعضاء بالخارج بعد. ورحلنا إلى معتقل أوردى ليمان أبوزعبل (الذى فتح عام ١٩٥٤) حاملين معنا خبر الوحدة للرفاق بهذا المعتقل الذى تميز بعزلته الشديدة، وإحكام الحصار على المعتقلين دون تمكنهم من الاتصال بالخارج إلا فى أحوال حضور معتقلين جدد.

وتم توزيعنا؛ سكنت أنا فى عنبر واحد، عنبر حدتو كل زملائه من التنظيم، وحمدى مرسى بعنبر ٣ وقد أطلق عليه اسم «طنجة» نسبة إلى مدينة طنجة الدولية.

حيث كان به عدد كبير (أغلبية) من حدتو والباقين خليط من أفراد غير منظمين، تقدميين وصحفيين، ونقابيين وأفراد تم اعتقالهم باعتبارهم ذوى ميول يسارية أو معادية للحكم. لذا أطلق عليه عنبر طنجة. وقد اختارت قيادة حدتو زميلاً ممتازاً من كرادرها (سعد عبداللطيف - المحامى) لقيادة الحياة العامة بهذا العنبر. وقد امتاز هذا الزميل بالقدرة على إدارة الحياة العامة المشتركة بين أفراد لا يربطهم رباط تنظيمى واحد، كما كان يمتاز باليقظة والمرونة التى جعلته ناجحا فى التوازن بين سكان العنبر وتجانسهم فى حياة عامة مشتركة دون صدام، وكسب ثقة الجميع، وتمثيلهم لدى الإدارة. أما محسن الخياط (المنتمى للنواة) فقد أقام بعنبر ٤ والذى يجمع أعضاء من باقى التنظيمات النواة - النجم الأحمر - نحشم - د. ش - ونقابيين قريبين منها.

والعنبر الأخير رقم (٢) كان خاصاً بتنظيم الحزب الشيوعى المصرى (الراية).

واضح من طريقة توزيعنا أن التنظيمات التى دخلت وحدة الموحد كانت لاتزال حتى وصولنا المعتقل قائمة كما هى محتفظة باستقلالية أعضائها ومتمسكة بمسمياتها ولم تندمج بعد وتتحد داخل الحزب الموحد الوليد.

ظهور الخلاف داخل الموحد.

نظراً لبعد معتقل أبو زعبل، والمعتقلين به، وعزلتهم عن الخارج، وعن باقى زملائهم بباقى السجون، حيث كان الحديث والحوار والتنسيق من أجل الوحدة بين كافة التنظيمات عدا (د. ش والراية) وقد توج هذا العمل بالاتفاق، ثم إتمام الوحدة، لذلك فقد كانت الحنقية والتباعد شديدين بين أعضاء التنظيمات خاصة تجاه حدتو التى لها الغلبة الغالبة عددياً داخل المعتقل.

لذلك كان نبأ إعلان الوحدة وقيام حزب واحد والقرار بحل كل التنظيمات لتشكيلاتها، ودمج أعضائها فى تنظيم واحد، مفاجأة لمعتقلى أبوزعبل الذى يغلب على أعضاء التنظيمات الصغيرة داخله روح العداء لتنظيم «حدتو».

مع هذا فقد خضعت كل القيادات لقرار الوحدة حتى مسئول نحشم - الجديدة - الذى رفض الاندماج فى البداية ثم وافق على دخول الوحدة هو وزملاؤه. ماعدا موقف فردى للزميل عادل كامل الذى رفض الوحدة على هذا الأساس المغاير لخط التنظيم (صراع - مؤتمر - وحدة).

وبدأ اجتماع قيادة الموحد بالمعتقل (أعضاء اللجنة المركزية المشكلة لقيادة الموحد) وكانوا ثلاثة بالمعتقل - أحمد رفاعى (حدتو)، فوزى جرجس، وبهيج نصار (نواة) أى (١ : ٢) رغم أن النسبة العددية بين الأعضاء مغايرة تماماً لهذه النسبة داخل المعتقل. مع هذا فإن كادر وقيادة حدتو على أغلبيتهم الساحقة قبلوا الاندماج بقيادة أحمد رفاعى.

وقد وضح منذ البداية عدم نجاح القيادة فى إعادة تسكين الأعضاء بالعنابر لكسر الروابط الحلقية. ورغم اجتماعات القيادة المتلاحقة، فقد وضح عدم تجانسها ووجود خلاف بينها - وبالتحديد بين قطبين أحمد رفاعى (حدتو) وفوزى جرجس (النواة) وباقى كوادر التنظيمات الأخرى معه. فوزى يتهم أحمد بمحاولة السيطرة الفردية ومعه معظم قيادة حدتو على الحزب، وينفى أحمد هذا الاتهام متحديا خصمه بأنه يقبل به كمسئول أعلى لمنطقة الأوردى بأبى زعبل، يباشر ويتحمل المسئوليات التى تستوجبها القيادة، وألا يحاول أن يجعل منها منصباً شرفيا يحوزه بلا عمل.

وقد رفض فوزى هذا العرض (الذى ظل لفترة طويلة يعتبره المقربون من فوزى ترفعا عن المناصب) مع هذا فإن هذا الخلاف بينهما قد كشف عن أن الصراع بين الطرفين لم يكن تنافساً على القيادة بل كان يعكس صراعاً حول أسلوبين من القيادة؛ أسلوب مركزية مطلقة وعمياء تتسلط، وقيادة ديموقراطية تقترب من القواعد ولاتقيم حاجزاً من الاحتواء يفصل بينهما.

ولأن المجموعة التى كانت تعتنق مفهوم اللجنة المركزية والمؤتمر كان قبولها للوحدة مبنيا على الطاعة التنظيمية أكثر من كونه نتاجا للاقتناع والاختيار، فإن مثل هذا التصادم لايتصور له إلا أن يكون قوة مركزية طاردة تفعل فعلها كما تفعل بالفعل فى تفكيك الإطار التنظيمى الذى كان هشاً إلى درجة لايستطيع أن يتحمل معها أبسط الخلافات. وكان لابد لمثل هذا التصادم الواقع بعد الوحدة مباشرة، وقشرة التنظيم لم تتصلب بعد لكى تتحمل أى قدر من الخلاف، كان لابد له أن يعمل فى اتجاه تفجير هذه القشرة العاجزة عن الجمع بين قطبيها. وكانت النتيجة عود على بدء كما يقولون، المجموعة التى طرأت بعد الوحدة على حدتو تنفصل عنها فى صورة تكتل لم يخل من بعض عناصر من حدتو (حسنى تمام، وحمدى حمدان)، بينما احتفظت حدتو،

باستثناء التكتل الذى خرج على الإطار التنظيمى للوحدة، بجميع قواعدها مضافاً إليها عناصر قيادية من النواة (بهيج نصار، وعبد الله الزغبى) ولم تخرج فى هذا التكتل.

كانت ضمن أعضاء الكتلة الرئيسية للحزب الموحد، والتى تشكلت من أعضاء حدتو الذى لم يشاركوا فى التكتل، ولابارحوا بالتالى تنظيم الموحد الناجم عن الوحدة، كما وجد فى منطقة أوردى أبوزعبل. ويجب التنويه أنه حتى بعد إنهاء المعتقل، بعد الإفراج عن المعتقلين، ظل التكتل الذى خرج على قيادة الحزب الموحد فى هذا المكان، يحمل اسم الحزب الموحد لفترة. وهكذا صار للموحد الوليد فى واقع الأمر شكلان وقيادتان متناقضتان ومستقلتان عن بعضهما البعض، إحداهما على رأسها فوزى جرجس ومحمود الماتسترلى، والأخرى على رأسها أحمد رفاعى وبهيج نصار وباقى كوادر حدتو من ذات الوزن الثقيل فى الحركة وقتها، إبراهيم عبدالحليم وجمال غالى ومحمدعباس وعبدالمنعم الغزالى وآخرين. وكلا الشكلين مازال يحمل اسم الحزب الموحد، المجموعة الأولى تضم الثانية باعتبارها تكتل الأغلبية الانتهازية تجاه المجموعة الثورية، والمجموعة الثانية لاتقيم وزنا كبيراً لهم. خاصة لقلة عددهم. وتعتبرهم مجموعة مارقة على الحزب[٢] وإن اهتموا بألا يمتد لهذا التكتل صدى داخل قواعدهم.. خاصة مع تزايد تعريض التنظيمين الآخرين الذين لم يدخلا الوحده (د. ش. والراية) بالوحدة، وبحدتو وقيادة حدتو خاصة.

وكنت مع قلة قليلة من الكوادر غير القيادية، وكان لنا فكر سابق. قبل الوحدة. مؤيد ومقتنع بأن الأسلوب السليم لضمان وحدة حقيقة، هو أسلوب (التنسيق، الصراع، المؤتمر)، فلقد اعتبرنا ما حدث نتيجة لآثار الوحدة الاندماجية القائمة على توزيع عضوية اللجنة المركزية بين المنظمات، وتأجيل الصراع حول نقاط الخلاف بعد الوحدة. ومع هذا فبقيام الحزب، بصرف النظر عن أسلوب قيامه، فإن واجب كل أعضاء التنظيمات التى قبلت الوحدة أن تبادر بالاندماج تحت قيادة واحدة، وترحل أى خلافات سابقة إلى داخل التنظيم. لذلك فقد رأينا فى انسحاب فوزى جرجس ومجموعته، أيا كانت المبررات، عودة إلى ما كان عليه الوضع قبل الوحدة، ولذلك كنا من خلال الوحدات الحزبية المتواجدين بها (على قلة عددنا الذى لايتجاوز خمسة أفراد) نطالب بعقد كونفرنس موسع، أو مؤتمر، داخل منطقة أوردى ليمان أبوزعبل

لمناقشة أسباب هذا الانقسام المبكر، ومحاسبة المسئول أو المسئولين عنه، خاصة وأن كلا الطرفين، حتى ذلك الوقت، كان يعتبر جزءاً من الحزب الموحد خاضع للجنته المركزية «الموسعة» بكل المناطق.

كان هذا موقفى من ذلك الانشقاق، مع استمرار انتمائى لمجموعة الحزب (أحمد رفاعى) التى قبلت الاندماج مع عددها الكبير جدا عضويا، ولا يمثلها إلا عضو واحد باللجنة المركزية بمنطقة أبوزعبل، بينما المجموعة الأخرى تضم اثنين أعضاء باللجنة لمركزية من النواة.

هكذا كان الحال عام ١٩٥٥ - ١٩٥٦ داخل أوردى ليمان أبوزعبل، وأنه بنهاية المعتقل، وداخل الحزب بالخارج، سيصفى هذا الوضع، فقد كان تكتل فوزى يعتبر نفسه جزءاً من الحزب، ولم يعلن قيام تنظيم جديد منقسم على الحزب.

الإضراب عن الطعام

وقد خلق هذا الوضع، بالإضافة إلى بوادر الحديث داخل التنظيم (والمعتقل) حول تحول النظرة للسلطة (التى كان الجميع ملتقيا على أنها ديكتاتورية عسكرية أو فاشية)، والعمل على إسقاطها، إلى الحديث عن الاتجاهات الوطنية والمعادية للاستعمار (باندونج - وكتلة عدم الانحياز). فقد أخذ الهجوم على قيادة حدتو وتيار حدتو داخل المعتقل يشتد سواء من التنظيمين الآخرين أو من تكتل (الموحد) بعنبر ٤، والذى كانت صلة أعضائه بأعضاء حدتو غير مقطوعة تماما - كانتماء مفترض لحزب واحد - وأقدمت قيادة الموحد على «قرار» يوحد قواعدها وكوادرها فى عمل - نضالى - داخل المعتقل ودعت إلى إضراب عن الطعام لتحقيق مكاسب لكل المعتقلين لتحسين الأوضاع داخل المعتقل، والحق فى الزيارات، والقراءة، والإذاعة (وعلى رأس هذه المطالب الإفراج)..

وقد رفضت كل التنظيمات، بما فيها تكتل الموحد، المشاركة فى الإضراب. وكان حماس كوادر وقواعد الموحد شديداً من أجل تحقيق هذه المكاسب، دون أى اعتبار لهجوم باقى المعتقل على الإضراب. وبدأ الإضراب الذى أعدت له القيادة جيداً، وأنعش جذوة النضال بين كل الرفاق - ودخلت الدفعة الأولى - ثم الثانية بعدها بأيام قليلة، بعنبر واحد، وكنت قد صممت على المشاركة فى الإضراب، رغم صغر سنى

(١٧ سنة). وقام التنظيم بإصدار مجلة حائط يومية خارج عنبر المضربين تتابع أحوال المضربين، وتبث الحماس والمساندة للإضراب داخل المعتقل. وقد كان ضمن الإثارة والدعاية للإضراب، نبذة على بصفتى أصغر المضربين سناً، وقبول القيادة دخولى الإضراب لإصرارى على الدخول. وبعد مرور عشرة أيام على الإضراب، جاء صباح مشحون بالأحداث، فقد بدأنا نسمع صيحات الجنود وتحركاتهم ودبيب أقدامهم بالأحذية الميرى على الأرض التى تصدر عنها أصوات مرتفعة تدك الأرض وتوضح ضخامة عددهم. كما تكثفت الحراسة على السور الملاصق للعنبر، وانتشر عدد من جنود «الدرجة الثانية» كتيبة الحراسة - بامتداد السور، والجميع يحمل البنادق سريعة الطلقات، ونداءات مصدرة للأوامر، وجلبة وضجيج، مما أشاع جواً من القلق والترقب، وإحساساً بالخطر. وفجأة فتح باب العنبر لتتدفع منه كتيبة من الجنود حملة الشوم، وأوامر صارخة بالضرب، وكنا قد شرعنا نقف من مرقدنا لنواجه بسيل من ضربات الشوم فى كل مكان من أجسادنا دون حذر أو احتراس، فوق الرأس، وعلى الأيادى التى تحاول تفادى الضربات القاتلة؛ وتقهقرنا فى نهاية العنبر الذى ينتهى بدورة المياه. وتكدسنا والضرب لا يتوقف. واختلط الحابل بالنابل بين ضارب وبين مضروب يدافع عن نفسه وصراخ الأوامر والعسكر والضباط بمواصلة هذا الهجوم الهكسوسى الذى لا يتوقف، وقد شجت رؤوس وكسرت أياد خاصة الصف الأول المواجه لهذا الهجوم. وقد رأينا باقى العسكر يقوم بتمزيق ملابسنا الموجودة فوق المراتب التى ننام عليها. وبعد فترة طويلة من الضرب الساخن صدرت الأوامر للجنود بترك العنبر الذى أغلق علينا للقيام بالهجوم على عنبر آخر. وقد تركونا والدماء تنزف من الرؤوس التى شجها الشوم، ولا علاج لوقف الدم سوى الضغط على الجرح بكف اليد، ومن كسرت يده لايجد علاجا. وكان من بين الذين كسرت أذرعهم زميلنا الشاعر فؤاد حداد حيث أصابته شومة على كوعه مما جعلت ذراعه بعد التئام الكسر بدون جبس أو علاج لا يعود إلى طبيعته.

لقد كانت غارة وحشية همجية غاشمة، ذكرتنا بفظاعات الهكسوس على عزل منهكين من إضراب مر عليه عشرة أيام. وأخيراً ظهر قائد هذا الهجوم التترى لواء تأديب المساجين بمصلحة السجون، اللواء همت، وقد رأيناه بعد أن فتح علينا العنبر

متتشيا. وقد قاموا بأخذ عدد من بيننا إلى خارج العنبر، وكذلك من العنابر الأخرى. وقد كرروا الحملة على عنبر ٤ الذى قاومهم قدر استطاعته، وجمعوا هؤلاء الزملاء الذين اختاروهم، وعددهم كبير، ونقلوهم إلى الليمان (الرئيسى) حيث قاموا بتعذيبهم من جديد وضرب وجلد على ظهورهم، ثم وضعوهم أو بالأصح حشروهم فى زنازين الليمان، ذلك بعد أن تأكدوا من فشلهم فى حل الإضراب بالقوة، وغادرت كتيبة همت الغاشمة المعتقل، حيث كان هذا أول لقاء لنا مع هذا المأفون.

وبعد مرور يومين تقريبا على هذه الحملة، فتح علينا العنبر حيث كنا لا نزال مضربين عن الطعام، وظهر مأمور المعتقل حسن منير الذى كان فى إجازة خلال هذه الحملة المسعورة، والتى ندم على سوء حظه لعدم مشاركته فيها، وقرر استكمال فصولها. ومن كشف بيده نادى على أسماء ثلاثة زملاء من العنبر (الزميل زهدى ـ الرسام ـ على نجيب ـ وأنا) كانت رأسى قد حظيت بشج كبير رغم تجلط الدم عليه لكنه مازال عرضة للنزف عند أى ملمس، ثم أخذنا شاويش المعتقل إلى زنزانة صغيرة مهجورة فى ركن من الفناء المقابل للعنابر. وبعد قليل أضاف إلينا أربعة زملاء من غير المضربين، من عنبر ١ (زملاء تنظيم الراية) من بينهم الزميل سعد زهران. ثم جاء حلاق السجن وحلق رؤوسنا ـ زيرو ـ وقد أشفق الرجل على رأسى وأخذ يبعد ماكينة الحلاقة عن الجرح قدر ما يمكن وترك الشعر فوقها على شكل خصلة، ثم فى زنزانتين بجوارنا جمع مأمور المعتقل خمسة عشر زميلا آخرين من اختياره من باقى العنابر، من غير المضربين، من بينهم الكاتب عبدالرحمن الخميسى. وقد وضح أن القائد الهمام قد فاته اختيار الذين تم ترحيلهم إلى الليمان من الزملاء ـ رأى أن تكون له إضافة من اختياره ليعزلهم ويضعهم فى الزنازين المهجورة تلك.

وهكذا وجدنا أنفسنا نحن السبعة، ثلاثة مضربين وأربعة غير مضربين، من تنظيمين متناقضين بينهما شبه قطيعة، داخل زنزانة أرضيتها غير ممهدة بها حفر صغيرة كثيرة ومترية ومساحتها بالكاد يمكننا أن نجلس القرفصاء أسفل جدرانها. وقد تركوا لنا جردلين واحداً للشرب والآخر لقضاء الحاجة. والزنزانة مغلقة وغير مسموح لنا بمغادرتها. وكل صباح يقوم مسجون نبطشى من المساجين (الجنائيين) بتبديل الجرادل وأما النوم فكان مأساة. حيث كنا ننام فى هذه المساحة الضيقة خلف خلاف «متعاكسين رأس مقابل قدم» مثل رصة السردين داخل العلبة، بالكاد ننام على جنوبنا

على أرض خشنة غير ممهدة، ورؤوس الأحجار الصغيرة التى بالتربة كالمسامير تحت جتوبنا. وكنا نجمل من أذرعنا وسائد لرؤوسنا. وزاد الأمر صعوبة أنهم كانوا حريصين على إحضار وجبات الطعام بانتظام حسب عددنا كاملاً (سبعة) مضربين وغير مضربين، مما كان يؤذينا مضربين وغير مضربين، فنحن لا نتناول الطعام، ووجوده على مسافة قريبة من أنوفنا، بعد إضراب تجاوز عشرة أيام، أمر متعب ويزيد من عناء تحملنا. والزملاء الآخرون كانوا محرجين. وهم لم يستطيعوا تناول طعامهم وفى اليومين الأولين إلا بعد إلحاح منا على ذلك. وطوال مدة استمرار الإضراب ظلوا يأكلون بصعوبة وفى حرج. ورغم كآبة هذه الزنزانة غير الإنسانية من كل الوجوه، المحشورين فيها حشراً، والمقيمين بها طوال اليوم لانبرحها، والنوم مشقة، وقضاء الحاجة داخلها أمر بشع. مع هذا، يبدو أن الإنسان المناضل يختزن قوة داخلية وإرادة تحمل لا حدود لها. فقد كنا رغم هذا، ومع ما كان بيننا قبل دخول هذا الجب من تنافر وتنابذ صرنا نعيش عيشة مشتركة ونتشاور ونتبادل الحكايات. وأمكننا أيضاً الضحك وأن ننصهر فى علاقة إنسانية حميمة طوال مدة بقائنا داخل هذه الزنزانة. وظللنا نحن الثلاثة المضربين، يحضر إلينا الطعام فى موعده ونتركه حتى يعود به السجان. وهكذا مر حوالى أسبوع أو عشرة أيام حتى حضر إلينا زملاء من قيادة الإضراب والذى كان قد تم ترحيلهم إلى الليمان خلال غزوة همت. ليحملوا إلينا نبأ إنهاء الإضراب بعد مفاوضات مع المسئولين الذين أوفدتهم السلطة خارج السجن للتفاوض حول إنهاء الإضراب وتحسين المعاملة..

أنهينا الإضراب، وعدنا إلى عنابرنا مرة أخرى، نحن والزنزانة المجاورة، بعد أن عشنا فى هذا الوضع اللا آدمى ما يزيد على خمسة عشر يوماً. وبعد عودتنا للعنابر عاد كل شيء إلى ما كان عليه، عاد الجفاء والقطيعة بين زملاء الزنزانة الذين وحدتهم المحنة وفرقتهم الحلقية البغيضة. وحقق الإضراب جزءاً كبيراً من المطالب، وتحسنت الأوضاع داخل المعتقل، وسمح بسماع الإذاعة (سماعة بكل عنبر) وإن استمر منع أسرنا من الزيارة قائما حتى نهاية المعتقل.

وزادت سخونة المناقشات داخل المعتقل حول طبيعة السلطة، وتجمد شعار الإسقاط مع عدم التراجع عن مطلب الديمقراطية، وبداية النظر إلى السلطة باعتبارها سلطة

وطنية معادية للاستعمار. وتزايد منهج الوحدة والصراع، والتفرقة بين التناقض الرئيسي والتناقض الثانوى؛ وإن اختلفت التنظيمات فى درجة الاتفاق حول هذه المفاهيم، وما يتبعها من أسلوب العمل: بين مغال تجاه الوحدة مع السلطة الوطنية إلى حد إلغاء أى تناقض معها، وبين الدفع بالتناقضات الثانوية إلى حد تصعيد الصراع مع السلطة.

وتم الإفراج فى ١٩٥٦ . وصفى المعتقل، وبدأت حقبة جديدة فى الموقف من السلطة طبقاً للأحداث المستجدة: الدستور، والانتخابات، وصفقات السلاح، وتأميم قناة السويس، والعدوان الثلاثي، وعداء السلطة الصريح للاستعمار، وسياسة الأحلاف، وحركات التحرير، والدعوة للوحدة العربية. وانتقل بالتالى الخط السياسى للتنظيمات الشيوعية الرئيسية القائمة من العداء والمعارضة إلى التأييد والتحالف، مع استمرار التنظيمات فى الحفاظ على أشكالها التنظيمية المستقلة عن السلطة.

وبعد خروجنا من المعتقل تحول التكتل داخل الموحد بقيادة فوزى، والمانسترلى، وحسنى تمام، إلى تنظيم مستقل عن الموحد باسم طليعة الشعب الديمقراطية، ثم باسم الطليعة الشيوعية.

ثم تمت الوحدة بين الموحد والراية فى الحزب المتحد وظلت د. ش، أو ط. ع، خارج الوحدة، ثم فى ١٩٥٨ تمت وحدة حزب العمال والفلاحين الذى هو أصلاً د. ش. والمتحد فى حزب واحد يجمع التنظيمات التاريخية الرئيسية حدتو. د. ش. الراية باسم الحزب الشيوعى المصرى (٨ يناير) نسبة إلى تاريخ الوحدة. بينما ظل خارج هذه التشكيلات التى توحدت تنظيمان صغيران: الطليعة الشيوعية، ووحدة الشيوعيين. وكان الخلاف الرئيسى بين ط. ش. والموحد هو تغليب الموحد للوحدة مع السلطة وتأييد النظام تأييداً مطلقاً، واعتبار عبدالناصر زعيما وطنياً لاتجب معارضته، وعدم تصعيد طلب المكاسب الشعبية والديموقراطية بما يؤثر على التناقض الرئيسى تجاه الاستعمار، والحرص على الوحدة مع النظام بزعامة جمال عبد الناصر. وبالتالى، كان نشاط التنظيم، وأسلوب عمله شبه علنى أو علنياً حتى فى توزيع مطبوعات وتحركات كوادره اطمئناناً إلى تأييد النظام ومساندته والركون إلى مفهوم الوحدة الوطنية لكل قوى الشعب تحت قيادة عبدالناصر.

بالنسبة لطليعة الشعب الديموقراطية (الطليعة الشيوعية) التى انضممت إليها. بعد خروجنا من المعتقل بعدة أشهر. لعدم اقتناعي باتجاه المرحد بكل قوة نحو التحالف مع السلطة، والذيلية لشعاراتها والولاء الكامل لعبدالناصر، وأسلوب العمل المفرط فى التحلل من القواعد التنظيمية التى تعلمناها من المحافظة على أمان التنظيم وسرية العمل الحزبي، والحذر فى التعامل مع القيادة البرجوازية حتى فى ظل التحالف الوطني، والحفاظ على استقلالية وبنيان التنظيم، وأن الوحدة الوطنية تقوم على إقامة جبهة بين كل فئات الشعب تدعو إلى التحالف مع السلطة القائمة، فالجبهة هي الضمان لحشد كل القوى فى تحالف ضد الاستعمار، وضمان للمسيرة الوطنية ضد أي اتجاهات رجعية أو متهاونة مع الاستعمار، وأن إقامة الجبهة يستلزم قدراً من الديموقراطية وعدم انفراد السلطة بالحكم بشكل فردى والمطالبة بالحريات وحياة برلمانية نابعة من اختيار شعبي، وإقامة حكومة وطنية معادية للاستعمار. أى مع عدم تغليب التناقضات الثانوية، فى هذه المرحلة الوطنية، على التناقض الرئيسى لكل القوى الشعبية والوطنية بما فيها السلطة ضد الاستعمار. ومع ذلك فإنه يجب عدم التخلى عن المطالب الاجتماعية، وزيادة المكاسب الوطنية والديموقراطية، بمعنى أن تعمل التناقضات الثانوية عملها بما لا يدفع بها للتغلب على التناقض الرئيسي.

طليعة الشعب الديمقراطية

ولرفض سياسة تفكك البنيان التنظيمى المستقل عن السلطة والمتحيز فى أهدافه الجماهيرية عنها، وعدم الانحراف نحو الذيلية اليمينية، واعتبار عبدالناصر القائد والزعيم المبرأ من معاداة الديموقراطية والشيوعية، كل هذا جعلنى أنضم إلى طليعة الشعب الديموقراطية بالإسكندرية (والتى لم أشارك فى تكتلها الجنينى داخل المعتقل) أو المشاركة فى تأسيسها بعد الخروج من المعتقل لكن كان ذلك فى أواخر ١٩٥٦ أو بداية ١٩٥٧ . وعملت بمنطقة الإسكندرية للتنظيم مع الزميل أحمد البكار. وانضم إلينا الزميلان أمين أبو السعود ورمسيس لبيب فى قيادة العمل بالإسكندرية، وعندما بدأت انقلابات العراق وثورة عبدالكريم قاسم وخلاف الحزب الشيوعى السورى مع نظام الحكم فى مصر حول أسلوب الوحدة مع سوريا، وإلغاء الأحزاب كشرط لإتمام الوحدة، وبداية بوادر الخلاف بين عبدالناصر وخالد بكداش والحزب الشيوعى السورى، ثم مع

عبدالكريم قاسم والحزب الشيوعي العراقي، وزيادة نبرة العداء للشيوعية في خطب عبدالناصر ومهاجمة الاتحاد السوفيتي، قررنا أنا والزميل أحمد البكار مسئول منطقة الإسكندرية (للطليعة) أن نترك العمل اليومي، وأن يكون الاتصال بباقي أعضاء التنظيم قاصراً على الزميلين رمسيس لبيب ولمين أبوالسعود اللذين كانا غير معروفين للبوليس وعلى استعداد ومقدرة لقيادة العمل بالإسكندرية، حيث كنا نتوقع القبض علينا، وبدأنا نشعر بمتابعة رجال البوليس لتحركاتنا. كنا نجتمع بهما لمتابعة نشاط التنظيم، وكانا يتلقيان التكليفات الجديدة من مسئول المنطقة وقتها، الزميل البكار، واقتصر دورنا على النشاط الجماهيري العلني، وسط مختلف التجمعات والمجالات، ومواصلة نشاطنا العلني داخل رابطة تحت التأسيس. بقيادة القصاص محمد حافظ رجب وعباس محمد عباس الذي كان زميلي بالدراسة. للأدباء الشبان بالإسكندرية وكان منهم على نلش وحامد من دمنهور وانضم لنشاط هذه المجموعة زميلنا الشاعر محسن الخياط وكانت هذه المجموعة ذات اتجاهات إنسانية، ومتحيزة للنماذج الشعبية، والأدب الواقعي وقريبة من الفكر الاشتراكي، وقضايا الإنسان البسيط، وكنا نسعى لسرعة انحيازها بأعمالها الأدبية للبناء الاشتراكي. وهكذا، حتى اعتقلنا بعد حوالى ٤ أشهر على الأكثر من هذا التوقع، في ٢٨ مارس ١٩٥٩. والتقيت مع زميلي أحمد البكار وزكي فرين بمعتقل «العزب» بالفيوم، بعد ترحيل معظم المعتقلين والذين تم تجميعهم بمعتقل القلعة من مختلف المحافظات إليه.

وكانت الرحلة من القلعة إلى الفيوم دامية، يطول وصفها ونحيل الاطلاع على تفاصيل ذلك للكثير من الإصدرات الروائية لبعض الزملاء، وصفاً لذلك بين فصول هذه الكتب عن المعتقلات. ومعتقل العزب بالفيوم مكون من عدة عنابر، وهو من ضمن أسخف وأردأ المعتقلات[٥] (ضمن مجموعة معتقلات الحقبة الناصرية). يكفي للدلالة على سخفه، أن التعليمات الصادرة إلينا من أول لحظة أن الاعتقال فوق السرير وأن كل معتقل داخل العنبر غير مسموح له بالحركة والتنقل داخل العنبر في أي وقت من أوقات اليوم، وغير مسموح بالجلوس مع أي زميل آخر على فراشه، وعلى باب العنبر من الداخل ملصق إعلان بتوقيع الحاكم العسكري لمنطقة الفيوم (كذا) للإرهاب، كلائحة تحمل قرارات وتعليمات وإنذاراً بعقوبات بمعرفة من يدعى بالحاكم

العسكرى، وهذا المعتقل غير خاضع لتبعية مصلحة السجون ولوائحها، لكنه تحت الأمر المباشر والسلطة الكاملة لمباحث الفيوم التى تصدر عنها الأوامر والتعليمات مباشرة لإدارة المعتقل. وقد قامت المباحث قبل وصولنا بتعبئة ضباط وجنود المعتقل بالأكاذيب والافتراءات ضدنا لشحنهم بالعداء لنا مقدماً. وكانوا يقومون بمتابعة مستمرة للتأكد من قيام إدارة المعتقل بتنفيذ سياسة المباحث، فى سوء معاملتنا، وبلغ سوء المعاملة ومجافاتها لأى حس أو شعور آدمى أن عساكر الحراسة (وكلهم من الدرجة الثانية - فرق الأمن) كانوا يقتحمون علينا دورات المياه المكشوفة (لعدم وجود أبواب بها) وانتزاعنا منها قبل أن نكمل قضاء حاجتنا. هذا بخلاف وجود شعارات مكتوبة بخط الجنود تهاجم وتسب الشيوعية مكتوبة على الحوائط حول دورات المياه.

كما قضت التعليمات بعدم مبادلة أى معتقل بعنبر من العنابر - التحية أو الحديث مع معتقل من عنبر آخر، وجزاء هذه المخالفة للحبس الانفرادى لمدة أسبوع داخل زنزانة تكفى فرداً واحداً وغير مسموح له بالخروج منها، وتفتح مرة واحدة لاستبدال الجرادل وتسليم الأكل[٦]. وقد صدر علىّ، والزميل محمد على فخرى هذا العقاب لضبط أحد الجنود لنا ونحن نتبادل حديثًا خاطفاً عبر نافذة العنبر - وعلى زملاء آخرين - وقد ناقشنا ثلاثتنا - البكار، وزكى فريد، وأنا - بشكل تنظيمى الأوضاع التى واجهتنا فى هذا المعتقل، مستفيدين من تجربتنا السابقة بأوردى أبو زعبل عام ١٩٥٥ - ١٩٥٦.

وباستعراض الوضع من كل جوانبه - توصلنا إلى أن هذه اللائحة الملصقة، وتوقيع «الحاكم العسكرى»، والعصبية الزائدة للضباط فى دخول العنبر، وطبيعة المعتقل الذى كان يسبقنا فى الإقامة به معتقلون من كبار تجار المخدرات، الذين كانت أوضاعهم فى يد إدارة المعتقل دون متابعة وتعليمات من المباحث العامة، وحيث كانوا يحملون سيولة مالية ومسموح لهم بزيارات، فكانوا يغدقون على إدارة المعتقل من قيادته إلى عساكره بالأموال والهدايا[٧] مما جعلهم، مع حالة الاستنفار المستمرة، وضغط المباحث عليهم يزدادون عداء لنا. وتحولوا إلى منفذين جيدين لتعليمات المباحث بسوء معاملتنا، وعوضوا ضياع مغانمهم المالية والعينية من معتقلى المخدرات بممارسة التسلط والقهر علينا، مع استهانتهم بقدرنا السياسى ومكانتنا فى المجتمع كنقابيين،

ومثقفين، وطلبة وعمال، وإن كل هذه المظاهر تدل على أنهم يسعون إلى إشاعة الإرهاب والتلويح بالأوامر العسكرية، لظنهم أنها ستثير الفزع بيننا. ومن هذا النقاش خلصنا إلى ضرورة مواجهة هذا الوضع وإنهائه بسرعة - على أن نبدأ:

١ - تكوين لجنة حياة عامة مشتركة بالعنبر بين أعضائه من التنظيمات والمستقلين النقابيين.

٢ - ضرورة إسراع محزب ٨ يناير، بالتعرف على أعضائه وتجميعهم(*) حتى يمكن اتخاذ موقف موحد قوى تجاه الإدارة ووقف الاعتداء علينا باللفظ، وخشونة الجلد فى التعامل، وإفهام قيادة المعتقل أننا معتقلون سياسيون، ولنا سابق الاعتقال، فإن لنا وضعاً فى التعامل مغايراً لهذا الوضع الذى لانقبله ويجب تغييره. ونحن، وأعضاء الحزب - حدتو، مع قلة عددنا كنا مترابطين، وأمكن اختيار لجنة حياة عامة بسرعة وافق عليها كل العنبر، ومثلنا فيها زكى فريد مع اثنين من التنظيمين الآخرين ونقابى. واتصلنا بالزميل القيادى للحزب- وهو إنسان فاضل ونشط ومتحرك - الزميل أديب ديمترى، وناقشناه فى هذه الأمور التى أقرها ووافق عليها ونشط بين زملائه بالعنبر. وكذلك نشط الزميل حسن الدراويشى (راية) الذى تعرفنا به. وتبادلنا أماكننا داخل العنبر دون اعتبار للأوامر- ونشط هو الآخر. وتمكن الزميل أديب بكفاءته فى تجميع عناصر الحزب (٨ يناير) تحت قيادته داخل العنبر، وبهذا الترابط الذى كان ضروريا لأى مواجهة للإدارة والصدام معها هو فى جانب منه مواجهة مع السلطة ذاتها خارج المعتقل، فيلزم له تحرك منضبط ومنظم ومحكوم بقرارات حزبية وقيادة للموقف. وقد تحقق ذلك بمجموعات حزبية (ثلاثة) متماسكة داخل العنبر على خطوات المواجهة واختارت قيادة من ثلاثة كل واحد منهم يمثل تنظيماً، وكان زميلنا البكار، وهو فى نفس الوقت مسئولنا بالعنبر، ضمن هؤلاء الثلاثة، وأسند إليه البدء فى مواجهة الضابط بعد انتهاء فسحة آخر النهار وملء أزيار المياه تحسباً لأى طارىء، وبعد وصولنا إلى باب العنبر للنمام وهو موعد بداية هذا الضابط الأرعن «حلمى العيسوى» فى ممارسة استفزازه وشتائمه، يبدأ الزميل البكار الاحتجاج عليه، ومواجهته بكل ما اتفقنا عليه والسابق الإشارة إليه، ويشاركه زميلاه فى التدخل عند الاقتضاء.

وحانت اللحظة، لحظة المواجهة والاحتجاج، فتصدى له الزميل أحمد البكار بقامته المديدة وملامحه الصارمة بصورة لا أروع ولا أفضل منها فى الأداء، حتى بالنسبة لنا لم نكن نتخيل أن تكون المواجهة بهذه القوة والروعة فى طلبه من الضابط أن يكف عن شتائمه، وأن يعرفه أننا معتقلون شيوعيون سبق لنا الاعتقال، وأننا مجموعة من السياسيين الشرفاء من خيرة هذا الوطن. انطلقت الكلمات في صوته الجهورى واضحة النبرات متلاصقة فى غير تردد معانيها قاطعة الدلالة على الرفض لهذا الوضع، وحقنا فى معاملة تليق بنا.

كان المشهد على مرأى من السجانة، وكتيبة حرس الهجانة المعززة لحراسة السجن بزيها المعروف وفي أيديهم كرابيجهم المشهورة، وعلى رؤوسهم عمائمهم المرتفعة فى تشامخ.

بهت الضابط الذى لم يكن يتوقع هذه القوة والثورة فى صفوف هؤلاء المعتقلين الذين سايروا أوضاع المعتقل لعدة أيام. وجم الضابط حتى أنهى الزميل البكار الرسالة التي أردنا توصيلها للإدارة عبر هذا الضابط المأفون، ثم حاول أن يتماسك فأخذ يصيح فى العساكر بطريقة عصبية ومهزوزة بالضرب وإدخالنا العنبر فواجهنا العساكر بثبات، ولم ينفذوا كلام الضابط فقد شعروا بالجدية والعزم فى سلوكنا. وبدأنا ندخل العنبر، وهنا سمعنا الضابط يخاطب «شاويش» كتيبة الهجانة أن يأمر جنوده بضربنا بالكرابيج فرفض الشاويش تنفيذ كلامه، ورد عليه بأنهم جاءوا لتعزيز الحراسة ولم يجيئوا لضرب المعتقلين. وزاد على ذلك أن أصدر (الشاويش) أمره لجنوده بالتجمع والتحرك للانسحاب إلى جهة الإدارة[8]. فجن جنون الضابط الذى أسقط فى يده وأغلق علينا العنبر وأسرع إلى الإدارة.

ثم فتح الباب ثانيا وحضر بعض الضباط، ومجموعة من الجنود على رأسها «العريف محمد غطاس» عميل المباحث وعينها داخل المعتقل، وأداة الإدارة فى تنفيذ الأوامر بالجلد والضرب وتم أخذ الزميل أحمد البكار خارج العنبر وتوجهوا به جهة الإدارة، وأطبق الصمت على العنبر، انتظاراً لما ستسفر عنه الأحداث.

ولم يعد البكار، وبسؤالنا عنه صباح اليوم التالى الذى بدأت فيه المعاملة تتحسن بعض الشيء، أفادنا العسكر بأنه قد عزل بزنزانة الحبس الانفرادى. دون تفاصيل. ثم

بعد أيام عاد إلينا الزميل «حسن المناويشي» من العنبر بعد مجازاته بالحبس الانفرادي في زنزانة يمكنه من خلال قضبانها أن يشاهد ما يدور أمام الإدارة. وقد شاهد كل ما جرى لأحمد البكار من تعذيب، فقد تكالب عليه عدد كبير من عساكر المعتقل بقيادة «محمد غطاس» بالضرب المبرح له على وجهه بالأيدى الغلاظ والركل والضرب في كل مكان دون أن تصدر عنه آهة، أو تخاذل، فبعد هذا الضرب الجماعي الذى لم يشف غليلهم وزاد حنقهم لصموده وعدم تخاذله، قاموا بربط يديه بالكلبش وكذلك رجليه، ثم رفعه عن الأرض من يده المكبلة وأرجله، وتم إحضار كرباج سوداني حيث بدأوا بتعذيبه على بطنه بيد الكرباج ضرباً متوالياً وبعدد متلاحق طمعاً في أن يسمعوه صارخا أو مستنجدا أو منهاراً لكنه ظل صامداً دون أن يصدر عنه أى صوت والضرب يتوالى حتى فقد وعيه تماما، ثم ألقوا به في الزنزانة المجاورة لزنزانة الزميل حسن المناويشي الذى ظل ينادى عليه طوال الليل حتى استرد وعيه وسمعه، واطمأن على أنه مازال حياً وقد قرر العنبر اتخاذ موقف لعودة الزميل أحمد، وقمنا برفض استلام الطعام وطلب مأمور المعتقل، وبعد مناقشة طويلة وعد بعودة الزميل أحمد وبتحسين المعاملة.

وبعد عدة أيام عاد إلينا أحمد البكار وقد تورم وجهه واحمرت عيناه من أثر الضرب، ثم أطلعنا على بطنه حيث علامات زرقاء أو حمراء متراصة من ضربه عليها، وظل فترة متعباً حتى استرد عافيته. وظلت الأحوال هادئة بالمعتقل لفترة، وقفت الشتائم والاستفزاز مع التيسير قليلاً في طول الفسحة، وتوقفت تصرفات الجنود غير اللائقة، كما بدأوا في تركيب أبواب دورات المياه التى كانوا قد خلعوها سابقاً عمداً.

وطوال مدة إقامتنا بمعتقل العزب بالفيوم المعزول، منعت عنا الزيارة أو الاتصال بأهالينا، ومنعت عنا الصحف والإذاعة وأى اتصال خارجي. ودائما كانت هذه هي المواصفات المختارة لأماكن اعتقالنا، لذلك وجدنا أن سلاح الإضراب عن الطعام غير مجد في هذه الأحوال لاستحالة أن يصل صوتنا والعلم بإضرابنا خارج أسوار المعتقل. واستمر أسلوب مواجهتنا ضد الإدارة والأوضاع السيئة بالمعتقل وطلب تحسين المعاملة هو الامتناع عن استلام الطعام وطلب مقابلة المسئولين من خارج المعتقل. وهكذا في سلسلة مستمرة من الامتناع عن استلام الطعام وحضور مسئولى الأمن من المحافظة،

وبعد الضغط علينا للتراجع وإصرارنا على الرفض، ثم الاستماع إلى مطالبنا وتحسين الأوضاع نسبياً داخل المعتقل لفترة، ثم العودة ثانية لسوء المعاملة. وهكذا جذب وشد أكثر من مرة، دوامة منهكة حتى صرنا نتمنى مغادرة هذا المعتقل ولو للأسوأ، وقد تحققت أمنيتنا ـ حيث تم ترحيلنا فى أوائل نوفمبر ١٩٥٩ إلى معتقل أوردى ليمان أبوزعبل.

أوردى ليمان أبو زعبل

وبنفس طريقة الترحيل «المجنزرة» الوحشية، حط بنا الرحال عند أوردى أبوزعبل. وبعد مراسم الاستقبال التى فاقت فى وحشيتها أساليب النازى فى معتقلاتهم، والتى تحملت اللامعقول بقيادة هست مخطط ومنفذ هذه المراسم الإجرامية، والذى تفوق فى انحطاطه هذه المرة وإظهار ساديته، تجاه رجال عزل وضعتهم السلطة بين مخالبه، بدأت مرحلة أخذ السلطة بسياسة تصفية الشيوعيين(٩).

بعد الاستقبال، وتوزيعنا على العنابر، فى هذه الرحلة، أصبحت وحدى مرة أخرى ممثلاً للتنظيم داخل العنبر (٣) (١٠)، وزميلى فخرى وأمين أبو السعرد بعنبر (٢)، وزملاء آخرون فى باقى العنابر. وعلمنا أن عنبر (١) به قيادة الحزب (٨ يناير) التى نُقلت عقب انتهاء محاكمتها بالإسكندرية. وكانوا قد حضروا إلى الأوردى قبلنا، وكان استقبالهم أقل عنفًا، وإن كانت المعاملة بعد ذلك واحدة؛ استبدال الملابس العادية بملابس السجن، فرض الأشغال الشاقة علينا جميعا وتكسير البازلت، والعودة بأوضاعنا إلى سجون القرون الوسطى.

ما العمل؟! وكيف سنواجه هذه الأوضاع وتحديها؟ فى الفيوم كانت القيادة فى أيدينا، وأغلبنا من القيادات الوسطى، وأمكننا التصرف ونجحنا فى المواجهة حينا وفشلنا أحيانا لكننا استطعنا وقف الإهانات والاعتداء البدنى علينا. هنا فى أبو زعبل قد رفع عنا التكليف، بالتخطيط والتدبير مع وجود أعلى قيادة حزبية بعنبر واحد، وكأننا دون اتفاق قد رحلنا ثقل هذه المهمة إلى القيادة بعنبر واحد، لكن لا أثر لأى بادرة بإصدار قرار أو طرح خطة للمناقشة لمواجهة هذه الأوضاع. لم تحمل إلينا الساعات المتوالية نية القيادة خوض المعتقل أى معركة موحدة. وبدأت القيادات الوسطى التى

قادت سرعة الفيوم تتململ خلال انتظارها أى قرار تصريحا أو تلميحا من القيادة فى عنبر(١)، الذى كان نصيبه من التعذيب أشد، خاصة للقادة المعروفين، وتحملهم ذلك فى صلابة نادرة، مع إحجامهم عن إصدار قرار جماعى بالمقاومة. أفلت الأمر من أيدينا جميعاً ولم يعد الحال يسمح بتدبير خطة مقاومة جماعية، واقتصرت مقاومتنا على ذواتنا، نشحذ قواها لتحمل هذا التعذيب المنظم المستمر، شحن إرادتنا الفردية وتهيئتها لمواجهة أى موقف فردية محتملة، مع استمرار الصمود والتماسك. أى صار كل معتقل مسئولا مسئولية شخصية ذاتية عن نفسه، وعن تاريخه النضالى فى عدم الانكسار أمام موجة الإرهاب العاتية، مع الالتزام بموقف موحد ملزم بعدم الانهيار والتماسك، ورفض أى مساس بانتمائنا الشيوعى، قولا أو فعلاً. وتساقط الشهداء داخل المعتقل، وكان آخرهم الزميل شهدى عطية الشافعى الذى ظل رمزاً شامخاً حتى سقط شهيداً.

وبعد مقتل شهدى قررنا بعنبر (٣) وبموافقة كل العنبر بكل اتجاهاته، أنه عند خروجنا لطابور الصباح وتشكيلات يمين وشمال، للأمام مارش، الجرى بالخطوة السريعة إلخ من أوامر أن نعصى تنفيذ الأوامر، ويتم الأداء بما يظهر سخطنا وغضبنا وحزننا. وفعلا تحول الطابور إلى مسيرة جنائزية، العيون تنطق بالحزن والغضب وعدم المبالاة بالأوامر، وشعر ضابط الطابور والصول والعسكر، بما يغلى فى قلوبنا من تمرد وسخط واحتقار. وتم إنهاء الطابور سريعاً. ودخلنا العنبر دون الطقوس المعتادة من ضرب. ولم نخرج للجبل فى هذا اليوم. وظلت العنابر مغلقة.

وللحقيقة وللتاريخ - كما يقولون - لم يقتل فينا الإرهاب روح المقاومة والإرادة. ولم تنجح تلك السلسلة الطويلة من التعذيب، بالفيوم والأوردى «من قهر أعضاء الحركة الشيوعية من مختلف التيارات، وكذلك المثقفين الديمقراطيين التقدميين مثل د. لويس عوض الذى كان معنا بعنبر(٣)، فقد أخذت كل العنابر تتجه إلى مقاومة هذه الأوضاع فى موقف موحد - لكم كان شهيدنا «شهدى عطية الشافعى» كريما فى استشهاده، كريما بعد استشهاده، مدافعاً عن الشيوعية يوم مقتله، منهياً لسياسة التعذيب والتصفية الجسدية باستشهاده الذى كان له أثره - عالميا وداخليا، وأصدر رئيس الجمهورية أوامره بالتحقيق فى الواقعة، ووقف سياسة التصفية الجسدية، تحت ضغط واحتجاج الرأى العام

المالى الذى علم باستشهاد شهدى. وهكذا، انتهى معتقل أوردى ليمان أبوزعبل دون أن يقدر لنا اتخاذ موقف جماعى لوقف التعذيب من خلاله. لكننا عاهدنا أنفسنا أفراداً وتنظيمات بعدم السماح بتكرار هذه التجربة. ولكن لابد هنا من كلمة تقال برغم ذلك، فقد كانت لنا مواقف جماعية ضد هذا الإرهاب «بالأوردى» مثل رفضنا تنفيذ كمية تكسير الزلط المطلوبة كمقطوعية وكنا ننفذ نصفها رغم ضرب الشوم.

رفضنا ترديد الأناشيد، يا جمال يا مثال الوطنية، تكراراً لتجربة الإخوان. رفضنا الهتاف بحياة جمال عبدالناصر فى طوابير الصباح والمساء، ماعدا تنظيم حدتو لتعارض ذلك مع خطهم السياسى المؤيد لعبدالناصر[١١] وبكل ثقة ويقين أقرر أن كوادر الحركة الشيوعية جميعاً، وأكرر هنا اليقين بأن الاعتقال والتعذيب لم يكسرهم، لم يحن رؤوسهم، لم تتسرب الهزيمة إلى نفوسهم بل ظلوا فى مجمرعهم أبطال بكل المقاييس، وكانوا مستعدين لمواصلة المسيرة دوما رغم كل هذا القهر والتعذيب بل ازدادوا صلابة وقوة فى مواجهة أى إرهاب بوليسى، كادر لم يعد يخفى شيوعيته مهما كانت النتائج.

ورحلنا إلى سجن الواحات الخارجة. حيث تجمع كل المعتقلين بكل تياراتهم..

الواحات الخارجة

ولنتهى شتات زملائنا، أعضاء الطليعة، كأفراد وسط باقى عناصر التنظيمات الأخرى، بمعتقلى الفيوم والأوردى، التى حافظوا خلالها على انتمائهم للتنظيم، وتمثيله بأشخاصهم فرادى يحظون باحترام عناصر باقى التنظيمات لمشاركتهم الإيجابية والصلبة فى كل المواقف.

والتقينا بجزء كبير (بالنسبة لمجموع عددنا) من زملائنا الذين سبقونا فى الإقامة بمعتقل الواحات. وكان أعضاء التنظيم، موزعين على عنبرين مختلفين، المجموعة الموجودة أصلاً بالواحات بعنبر (١) وبها مسئولو المعتقل الزميلان عادل كامل، وأحمد البكار ممثل الطليعة، وباقى الأعضاء وكنت بينهم بعنبر (٢) وقد أسندت إلى مسئولية مجموعة عنبر(٢). أما باقى أعضاء التنظيم، وبه غالبية قيادته، فقد رحلوا إلى سجن الإسكندرية للمحاكمة. وقد كانت هذه المجموعة تضم كلاً من فوزى جرجس، محمود

المانسترلى، حسنى تمم، نجاتى عبدالمجيد، شعبان حافظ، محمود عزمى، ماجد عمر، مهدى الحسينى على ما كانت الأوضاع داخل معتقل الفيوم - هادئة. وقد انتهت مرحلة التعذيب، وصار المعتقلون يتحركون بحرية داخل المعتقل، وشرعوا فى ممارسة كافة الأنشطة العامة المشتركة، من رياضية وفنية، وثقافية، بجانب النشاط الحزبى الداخلى فى كل تنظيم(١٢).

انقسام تنظيم الطليعة الشيوعية داخل معتقل الواحات الخارجة:

الباعث الرئيسى على كتابة رؤيتى، تقديم تنظيم الطليعة الشيوعية الذى كنت أنتمى إليه تنظيميا لمدة ثمانى سنوات، خمس منها من ٥٩/٣/٢٨ حتى ٦٤/٤/٤ داخل المعتقلات، والثلاث السابقة بالإسكندرية من ٥٦ حتى ٥٩. وبعد معتقل الأوردى انقديم، تميزت هذه الفترة بأنها فترة عمل وطنى، العدوان الثلاثى، تأميم قناة السويس، التحالف مع بلدان المعسكر الاشتراكى وحركات التحرير فى العالم، والعداء للاستعمار، مرحلة تحالف مع السلطة ، وعدم الدفع بالتناقضات الثانوية معها إلى رتبة عدائية أو تصادمية، وإن كان خط الحزب السياسى يعمل على قيام جبهة وطنية مع كل القوى الديمقراطية والتقدمية، لتصفية بقايا الرجعية، والعناصر الانتهازية، والتنظيمات السلطوية التى تحجب عن العناصر التقدمية ممارسة حقها فى الحياة السياسية، والترشيح للمجالس النيابية، والتشكيلات الديموقراطية المدنية، كالنقابات لعزل العناصر الصفراء الوصولية ، والعمل داخل الطبقة العاملة من أجل تحقيق مطالبها الاقتصادية. كان خط التنظيم هو تأييد النظام فى مواجهة الاستعمار، مع عدم إغفال المطالب الديموقراطية والشعبية، والذيلية خلف شعارات السلطة، مع عدم الدفع بهذه المطالب إلى حالة صدام مع السلطة ،أى فى إطار، الوحدة والصراع، حتى بدأت السلطة فى تحويل صراعها ضد التحركات الديمقراطية، والأنظمة الوطنية العربية الأخرى إلى صراع عدائى مع العراق والأحزاب الشيوعية، ومهاجمة الاتحاد السوفييتى، ثم معاداة ومهاجمة الشيوعية، والعمل على تصفيتها، ليس فى مصر فحسب، بل على نطاق البلاد العربية التى بها أحزاب قديمة كالحزب السورى واللبنانى والأردنى لاختلافها مع المفهوم الناصرى للوحدة الاندماجية، والشمولية والتنظيم الواحد.

وفتحت المعتقلات من ١٩٥٩ حتى ١٩٦٤ خمس سنوات متصلة بخلاف المحاكمات، والأحكام التى تصل إلى عشر سنوات.

خلال السنوات الثلاث من عمر التنظيم (ط. ش) من ٥٦ حتى ٥٩ - كان التنظيم على قلة عدد أعضائه يضم كوادر من بداية الخمسينيات، بخلاف أفراد من نباتته من الأربعينيات. ولم تكن حركة تجنيد أعضاء جدد نشطة، وكان مجال عمل التنظيم مدينتى القاهرة والإسكندرية. ولم توجد أى علاقات تنظيمية بالريف. لكن ما يميز التنظيم عن باقى التنظيمات عدم تأليهه لقيادة عبدالناصر، أو الإغراق فى الحميتية وتجاهل الصراع على السلطة، واستمرار العمل، والحذر من السلطة، مع المشاركة فى النضال الوطنى ضد الاستعمار، والدور العظيم للزميل محمود المانسترلى[١٢] فى قيادة المعتقل والمشاركة الفعالة لأعضاء التنظيم إبان حرب السويس، وكذلك تحركات أعضاء التنظيم فى الانتخابات العامة، وطرح البرامج والشعارات الوطنية والديموقراطية.

حديثى عن تنظيم طليعة الشعب- الذى أنتمى إليه من ٥٦ حتى ٦٤، خاصة معاصرتى بداية تكوينه داخل معتقل الأوردى عام ١٩٥٥ كانقسام من «الحزب الموحد»، هو الغالب فى رؤيتى، باعتبار ذلك محاولة كاشفة لدراسة حالة عن الانقسامية وعبثيتها، وباعتبارها ميراث زعامات فردية دفعتها نرجسيتها الذاتية، ونزعتها الزعامية إلى الانقسام بزعم وضع الفواصل بين التيار الثورى والتيار الانتهازى داخل الحركة الشيوعية باعتبار الانتهازية داخل الحركة الشيوعية امتدادًا للبرجوازية داخل صفوف الطبقة العاملة، وهم بالتالى الأمناء الذين خصتهم العناية بالمحافظة على الحركة الشيوعية المصرية، مع من حولهم من «نفر» يرتبطون بهم رباطًا بطريركيًا. وأواصل عرض الأوضاع داخل تنظيم «الطليعة الشيوعية»، داخل معتقل الواحات، وحتى تفتت التنظيم بفعل زعامته.

عند تواجد القيادة والزملاء معًا بعيدًا عنا، قام خلاف حول الدفوع السياسية والمسئولية الأولى فى ذلك الموقف تقع على المسئول السياسى للتنظيم «فوزى جرجس» الذى يفترض قيامه بهذه المهمة خلال المحاكمة، حيث إن الوضع التاريخى للحركة الشيوعية فى مواجهة هجوم النظام على الشيوعيين ودمغهم بالعمالة لدول أجنبية (أى اتهامهم بالخيانة) هذا الوضع يدعو إلى اعتراف القيادة والكوادر بشيوعيتها، وبيان خطها السياسى، وإدانة الدكتاتورية، وكشف زيف ادعاءتها[١١] (وقد قام قادة وكوادر

التنظيمات الأخرى- الانتهازية (!!) بهذا الدور عند محاكمتهم قبل تقديم كوادرنا وقياداتنا للمحاكمة. ورفض مسئول التنظيم فوزى جرجس هذا الرأى وتمسك بالدفاع القانونى، خاصة أنه عند القبض عليه لم يعثر على مطبوعات للتنظيم فى حوزته، وأن الدفاع القانونى وإنكار شيوعيته يتيح له الحصول على البراءة. وقد كان!!- مع رفض أن يقدم الزميل ماجد عمر، الذى قبض عليه فى حوزته مطبوعات والحكم عليه مقطوع به سلفاً- أن يقدم دفاعاً سياسياً. (حتى لا يستنفر رئيس المحكمة الذى كان بالصدفة يمت له بصلة القرابة)- وتأثير ذلك على مزاج القاضى (الذى هو أصلا مزاج سلطوى وأثره على الأحكام التى يتيح اختيار طريق الدفاع القانونية إمكان صدور أحكام بالبراءة على البعض (دون أى بعد نظر بالنسبة لطبيعة المرحلة وأن الأحكام والاعتقال صدران فى يد السلطة تستخدمهما فى احتجاز الشيوعيين) وحكم على ماجد عمر بعشرة أعوام وجميعنا خرج فى وقت واحد مسجوناً ومعتقلاً بعد التحول السياسى للسلطة.

كذلك كانت نقطة الخلاف الثانية الموقف تجاه حمدى حمدان عضو اللجنة المركزية المتهم بالبوليسية. والنقطة الثالثة الموقف من تنظيم الحزب الشيوعى ٨ يناير، بعد انقسام وتصفية تيار حدتو الذى كان عداء فوزى له عداء دينيا. حسب تعبير بهيج نصار الزميل السابق لفوزى باللجنة المركزية للنواة.

أدى هذا الخلاف إلى انقسام القيادة فى الرأى: محمود المانسترلى وحسنى تمام وشعبان حافظ (كوادر تاريخية) فى جانب، وفوزى والمجموعة التى تربت على يديه فى النواة: نجاتى ومحسن الخياط فى جانب آخر. وهذه المجموعة الأخيرة، هى التى عارضت الدفوع السياسية عند نظر القضية، وعارضت وجود تطور داخل حزب ٨ يناير يدعو إلى طرح موضوع الوحدة.

علمت القيادة الموجودة معنا بالواحات بهذه التطورات، واتفق الزميل عادل كامل مع الزميل أحمد البكار على عدم إثارة هذه الخلافات بالواحات، والتريث حتى عودة الزملاء بعد المحاكمة، وعقد مؤتمر لتصفية هذه الخلافات، وانتخاب قيادة للتنظيم، ووافق الزميل أحمد البكار على هذا الرأى، الذى عززه «عادل» بحقيقة أن عدد

أعضاء التنظيم لايقبل القسمة على ٢، وإذا حدث ذلك فمعناه نهاية التنظيم. من هنا كان شعار «المؤتمر والصراع الداخلى وانتخاب قيادة» هو الحل للمحافظة على التنظيم.

وانتظرنا حتى عودة الزملاء، تحقيقاً للاتفاق لعقد مؤتمر داخل المعتقل لكل زملاء التنظيم، لكنها كانت عودة غير حميدة، حيث كان رأس التنظيم قد أخذ قراره بإبعاد مخالفيه عن قيادة التنظيم، وانفراده بالقيادة، ومعه مجموعته التى تمكنت، للروابط البطريركية حول الزعيم ويقينها «الدينى» أن فوزى جرجس كان الكادر الشيوعى الوحيد فى الحركة الشيوعية من قمتها إلى قاعدتها[١٥]، تمكنت من إفشال المؤتمر بل أن الزميل أحمد البكار بمجرد وصول هذه المجموعة انضم إليها متراجعا عن اتفاقه السابق.

هكذا استقرت أوضاع تنظيم الطليعة الشيوعية إلى وقوع ما خشى منه وحاول منعه عادل كامل باقتراح المؤتمر، والذى أكد تطور الأوضاع داخل التنظيم إلى أن قرار فوزى بالانفراد بقيادة التنظيم قد اتخذ ولارجعة فيه، وأن على محمود المانسترلى ومن معه أن يرحلوا. وبناء على ذلك أعلنا أنفسنا الطليعة الشيوعية داخل المعتقل والتى تضم: محمود المانسترلى ـ حسنى تمام ـ شعبان حافظ ـ عادل كامل ـ وأنا. وأفرج عن المانسترلى عضو الضباط الأحرار السابق بضغط من زملائه الضباط، وتدخل كمال الدين رفعت الذى كان ممثل السلطة فى الإشراف على معسكر طوبحر بالإسماعيلية، والذى كان يقوده محمود المانسترلى لتدريب الفدائيين لمواجهة العدوان الثلاثى على مدينة بورسعيد. وبقينا نحن الأربعة نباشر نشاطنا السياسى داخل المعتقل باسم الطليعة الشيوعية، ونلقى البيانات السياسية باسمها والتى توضح خطنا السياسى المغاير للتنظيمات الأخرى، وكان الموقف السياسى داخل المعتقل المعلن من كل التنظيمات ـ عدا حدتو ـ هو معاداة النظام والإسقاط مع فوارق حول التمثيل الطبقى ثم بداية تحول بدرجات متفاوتة تجاه السلطة بعد تأميم بنك مصر وإقامة القطاع العام والحزب الاشتراكى. كان من مظاهر هذا التحول انفجار الوضع داخل حزب ٨ يناير وخروج كوادر أصلها تنظيم الراية من الحزب ويمثلون أغلب شباب هذا التيار وعددهم كبير ليشكلوا منبراً مستقلا باسم «الأفق»، ويصدرون مجلة ناطقة تحمل نفس الاسم تعرض وجهه نظرهم السياسية ـ ضد الإسقاط، وأن السلطة تمثل البرجوازية الوطنية وتتبع

طريقاً رأسماليا. ومجموعة حدتو ترسخ وتوصل وجهة نظرها حول المجموعة الاشتراكية التى تقود السلطة وتوجهاتها الاشتراكية وضرورة العمل على الوحدة السياسية والتنظيمية معها بقيادة جمال عبدالناصر، وباقى حزب ٨ يناير ويضم تيار «د. ش» ومن بقى من الموحد ومن قيادة حزب الراية وقلة من كوادرها السابقة ظل رسميا رافعاً شعار الإسقاط، وأن السلطة تمثل البرجوازية الكبيرة الاحتكارية، وإن كان داخل هذا الرأى الرسمي، يدور صراع داخلي، وصراع عبر توسع الاتصالات الجانبية داخل التنظيم فى مراجعة الموقف من السلطة، وإن ظل كل أعضاء الحزب شكلاً لم يتخلوا عن الموقف الرسمي للحزب الذى صار موضع شك ليساريته، وتتزايد التيارات المعارضة. وعند استشهاد زميلنا شعبان حافظ قمنا بالمشاركة الجماعية بتوديعه الوداع الأخير فى مظاهرة جماعية خلف نعشه الذى لحفناه بالعلم الشيوعى عليه شعار المنجلة والمطرقة نردد الأناشيد الثورية، فى جنازة مهيبة تليق بمناضل عاش ومات رافعا راية نضال الطبقة العاملة نحو الاشتراكية والثورية، ورمزا حيا يجسد تواصل الحركة الشيوعية فى مصر، فقد بدأ حياته النضالية بالسجن فى الحضرة بالإسكندرية عام ١٩٢٤ عضواً قياديا بحزب ٢٤ وختم حياته مواصلاً النضال حتى استشهد فى سجن الواحات الخارجة ١٩٦٢. وأقمنا - نحن تنظيمه - احتفال تأبين، أبنته فيه كل قيادات التنظيمات بالمعتقل، فقد كان يمثل لها جميعا رمزاً جسد فى شخصه روعة النضال الشيوعى وصموده متحديا كل أعداء الطبقة العاملة. وقد قمنا - نحن زملاءه - بتسجيل كل الكلمات والأشعار وصورته فى كتيب بخط اليد، وثيقة نادرة للأسف وقعت فى أيدى البوليس عندما كانت فى حوزة أحد زملاء الحركة الشيوعية الجدد عند القبض عليه.

كما شاركنا فى الإضراب الكبير داخل المعتقل، وكان الزميل عادل كامل ممثلنا نحن و (د ش) المشاركين فى الإضراب، باعتباره أحد قادة الإضراب مع قيادته من حزب ٨ يناير، أذكر منهم الزميل فخرى لبيب، وقد شارك عادل وفخرى ومن معهما من قيادة الإضراب فى التفاوض مع مسئول السلطة حول مطالبنا وإنهاء الإضراب الذى حقق مكاسبه.

مجموعتنا لم تنعزل عن باقى كوادر حزب ٨ يناير بصفة خاصة، حيث كان التعامل مع حدتو سياسيا مستحيلا للبعد الكامل بين خطنا السياسى ونظرية المجموعة

الاشتراكية. لكن هذا لم يكن عائقاً للعلاقات الحسنة مع كوادرها، خاصة حول القضايا العامة(١٤).

وقد فتحنا قناة مع حزب ٨ يناير للاتحاد معه، وتوقف الحوار، وفضلنا أن نستمر فى شكلنا المستقل لأن دخول الحزب فى هذا الوقت ومع بداية تباين الأفكار والآراء حول طبيعة السلطة وانقسام الأفق وتزايد الاتصالات الجانبية داخل الحزب. سيضعنا مع ما نحمله من خلافات مع وجهة نظر الحزب السياسية وطبيعة السلطة فى بعض النقاط فى تعارض مع خط الحزب الرسمى والوضع داخل الحزب صار لايسمح بوجود صراع داخلى حسب القواعد التنظيمية، والغالب هو الصراع عبر الاتصالات الجانبية الرأسية والأفقية. بينما الوضع الذى نحن فيه شكل تنظيمى مستقل يتيح لنا التحدث والتعبير عن آرائنا بحرية دون الوقوع فى خرق قواعد التنظيم. وهذا لاينفى أن قرارنا كان أننا لن ندفن رؤوسنا فى الرمال وليست فى أدمغتنا أى أوهام حول نظرية الصفر، لذلك سنظل داخل المعتقل محافظين على وضعنا المستقل فى ظل هذه الأجواء المضطربة، على أن ندخل الحزب بمجرد خروجنا من المعتقل والعمل فى صفوفه.

الهوامش

(١) وقد تبينت لاحقا بأن وجهة النظر هذه لم تكن قاصرة على الدواة. بل يشاركها هذا الرأى أعضاء منظمة نحشم الجديدة، كما أن باقى التنظيمات (ماعدا حدتو، الراية، د.ش) بدرجة أو أخرى قريبة من هذا الرأى.

(٢) وقيادة هذا التكتل ذات تاريخ انقسامى سابق.

(٣) راجع كتابات الزملاء عن معتقل الفيوم تفصيلا والصادرة بعد ١٩٦٤.

* كان حزب ٨ يناير (الأغلبية) لم يكن قد مر على تكوينه سوى عام، فمن الطبيعى أن يسود هذا الوضع من عدم التعارف خاصة بالنسبة للمسجونين الجدد، ولأن الفترة الزمنية القصيرة لاندماج التنظيمات أوجدت حالة من التفكك التنظيمى.

(٤) راجع تفاصيل ذلك فى روايات الزملاء المنشورة بعد ١٩٦٤

(٥) حسب ما عرفنا من بعض الحراس فى تحسرهم على تبديل المال وحضورنا.

(٦) كتيبة الهجانة هذه كانت قد حضرت إلى المعتقل لدعم الحرسة حول المعتقل لعدم الهروب، ويبدو أن الغرض من إحضارها زيادة إشاعة الإرهاب بين صفوفنا إلى جانب باقى إجراءات التعذيب لما هو مشهور عن الهجانة من قسوة فى تنفيذ الأوامر دون تردد عندما تستخدمهم الدولة فى قهر أى تمرد أو عصيان بالأرياف أو حين يقومون بحراسة لحدود من المهربين. لكن نظراً لوجود بعض زملائنا من النوبيين بداخل هؤلاء الجنود. فقد شرحوا لهم سبب اعتقالنا السياسى، وأكاذيب كل ما يفهم عنا من المباحث. هذا الموقف للهجانة هو الذى جسده الفنان حسن فؤاد زميلنا بالعنبر فى أحد مشاهد فيلم الأرض.

(٧) راجع تفاصيل التعذيب بأوردى ليمان أبوزعبل فى كتابات الزملاء ورواياتهم الصادرة بعد ١٩٦٤.

(٨) وقد حضر إليه بعد مدة الزميل نجاتى.

(٩) تفاصيل رفعتنا الجماعى للهتاف بحياة عبدالناصر. وماوقع من تعذيب للزملاء نجاتى عبدالمجيد ومحمد عبدالمقصود من زملاء عنبر ٣ لإجبارهما على الهتاف واستمرارهما على رفضهما. راجع نجاتى عبدالمجيد شهادات ورؤى..

(١٠) راجع الحياة داخل معتقل الفيوم فى كتابات وروايات الزملاء الصادرة بعد ١٩٦٤.

(١١) ضابط سابق بالقوات المسلحة، ومن حركة الضباط الأحرار، وعضو اللجنة المركزية بالتنظيم وحكم عليه بسبع سنوات.

(١٢) للفروع السياسية تقاليد وميراث لوزى اتهمه قادة شيوعيون خلال محاكمتهم. خاصة فى ظل أوضاع حكومات عسكرية وفاشية.

(١٣) رؤى. بدر رمضان. جـ ٦ صـ ٨٤

(١٤) رؤى جـ١ صـ ٢٠٩.

(١٥) راجع هكذا تكلم الشيوعيون صـ ٤٥١.

(١٦) المصدر نفسه.

(١٧) أما المجموعة الأخرى للطليعة فقد تفجرت بينها الخلافات، حيث تمرد من تمرد مثل الزميل محسن الخياط على عبادة الفرد وكتب قصيدته الساخرة «الأغا» مهاجما قدسية الزعيم، ممزقا كل الأقنعة. تقول القصيدة:

«الأغا مبسوط.. الأغا زعلان.. الأغا فرحان.. الأغا بيحب من الدخان.. حراليه خدمان بتحايل فيه.. اللي بجمع له حب التوت.. واللي بيفرط له فصوص رمان.. واللي بيغسلوا كعوب رجليه بدموع في عنيه كأنه مسوح.. والكل وراه نازلين تسبيح شايلين صلبان.. الرب الرب أهو بان.. والأغا مبسوط.. الأغا مبسوط.. الأغا فهيم وحكيم وعليم ولازيه زعيم، إن قال ضالين الكل وراه يقولوا آمين.. وإن قال الشمس سودة وضلام يقولوا أيوه تمام..

قول زى ما هو بيقول لا يثور.. وينط ويحرن زى الطور، ويبعت وراك إشاعات من زور.. والأغا قصاص أجدع قصاص.. دى قصص مكسيم وقصص موبسان ما تساوى في ريحه ولا علم.. والأغا بيحب يقيم سهرات ويقول حكايات والناس تسمعها سبع مرات ويقولوا كمان.. والأغا مبسوط. الثعلب فات.. والثعلب ديله سبع لفات».

نقلا عن الزميل فاروق فتح وكان في نفس الحجرة مع الزميل محسن الضباط والتى انسحب من التنظيم. وكاتب هذه القصيدة وألقاها بنفسه على مسامع الزميل فاروق مؤكداً له أنها عن شخص فوزى حسب رؤيته التى تبينتها مؤخراً..

شهادة
عبدالله محمود كامل

الاسم: عبدالله محمود كامل

الميلاد: ٣١ أكتوبر ١٩٢٩.

المؤهل: بكالوريوس تجارة عام ١٩٥١ ـ تخصص اقتصاد سياسى.

البلد: الفيوم ـ من عائلة أقرب إلى الكادحين منها إلى الموسرين.

قبض علىّ عام ١٩٥٢، وصدر حكم ضدى بخمس سنوات ثم اعتقلت عام ١٩٥٩، وخرجت عام ١٩٦٤. المراكز التى مثلتها فى الحركة:

عضو لجنة مركزية بنواة الحزب الشيوعى المصرى ١٩٥٠.

عضو لجنة مركزية بطليعة الشيوعيين المصريين ١٩٥٠.

عضو لجنة مركزية بالحزب الشيوعى المصرى الموحد ١٩٥٥.

وكنت قد صعدت بعد ضربة يناير ١٩٥٩ إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى، لكن قبض علىّ قبل أن أحضر اجتماعاً واحداً للجنة وكنت مسئول منطقة المعتقلين بمنفى المحاريق (٥٩ ـ ١٩٦٤).

كانت معرفتى السياسية صفراً إلى أن التقيت بالزميل والصديق فخرى لبيب. الذى كان والده ناظر محطة سكة حديد بلدنا. وبعد أن ترك بلدنا ظل الخيط موجوداً بينى وبينه إلى أن ذهبت للالتحاق بالجامعة فى أواخر عام ١٩٤٦. وهو الذى لعب الدور

* لقاء مع د. فخرى لبيب ـ بحضور نبيل صبحى

الأساسى أو الدور ١٠٠٪ فى أن أتذوق الفكر الجديد، وأبدأ فى التساؤل، وهو الذى جرنى إلى قلب الحركة.

كانت بداية احتكاكى بالشيوعيين فى بيت زميل فى الزمالك، وكان من العناصر الهامة جدا، وكان كثير الكلام. وكان فى المنزل مجموعة كبيرة من طلبة الجامعة، شباناً وشابات، وطبعاً الذى أخذنى إلى هنالك هو فخرى لبيب، كنا حوالى أربعين أو خمسين زميلا. وقالوا إننا نود تبادل الرأى فى الموقف السياسى الحالى فى مصر. وتحدث واحد واثنان وثلاثة، ولسوء الحظ جاء الدور علىّ، فقد كنت قريبا ممن بدأوا الحديث. ولم أستطع الكلام، لم يفتح الله علىّ ولو بكلمة واحدة. تربية الريف فيها جبن خطير. أن تواجه الجماهير، أو تواجه أناساً أنت مقتنع أنهم أحسن منك. فى هذه اللحظة أنقذنى فخرى وقال لهم إننى متعب بعض الشئ. كان هذا أول احتكاك لى بالجانب الديمقراطى والثورى والمتقدم فى الجامعة. ولم تتكرر، لكنها كانت البداية.

كان فخرى لبيب بالنسبة لى مكتبة لاتنفد، لديه العديد من الكتب، ويقابل العديد من الناس، ويجعل ناساً تتقابل مع ناس. القراءات والمناقشات كلها كانت عن طريقه. وقد سألنى مرة عن كثرة الصلاة فقلت له: اسمع بأه، شيوعى أيوه، لكن إلا هذه المنطقة. وقد قال لى حكمة: اوعى ترد الدين كدين، الهزيمة ستلحق بك، إنما تنشيط الصراع الطبقى هو الذى يجعل الناس تفكر.

أود أن أقول إن دراستى بقسم الاقتصاد السياسى نفعتنى وأضرت بى ضررا بالغا جدا جدا. لقد قرأت كثيرا جدا فأصبحت مغرورا بدرجة قاتلة.. من لاشئ فى القرية ثم يفتح أمامك عالم آخر فيه لينين وستالين وماركس. وعندما أصبحت مسئول مجموعة أفسدتها بمعرفتى.. كنت أتكلم كلاماً نظرياً عالياً وهم لايريدون هذا.. كان لابد من تمصير الماركسية.

وعندما دخلنا التكتل الثورى، قابلت شهدى عطية الشافعى واجتمعت معه. كان عمرى ١٨ عاما، وكنت أجلس مع زعيم التكتل. ودون أن يقول هو أى شئ قلت له إننا معك. الجهل بالسياسة يجعل المرء يقول أى كلام. المهم أصبحنا فى قلب التكتل الثورى، لكننى لا أتذكر كيف وصلت إلى شهدى عطية، لقد تكلمنا معا ووافقت على

كلامه. ولابد أن فخرى لبيب هو الذى أرسلنا لشهدى عطية فى التكتل. كان فخرى ينام فى حجرته على سرير تحته مليان كتب. كنت آخذ خمسة مجلدات، ستة مجلدات، وألفهم فى جرنال وأمشى. وبعدها بيوم أو اثنين آخذ كتبا أخرى ووضعت كل هذا فى صفيحة ولحمتها وأخذتها إلى البلد وأصبح عندى مكتبة. ثم بدأت القراءة. كنت لا أقرأ فى اليوم أقل من ٧ ـ ٨ ساعات. وفى البلد لم يكن هنالك أحد معى. كنت أغلق الباب وأقرأ.

هل تركنا التكتل بإرادتنا أم أنه تآكل ووقع. لكن بعد أن انتهى التكتل كنا ننزل إلى شبرا الخيمة، وكنا نقعد على القهاوى. وكانت المباحث تسأل الزبائن عن كارنيه النقابة، ومن ليس معه يحاولون الإمساك به. وكان العمال يتشاجرون ويضربون من أجل تهريبنا. فى أحد الأيام أخذتنى المباحث من على المقهى لكن «نطيت» من عربة البوليس وأخذت أجرى فى الشارع حتى وصلت إلى بيت فخرى لبيب فى شارع البعثة فى شبرا.

وفى شبرا قابلت حوتو (إبراهيم عرفة). وكان بمفرده ويسمى نفسه اتجاه النضال الثورى وأحضرته إلى بيت فخرى لبيب وقد أحضره عبدالله ليقيم معنا فى الغرفة، ونخدم نحن عليه بالشاى ونشترى له السجائر، وهو يكتب استراتيجية وتكتيك وبرنامج ولائحة (خط الحركة الثورية). ثم التقيت بفرقة فوزى جرجس (العصبة الماركسية). وأثيرت مسألة الوحدة. ورفضنا أنا وفخرى الانضمام للعصبة لأن حولها كلاماً منذ حملة إسماعيل صدقى ١٩٤٦، واقترحنا اسم «النواة».. نواة الحزب الشيوعى المصرى، باعتبارنا لسنا الحزب بل نواة الحزب، نسعى لوحدة الحركة كلها. وتشكلت النواة وأصبحت عضوا فى اللجنة المركزية. وسلمناهم المكتبة التى حصلت عليها.

وكانت عبارة عن كتب أخذناها من الكتب التى تجمعت لدينا فى التكتل والتى كنت مكلفاً أنا وفخرى لبيب وعبد المجيد أبوزيد بتوزيعها

والحقيقة أننى عندما ذهبت إلى النواة كنت أعتقد أننى قادر على كتابة استراتيجية للحركة الثورية الدولية. وأحضر لى أحد الزملاء كمية من ورق الأرز الخفيف وكتبت، ليس عن عدم معرفة، لأننى كنت دارسا بشكل جيد، وبتركيز. المهم أخذ فوزى هذا

الكلام ونشره على أنه خط الثراة، وهذا ما جعلني أزداد غرورا، إنني أرسم خطاً للحركة الثورية الدولية. وعندما نشر هذا الكلام وجاءت بعض الانتقادات في بعض مجلات التنظيمات الأخرى، شعرت أن ما كتبته كان فيه أخطاء، وهو ليس كما ينبغي، غير أنني وجدت فوزى جرجس يبرر هذا الكلام ويتهم الآخرين بالتجني.

وقد كان للتكتل قصة مع طليعة العمال، إذ عندما تكون التكتل جرى حوار بين القسم الفرنسي وطليعة العمال. كان لديهم انتقادات لطليعة العمال، وتم الرد عليهم، كان كلام أعضاء التكتل في البداية موضوعياً يختلف عن الحركة الديمقراطية والحركة المصرية للتحرر الوطني. وقمنا بعمل اتصال معهم لوضع هذه الأفكار في الواقع العملي، إلا أنهم تبخروا. الحقيقة أن طليعة العمال كان أمامها فرصة ذهبية لجمع كل هؤلاء الناس، غير أننا عندما نزلنا شبرا الخيمة، والتقينا بهم مصادفة، وكانوا يسمون بالعسكريين هددونا بالضرب وسبونا بأقذع الشتائم لأننا أصلا من حدتو.

وقد لاحظت أن عقلية الأعضاء في شبرا الخيمة كانت سيئة جدا، أو على الأقل الذين اصطدمنا بهم. وسأحكي قصة مختلفة، قصة بسيطة جدا. تعرفت على أحد العمال على القهوة. استبشرت من وجهه، في بلدنا نقول ده وشه فيه خير. كان اسمه الأسطى جلال، ولعبنا عشرة طاولة وسألني بتشتغل فين. قلت له، إنني لا أعمل. قال: نشوف لك شغل. فما رذهبنا إلى بيته. بيت نظيف جداً. ليس به أثاث غير حصيرة وغرفة النوم وزوجته. دخلنا وبدون كلام أحضرت الطبلية والوابور وبدأت تحضر الشاي. حضر له عمال وأخذوه في مهمة. قال لي لن أغيب أكثر من ١/٢ ساعة، وتركني مع زوجته، شابه وصغيرة. إلا أن ما هزني تماما هو أن الباب خبط، وطلعت هي تفتح الباب وسمعتها تسأله: إنت اشتغلت. يظهر كان عاملا عاطلا. وأعطت له فلوس. وعندما رفض قالت له: كلنا في الهم. إنت هتحتاجهم النهارده، وأنا هحتاجهم منك بكره. وعندما عاد زوجها حكت له، فعاتبها لأنها لم تعطه أكثر. وأنا جالس أرى هذه التقاليد وهذه الطبقة وهم يتحدون في مواجهة نفس المصير. في هذا الوقت جاء عنده عمال وكانوا من د. ش واستفزوني استفزازا فظيعا وشتائم مقذعة، لم يكونوا يتناقشون ضربوا كرسي في الكلوب. وقال لهم صديقي هذا، إن ما يفعلونه لا يصح، فأنا ضيفه وفي بيته، وأخذني إلى الباب وقال لي: إنت شايف الخط ده، خد ديلك في

أسنانك وماتبطلش جرى. غير أنى تعرفت على عدد كبير جلست على حوالى ثلاثين قهوة. وأصبحنا خبراء فى تفاصيل صناعة النسيج ومشاكل العمال، كان شكلى غلبان، وبذا لم أكن مختلفا عن شكل العمال. وأصبحت أجيد الكلام بلهجتهم، واستمرت علاقتى بهم زمنا طويلا.

أما كيف حصلنا على الآلة الكاتبة فتلك قصة تستحق أن تروى ففى عام ١٩٤٨. كان لى قريب يعمل بالمرصد فى حلوان وكنا نتفسح أنا وهو هناك، ووجدت آلة كاتبة تبدو منسية فوق أحد الدواليب وهناك غيرها أيضا. فعرضت على قريبى أن نأخذ واحدة. واعتقد قريبى أن هذا هزار، وفعلا أحضرنا حقيبة ومفك والمعدات اللازمة وتوجهنا إلى هناك ليلا. لم يكن يوجد غير الخفراء. دخلنا، وفككنا القاعدة ووضعناها فى الشنطة وغادرنا بسلامة الله. غير أن أحد مفاتيح الآلة كان «سايب» ويصدر صوتا وكاد أن يفضحنا. بعد أن غادرنا المكان أصبح الأمر خطيرا. كانت المنطقة محل شبهة، والطريق من حلوان حتى شارع القصر العينى حيث منزلى ملغماً بالمخبرين. وكان يندر أن يمر أحد من هذه الأماكن بسبب مقتل النقراشى باشا. كنت أحمل الشنطة على كتفى، وفجأة رأيت عساكر قادمين من الجهة الأخرى، ولم يكن أمامى غير التقدم، وأنقذنى قدوم حنطور، فأسرعت أركب بالشنطة إلى محطة حلوان. غير أن ركوبى من المحطة كان يعرضنى لتفتيش الشنطة ثم القبض علىّ. كانت هنالك عربة جيش ووجدت السائق يسألنى إن كنت نازلا للقاهرة، وعندما قلت نعم، وضعنا الشنطة فى صندوق اللورى وإلى جوارى عدد من جنود الجيش. وأدى ذلك إلى نجاحى فى اختراق المرور، وكأن اللى حصل دا كان مكتوب لى كى أنجو، وقد سألنى الجنود ضاحكين إذا كان فى الشنطة قنابل، قلت لا.. دى حاجات خاصة. طلبوا منى جنيه ونص، ودا كان مبلغ كبير، وكان سؤالهم عشان ياخدوا فلوس أكثر. لم يكن معى غير جنيه. وعندما نزلت أمام بيتنا، كان هناك بياع كازوزة جارى فأخذت منه النص جنيه. وأنزل البواب الشنطة. كان المنظر غريبا قدامه، خاصة لما طلبت منه إنه يحط الشنطة فى دكان من الدكاكين الفاضية اللى كانت أسفل العمارة. نظر إلىّ باعتبارى مجاماً، فأظهر الاحترام الشديد لى. كان يتردد على منزلى زملاء سودانيون وزملاء بيض وحمر، فتصور أننا عصابة دولية وأنا على رأسها.

استدعت الشرطة قريبى بناء على شهادة الفراشين والخفراء، فاعترف أننى الذى كنت معه، لكنه لم يعترف على الماكينة. وذهبت إلى النيابة وكانت هنالك نساء الفراشين يصرخن على أزواجهن. وقد قال لى وكيل النيابة بعد التحقيق بناء على الوقائع: إنت اللى واخدها. فقلت له، إيه هية؟ فقال: يفرج عنه بعد تفتيش المنزل وجاء البرليس إلى المنزل وفتشوه ولم يجدوا شيئا. والبواب يراهم صاعدين هابطين دون نتيجة، فاحترمنى أكثر. ظللت أسبوعا ثم قمت بعملية النقل إلى البلدة. كان بقاء الآلة الكاتبة بالغ الخطورة حيث إن البواب كان مقتنعا أننى قمت بعمل جعله يتساءل، وكأنى شيخ منسر، «الحكاية دى مش هيطلع لنا فيها حاجة».

كان عندى «قفة» كانت ترسل أمى لى فيها أكل من البلد، فأخذت «القفة» ووضعت فيها الماكينة، وفوقها بعض قطع القماش القديمة. استعنت بصديق إخوانى وهو لا يخوننى لو انطبقت السما على الأرض، وكان عارف مصر وولد حرك، ولم يكن من العناصر البارزة فى الإخوان، وكان معه أيضا اثنان أو ثلاثة من البلد، وجدت شد وجذب بينهم. من منهم المسئول؟ وكنت أنا قد حددت الإخوانى مسئولا عنهم. وكانوا فى حدود ١٨ - ١٩ سنة، واستطاع هو بالفعل نقلها تحت سمع وبصر المخبرين الذين كانوا يملأون الشوارع أيام حكومة إبراهيم عبدالهادى. أرسلتها للبلد وذهبت لدفنها فى الأرض ورأتنى أمى فقالت لى هو دا مش خطر؟ فقلت لها خطر بالطبع، فصرخت فأخرجتها وأعطيتها لفلاح أحبه ويحبنى جدا وظلت معه إلى أن أتيت أنا وسعد من القاهرة، وسلمتها لسعد وأحضرت له تاكسى، ومن يومها لا أعلم عنها شيئا.

وقد فكرنا فى مشروع مماثل فى مدرسة الفيوم الثانوية، وكنا نعتمد على محمد مصطفى درويش لأنه كان كاتب نيابة، وكان يتعامل معى على أننى مازلت صبيا وهو صاحب مواقف، ودخلنا المدرسة ورسمنا المكان. وجاء يوم التنفيذ، فذهبت إليه وكنت مسلحا، كان معى سلاح «مسدس والدى» الذى كنا نحمله أثناء المظاهرات فى القاهرة. وعندما رآنى درويش مستعداً هكذا، وإن لم تنجح العملية؛ انبهر وتعامل معى منذ ذاك التاريخ باعتبار أننى قادر على أن أفعل أشياء خطيرة.

أما بالنسبة للتحضير «لنواة الحزب الشيوعى» فقد كان لنا اتصالات داخل الحركة الماركسية. كنا نحن نعتبر أنفسنا بقايا التكتل الثورى، وكنا قد تعرفنا بإبراهيم عرفة

(حوتو) (اتجاه النضال الثورى) وحين كنت ألقاه أحيانا إلى جوار مقر عملى، فيقبلنى ويقول لى «يارفيق لا تنس الاشتراكية» كان حوتو لايستطيع إلا أن يكون زعيما كبيرا وقابلت سعد، وكان هذا الاسم اسمًا حركيًا، وكان الذراع اليمنى لفوزى جرجس، وتعرفت عليه عائليا، دخلت منزله وتعرفت بزوجته وأولاده.

والغريب أنه عندما تشكلت النواة وسلمناهم المكتبة والمطبعة فوجئنا بقرار فصلنا. كان الإجراء غريبا للغاية وليس له ما يبرره على الإطلاق غير أن يكون فوزى جرجس قد استشعر فينا قوى لايسهل إخضاعها له، وأننا السبب فى إلغاء اسم العصبة وفرض اسم النواة عليه، فقرر التخلص منا. ومرة أخرى وجدنا أنفسنا فى الشارع بلاتكتل ولا نواة، وعلينا أن نبدأ من جديد لكننا خرجنا من النواة بمن كانوا معنا، كذلك خرج معنا بعض زملائهم فيما يشبه الاحتجاج على تصرفهم. وعموما فمنذ هذا اليوم بدأ التحضير بوعى، أو بدون وعى، لطليعة الشيوعيين المصريين وأعتقد إلى حد كبير أن اسم المنظمة الجديدة التى كوناها «طليعة الشيوعيين المصريين» جاء رد فعل لإحساسنا أن الشيوعيين الذين يتحدثون على أنهم طليعة الشعب، هم أنفسهم فى حاجة إلى طليعة، ونحن هذه الطليعة، كان رد فعل لانفعال بورجوازى صغير.

الحقيقة أنا كان عندى علاقات بعناصر من النقل. الترام. كانت علاقتى بهم أكثر من علاقة زملاء فى السياسة. كان هناك محمود فرغلى سكرتير النقابة. كان وقتها فى العجوزة، وكنا نجلس فى تعريشة شاى وكازوزة، ويأتى العمال هناك وتعرفت على عدد كبير منهم. وكنت أذهب إليهم فى بيوتهم فى البساتين وزينهم. وفى أحد الأيام وصف عامل تلال زينهم هذا السكة إلى منزله، وذهبت إليه وكانت منطقة خطرة جدا. وأصر بعد الترحيب بى أن آكل لقمة أولا. ثم قال نصلى العشاء، وطلب منى أن أكون الإمام، فقلت له: إحنا فى بيتك ما يصحش.

وكنت كلما بدأت الحديث فى السياسة أو النظرية يحدثنى عن أنه وزوجته من أبناء الأصول. وقضينا الليلة كيفما اتفق، ثم خرجت من عنده وكانت الدنيا «ظلام كما الحبر»، ودخلت المقابر وتهت فيها، وكانت هذه المقابر بؤرة خطر لا حد له، يقتل فيها القتيل دون أن يحس به أحد، وكان البوليس يخاف أن يدخلها.

كان محمود فرغلي إنسانا جماهيريا ومحبوبا وكان يقول لي: أنا أمشي وأنت تلم من ورائي. وفعلا بدأت بتجنيد خمسة على الأقل من ورائه، لكن المشكلة التي واجهتها أنني أجيد الحديث في النظرية، لكن ليس لدي القدرة على ربط النظرية بمشاكل العمال بصورة مباشرة. حقا كان العمال يحبونني ويثقون بي، لكن عندما تأتي المسألة إلى مشاكل العمال أصبح كالأطرش في الزفة لأني لم أدرسها ولأنها غدت في الحقيقة واجبي الأول. كان المفروض أن ألعب دور القائد السياسي لهؤلاء العمال.

كنا نشطين في المسائل الخاصة بالمثقفين والاتصالات الجانبية، وهذا الكلام الذي لايقدم ولا يؤخر، وحركة الطبقة العاملة جاهزة. وقال لي محمود فرغلي لابد من عمل ركائز عمالية حتى نكون مستعدين للحركة وقد تم فعلا إقامة هذه الركائز، وأصبح معنا عمال وسائقون وكمسارية في مخازن غمرة والعباسية والجيزة وشبرا. وهذه الركائز هي التي اعتمدنا عليها عندما خضنا معركة المليم لعمال الترام.

لكنني أود أن نرجع قليلا إلى تأسيس طليعة الشيوعيين المصريين وأتحدث عن عدد من الزملاء الذين شاركوا في تأسيس الطليعة بغض النظر عن موقفهم التنظيمي.

لقد ذكرت أنني تعرفت على فخري لبيب عندما كان والده ناظرا لمحطة بلدتنا العدوة - فيوم، وهو الذي من خلاله ارتبطت بالحركة وفور ارتباطي بالحركة وكنت ما أزال طالبا في الثانوية بالفيوم، تعرفت على محمد مصطفى درويش وجندته معنا. كان درويش يعمل في النيابة، كاتب نيابة، وجاءني في أحد الأيام وقال لي: معي شكوى ضدك. كانت الشكاوى تمر عليه قبل أن تعرض على وكيل النيابة. عندما نظرت إلى الورقة عرفت على الفور من مقدمها، كان إنسانا قريبا مني للغاية. عرفت خطه، وكانت الشكوى تقول إنني شيوعي، ووصفت مظهري وشخصيتي وصفا دقيقا.

كان درويش بطلا رياضيا، بطل جري وبطل مصر في الملاكمة. وكان له معجبون وهو في سن صغيرة. وبعد انتقالي إلى جامعة فؤاد الأول بالقاهرة نقل درويش من الفيوم للقاهرة أيضا ليعمل في نيابة باب الخلق. كان له معجبون كثيرون كما قلت، ومن بين هؤلاء المعجبين كان له شلة من طلبة الثانوي الفتوات الملاكمين، وعرفني درويش بهم عندما تناقشنا في أهمية توسيع دائرة علاقاتنا وتجنيد زملاء جدد. وقد قدم هؤلاء الشبان خدمات تفوق التصور، خدمات لاحد لها: طبع

مطبوعات المنظمة، تأمين الأجهزة الفنية، نقل المطبوعات وتسليمها. كانوا في غاية النشاط ولا يتأخرون عن أي شئ يطلب منهم. كانوا يقولون لدرويش: نحن معكم في كل شئ، نقل، تسليم، تخزين، إخفاء هاربين، لكن اجتماعات بلاش، حكاية الخضوع لمركزية ديمقراطية واجتماعات وتكليفات فهي مسائل صعبة.

وقد تعرفت عن طريق درويش أيضا بالدكتور أمين الصيرفي في عابدين والذي جاء عن طريقه فيما بعد عمر مكاوي، والصيرفي بطل البوكس أيضا، وكان بطلا في وزن غير وزن درويش وكان شابا جدعاً جدا.

درويش كان ممتازا جدا، طباعا وخلقا، وكان على استعداد دائم لخدمة الكفاح الشيوعي، كان يتمتع بحدس تلقائي. وكانت له نظرة في الناس لا تخيب. وله خبرة في الحياة غنية رغم صغر سنه، خبرة غير عادية. كنت أحس أنا بالتضاؤل أمامها. وكانت له جدعنة ابن البلد.

أمين الصيرفي كان يخدم كطبيب بدون حدود، وهو مثله مثل كثيرين حينذاك عندما يعرفون أنك ماركسي كانوا يلتصقون بك لدرجة كبيرة. وهذا موجود حتى الآن، فأنا ذهبت منذ سنة وابنتي إلى طبيب عيون مشهور، ولما دردشنا مع بعض وعرف أنني ماركسي أمسك بي، وكل ما نهم بالانصراف يمسك بنا والعيادة زحمة وأنا أنبهه لذلك، دون فائدة، وكان يقول لي: دا أنا بدور على واحد منكم، ورفض تقاضي الأتعاب بإصرار. وكان متدينا وغير سلفي، وسألني عن علاقة الماركسية بالدين فأوضحت له أن المهم لي الماركسية هو منهجها في تحليل المجتمع، فارتاح تماما.

عمر مكاوي كان مثقفا، دائم القراءة للأدب ومترجما أيضا. وقد ترجم فيما بعد بعض أعمال برنارد شو، وكان إنساناً نبيا للغاية، وكان إذا طلب منه شئ يتنازل عنه فوراً ودون تردد. وكان مخلصا تماما لكل ما هو تقدمي، فما بالك بالماركسية. وكان معجبا بنا للغاية، نحن الأقدم منه بعض الشئ. كان من الشباب الفدائيين هو ومجموعة معه، ذهبوا إلى فلسطين لتحريرها من الصهاينة عام ١٩٤٨، لكنهم صدموا بما حدث هناك. وكان قد تعرف على بعض أعضاء من الحزب الشيوعي السوري وتأثر بهم. وقرر العودة ليبدأ النضال من مصر، وانضم إلينا.

منصور زكى جاء للانضمام إلينا من م. ش. م. وكان مفصولا بتهمة البوليسية، لكننا كنا نعرف جيدا أنه مناضل جيد، كان عامل تجليد وله علاقات وثيقة بعمليات الطباعة، وهو الذى أعد لنا مطبعة حروف، مولها عمر مكاوى، وكنا نصدر كتيبات ومطبوعات مختلفة، وكان هذا عملا سريا خرافيا. أما حسن حسنى، الشهير بفوزى أبوشنب فقد خرج معنا على ما أتذكر من النواة.

وكان معنا صلاح هلال العامل النقابى الرائع الدمث الخلق المناضل فى إصرار فى شبرا الخيمة، وهو الذى لعب دورا هاما فى بناء منطقة عمالية لنا بشبرا الخيمة، التى كان فخرى لبيب مسئولا عن متابعتها. وكان حسن حسنى مسئولا عن منطقة عمالية أخرى لنا فى إمبابة، ولم يكن يعطى اهتماما حقيقيا للعمل مما ترتب عليه أن المنطقة كادت تصفى مرتين.

وكان معنا محمد محمود عثمان وكان يعمل كاتبا بمجلس النواب، وهو رفيق يتسم بالهدوء والإصرار والالتزام الصارم والصلابة. وقد بدأت علاقته بفخرى لبيب منذ أيام لجنة الكوليرا بجزيرة بدران والساحل ومناطق فى شبرا.

كما انضمت إلينا جنيفيف سيداروس بعد انهيار م. ش. م.

وتشكلت لجنة مركزية منى ومنه ومحمود مصطفى درويش ومنصور زكى وحسن حسنى وفخرى لبيب. ولم نكن قد أعلنا طليعة الشيوعيين حتى ذلك الوقت. كنا نحضر ونعد الوثائق: استراتيجية وتكتيك ولائحة وبرنامج.

فلابد لكل تنظيم أن تكون له وثائق استراتيجية ونشرة داخلية هى «الطليعة»، ومجلة خارجية هى «الصراع»، وركائز نضالية هى منطقة عمالية بشبرا الخيمة، ومنطقة عمالية بإمبابة، ومنطقة عمالية من عمال الترام ومثقفين. ورغم أننا لم نكن نؤمن بشعار ١٠٠٪ عمال غير أننا كنا نركز تركيزا أساسيا على العمال. وكان المثقفون بالنسبة لنا، هم من ينطبق عليهم بحق جملة «المثقفون الثوريون». كما قررنا أننا لن نجند الأجانب والأقارب، الأولى تشبثا بالمصرية، والثانية تجنبا للشللية.

بعد إعلان طليعة الشيوعيين المصريين فى ١٩٥٠ تم تخفيض حسن حسنى بسبب الوضع فى إمبابة، وصعد عمر مكاوى. وبعد ضربة ١٩٥٢/١٢/١٣ والتى سقطت

فيها اللجنة المركزية كلها ما عدا فخرى لبيب لأنه كان فى طنطا. صُعد محمد محمود عثمان وزميل آخر كان يعمل فى الغربية.

فى ذلك الوقت أتذكر كان هناك إضراب لعمال الترام من أجل المليم وكانت الشركة قد زادت مليما على سعر تذكرة الترام، يعود إلى العمال، تشجيعا لهم على التحصيل، لكن الشركة استولت على هذا المليم لحسابها، وكانت حصيلته تشكل مبلغا كبيرا يعتبر إضافة ما إلى العمال. وكنا نحن الأساس فى هذه المعركة فقد كان معنا محمود فرغلى، وحددنا أن نخوض نوعا جديدا تماما من الإضرابات، لا تتوقف المواصلات (الترام) حتى لاتسبب المتاعب لمن يركبون الترام، على أن يسير فى بطء، والكمسارى لايجمع نقود تذاكر بل الركوب مجانى، وعلى الكمسارى والسائق أن يتحدثا عن الظلم الواقع عليهم فى الشركة، كسبا للرأى العام مع العمال، ونجح الإضراب نجاحا هائلا. وفى أثناء تلك المعركة كنا عندما نقول لمحمود فرغلى شيئا خاصا بالنقابة، كان يناقش بالتفصيل ويسأل: هل هذا الكلام هو رأى الشيوعيين. لم يكن مهتما بالانقسامات الموجودة، كان عندما يتحدث معنا يقول هل هذا رأيك أم رأى الشيوعيين؟

أما فيما يتعلق بحل الحزب فقد كنا من ناحية المبدأ مستعدين للتضحية بالغالى والرخيص من أجل الحزب. لكننا بعد ما خرجنا وبدأ الكلام الكثير حول الكونفرنس، كنت أكاد أبكى وجاءت فترة وصلت فيها إلى أن كل الكلام عن الديمقراطية والمركزية لايجدى.

القيادة التى طرحت الحل هى مستنقع، ولازم ندفعها حتى بأرجلنا إلى قاعه، واتفقنا مع نبيل صبحى على قسمة التصويت. نعترض على التقرير المقدم للكونفرنس والذى يقول بأن انتظام يسير على خط النمو غير الرأسمالى الذى يمضى إلى الاشتراكية ونوافق على الحل، ثم نفعل ما نريد بعد ذلك بعيدا عن تلك القيادة.

لقد كدت أجن فى هذا الوقت. كنت أتساءل كيف تضيع كل تلك السنوات. حقا لقد تضاءل الحزب كحزب ثورى مرتبط بجماهير واسعة. لكن هذا الجانب لم يظهر فجأة، لقد حدث بالتدريج. أصبحت هناك اتصالات جانبية وتصرفات موازية، وأصبح الكلام

عن التصفوية شائعا. ومع ذلك لم أتأثر أنا وزملائى بالعوامل الحلقية، لا حدتو ولاراية ولاطليعة عمال ولا طليعة شيوعيين. كانت المسألة بالنسبة لنا مسألة سياسية تبلورت كلها فى موضوع بقاء واستمرار الحزب نفسه وإنقاذه من قيادته المرتدة.

وقد قيل لى إنه قبل مجئ سيف كان فى اللجنة المركزية ثلاثة فقط يقولون بالنمو غير الرأسمالى هم د. فؤاد مرسى، ود. إسماعيل صبرى وسعد زهران. وكانت بقية اللجنة المركزية ومنطقة الواحات يرفضون هذا الكلام ويقولون إنه يفتح الطريق لحل الحزب. وكانت هذه الأغلبية من مختلف الاتجاهات، ولكن بمجئ أبوسيف يوسف تغيرت الأمور؛ إذ انتقل ومعه حلمى ياسين وفؤاد عبدالمنعم وشتلة وسعد رحمى، إلى وجهة نظر النمو غير الرأسمالى، وظل فخرى لبيب على موقفه ومعه حسن صدقى ولويس إسحق. الخندق الحلقى هنا كانت له اليد العليا فى خلخلة اللجنة المركزية. لكن لم تحدث خلخلة فى لجنة المنطقة لا عند نبيل صبحى ولا أديب ديمترى ولا رجائى طنطاوى ولا صفوت يسين.

كما عرفت من فخرى لبيب أن تحول غالبية اللجنة المركزية إلى اليمين مع بقاء الغالبية الساحقة لمنطقة الواحات على الخط الصحيح خلق تناقضاً شديداً جدا داخل الحزب، وكان أمله الوحيد أنه عند خروجه وحسن صدقى كمركزيين محتفلين مع زملاء المنطقة وكان عدد كبير منهم احتياطى لجنة مركزية، أن تبنى فى الخارج الحزب على أسس سليمة. فلما قتل لويس إسحق كانت تلك خسارة كبيرة لنا، ولما خرج باقى زملاء اللجنة المركزية السجناء، وأصبح الوضع سيئا للغاية، فزميل مثل عبد المنعم شتلة وهو من أبطال المقاومة فى بورسعيد وبطل أثناء محاكمة القضية الكبرى كان يصيح فى اللجنة المركزية ويقول: قاعدين تعملوا إيه، يلا فضوها وحلوا الحزب. الأوضاع تدهورت جداً وبسرعة شديدة وأنا أعتقد جازما أنه كان هنالك ضغوط خارجية شديدة. ولم يعد هناك من سبيل للتخلص من هذه القيادة غير الموافقة على الحل.

كما ذكرنى نبيل صبحى أنه لما انفتح الصراع الفكرى فى منطقة الواحات وفى اجتماع لجنة المنطقة هاجم اللجنة المركزية هجوما شديدا، واستخدم ألفاظا حادة، وحدثت بينه وبين أحد أعضاء المنطقة بعد الاجتماع مناقشة حول كلامه، فقال له

بأنه لابد من العمل على الإطاحة بهذه القيادة . ورغم أن هذا الشخص كان من رأيه سياسيا وفكريا إلا أنه ذهب إلى فخرى وقال له ما قاله نبيل . وجلس فخرى مع نبيل القرفصاء أمام غرفة ١٠ ، وفتح الموضوع، فأكد له أن أهم واجب ثورى هو الإطاحة باللجنة المركزية، واستخدم كلمة «بكم» فنظر إليه فخرى، نظرة عتاب، ولم يعلق، ولم يزعل منه ساعتها ولا بعدها.

ورغم أن الأوضاع فى اللجنة المركزية فى الداخل بعد خروجنا، وضحت لى الآن بعض الشىء، لكن لازالت هنالك تساؤلات. فطالما حدث هذا التحول فى اللجنة المركزية، فالنتيجة التى حدثت تصبح مفهومة. لكن فخرى لبيب كرجل ماركسى، ورغم صلته التاريخية بى، لم يتفوه بكلمة معى عن هذا التحول، وبالتالى لم يكن لدى أى فكرة عما يحدث.

شهادة
فاطمة محمد زكى

الاسم الكامل: فاطمة هانم محمد زكي

تاريخ وموطن الميلاد: ٢١/١٢/١٩٢١ بشبرا روض الفرج حاليا

المؤهلات الدراسية: بكالوريوس علوم سنه ٤٧ جامعة فؤاد (القاهرة)

ماجستير معهد الدراسات السودانية سنه ١٩٥٥.

المهنة: مدرسة علوم بكلية البنات بالزمالك سنه ١٩٤٩

مدرسة علوم بمدرسة السنية الثانوية من ١٩٥٢ - ١٩٥٩.

- عضو فني بوكالة الوزارة للتخطيط ١٩٦٤ - ١٩٦٩.

- عضو فني بمكتب وزير التعليم للشئون الخارجية ١٩٦٩ - ١٩٧٣.

- عضو بمكتب مستشار العلوم سنه ١٩٧٣.

- رئيس وحدة التجريب بالمركز القومي للبحوث التربوية بدرجة موجهة عامة. حتى طلبي الخروج للمعاش المبكر سنة ١٩٧٩.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية كمرشحة ٢٤ سنة.

- فترة السجن أو الاعتقال: السجن لمدة ٨ شهور بسجن مصر من ٢١ فبراير سنة ١٩٤٩ حتى سبتمبر. ثم الاعتقال لمدة شهر بسجن الأجانب. السجن ٤ سنوات ونصف السنة سنة ٥٩ بالقناطر حتى يوليه سنه ١٩٦٣.

* قدمت هذه الشهادة يوم ٢٣ يونيه ١٩٩٦.

- بيانات شخصية: نشأت فى عائلة وطنية يفتخر الأب باشتراكه فى ثورة ١٩ وتفتخر الام بانتمائها لعرابى باشا الذى وقف ضد الخديوى. تتبعت الاحداث السياسية للبلد من قراءات فى الصحف اليومية وروزا اليوسف. كرهت الانجليز منذ طفولتى، وكنا نغنى فى الحوارى يا «ربنا يا عزيز كبه ناخد الانجليز»، وكنت عضواً فى الفريق الأول «للباسكت بول» للنادى الأهلى، وعضو نادى السلام الملكى مما مكننى من الحياة الاجتماعية والرياضية.

تعرفت على الفكر الماركسى من القراءات وأنا طالبة بكلية العلوم؛ حيث أحضر لى بعض الزملاء مثل عبد الواحد بصيلة، وبعض المعيدين مثل عبد المعبود الجبيلى، كتبا كى أقرأها ووجدتها تتجاوب بشكل طبيعى مع كل ما أراه وأومن به، ثم انتسبت إلى خلية شيوعية كمرشحة لمدة عام درست خلاله تاريخ الحزب الشيوعى السوفيتى وكثيراً من كتب لينين وستالين وماوتسى تونج، ولم أكن أعلم أى شئ عن الحزب الشيوعى، بل كنت مجرد عضوة فى لجنة نقاش ودردشة.

المواقف السياسة السابقة:

منذ طفولتى أعى بطريقة تلقائية الأوضاع التى نعيشها. فأنا من أسرة برجوازية صغيرة، كبيرة العدد، ١٠ أفراد، يكدح الوالدان من أجل كسب عيشهم الضرورى وتعليمهم حتى الجامعة.

ولدت فى حارة بالقرب من عنابر السكة الحديد، وكانت أغانينا فى الحارة هى «يارينا ياعزيزكبه تاخذ الانجليز»، وعرفت أن الإنجليز هم أعداؤنا، وأكد هذه المعلومة والدى الذى كان يقص علينا ذكريات ثورة ١٩ وموقف الإنجليز من سعد باشا. ثم حكت لنا جدتى عن قتل الوردانى لبطرس غالى، ثم اتسع أفقى قليلا لأعرف أن الانجليز ليسوا فقط أعداءنا بل الأجانب عموما الذين يتمتعون بالحماية، ولم أكن أعرف معنى الحماية حتى قتل مصرى يقطن فى المسكن المقابل لنا لأنه ضرب ابنة إيطالى قذفته بالتراب وهو يأكل فما كان من والدها إلا أن أتى بالمسدس وقتله، ولم يحاكم ولم يحبس لأنه حماية.

وشعرت بانتمائى للعمال وخاصة عمال السكة الحديد وتعاطفت مع مطالبهم وخروجهم فى المظاهرات، وكنت أسير على الرصيف معهم عندما أطلق صدقى باشا الرصاص عليهم حتى تصورت وأنا طفلة أن رصاصة دخلت فى رجلى، ولكن بعد ذلك أدركت أنه تصور فحسب، وفى مظاهرة أخرى لا أدرى متى ولا لماذا ولكن أعرف أنهم كانوا يهتفون «لحيه يا نسيم يابو عقل تخين يابو ديل خنزير».

وبدأت أقرأ كل ما يقع عليه بصرى من كتب والذى التاريخية وخاصة كتاب عن حياة وتاريخ مصطفى كامل الذى تأثرت به جدا.

انضممت إلى دار الأبحاث العلمية والجامعة العمالية للتدريس بها قبل انضمامى لأى تنظيم.

انتخب طلبة كلية العلوم سنة ١٩٤٦ خمسة أشخاص لتمثيلهم فى اللجنة التنفيذية للطلبة ٣ ماركسين، سعد زهران وعبد الواحد بصيلة وأنا، ثم وفدى وهو على عبد البارى ثم واحد من الإخوان المسلمين.

انتخبت سنة ١٩٤٧ كأول رئيسة لاتحاد طلبة كلية العلوم ودخلنا فى معارك ضد تدخل الإدارة والحرس فى نشاط الطلبة.

ارتبطت أولا بإسكرا وانضممت مع إسكرا إلى ح.م مكونين حدتو وكانت ايمى سيتون المسئولة عن الفتيات فى حدتو. وفى أواخر سنة ١٩٤٨ انضممت إلى صوت المعارضة ثم المنظمة الشيوعية المصرية حتى سنة ١٩٥٢. وفى سنة ١٩٥٦ التقينا أفراداً من م. ش. م. وقررنا الانضمام إلى المصرى (الراية) عشية وحدته مع الحزب الموحد واستمر بنا الحال فى عضوية حزب ٨ يناير سنة ٥٨ بعد الخروج من السجن حتى تم حل الحزب فى ١٩٦٤.

تكونت إسكرا من مجموعة من الاجانب بقيادة هليل شوارتز ثم انضم لهم بعض المثقفين المصريين وكانوا الصف الأول من الشيوعيين المصريين، ولم أعرف منهم إلا من كان بكلية العلوم مثل عبد المعبود الجبيلى وعبد الرحمن الناصر وأحمد شكرى سالم وكمال العيوطى وغيرهم من أماكن أخرى مثل الدكتور القويسنى وعبدالرحمن الشرقاوى وإنجى افلاطون وكمال فهمى والأخوة ملطى من أسيوط.

وعندما تمت الوحدة بين اسكرا وح.م وتشكلت حدتو، ولما كنا نحن الصف الثانى من الكادر، فقد وجدنا أنفسنا يعاد توزيعنا حسب التنظيم الجديد.. ولما كنت فى السنة السابقة منظمة مع الطلبة كطالبة، وانتقلت بعد ذلك كموظفة طلب منى أن أعمل فى المكتب النسائى ولما كنت أقلل من قيمة العمل فى المكتب النسائى فقد طلبت أن أعمل مع العمال ووصلنا إلى حل وسط أن أكون مسئولة عن مجموعة من عاملات شبرا والزيتون مع قسم العمال، وفى نفس الوقت أكون عضوة بالمكتب النسائى بقيادة إنجى أفلاطون ومعى إقبال درويش وثريا عنايات المتيرى. وبدأ التمرد داخل الحزب حول التنظيم الفئوى؛ فقسم للاجانب وقسم للمثقفين وقسم للفنانين وقسم للطلبة وقسم للعمال وهذا لا يشكل حزباً سياسياً بل هو حزب القوات الوطنية الديمقراطية؛ فلا يمكن أن نكون حزب الطبقة العاملة ونساوى بين العمال وبين المثقفين أو النساء إلى آخره. وبدأ التفتت فى الحزب بخروج شهدى عطية بتكتله من الطلبة ولعبت مجموعة صوت المعارضة دورا بارزا فى الهجوم على خط القوات الوطنية الديمقراطية وأصدرت مجلة «صوت المعارضة» وطالبت بتقنين التكتل والتفرقة بينه وبين الانقسام ونادت بالقاعدة المشتركة أى أن نصل إلى القاعدة الواحدة لكل الأفكار السياسية المختلفة حتى ولو كانت بوسائل غير تنظيمية على أن ينتهى هذا الحوار بمؤتمر عام يقر الخط السياسى وينتخب قيادته.. وبالفعل تم الاتصال بعدد كبير من الاجانب والمثقفين والعمال وتم الاتفاق على عقد مؤتمر فى آخر ديسمبر سنه ١٩٤٨.

وقد سبق المؤتمر مؤتمرات للأقسام لاختيار ممثليهم فى المؤتمر العام ولم يخل الأمر من بعض التحايل على إنجاح بعض الاعضاء رغم عدم حضورهم شخصياً للمؤتمر مثل أوديت وسيدنى واستبعاد كمال فهمى لأنه كان يعارض القيادة وتم فى المؤتمر انتخاب خمسة - سيدنى مسئول سياسى، وأوديت مسئول تنظيمى، بالإضافة إلى ميشيل كامل وأنا فاطمة زكى.

وكان هناك برنامج سياسى وافق عليه المؤتمر يتناول السياسة الداخلية والسياسة العربية والسياسة الخارجية . وتحولت مجلة صوت المعارضة إلى مجلة صوت البروليتاريا لأن التوجيه الرئيسى هو أن يعمل كل الكادر بين العمال وكنت تتعجب أن تجد فتاة أجنبية ذات شعر أصفر تقف على باب المصنع تحاول تجنيد العمال والعاملات.

ولم تستمر م. ش.م أكثر من ٤ سنوات حيث سافرت القيادة للخارج وتفكك التنظيم.

سبق أن ذكرت أن حدتو كانت على علاقة بالعمال وكنت أعمل مع العاملات بمصانع فى شبرا ومصانع النسيج فى الزيتون.

وعملت فى م. ش. م فى القاهرة مع بعض عمال الترام والسكة الحديد وعندما انتقلت إلى الإسكندرية كنا على اتصال بعمال المنيا ووزعنا آلاف المنشورات للمطالبة بالإفراج عن الشيوعيين، وفى نفس العام كان زملاؤنا يعملون مع عمال سباهى وقد اشتركوا فى المظاهرة الشهيرة التى قامت فيها قوات البوليس بإلقائهم فى ترعة المحمودية.

ولابد أن نعترف أن اتصالاتنا بالعمال كانت أضعف كثيرا مما كان يرجى منا نحن الذين آمنا بضرورة عمل كل الكادر بين العمال. وكذلك لم يكن لمنظمتنا دور يذكر فى العمل بين الفلاحين.

- الدراسات السياسية:

أكبر قدر من التثقيف الماركسى حصلت عليه من اسكرا حيث كانت الاجتماعات أساسا فى مبدأ الأمر تقتصر على دراسة الكتب الماركسية عن المادية الجدلية وكتب لنين وستالين وحتى ماوتسى تونج. وقلت فترة الدراسة النظرية فى حدتو وزاد حجم المناقشات حول مشاكل الجماهير والأوضاع السياسية، وكنا مطالبين ونحن فى حدتو أن نقدم تقريراً أسبوعياً عن عدد ساعات القراءة النظرية وعدد ساعات الاجتماعات وساعات العمل الجماهيرى وحتى عدد ساعات المواصلات.

أنشأ محمد سيد أحمد دار الديمقراطية للنشر سنه ١٩٥٥ - ١٩٥٦ التى أصدرت عدة كتب سياسية.

- كان هناك استرتيجية وتكتيك وبرنامج ولائحة فى م. ش. م ولكنى لا أذكر تفاصيلها.

أما قضية الثورة الاشتراكية فكنا نعتقد أننا سنصل إليها قريبا وكنا نعمل بكل همة للوصول لها، ولكن كانت الظروف الذاتية والموضوعية لا تسمح بقيام ثورة اشتراكية

ولكن كان هناك مفهوم شائع وهو أنه لابد من إتمام الثورة الوطنية الديمقراطية حتى يمكن الانتقال إلى المرحلة التالية وهى الاشتراكية.

- التدرج الحزبى:

- كنت مرشحة فى إسكرا ثم عضواً عند الاتحاد مع ح.م ثم مسئولة لجنة عاملات تتبع قسم العمال وعضو بالمكتب النسائى. وفى القاعدة المشتركة كنت أحد المحركين الرئيسيين فى الاتصال بكل أقسام حدتو وذلك نظرا لأن قيادة التكتل المكون من أوديت وسيدنى لم يكونا يجتمعان مع أحد ولا يخرجان من المنزل وكانت الحلقة القيادية مكونة بجانب أوديت وسيدنى من محمود المستكاوى وسعد الطويل ومحمود فتحى والمهندس طلعت ببنى سويف وميشيل كامل ومحمد سيد أحمد ولم تكن قيادة جماعية بل ثنائية تتصل بالباقى. وبعقد المؤتمر التأسيسى لـ م. ش.م تم انتخاب لجنة مركزية كنت عضوا بها. وبعد وحدة يناير سنة ١٩٥٨ كنت عضو لجنة منطقة الجيزة وبعد القبض على القيادة السياسية فى يناير سنة ١٩٥٩ اشتركت مع بولس لطف الله فى كتابة بيان باسم الحزب.

- الموقف من الاحتراف:

كنا ندرك تماما أنه لا يمكن قيام حزب سياسى بدون نواة قوية ذات مميزات ومواصفات خاصة تصلح لأن تكون من المحترفين الثوريين، ولابد أن تتصف بالوعى بالخط السياسى وعلى درجة من التنظيم ويمكنها التصرف فى الظروف الجماهيرية المختلفة وتعرف كيف تتعامل مع البوليس السياسى. بل هى العمود الفقرى للعمل السياسى.

وكان فى م. ش. م عدد من المحترفين يبلغ حوالى عشرة؛ منهم ٤ سيدات هن: ثريا أدهم وميرى وسعاد الطويل وأنا فاطمة زكى يتوزعون بين القاهرة والإسكندرية. وكان كل محترف يتقاضى ٦ جنيهات حتى لو كان يعمل فى وظيفة سابقة بمرتب أكثر من ضعف هذا المبلغ وقد يزودونهم أحيانا بالملابس لأن هؤلاء المحترفين يتولون مسئوليات أساسية بالإضافة إلى المحترفين الذين يتولون طبع المنشورات والمطبوعات - وفى وقت من الأوقات قمت بطبع صوت البروليتاريا من غرفة مفروشة بالإسكندرية وحملتها ميرى رغم مرضها إلى القاهرة.

- الموقف من التنظيمات الأخرى:

كان موقف م. ش. م وموقفى بالتبعية من النظر إلى التنظيمات الأخرى هو الآتى. فى البدء نظرت مجموعة صوت المعارضة إلى حدتو بعد انفصالها عنه على أنها تنظيم منحرف يعمل لصالح كل الطبقات وبالتالى لا يعمل من أجل الطبقة العاملة. وبعد الانفصال فى ديسمبر سنه ١٩٤٨ بعد عقد مؤتمر م. ش. م اتهمت جميع التنظيمات بالبوليسية ومنعت على كل الكادر الاتصال بأى فرد من هذه التنظيمات مما أدى إلى ألا يكلم الأخ أخاه لأنه من تنظيم آخر. وبالتالى عندما كنت مسئولة بسجن الأجانب عن المعتقلات منعت أياً منهن من التحدث مع المعتقلات الأخريات أثناء طابورهن اليومى، أما الموقف من الحزب الواحد فقد كان هذا هو أملى على أن يكون مبنياً على وحدة أيديولوجية وصراع فكرى بين القواعد، ولكن ما تم فعلا فى ٨ يناير كان اتفاقاً علوياً مبنياً على تقسيم المراكز.

ذكرت أنه قبيل وحدة ٨ يناير كنت مجموعة من الأفراد الذين كانوا منضمين لـ. م. ش. م كونوا حلقة دراسية تكونت من نبيل الهلالى وبولس لطف الله وسعد الطويل ومحمود المستكاوى ومحمد سيد أحمد وكمال صديق من عمال الترام وكانوا على اتصال بالمصرى وسمعنا عن محاولات الوحدة بين المصرى وحدتو ورأينا أننا أقرب فكريا إلى المصرى، ولكن خلافنا معه كان على أساس الملكية الخاصة.. ففى م. ش. م كان كل عضو يضع كل ما يملك فى خدمة الحزب أما المصرى فأخبرونا أنهم يحتفظون بملكيتهم الخاصة وأنهم يدفعون اشتراكاً. وتمت وحدتنا معهم خلال وحدتهم مع حدتو وسكنا جميعا فى مسئوليات مهمة.

ولم تمض بضعة شهور حتى حدث الخلاف لجذرى حول ضرورة وضع النقابات العمالية تحت وصاية الاتحاد الاشتراكى ومن هنا حدث أول خلاف.

- الموقف من الرفاق اليهود:

كنت مرشحة فى إسكرا وكان فى قيادتها هليل شوارتز وكنت مبهورة بثقافته الماركسية وفى نفس الوقت حاول أحد الأصدقاء أن ألتقى بكوربيل وفعلا قابلته فى ملاعب الكلية فحضر بشورت ولأنه كان غير مريح فى حديثه أخبرته أننى لن أنضم لهم وسأكتفى بوجودى فى دار الأبحاث العلمية.

وبعد الوحدة بين اسكرا رح.م. كانت مسئولتى إيمى سيتون وهى يهودية وكانت تتولى مسئولية مركزية.. ولكن ارتفع بعد ذلك من القاعد: شعار التمصير، ولكن كان بيننا زملاء يهود تكن لهم كل تقدير لأنهم رفضوا الهجرة مع عائلاتهم إلى إسرائيل وأصروا على البقاء.

أما بالنسبة لقيادة م. ش. م وكانا يهوديين فقد تسببا فى انهيار التنظيم ليس بسبب يهوديتهما ولكن بسبب انحرافاتهما وتطرفهما السياسى ودكتاتورية زرعت الشكوك حتى بين الأعضاء وإلقاء التهم بالبوليسية جزافا.

وهنا يجب أن نسجل موقف ميرى كوهين فعندما هاجرت أسرتها إلى إسرائيل رفضت السفر معهم فأعطوها ألف جنيه لتعيش عليها كدوطة عند الزواج، وكان ذلك سنة ١٩٤٨ ويعتبر مبلغاً كبيراً. واستمرت تعمل كمحترفة فى الحزب وتتقاضى من الحزب ٦ جنيهات وتبرعت بالألف جنيه للحزب فى الأربعينيات.

- العمل الجماهيرى:

اشتركت اسكرا وكنت عضوا بها فى تعبئة وتوجيه الطلبة والعمال فى أحداث ٢١ فبراير ١٩٤٦ وكنت عضوة باللجنة التنفيذية العليا للطلبة.

- رشحنى التنظيم لدخول انتخابات اتحاد طلبة كلية العلوم ورغم معارضة الإخوان المسلمين إلا أننى نجحت فى رئاسة الاتحاد ونجحت معى قائمة التقدميين بالكلية فى مقابل عضو واحد من الإخوان المسلمين.

- نظم الحزب مظاهرات للاحتفال بـ ٢١ فبراير سنة ١٩٤٧، سنة ١٩٤٨ وكنت وغيرى من الزميلات مشتركات بها.

- نظم الحزب سنة ١٩٤٧ حملة لمقابلة النقراشى باشا عند عودته من مجلس الأمن وتحويل المظاهرة التى نظمتها الحكومة إلى مظاهرة مضادة للنقراشى ونجحنا فى ذلك، وكنت وبعض الزميلات نقود هذه المظاهرات محمولات على الأكتاف. وقمنا فى الخمسينيات بحملة كبيرة لمكافحة الكوليرا وكان عدد المشتركين كبيرا.

- فى م. ش. م كانت لنا علاقات بعمال الميناء فى الإسكندرية ووزعنا آلاف المنشورات والملصقات للمطالبة بالافراج عن الشيوعين.

- نتيجة لعلاقتنا بعمال سباهى شارك الزملاء فى المظاهرات والاعتصامات التى تمت وقتئذ وكان مسئول عمال سباهى هو إريك رولو الذى كان مشرفا على المعارك التى تمت وقتئذ بين العمال والبوليس.

- فى أثناء عدوان ١٩٥٦ اشتركت فى دورة تدريبية بوزارة الداخلية على مكافحة القنابل الذرية (كانت الدفعة كلها من مدرسى العلوم الدارسين للذرة).

واشتركت مع سيزا نبراوى فى اللجنة النسائية للمقاومة الشعبية. وفى سنة ١٩٥٧ اشتركت فى المعركة الانتخابية الخاصة بسيزا نبراوى عندما رشحت نفسها كنائبة لمصر القديمة، وكانت تشترك معنا فى اللجنة الاجتماعية إنجى افلاطون والدكتورة حكمت أبوزيد والصحفية جاكلين خورى.

- بتوجيه من الحزب قمنا بجمع آلاف التوقيعات للمطالبة بالإفراج عن جميلة بو حريد.

- جمعنا آلاف التوقيعات على نداء ستوكهولم ضد القنابل الذرية.

- فى أواخر الخمسينيات دخل الحزب فى معركة انتخابات نقابة المعلمين ورشحت نفسى ونجحت فى منطقة جنوب القاهرة وعندما تقدمت بطلب ترشيحى لمجلس النقابة منعنى البوليس وتدخل وشطب اسمى من الترشيحات، وكان أديب ديمترى ونداد مترى وسميحة البرلسى أبرز العاملين فى هذه المعركة.

تحول مكتب دار الديمقراطية الجديدة للنشر إلى مركز هام وخلية عمل من أجل التحضير لمؤتمر عدم الانحياز وتم رسم العديد من الملصقات الخاصة بالاحتفال الكبير الذى أقيم بصالة الاحتفالات بجامعة القاهرة وقمنا بعمل حشد نسائى كبير ملأ الشرفة العليا وسادت شعاراتنا وهتافاتنا كل القاعة.

شاركت قيادة اسكرا وحدتو ممثلة فى شهدى عطية وكمال شعبان وجمال غالى مسئول الطلبة، بتوجيه جميع الطلبة التقدميين بحشد الطلبة حول اللجان التنفيذية بكل كلية. وقد تكونت لجنة تنفيذية بكلية العلوم وانتخبت قيادة من خمسة أفراد منهم ثلاثة ماركسيين وواحد وفدى وواحد إخوان، وكنا نحن الخمسة أعضاء فى اللجنة التنفيذية العليا، ووقفنا نحن الشيوعيين فى مواجهة الإخوان فى الموقف من السودان؛ فقد كانوا

ينادون بالجلاء ووحدة وادى النيل ونحن نطالب بالجلاء عن وادى النيل، كذا اختلفنا فى الموقف من التسليح فقد نادوا بالتسليح واعترضنا عليهم.

ودعا التنظيم إلى تشكيل اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ومثلنا ثريا المنهرى وحسن كاظم.

- الموقف من القضية الفلسطينية:

وافق الحزب على قرار تقسيم فلسطين ووافقت بالتبعية - على ما أذكر- على أساس فكرة نشر الديمقراطية فى مصر، وقد نقدنا هذا الموقف بعد ذلك وبقيت متعاطفة مع منظمة التحرير حتى اتفاقاتها الأخيرة مع إسرائيل وكنت ولازلت ضد التطبيع مع إسرائيل وأتعاون باستمرار مع اتحاد المرأة الفلسطينية بالقاهرة.

- الموقف من الأحزاب:

كان رأى الحزب أن حزب الأحرار الدستوريين يمثل الإقطاعيين، وأن السعديين يمثلون الرأسمالية ، وأن الوفد خان القضية الوطنية وتهاون معها، وأن عباس حليم لا يمكن أن يمثل الحركة العمالية، وأن الإخوان ومصر الفتاة تحولوا إلى تنظيمات فاشية.

- الموقف من حركة أنصار السلام:

عند إنشاء لجنة أنصار السلام في مصر كنا نتشكك فى نواياها فى البداية، ثم وقفت مع إنجى أفلاطون أحد المؤسسين للحركة فى كل نشاطاتها.

- الموقف من ثورة ٢٣ يوليو:

لم أكن فى أى تنظيم سنة ٥٢ ولكنى كنت أعتقد أنه انقلاب عسكرى حتى عندما حضر فؤاد محى الدين لمقابلتى كشيوعية لأتوسط له حتى يقوم الشيوعيون فى السودان باستقبال صلاح سالم، واعتذرت له لأننى لا أعرف من السودانيين إلا صلاح بشرى الذى مات فى سجون مصر.

أما بالنسبة للاتحاد القومي فقد كان التنظيم يقف ضده ويرفض ما كان يفرضه القانون بضرورة عضوية الاتحاد القومى لمزاولة النشاط النقابى. انضممت للاتحاد الاشتراكى حوالى سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨ فى قسم عابدين ولم أقبل أن أعين أمينة للمرأة

إلا بالانتخاب وفعلا وبعد ٦ شهور تمت انتخابات وانتخبت أمينة للمرأة وقمت بنشاط واسع مع اللجنة النيادية بقسم عابدين التى كانت تضم ليلى الشال وثريا أدهم من الشيوعيات بالإضافة إلى عضوات الاتحاد الاشتراكى. وتم تشكيل عشر لجان نسائية فى العشر شياخات بالقسم، بالإضافة إلى تكوين لجنة نسائية فى كل وحدة إنتاجية أو حزبية، وكنا مؤسسين فى الجمعية العامة لدور الحضانة التى شكلت دار حضانة فى كل قسم من أقسام القاهرة. وأيدت كل الأحزاب الإجراءات التى تخذها عبدالناصر سنه ١٩٦١ رغم وجودنا جميعا فى سجونه نساءً ورجالاً.

- الموقف من الإصلاح الزراعى:

كنا متعاطفين حتى مع الاقتراحات التى قدمت لمجلس الشيوخ أثناء الملكية ولو أنها لم تنفذ ثم أيدنا بعد ذلك توزيع الملكيات الكبيرة.

- الموقف من إعدام خميس والبقرى:

كانت الثورة تجتاح نفوسنا لأحداث كفر الدوار ونقمنا على «الثورة» التى أعدمت كلا من الخميس والبقرى واعتبرناه تهديداً لكل من يعارض الثورة.

- الموقف من أحداث سنة ١٩٥٤:

فى ١٩٥٤ لم أكن منضمة إلى أى تنظيم ولكنى كنت ضد مظاهر القوة التى استخدمتها الثورة فى مواجهة محمد نجيب بإبطال المواصلات، وقررت ألا أمتنع عن العمل فى هذا اليوم وذهبت سيرا على الاقدام من شبرا إلى السيدة زينب بمدرسة السنية وقمت بإعطاء دروس للطالبات مع شرح رأيى لهن.

- الموقف من صفقة الأسلحة التشيكية وتأميم قناة السويس:

سعدت كما سعد الشعب المصرى كله بتسليح الجيش المصرى وبتأميم قناة السويس.

- الموقف من العدوان الثلاثى:

لم أكن منظمة ومع ذلك وقفنا جميعا ضد العدوان وقد تدربت على مقاومة الحرب الذرية فى وزارة الدخلية وجمعت التلميذات وتوجهنا إلى مستشفى أحمد ماهر للتبرع

بالدم وركبت ميكرفون على سور مدرسة السنية لإذاعة الاغانى الوطنية والخطب التى سجلتها على شريط حتى تذاع بعد المدرسة.

- الموقف من انتخابات مجلس الأمة ١٩٥٧:

فى عام ١٩٥٧ سمح للمرأة لأول مرة أن تنتخب وترشح نفسها وكنت من أوائل الذين استخرجوا بطاقة انتخابية ودعوت الكثيرات لاستخراج هذه البطاقة وقمت بالتصويت فى روض الفرج.

ولما رشحت سيزا نبراوى نفسها فى مصر القديمة شكلنا لجنة لمساعدتها وكان بيت الدكتورة حكمت أبوزيد على سكة حديد مارجرجس المقر الانتخابى، وشاركت سيزا نبراوى فى الانتخابات كثير من الزملاء والزميلات وكنا نلف معها فى كل أنحاء الدائرة، وفى نفس الوقت صدر لنا قرار بالوقوف بجانب رشد النبراوى فى إمبابة فى مواجهة أحد القيادات العمالية وقبلنا على مضض لأنه أمر حزبى رغم اقتناعنا بأهمية انتخاب العامل النقابى وقد فازت راوية عطية..

- الموقف من الأحلاف الاستعمارية:

بالطبع المعارضة على خط مستقيم سواء من الحزب أو منى شخصياً وصدر العديد من المطبوعات تندد بهذه الاحلاف.

- الموقف من قرار التمصير:

قوبل تمصير الشركات والبنوك الاجنبية بارتياح وتهليل لأنه مطلب كل التقدميين وقد سبق أن كتبت أسماء (حليم) كتيباً طالبت فيه بتمصير قناة السويس.

- الموقف من الوحدة مع سوريا:

نتيجة إيماننا بالقومية العربية فإن وحدة مصر وسوريا كنا ننظر لها كلبنة فى بنيان القومية العربية والوحدة العربية ولا أذكر موقفنا من بقية النقاط، ولكن كنا نخاف على سوريا من دكتاتورية مصر.

- الموقف من التأميمات:

كنا بالسجون أثناء قرارات التأميم سنة ١٩٦١ واختلفت الآراء. وكنت وقتئذ مع الرأى الذى يقول إن هذه ليست إجراءات اشتراكية، بل هى ممارسات رأسمالية الدولة الاحتكارية.

- الموقف من الاتحاد السوفيتي:

كان مثلنا الأعلى هو الاتحاد السوفيتي في بناء الاشتراكية وكان تفكيرا دوجمانيا. وكان المقياس هو ما وصل إليه الشعب السوفيتي من مستوى معيشي وحضاري وتكنيكي في فترة وجيزة جعله يقف كدولة عظمى على قدم المساواة مع أمريكا.

وكان موقف الاتحاد السوفيتي في مواجهة الامبريالية من ناحية ومساندة حركات التحرر قد أنعش آمال الملايين في التطلع إلى حياة مستقلة كريمة. وكنا ضد التدخل في المجر ومع التعايش السلمي..

- الموقف داخل السجن:

داخل سجن النساء لم يكن الصراع السياسي بالحدة الموجودة في سجون الرجال. فقد كانت هناك زميلتان من حدتو وزميلة واحدة من (نسيت هل هي ط. ش. أم ر. ش) والباقيات من الحزب. وكان موقف كل تيار هو ما يصل إليه من سجن القناطر رجال.

أهم نضالات الشيوعيات داخل السجن كان في موقفين رئيسيين: الموقف الأول سنة ١٩٥٩ عندما تحدث عبدالناصر مع الصحفي الهندي كارنجا كما أتذكر. وقال ليس في السجون معتقلون أو معتقلات، وطالبنا مقابلة المأمور للتأكد من صحة هذا التصريح وأن رئيس الجمهورية لا يمكن أن يكذب، واتفقنا فيما بيننا ألا ندخل العنبر إلا إذا قابلنا أحد المسئولين بالداخلية. وأعلنت حالة الطوارئ في السجن وأدخلت كل المسجونات في زنازينهن وبقينا وحدنا في الحوش وفجأة فتح الباب الكبير للسجن ودخلت منه فرقة جنود مدججة بالسلاح أمامنا ووقفت السجانات بالعصي ومعهن المسجونات المحكوم عليهن بالتأبيدة ودارت معركة غير متكافئة بيننا وبين السجانات في حماية العساكر وقد تم ضربنا بالعصي الغليظة وسحلنا من شعورنا وتقطعت ملابسنا حتى أدخلونا العنبر ثم نادت الباشسجانة على فاطمة زكي وثريا أدهم للمثول أمام قائد المنطقة فمشيت ثريا أدهم رغم الضرب الشديد على ظهرها وحملت المسجونات فاطمة على بطانية وذهبن إلى البوابة ثم عند إعادتها أودعتها في الحبس الانفرادي في زنزانة المحكوم عليهن بالاعدام لمدة ١٥ يوماً ونمت على البرش. وقطع

عنهما العشاء وقيدت الحادثة اعتداء من المعتقلات على المسجونات. أما المرقعة الثانية فكانت فى نهاية سنه ١٩٦٣ حيث كانت المعتقلات محرومات من الزيارة رغم وجود بعض المعتقلات تاركات أطفالهن الصغار فى الخارج مثل ثريا شاكر وثريا إبراهيم وجنفيف سيداروس وأسماء البقلى، كذا كن محرومات من قراءة الجرائد وحتى الأشغال اليدوية ولم يصرح لأى منهن بالصرف من الكانتين إلا فى حدود ٢ جنيه، فى حين كانت مارسيل نينيو الجاسوسة الإسرائيلية مسموح لها بالصرف فى حدود ١٥ جنيه. وعلى ذلك قررنا الإضراب عن الطعام تحت شعار الإفراج أو الموت وبالطبع قمنا بالإعداد اللازم للإضراب من تعاطى «مليّنات» فى اليوم السابق على الإضراب.. وبقينا فى العنبر ثلاثة أيام حتى أتت النيابة للتحقيق وعندما جاء دورى فى التحقيق طلبت رؤية تحقيق الشخصية لاثنين كانا مع النيابة ورفضت الحديث حتى خرجا من العنبر، اتضح أنهما مباحث، واستمر التحقيق مع الأخريات، ثم انتقلنا جميعا إلى مستشفى السجن ولم نكن نتناول أى شئ سوى الماء فقط واستمر الإضراب عن الطعام لمده ١٥ يوماً حتى أتى مندوب من الداخلية لمناقشتنا وأعطى وعداً بالإفراج القريب ووافق على أن نطلع على الصحف وأن نقوم بإعداد الطعام بأنفسنا مع إحضار وابور جاز فى العنبر ومزاولة الاشغال اليدوية. فى بدء الاعتقال قدمت بعض الزميلات فى قضايا مثل ثريا إبراهيم وثريا أدهم ونوال المحلاوى واتفق على أن تقوم واحدة فقط بالدفاع السياسى وكانت الزميلة ثريا أدهم ورغم أن المضبوطات التى وجدت معها ساعة القبض عليها لم تكن تحوى أى شئ يدينها إلا أن المباحث قدمت دليل إدانتها وهو جواب غرامى لزوجها حلمي يس تتعهد فيه بمواصلة النضال من أجل قضيتهما المشتركة وهاجمت فى المحكمة سياسة عبد الناصر وشبهته بسالازار حاكم البرتغال الفاشى وكان أن حكم عليها بثلاث سنوات سجن من أجل خطاب غرامى.

وفيما يلى كشف بأسماء المسجونات فى سجن القناطر فى الستينيات:

١ - ثريا أدهم

٢ - ثريا شاكر

٣ - ثريا إبراهيم

٤ـ ليلى النال

٥ـ ليلى عبد الحكيم

٦ـ ليلى شعيب

٧ـ سعاد الطويل

٨ـ إجلال السحيمى

٩ـ جنيفيف سيداروس

١٠ ـ فاطمة زكى

١١ ـ أسماء البقلى

١٢ ـ صهباء البربرى

١٣ ـ زينات الصباغ

١٤ ـ نوال الحملاوى

١٥ ـ رشاد مصرى

١٦ ـ أميمة أبو النصر

١٧ ـ مارى بابا دوبلو

١٨ ـ سميرة الصاوى

١٩ ـ عايدة بدر

٢٠ ـ سيدة ....

٢١ ـ زينب .....

٢٢ ـ إيفون حبشى

٢٣ ـ مارى روزنتال

٢٤ ـ ميمى كانال

٢٥ ـ انتصار خطاب

٢٦ ـ محسنة توفيق

بعضهن أمضى عدة شهور وخرجت دفعة بعد سنة. وأقصى مدة بقيت الزميلات أربع سنوات ونصف.

ـ الموقف من حل التنظيمات:

على ما أتذكر كانت هناك أسباب ذاتية وأسباب موضوعية لحل الحزب، فالأسباب الذاتية هي الضعف الشديد في التنظيم نتيجة الترهل السياسي بعد الخروج من السجن، لم تكن الاجتماعات تتم بشكل منتظم أو بعدد متكامل، وكان البحث عن لقمة العيش يشغل البعض نتيجة للفصل من العمل. أما الأسباب الموضوعية فكانت الخلافات السياسية حول وجود مجموعة اشتراكية في السلطة والقرارات الاقتصادية التي صدرت وقد دعيت إلى مؤتمر لمناقشة حل الحزب وأخذت الأصوات، وشهادة للتاريخ أنه في هذا الاجتماع لم يعترض بشكل جذري وقاطع سوى رجاء الطنطاوي فقط، أما أنا فقد طالبت أنه في حالة حل الحزب أن ندخل الاتحاد الاشتراكي كتنظيم داخل الاتحاد الاشتراكي كتكتل مستقل كما حدث في أواخر ديسمبر سنة ١٩٤٨ وعملنا تكتل صوت المعارضة داخل حدتو.

وللتاريخ يجب أن أذكر أنه كانت هناك فكرة من خارج الحزب لعله.. عند خروجي من السجن والبحث عن عمل قام صيدلي اسمه د. الشحات كان شيوعياً سابقاً وكان رئيس الشركة العربية للأدوية باعطائي بعض الكتب العلمية لترجمتها وكنت أتردد عليه كثيرا بمكتبه بشارع الالفي وفي يوم فتح مناقشة غريبة وهي ضرورة حل الحزب واعترضت بشدة على فكرة الحل ولما وجد أنه لا فائدة من مناقشتي طلب مني مقابلة أحمد فؤاد رئيس بنك مصر وكنت على علاقة تنظيمية معه سابقا.. وذهبت إليه في مكتبه ببنك مصر وفتح موضوع حل الحزب فقلت له «انت كنت راجل ماركسي وتعرف أن دا حزب الطبقة العامله ومفيش حد في الدنيا يملك حل هذا الحزب ودا وسيلة صراعه من أجل الاشتراكية الحقيقية»، وعندما لم يجد أي استجابة مني طلب مني أن أحمل رسالة سرية شفهية لا يطلع عليها أحد عند زيارتي لزوجي

فى الواحات، وهذه الرسالة موجهة إلى الدكتور فؤاد مرسى.. وحتى لم أذكر شيئا لزوجي حسب وعدى وطلبت منه أن أقابل فؤاد مرسى.. وفعلا حضر إلى غرفة الزيارة وأخبرته.. برسالة أحمد فؤاد بضرورة حل الحزب.

- الموقف من الانقسامية:

تم إعادة بناء الحركة الشيوعية فى الأربعينيات بعد العشرينيات وهى تحمل فى أحشائها بذور الانشقاق والانقسام فإسكرا كانت تضم عناصر من البرجوازية الكبيرة والمتوسطة، وتركز اهتمامها على التكوين النظرى لاعضائها ح. م كانت تضم أعضاء من البرجوازية المتوسطة الصغيرة والعمال ولم تهتم كثيرا بالتكوين الفكرى والنظرى، وعند الوحدة بينهما كان هناك تباين فى الفكر والعمل ولم تكن الوحدة الفكرية بينهما تامة لم تستمر إلا عام ١٩٤٨ وسرعان ما ظهرت التكتلات- التكتل الثورى لشهدى- م. ش. م. نحو حزب شيوعى، هذا بالإضافة إلى معارك التمصير و التعميل (إعطاء أولوية للعمال) بالاضافة إلى وجود حزب العمال والفلاحين خارج هذه الوحدة. ثم الاتهامات بالبوليسية الذى تفشى بين المجموعات، والاهم من ذلك هو تفريغ التنظيمات الديمقراطية، فالقرار هو بين القيادة العليا دون اعتبار رأى المعارضة التى كان يطاح بها. بالإضافة إلى عدم وجود وحدة فكرية حقيقية بينهم.

- المعلومات عن الرفاق الراحلين:

شهدى عطية الشافعى الذى مات فى أبوزعبل وكذا فريد حداد ومحمد عثمان الذى مات من التعذيب فى قسم بوليس طنطا ورآه الزملاء مسجيا أسفل السلم ولما سألت عنه والدته أنكروا معرفتهم به ولم تستدل حتى وفاتها على مكان دفنه. و رشدى خليل - وسيد أمين الذى مات بين أيدينا فى عنبر المعتقلين بالقصر العينى وكان يعالج خطأ ورفض البوليس حتى أن تراه زوجته بعد موته، أما عن لويس إسحاق فحدث أنه بعد أن أفرج عنا نحن الزوجات من سجن القناطر فاطمة زكى و ثريا أدهم ونوال المحلاوى قررنا أن نذهب إلى الواحات لرؤية أزواجنا وما إن وصلنا إلى سجن الواحات حتى فوجئنا بحصار شديد حول السجن وأخبرونا أنهم سافروا إلى القاهرة ورفضنا تصديقهم وتعالت أصواتنا حتى سمعنا الزملاء بالداخل فقاموا بحركة هياج حتى سمحوا لنا بالدخول وعلمنا أن كان هناك تكديرة وإن زميلا لهم أصيب إصابة خطيرة هو لويس إسحاق وكان لابد من نقله بطيارة إلى أسيوط فأسرعنا بالرجوع إلى

القاهرة وذهبنا إلى الصحفي حسنين هيكل وأخبرناه بالمطلوب فرفع السماعة واتصل بالداخلية ووضع السماعة وقال الباقية فى حياتكم.

- شهادات سبق أن أدليت بها:

قام رفعت السعيد بسؤالى أسئلة معينة أجبت عليها وفى كتابه لم تظهر جميع إجاباتى.

قام فخرى لبيب بتسجيل مذكراتى عن سجن النساء وعند قراءة الكتاب وجدت أنه كتب لبعض الأشخاص أكثر عن تجربتهم فى السجون فقط بل تعداه لعرض مواقف أخرى فبدا كأننا نقص حكايات وليس لنا تاريخ سياسى.

سجلت لمجلة حواء بعضا من مذكراتى، وعندما صدرت المجلة كانت خالية من أى مواقف سياسية ولما عاتبت رئيسة التحرير إقبال بركة قالت بالحرف «احمدى ربنا يا فاطمة إنى نزلت فى عدد واحد ريبورتاجين لك وللطيفة الزيات».

سجلت مع جمعية نسائية تمثلها عرب لطفى بعض الذكريات لم أرها وهى على شريط تسجيل.

أقترح كتابة تاريخ أمهات وزوجات المناضلين الذين لعبوا دورا رئيسيا لا فى الوقوف فقط بجانب أبنائهن إنما لدورهم التنظيمى فى توصيل البيانات والخطابات والتعليمات السياسية من سجن إلى سجن وموقفهم مع المباحث.

على رأسهن

- أم أحمد ومحمود العطار

- أم نسيم يوسف

- أم محمد عثمان.

شهادة
محمد حسن المنشاوى

البيانات الشخصية:

الاسم: محمد حسن المنشاوى

تاريخ وموطن الميلاد: ١٩٢٦/٣/١٣

موطن الميلاد: مسجد نويسا، مركز الصف، محافظة الجيزة

المؤهلات: التعليم الإلزامى

تاريخ الانضمام للحركة الشيوعية: ١٩٥١ قبل الثورة

فترات السجن والاعتقال: اعتقلت فى مارس ١٩٥٤ حوالى عشرين يوماً وقبض علىَ فى قضية فى١٩٥٤ أيضاً قضية أول مارس (منشور أول مارس)، أخذت فيها خمس سنوات طلعت فى ١٩٥٩، ثم دخلت السجن مرة أخرى فى ١٩٦٩ لغاية ١٩٧٢ ثم بعد كده فى ١٩٧٧ ثم ١٩٨٦.

أنا جئت من القرية حوالى عام سنه ١٩٤٢ عملت فى مصنع للمحفوظات الغذائية (خضار محفوظ) واستمريت فى العمل بهذا المصنع حوالى ثلاث أو أربع سنوات، فى هذا المصنع. أول بدايه بقى كانت الحرب على وشك النهاية والغلاء كان قد جاء والعمال كانت نأخد أجور بسيطه، فاتفقوا انهم عاوزين يكلموا الخواجه علشان يرفع اجورهم، فكلنا متفقين على أننا نكلم الخواجه، لكن مش متفقين على مين اللى حيتكلم، فأحد لعمال قال أدخل أنا ومحمد المنشاوى، فدخلنا للخواجه، وكانت فيه شعيرات فى ذقنى محلقتهاش، فأول ما وقفت عند الخواجه، قال لى عاوز ايه يا سنى، فأنا بعد كده

حلقت على طول دقنى، فقلت له إن الغلاء زاد والمعيشة غليت، واحنا مازدناش، فقال لى أنا عامل حسابى وحاأزودكم قرشين صاغ فى اليوم، كانت المفاوضات سهله، ولأنه هو انتدبنى أنا من أول كلمة سنى، فكنت أنا اللى إتكلمت، وخرجنا على أساس أن احنا نزيد قرشين صاغ فى اليوم، كانت دى البداية وعرفت بقى الجرايد، كنت با أقرأ الجرايد بتاعة الوفد بالذات، محمد مندور، عزيز فهمى، وعرفت السياسة من الناس دول، لكن أنا بعد ما نجحت فى المعركة الأولى ديه كنت عايز أبقى نقابى، وبدأت أبحث عن العمل النقابى، عرفت أن فيه نقابات لعمال النسيج، المصنع اللى كنت أنا شغال فيه، أصحابه باعوه لراجل بتاع نسيج وأصبح نشاطه النسيج، ودخلت إتعلمت مع العمال، هو أنا كنت ماسك غفير للمصنع فى الفترة دى، والخواجه صاحب المصنع القديم طلع كل العمال وما سابش إلا أنا، ولما جم وأستريده بتوع النسيج كنت أخش مع العمال بالليل واتعلمت النسيج، وبعدين قلت لهم بقى، تدونى أجره كويسه يا أمشى، فمشيت رحت إشتغلت فى النسيج. وبدأت بقى فى المعارك بتاعه النسيج دى برضه حوالين الأجور، معارك صغيره فى مصانع مختلفة، لغاية لما كنت فى منطقة القبة والزيتون، فإتعرفت على أنى راجل مشاغب، باللغة بتاعة المباحث، فدورت على منطقة ثانية بعيده عنها علشان أشتغل فيها، رحت اشتغلت فى شركة الشرق فى أمبابه، أول ما دخلت، فى اليوم اللى أنا دخلت فيه، العمال وقفوا عن العمل، إضراب، فبعد نصف ساعة أستئنفنا العمل تاني وسألت، أحنا عملنا إضراب ليه، فالوا علشان المباحث كانت جايه تقبض على رفعت، ولما عملنا الاضراب سابوه، ورفعت ده كان عامل اسمه محمد رفعت، هو كان من الصف التانى من العمال مش زعيم، وفهمت أنا إن المصنع كانت فيه معركة قبل كده، وإتفصل فيها حوالى أربعين واحد من القيادات العمالية، وأن محمد رفعت ده كان فى الآخر، لما لقى الجو تام حراليه إستخدم جوابات تهديد يبعتها لرئيس مجلس الادارة، يقول له يعنى يا نجيب كذا، يا نعملك، حاجات كده رمزيه، فجاموا ليقبضوا عليه، فاتعمل إضراب وإنتهى الإضراب، بأنهم، لغاية لماجينا نخرج الصبح الساعة ٦ الصبح، لقينا العساكر واقفين، وقبضوا على محمد رفعت، وما حدش إتحرك، يعنى كل واحد خرج مشى على طول لواحده، فبعد يومين وأنا رايح المصنع بالليل ركبت الترامواى من أبو العلا رايح إمبابه، لقيت محمد رفعت

مع عساكر البوليس في الترامواي رايحين أمبابه فقعدت جنب منه وقلتله، ما تتكلمش، أنا اللي حا أتكلم، لأن أنت متعرفنيش، أنا عامل جديد في شركة الشرق واشتغلت في نفس اليوم اللي أنت كان بيتقبض عليك فيه وإيه الحكاية بتاعتك؟ قال بيتهموني بجوابات بابعتها مجهولة، وفيها تهديد، قلت له الحكاية متعملكش قضية، لكن إنت مش حترجع الشغل، وخليك فاكر بنى، أنا أسمى المتشاوى، وحتسمع إنشاء الله عن شركة الشرق قريب فبعدها إخترت واحد، قالوا لي إن الراجل ده كويس، ورحت أتكلم معاه في رحلة العمال، والراجل ده كان كويس فعلاً، فقال لي إنت تكلمت مع حد قبل كده؟، قلت له لأ، قال لي طيب، ما تجيبش السيرة دي لحد، إذا كنت عايز تأكل عيش، لأن أنت حاتيجي أحسن من مين ولامين، لأن العمال اللي إنفصلت، كانت قيادات أقدم مني في الكفاح وشخصيات كانت معروفة وقال إنت مش حاتيجي قد دول.

اكتشفت أن (أصحاب الشركة) كانوا بيعينوا مطرح اللي إنفصلوا فجاء عمال جدد، فإتعرفت على بعضهم، وبدأت معاهم الشغل.

أول قعده قعدناها كنا خمسة، خمس عمال، فينا واحد بس من القدام وأربعة من الجداد، إتفقنا على أن كل واحد وما يقولش على أسامي الناس اللي معاه، علشان لما يغلط يبقى يغلط في حق نفسه بس، ومشينا، لغاية شهرين ثلاثة، وبقينا قوه يعني لا بأس بها. كان فيه بقى جمعية عمومية لنقابة النسيج، أنا كنت رايح أترشح في الجمعية العمومية دي، وواحد من الناس تداني من الناس اللي معانا في اللجنة، ورحنا قعدنا الثلاثة مع بعض ومعانا واحد زميل من الشيوعيين اسمه طاهر عبدالحكيم، ودى كانت أول العلاقة بالشيوعيين، فطاهر عبدالحكيم قال لي بلاش تروح تترشح في النقابة، قلت له ليه؟ قال لأن إنتخابات النقابات بتكشف الكوادر العمالية، وعايزين أحنا الأول نشتغل في السر لغاية لما نجمد وبعدين نروح النقابة، قلت له لأ، أنا ماكنتش فاهم الشيوعية يعني أيه، فقلت له لأ، أنا راجل نقابي لما يتقبض عليه وأنا في وسط تلتماية عامل، حيعرف تلتماية عامل أن أنا اتقبض عليه بسبب كذا، ولو أتقبض عليه وأنا قاعد معاكم هنا دلوقت ما حدش حا ياخد خبر مين اللي أتقبض عليه. فحطيت بعلى دى قصادى، عايزينى على كده أهلاً.

فقال لى طيب نتفق نتقابل الصبح قبل ما نروح النقابة، وأقولك الرأى النهائى ففعلا قابلنى تانى يوم الساعة سبعة الصبح وقال لى الزملاء مبسوطين منك وبيقولولك أتوكل على الله ورشح نفسك ولقيته مبسوط يعنى.

أنا فهمت بعد كده أن كان فيه شعار لمنظمة النواة يقول «طاطى حتى تمر الرياح» حاجه زى كده، فأنا اللى صلحت العبارة دى، قلتلهم لأ أنا نقابى.

فاشتغلت بقى معاهم فى الشيرعية، مع «النواة».

فى سنه ١٩٥٤ أعتقلت، كان فيه جمعية عمومية للنقابة، فاعتقلونا، وسألت الراجل المخبر، بأقول له أنتم اعتقلتونا ليه، قال إحنا عايزين مجلس إدارة أخف وطأة.

عاوز بقى أرجع لحته تانية، أنا لما أترشحت بقى فى النقابة جيت لقيت الزملاء الشيوعيين، بتوع التنظيرات، متفقين علي واحد وعشرين عضوا علشان ما يعملوش إنتخابات، خوفاً من تدخلات المباحث، فأنا معنديش فكرة عن الحكاية دى، قلت لهم لأ أنا مش حا أتنازل، اللى حيحكم بينى وبينكم العمال، فتنازل واحد منهم وخليناهم واحد وعشرين، فنجحنا فى الجمعية العمومية، عملنا جمعية عمومية ثانية، آه كان الكلام ده فى حوالى عام ١٩٤٩، عملنا جمعية ثانية فى عام ١٩٥٠ ونجحت فيها، كان فيها انتخابات ونجحت فى الانتخاب، فى ١٩٥٣، ما كانوش بيعملوا بقى جمعيات عمومية من ١٩٥١ إلى ١٩٥٣ بسبب الاعتقالات فى ١٩٥٣، كانت الجمعية العمومية أول جمعية عمومية بتتعمل فى ظل ثورة يوليو، وأول مرة فى تاريخ الحركة النقابية، يعترض على ناس مرشحين، اعترضوا على حداشر واحد، كنت أنا من ضمن الحداشر، كنت عايز أعمل معركة برضه، يعنى أترشح برضه، فقالولى بلاش المرة دى، لأن فيه قانون جديد، وإن ما كناش نعمل الجمعية العمومية، فى ميعادها حتتحل النقابة، معلهش المرة دى، والمرة الجايه تبقى تترشح.

المهم عديناها يعني، لكن أتقبض عليَّ فى أول مارس ١٩٥٤ خرجت يوم ٢١ مارس، فخرجت إزاى؟ جه أحمد طعيمة لنا فى المعتقل ومعاه محمد العقيلى وسيد خلاف العمال النقابين الصفر، والعقيلى بتاع النقل وسيد خلاف كان بتاع المحلات التجارية، فجه أحمد طعيمه بلغنا برجوعه وأنه جاى لنا يعنى قبليها بيوم، فشتمناه،

ولما قعد معانا قال والله ده جمال عبدالناصر زعل لما عرف أن أنتم أنقبض عليكم، المهم كانت قعدة ساخنة بيني وبينهم، طيب لما هو زعلان أمال مين اللي قبض علينا؟ المهم خرجنا وكانوا هم بيوضبوا لإضراب النقل المشترك المعروف، فكانوا عاوزينا نخش معاهم في العملية دي، علشان كده طلعونا، أحنا طلعنا وحبوا يتكلموا معانا فلقيونا يعني شمال شويه، فقالوا أحنا عارفين إن إنتم لسه طالعين من المعتقل وزعلانين، فنأجل الاجتماع ده وإنتم معزومين عندنا في يوم الأحد القادم، قعدنا في هيئة التحرير في عابدين وعملوا لنا عزومه، وحضروا بقى كل المعتقلين من اللى كانوا في معتقلات مختلفة وإتناقشوا معانا أن هما عاوزين يطلعوا الإنجليز، وهما خايفين يعملوا معركة مع الانجليز ويطعنوا من الخلف، فقلنا لهم أدونا أحنا السلاح وردونا أحنا نطلع الانجليز وخليكم إنتم في الخلف فساعتها المناقشات مانفعتش؛ لأن أحنا كنا يساريين في الفترة دي كنا بنوصفهم بالديكتاتورية، في الفترة دي لو كنا أدركنا أنهم وطنيين، ولأنهم كانوا عارفين أن أحنا قوة ساعتها، كان ممكن الاتفاق أو الوصول إلى إتفاق معاهم، لكن أحنا كنا فعلاً اتجاه يساري، فكان الرفض من ناحيتنا، يعني معرفناش نتفق بسبب يساريتنا، كان الاجتماع ده بداية لتحضير الاضراب بتاع النقل المشترك. إحنا وقفنا ضد الإضراب ده، وكانت النقابة قوية في الوقت ده وخدنا فعلاً موقف وشغلنا كل مصانع النسيج، واضطرت الحكومة إنها تقطع التيار الكهربائي علشان يبقى الإضراب عام، يعني أحنا وقفنا غصب عننا، وبعدها طبعًا عرفنا أنها كانت مؤامرة واشترك فيها الطحاوي والصاوي، في ١٩٥٤ برضه في أول مايو اتقبض عليّ بمنشور أول مايو، كان جاسوس مسنمدني، فأتقبض عليّ في أول مايو سنه ١٩٥٤ وأتحكم عليّا بخمس سنين، وأحنا جوه السجن كانت معركة الوحدة بدأت، الشيوعيين بدءوا يناقشوا معركة الوحدة.

النواة بقى كانت فعلاً بتعتبر نفسها نواة لحزب شيوعي وحتناقش الوحدة مع كل التنظيمات وفعلاً كان فيه تنظيم وحدة الشيوعيين ساعتها، ساعة ما إتعملت النواة، كان فيه تنسيق بين النواة بين وحدة الشوعيين، وبين النجم الأحمر على أساس أنهم يعملوا اتحاد، على أساس أنهم يكونوا أساس للوحدة، بعتوا لحدتو، فحدتو قالت أنتم كلكم أبنائي، وتعودوا إلى الأم، فرفضوا المناقشة في الموضوع في الفتره دي. لما أنقبض

عليّ ودخلت السجن كان عندى، رعب منه، كنت يعنى خايف من السجن يعنى، لكن لما دخلت لقيت البيبان مفتحة والناس بتتكلم؛ فخلاص نسيت الخوف، وفيه برضه مناقشات وجلسات وحاجات بالشكل ده، مش هى الفكرة اللى كانت عند الواحد، وبدأت معركة الوحدة وكنا بقى فى النواة داخل السجن بتناقش برضه الموضوع ولعبنا دور فى تقريب وجهات النظر، لأن كان فيه ناس فى النواة ضد الوحدة، فكنا لتغلبنا على الموضوع ده، ودخلوا الوحدة، فحتى وأحنا بنناقش الوحدة، كنت بأعمل دفاع سياسى أقوله قدام المحكمة فزميل من النواة ومن الناس اللى هى ضد الوحدة، قالى لا متعملش دفاع سياسى، قلت له ليه؟، قال لى أنت ممكن تطلع بره ويبقى بره أحسن من جوه ومش عارف أيه. والزميل ده كان أسمه «سعد المهدى» فقلت له لأ أنا عامل نقابى وبأقف لخطب فى وسط العمال وأقول أنا قائد، ولما يتقبض عليّ أقول أنا ماليش دعوة، لأ أنا لازم أعمل دفاع سياسى بصرف النظر عن موقفى من القضية، لأن أمال القائد يعمل أيه، فالمهم هو كان واقف ضدى فى الحكاية دى، المهم أن القضية ماجتش إلا بعد ما تمت الوحدة للحزب الموحد وعملت الدفاع السياسى باسم الحزب الموحد سنة ١٩٥٥. الأول لازم أحكى حكاية شركة الشرق لأن دى مهمة جداً، لما دخلنا الشركة وهى مضروبة، كان لازم علشان نوحد العمال بتحتاج الأسلوب جديد وجرأة، فعملنا وقدرنا نتغلب، وعملنا إضراب ناجح فى سنة ١٩٥١، العمال اللى جوه المصنع المعتصمين ورنية معتصمة وورنية بتعمل مظاهرات فى الشارع، وحققنا كل المطالب بتاعتنا، أنا كنت مندوب فى المفاوضات مع وكيل وزارة الشئون فى القضية وكان بيقوللى أنت عايز أيه؟، أقول له أنا عايز كذا وكذا ويكتب المطالب اللى أنا قلتها، فإداها لواحد موظف فى وزارة الشئون وقال له تروح «تمضى» صاحب المصنع، وماتناقشهوش ففعلا حققنا كل المطالب وكان إضراب ناجح.

لكن كان بعد كده بدأوا يفصلوا باقى القيادات، برضه فى الحتة دى علشان نبقى أمناء، أنا أخطأت خطأ كبير فى المعركة دى، لأن هما قالولوا لما إتنبهوا أن شركة الشرق تبع محافظة الجيزة، فقالوا دى متبقاش تبع نقابة القاهرة، فيبقى اللى موجود فى شركة الشرق بسيب نقابة القاهرة، فأنا سيبت المصنع علشان أبقى فى النقابة. والافضل لنى كنت بقيت فى أمبابه، لأن بعد كده العمال اللى أنا سيبتهم عملوا نقابة أمبابة، من الشوربجى وشركة الشرق فكان ده خطأ.

العمال إللى أحنا سيبناهم فى مصنع الشرق كانوا خبرة فى كل الحتت اللى راحوا فيها، بعتى كانوا الحتة اللى بيروحوها كانوا بيشتغلوا صح، يعنى فضلت شركة الشرق عمان للمصانع، يعنى خبرة نقابية ونضالية.

فى المظاهرة الصامتة كانت اليافطة بتاعة شركة الشرق هى اليافطة اللى مشى تحتها كل الطبقة العاملة اللى اشتركت فى المظاهرة، واللى كانت أجرأ شعارات ولأول مرة كان بيتكتب نريد الإعتراف بالصين الشعبية سنه ١٩٥١، مظاهرة رسمية طالع فيها النحاس وكانت بعد إلغاء «معاهدة» ١٩٣٦، فى ٨ أكتوبر فى نوفمبر ١٩٥١ فأحنا مشينا تحت اليافطة دى على أساس أن كل الثوريين يقرأوا الشعارات ويمشوا تحت اليافطة دى، فكانت فعلاً معبرة عن كل مطالبنا، أحنا كنا بنكتبها بالليل فى النقابة وبنكتبها بطباشير ألوان، طباشيرة أحمر، فالراجل اللى بيكتب خلصت منه الطباشيرة، والنور كان انقطع علينا، بالليل، فجبنا شمع وقعد يكتب على الشمع، وهو بيكتب الصين الشعبية فى الشعار بتاع نريد الاعتراف بالصين الشعبية، صباعه أتعور لأن الطباشيرة صغيرة فبصينا لقينا الدم ماشى مع الطباشيرة، من الدم اللى بيخر من صباعة وهو مش دريان، قلنا له صباعك أتعور، قال خليها بقى تكتب بالدم، والراجل ده ما كانش شيوعى راجل عادى، لكن معانا.

تنظيم النواة معملش مؤتمرات أو كونفرنسات، وفيه جزء من تنظيم النواة ما أنتهاش زى فوزى جرجس ونجاتى عبدالمجيد إتمسكر بكلمة المؤتمر، يعنى الوحدة تتم فى مؤتمر، فلما دخلنا الوحدة هما ما دخلوش، كان معاهم يقى حسنى تمام من حدتو، والمناسترلى تقريباً، وعملوا حاجة هما، الأغلبية دخلت الوحدة وده ما كانش بيمثل إنقسام، لأن الحركة الشيوعية كانت مضروبة وأغلب القيادات جوه السجن، لما جم إختاروا القيادة احتقروا النسبة بتاعة النواة من بره، وكان أغلب قيادتها بره، علشان مش كل اللجنة المركزية بتاعة الحزب الموحد جوه السجن، كانت أغلب القيادات بتاعتها بره، كان محمود العالم، وعبدالعظيم أنيس وبهيج نصار وحسين غنيم.

هو كانت علاقة تنظيم النواة بالطبقة العاملة كويسه بالنسبة لحجمه يعنى كان فيه على الأقل خمسين فى المائة عمال فى إسكندرية وفى مصر (القاهرة) وطبعاً كان فيه مثقفين، بس كان هو تنظيم فى الوقت ده كان يعتبر الثالث من حيث الكم فى مصر، يعنى حدتو وبعين طليعة العمال وبعدين النواة من حيث الحجم.

راحنا فى السجن جالنا من بره منشور بتأييد الحكومة على أنها وطنية وإحنا الحزب الموحد، فأنا كنت من المعارضين للفكرة دى، الحزب الموحد هو اللى بعته للسجن، وبعدين جه واحد معايا فى الخلية جاب لى بيان جاى من روسيا بتاع خروشوف بيقول عليها حكومة وطنية، طبعاً كان كلام الخواجات عندنا ساعتها مهم جداً، فطبعاً أنا أول ما عرفت أن اللى قال الكلام ده خروشوف فيبقى مش عايزة كلام، يعنى كأنك قريت القرآن، فقلت طيب كويس أن أنا طلعت غلطان والحزب مطلش غلطان، لأن لما أطلع أنا غلطان، فأسمى محمد المنشاوى، لكن فى أول معركة سياسية للحزب الموحد يغلط كانت تبقى وحشة، فقالى بقى للراجل لما سمع الحكاية دى قال تعالى فى الوحدة وقول الكلام ده، كان ساعتها النقد معدوم، فاسهم قبل حتى ما نعرف الوحدة جالنا التصديق على الحكم وحنترحل فعملوا لنا اجتماع واسع من الناس من كل الزملاء، ومحمد المنشاوى حيقول كلمة فقلت هذا النقد، يا زملاء أنا كنت يا أقول ديكتاتورية عسكرية وبعد ما جاءت الرسالة بتاعة خروشوف با أغير الكلام ده وبأنقد نفسى وبأعتبر أن ده مش عيب، لأن لما أطلع أنا غلطان مش مشكلة، وما يطلعش الحزب فى أول معركة سياسية له غلطان، وده شيء كويس، كان فؤاد عبدالحليم، الله يرحمه، مسئول المنطقة فى السجن فعيط (بكى) وقال أنا أول مرة فى تاريخ الحركة الشيوعية بأشوف نقد صريح ولأن فعلاً مش غريبة لأنه جاى من العمال، كان أول مرة أعرف أن مافيش حد نقد نفسه.

لى ملاحظات ما يصحش أنها كانت تحصل، ان احنا مثلاً نقعد نناقش ثورة ولا ثورتين، وهل هى ثورة إشتراكية ولا ثورة شعبية ولا ثورة ديمقراطية، شعارات سابقة لأوانها ومعملناش ولا ربع ثورة، وكان فى رأيى أن مسألة الثورة مسألة عملية، يعنى ممكن قوى إضراب كبير يخلينا نعمل الثورة، وممكن متعملهاش بعد سنين طويلة، لكن المناقشات دى استنفدت وقت كبير جداً وعملت مشاكل بين الزملاء وبعضهم وكنا بنهاجم بعض أكبر من مهاجمتنا للعدو.

كانت بنستخدم ألفاظ غير مبدئية فى الصراع. ما أتصلحتش المسألة دى إلا فى لجان الوحدة ولما الناس حسوا أن هما بيقربوا من بعض، إتغيرت اللهجة شوية، فى سنة ١٩٥١ وفيه كفاح مسلح فى القناة كان فيه خلاف برضه بين الشيوعيين، يعنى

تعمل لجان شعبية ولا لجان وطنية، وأصحاب فكرة الاشتراكية بيقولوا لجان شعبية، وأصحاب فكرة الثورة الوطنية بيقولوا لجان وطنية. والخلاف كان مالوش أصل، مالوش أساس لأن أحنا قدراتنا ماكانتش بتسمح أن أحدا يكون لينا دور كبير قوى أو بارز قوى فى العمل الفدائى، أحنا إتكلمنا أكثر من اللى أحنا كنا بنعمله.

عن علاقة تنظيم النواة أو الموحد بعد كده بالفلاحين، كانت علاقة بسيطة قوى، هو كان فيه علاقة بالفلاحين قوية فى فترة، حدتو بالذات كان ليها علاقه بالفلاحين كانت كبيرة إنما كانوا مثقفين فلاحين، أحنا كان عندنا عامل فلاح حقيقى من حدتو برضه وكان فى الحزب الموحد فالراجل ده عايش لغاية دلوقت ومازال راجل شريف ومعروف فى وسط الحركة الشيوعية وفرحانين بيه جدا أسمه أحمد سلّيم، ده فلاح ممتاز، كان بيشيل طوب على ظهره، وعمل إضراب لعمال الطوب، يعنى راجل.. ومازال لحد دلوقتى.

بالنسبة للمجلات أو الكتب، أفتكر للنواة مجلة داخلية، وهى دى اللى كانت عايزة توحد الشيوعيين وكان اسمها «إلى الأمام» كان فيه مجله بتطلع بره للناس أسمها الانتصار كان فيه فى الحزب الموحد، لكن ما أفتكرش لأن أنا كنت جوه.

أما بالنسبة للكراسات أو الخط العام اللى كان بتكلم عن الماركسيه، إللى أنا أعرفه أنه كان فيه محاضرات مكتوبة بالرونيو عن الاستغلال الرأسمالى وتطور المجتمع، الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية.

وكان فيه دور نشر إتعملت فى الحزب الموحد، الحزب الموحد كان عمل دور نشر إسمها دار الفكر، عملها إبراهيم عبدالحليم.

وكان فيه محاولات من تنظيم النواة والحزب الموحد لدراسة الواقع المصرى، لأن فوزى جرجس عمل كتاب عن الحركة الوطنية، تطور الحركة الوطنية، وشهدى عطيه.

وكان فيه لائحة وبرنامج فى النواة وكانت لائحة ديمقراطية جداً بس ما بتتطبقش، يعنى مفيش مؤتمر حصل، لكن فيه فى اللائحة مؤتمر، فيه نقد ذاتى، لكن أنا مشفتش نقد وكان فيه استراتيجية ودى كانت من ضمن الحاجات المختلف عليها، يعنى النواة

قالت الاشتراكية، وكانت المناقشات بتقول النواة الاشتراكية على مرحلتين مرحلة وطنية ومرحله اشتراكية، ولما كانوا بيناقشونا بنوع الثورتين، ثوره وطنية ولثورة شعبية فكنا بنرد بنقول كده، ثوره اشتراكية على مرحلتين، فيه فرق بقى بين المرحلتين وبين الثورتين، وحوالين المقولتين كان فيه خلاف وضرب.

بالنسبة للخطوط التنظيمية والجماهيريه كانت في الحزب الموحد، معروف واجبات العمال والمثقفين والفلاحين، أما البناء التنظيمى فكان معمول حساب الفئات دى، لكن البنية الأساسية ما كانتش عمال كلها ولا مثقفين كلها.

وأنا كنت عضو منطقه فى النواة ولما إتعملت الوحدة بتاعة الحزب الموحد كنت فى خليه قسم وبعدين اتصعدت إلى لجنة منطقة فى الحزب الموحد.

وهو كان عندنا محترفين فى النواة وكان فيه فى الحزب الموحد بس أنا ماكنتش محترف وأنا رأيى إن مفيش حزب من غير محترفين، بس الاحتراف اللى كان موجود قريب قوى من الشحاتة، الفلوس قليلة، والناس عايشة أو يعنى تقريبا عاطل بطبيعته ويساعدوه، أو كان عاطل من الأول وبعدين بيحترف، أنا رأيى أن لازم يبقى فيه محترفين بس الشكل يتغير، والحزب لازم يقوم على الاحتراف، التفرغ يعنى ده حتى الاتحاد الاشتراكى كان فيه متفرغين.

وأنا رأيى الإحتراف الجماهيرى يعنى يكون محترف، لكن يكون عمله وسط الجماهير يعنى يبقى محترف وعامل وما يسبش المجال بتاعه برضه، ولما خرجت كلمونى عن الاحتراف، أنا أروح الأرياف، قلتله الأرياف بتاعتنا مدن، بس أن بدل ما أروح فى مدينة كبيرة حا أروح فى مدينة صغيرة، يعنى ما فيش فلاحين، قرية يعنى، كان فيه مثلاً أروح المنصوره، طيب أيه المنصوره مثلاً وأيه القاهرة، دى مدينة ودى مدينة بس دى مدينة صغيرة، كنت أفضل الاحتراف فى القاهرة، لكن محصلش. بالنسبة للعلاقات مع التنظيمات الأخرى كان فيه تنسيق، النواة كان رأيها أنه يحصل تنسيق مع كل التنظيمات علشان يؤدى إلى الوحدة، وعملت فعلاً تنسيق مع تنظيمات كانت موجودة، وفعلاً تمت الوحدة الأولى بتاعة الحزب الموحد من قبل حدتو متخش من التنظيمات اللى كانت بتنسق مع بعضها.

أما عن موقف الحزب من حزب ٨ يناير اللي إتعمل سنة ١٩٥٨، بالمناسبة دي والمفاوضات كانت شغالة معانا، الحزب الموحد وحزب طليعة العمال وحزب الراية عملنا اجتماع للمنطقة في الواحات (إحنا رحنا من ١٩٥٥ الواحات، إحنا اللي فتحناها) عملنا إجتماع بنناقش فيه القضية دي، فكان كل المجتمعين قالوا أن طليعة العمال هي اللي حاتتحد الأول معانا، أنا الوحيد اللي في لجنة المنطقة قلت لأ، الراية هي اللي حتخش الأول الوحده، كانت حجتهم أن الرايه بتقول لا شيوعيه خارج الحزب، وده شعار بيرفض الآخر يعني، فأنا كان رأيي لأ، لأن دول لما بيغيروا بيغيروا كله مرة واحدة، أما بترع طليعة العمال فيهم الأسلوب التجاري، يعني موافقين على الوحدة لكن حيعطلوا وحايفاصلوا، ده حصل فعلاً حتى ساعتها «زكي مراد» كان مسئول المنطقة بتاعة الواحات، علق على الموضوع ده وقال أنا يعني مش عارف أقول أيه للمنطقة بتاعتنا، محمد المنشاوي أحدث واحد في لجنه المنطقة ويوصل للنتيجة دي، كلكم رأيكم أن طليعة العمال حاتوصل الأول، معرفش ليه؟ فكان مؤيدني «زكي مراد».

أما بالنسبة لليهود في الحركة، أنا ما أشتغلتش مع اليهود، لكن شفتهم في الواحات معايا في السجن يعني، شفت بعض اليهود، كانوا يهود مصريين، يعني الواحد ما يحسش أنه فيه فرق بين المصري وبين اليهودي. ولكن بشكل عام رأيي إن القيادة ما يبقاش فيها أجانب، قياده الحزب ما ينفعش فيها أجانب، لازم تكون كلها مصريين، لأن الحزب ده مصري، مش أجنبي، بالمناسبة برضه أنا رأيي إحنا مسمعش كلام الخواجات ولا السوفيت ولا الصينيين ولا غيره لأن إحنا شيوعيين مصريين، بفكر لمصر، والتضامن الأممي مش معناه التبعية يعني، ده بالنسبة للأجانب.

أما بالنسبة للحزب الموحد فكان فيه إتجاه بياخد برأي «يونس» هنري كوريل، كان فيه إتجاه يستني لغاية ما هنري كوريل يبعت يقول، وده كانش مقبول من كل الناس.

عن أنشطة التضامن الأممي أو العرب أو المصريين، بعد إنقلاب يوليو ١٩٥٢ نشطت المباحث العامة في تشكيل نقابات مصنعية للعمال بهدف تفتيت وحدة الطبقة العاملة وإضعاف النقابات العامة دي كانت معركة واضحة وصريحة بيننا وبينهم وفشلت خطة المباحث بسبب عدم رغبة العمال في النقابات المصنعية نتيجة لنشاط

الزملاء الشرفاء لكن في ١٩٥٩ وبعد ما أتملت المشقلات بالقيادات النقابية طلع القانون النقابي اللي هو على أساسه قامت التقسيمة النقابية الموجودة دلوقت، فعمل لجان نقابية في الشركات والمصانع، ولغى النقابات العامة وعمل نقابة عامة واحدة على نطاق القطر فده يعني نفس الفكرة اللي على كانت بتسعي ليها المباحث العامة في ١٩٥٤، نقابات مصنعية محل النقابات العامة، فأحلوا اللجان النقابية محل النقابات المصنعية، وحلوا النقابة العامه اللي نطاق القطر محل الاتحاد المهني لنسيج، ودي ما لقاش مقاومه كبيره لأن كانت الناس بدأت تؤيد عبدالناصر بعد تأميم القنال، ومؤتمر باندونج، فيعني دخلت المسألة في زمرة التأييد.

أما عن موقفنا من الانجليز، طبعاً المظاهرات وإحنا في النقابه كنا ضد الانجليز، وتطلع مظاهرات تهتف يسقط الانجليز، الجلاء بالدماء، العمال كانوا بيقولوا كده؛ وكل يوم، جت فترة في سنة ١٩٥١ كنا بنطلع كل يوم مظاهرة، تمشي في الشوارع تقول يسقط الانجليز والجلاء بالدماء، وتسقط معاهدة ١٩٣٦ لغاية ما ألغيت والنواه شاركت في تكوين لجان شعبيه من أجل الكفاح في القناه، ومات فيها زميل في بورسعيد أسمه حسن، هو مات في سنه ١٩٥٦ هو أسمه حسن نصر حموده، أخوه طبيب شيوعي. في سنة ١٩٤٦ كان تنظيم النواه لسه ماطلعش بس أنا لسه ماكنتش شيوعي، بس كنت شغال في النقابة، ماكنتش في مستوى الوعي أو قيادي للدرجة دي، كنت بأسمع بس زي أي عامل، لكن ماكنتش قيادي لكن جيت وحضرت وكنت هنا في منطقه الزيتون، وكان ساعتها محمد علي عامر رئيس النقابة وكان عضو في لجنه الطلبه والعمال وكان معانا في النقابة، بس النقابة كانت لسه ماتعملتش، إنما كنا لسه بنعمل لجان تأسيسية لتشكيل النقابة العامة.

بالنسبة للقضية الفلسطينية هو موقف منظمة النواه ما كانش الحل السلمي، الحل السلمي ده ظهر بعد تأييد عبد الناصر، لما عبد الناصر وافق على قرار ٢٤٢، كل وافق وقبليها سنه ١٩٤٨ كانت كل الناس ضد إسرائيل والشيوعيين، آه، بالمناسبة دي أنا رأيي أن الشيوعيين أخطأوا خطأ جامد جداً لما وافقوا على قرار التقسيم والشيوعيين وافقوا على قرار التقسيم لأن الاتحاد السوفيتي وافق على قرار التقسيم، يعني ماشيين وراء الاتحاد السوفيتي، وده كان خطأ، لأن أنا في رأيي أن إسرائيل ليست دولة.

بالنسبة للكفاح المسلح سنه ١٩٥١ كان لموقف منه بسيط ومش فعال، لكن أحنا كان لينا زملاء فى بورسعيد وكان لينا زملاء فى السويس عملوا دور، لكن ماهوش الدور البارز. أما عن الموقف من الأحزاب الأخرى كالوفد والأحرار الدستوريين والأخوان المسلمين، ومصر الفتاة، بكل أسف الدوا، كان رأيها أن الوفد يمين أو حزب مش محطوط فى الاعتبار، وده كان موقف يسارى متطرف، وهو أنا مسمعتش عن الجبهة فى تنظيم الدراه، لكن سمعت عن لجبهه فى الحزب الموحد، جبهة وطنية.

أما عن لجنه أنصار السلام فأنا كنت عضو فى لجنة أنصار السلام، والتنظيم كان مؤيد لموقفها وكان لينا دور فى حركة السلام، دور فعال، وكنا بنؤيد حركة السلام فى كل مواقفها وكنا بنوزع المجلة بتاعتها وبندفع اشتراكات.

وعن رأى التنظيم ورأيى فى حركة بوليو وتنظيماتها، فى ١٩٥٣ صدر قانون نقابى على أساس أن تنحل كل النقابات الموجوده، وتتشكل من جديد، يعنى تتعمل انتخابات وتتشكل من جديد، وكنت مرشح نفسى، اعترضوا على حداشر واحد من المرشحين ودى كانت أول مره تحصل فى تاريخ الحركة العمالية، مسألة الاعتراضات دى، وبعد كده لما جت هيئة التحرير والاتحاد القومى، أحنا وقفنا ضد هيئة التحرير كعمال نسيج أو كنقابة وهما كانوا عايزين يدخلوا النقابات بشكل عضوية جماعية، يعنى لما النقابة تخش يبقى كل عمال النسيج اعضاء هيئة التحرير، واحنا رفضنا الموقف ده وقاومناه لكن صدر قرار أسمه قرار رقم ٢٨ قرار جمهورى بأنه لا يرشح لقيادة نقابية لمجلس إدارة النقابة أو جمعية إلا إذا كان عضو بالاتحاد القومى أو الاتحاد الاشتراكى وتبع ده قانون العزل السياسى، يعنى اللى ما توافقش عليه المباحث يبقى ما يدخلش الاتحاد الاشتراكى أو الاتحاد القومى وبالتالى لايجوز له الترشيح لأى قيادة نقابية، وبالطريقة دى استولوا على التنظيم النقابى وبقى تنظيم حكومى، يعنى بقى الحزب الأوحد حزب الحكومة، وهما اعترضوا علىَّ زى ما قلت قبل كده، فى انتخابات النقابة فى مارس ١٩٥٣ أما عن رأيى فى حل الحزب والدخول فى الاتحاد الاشتراكى اللى كان حصل أيام ما كان الناس معتقلة فى ١٩٥٩ لغاية ١٩٦٤ فأنا كنت ضد الكلام ده، لما انقبض علىَّ فى ١٩٥٤، ودخلت السجن فبقت الإنقسامات واضحه قدامى فى السجن، يعنى ما كانتش باينه قوى وأنا بره لكن جوه السجن كانت

الانقسامات واضحة قدامى وشفت التنظيمات كلها موجودة فى السجن، فكان على طول تفكيرنا أن إحنا نتحد، يعنى نوحد الحركه الشيوعيه. كان فيه بقى إتعملت مناقشات ومد اضرات وندوات حول كل المقومات بتاعة الحزب الواحد، ويعنى داخل السجن كان فيه فرصة متاحه لكل الآراء فأتعملت معركة كبيره جداً حول المقومات، وكأنه فيه مؤتمر يعنى أو أشبه أو أقوى حتى من المؤتمر لغاية الناس ما إتفقت على مقومات إتعملت فى وحده الحزب الموحد، لكن هى فيه ملاحظه لازم الواحد يقولها على المعامله، أنا لما دخلت كان فيه فئتين من المساجين، فئه بيسموها حرف ألف ودية بتاعه المثقفين واللى معاهم شهادات، دول بيتعاملوا معامله حرف ألف، يأكلوا ملكى على حساب مطاعم، يعنى بيجيبوا أكل من متعهد، يدخلهم أكل فى السجن، والفئة الثانية العمال وأمثالهم بيتعاملوا حرف ب يأكلوا أكل السجن فالعمال عملوا إضراب علشان يتعاملوا زى معامله المثقفين، فكانت النتيجة أن زكريا محيى الدين وكان وزير داخلية، أنه لغى حرف ألف وعامل كل الناس حرف ب ودى من بركات الثورة.

ولما صدر الاصلاح الزراعى كانت أيامه كلها تأييد، كان كله بيؤيد، واللى ما يلحقش يؤيد يبقى غلطان، كانوا بيؤيدوا كل خطوات عبدالناصر. ورغم أن قبليها كان فيه حادثة كفر الدوار وإعدام الخميس والبقرى، لكن العمال العاديين كانوا مستاءين جداً من المحاكمة وكانوا متعاطفين جداً مع البقرى وخميس، لكن السياسيين عملوا إحتجاجات ضد المحاكمة فى الأول، لكن بعد ما أيدوا عبدالناصر بقت المسألة دى فى الدرجة الثانية، أقل حدة يعنى، لكن بعد كده لأ. وأنا زى أى عامل أنا كنت مستاء جداً لكن مفيش مظاهرة ولا أى حاجة.

وبالنسبة لاحداث مارس ١٩٥٤ أحنا كنا مؤيدين الشعارات الديمقراطية بتاعة محمد نجيب وعلشان كده خدنا موقف ضد الاضراب اللى كانت عاملاه نقابة النقل المشترك.

بس أنا ما أتمسكتش بمنشورات إضراب النقل المشترك أنا إتمسكت فى منشورات ١ مايو سنة ١٩٥٤ أخذت فيها خمس سنين وفى السجن قررت أن أعمل دفاع سياسى فعملت دفاع سياسى طالبت فيه بإلغاء الاحكام العرفية وإطلاق الحريات النقابية

والديمقراطية للشعب المصرى وكعامل قلت فى النص كده «وأنى كعامل مصرى أولا وشيوعى مصرى ثانيا أرى من واجبى أن أطالب بحق العمال فى الإضراب وحق العمال فى التنظيم الحر المستقل وحق لعمال فى التأمين ضد البطالة والعجز والمرض وحق العمال فى العمل ٨ ساعات وطالبت بكل الحاجات اللى إتعملت بعد كده» وده إتسجل فى التحقيق لما رئيس المحكمة حب يوقفنى، ما وقفتش فشرق وحصل له تعب فشالوه، وشالوه وأنا مستمر فى الدفاع وظابط من الظباط العسكريين، لأنها كانت محكمة عسكرية، قالى أسكت يا محمد الراجل حيموت، قلتله ما يموت.

لما الاخوان ضربوا بالرصاص جمال عبدالناصر فى الاسكندرية كنت فى سجن مصر وأحنا موقفنا من الأخوان باستمرار، أولا موقفى أنا شخصياً بمجرد ماظهرت الاخوان وأنا كنت لسه ماليش اتجاه سياسى رفضت الاتجاه ده رفضته من زاوية أيه؟ أنا كنت يعنى كأى مسلم شفت إن شعار الاخوان المسلمين معناه اللى يخش معاهم يبقى مسلم واللى مش معاهم يبقى مش مسلم فأنا احتجيت، زى ما نقول رفضت هذا المبدأ وقلت لأ أحنا كلنا مسلمين، وكرهتهم من الأول لأنهم خدوا موقف وحش جداً ضد إضرابات ١٩٤٦ فى شبرا الخيمة وكانوا بيرموا المجلات الشيوعية، ياخدوها يحرقوها ويرموها فى السواقى، فموقفى أنا من الإخوان، رفض كامل، لكن بالنسبة لمحاكمتهم أو تعذيبهم فى السجون إحنا كنا ضد التعذيب فى السجون لأى حد حتى للإخوان المسلمين، وكنا بنتضامن معاهم ضد الادارة بتاعة السجن، وهما كانوا بيرفضوا ده، وأحنا كنا بنحاول نخليهم يخشوا معانا فى الحياة العامة والحاجات دى يعنى، لكنهم كانوا بيرفضوا الموقف ده، لدرجه أنهم عملوا فى الواحات الخارجه، عملوا مقاطعة كاملة بيننا وبينهم، يعنى قرار بالمقاطعة وما يكلموناش.

أنا أذكر أن فى سنه ١٩٥٥ كان فيه تأييد لعبد الناصر بسبب باندونج والاسلحة التشيكية ودى بقى من ضمن الحاجات اللى كانوا بيعتمدوا عليها فى إقناعنا بالتأييد. وفى الحقبة دى بقى عايز أقول، أن لما قلت الدفاع السياسى إتأجلت القضية للحكم فجه قاضى ثانى وحكم علىّ وهو بيحكم بيقول حل تنظيم الدراه ومصادره ممتلكاته وكده، فأنا قلت عاش الحزب الشيوعى الموحد، وعاش الحزب الشيوعى المصرى الموحد ويسقط جمال عبدالناصر، وتسقط الديكتاتوريه العسكرية الكلام ده فى المحكمة العسكرية، لكنهم بعد كده سكتونى بقى.

فى سنه ١٩٥٦ وتأميم قناه السويس والعدوان الثلاثى أنا كنت فى الواحات وإحنا كنا مع الحكومة فى تأميم القناه وكنا معها ضد العدوان الثلاثى وعملنا تشكيلات فى الواحات وندرب على السلاح وكنا بناخد سلاح من العساكر الحرس وندرب الناس على السلاح علشان خاطر لو نخرج نشارك فى الحرب وكان عندنا ساعتها تفاؤل بأن الحكومه تطلعنا واحنا عاوزين نكافح ضد الاستعمار.

فى سنه ١٩٥٧ لما ظهرت السياسه الامريكية زى حلف بغداد والشرق الأوسط ومشروع ايزنهاور كنا كلنا ضده، مش مع يوليو أو ضد يوليه لكن ضد أى إتفاقات وضد الأمريكان على خط صريح حتى لما كانت الحكومة تتكلم مع الأمريكان أحنا ضد هذا الكلام ومتنبهين من قبل ما يطلع الانجليز من مصر، وكنا بنهتف بسقوط الاستعمار الانجلو أمريكي، كنا متنبهين بأن الاستعمار الأمريكي عاوز يحل محل الاستعمار الانجليزى.

وقد أيدنا كل إجراءات التمصير للشركات الاجنبية وما كانش فيه رأى مضاد حوالين مين اللى يدير الشركات دى العمال ولا الدولة وكنا مع التمصير وما كانش فيه رأى مختلف وإن كانت هناك بعض الاقتراحات أن تتشكل قيادات عمالية داخل المصانع تقود عجله الانتاج وتساعد الحكومة، لكن الحكومة كانت ترفض أى مبادرات من ناحيتنا.

فيه مره حصل أن ندوه إنعملت، عملها الاتحاد الاشتراكى فى منطقتنا هنا (الزيتون) حوالين القطاع العام اتكلموا فيها رؤساء مجالس الادارات حوالين يعنى عن مجهوداتهم فى زياده الانتاج ومش عارف أيه، فكنا موجودين كشيوعيين، كذا واحد من ضمنتا محمد على عامر، فوجه سؤال للناس دول وقال لهم تشكروا على المجهود ده، لكن فى النهاية العائد لمين، فدى عملت مناقشة وتقريبا بوظت لهم الندوة.

أما عن الوحده المصرية السورية والنشاط القومى العربى إحنا كنا فى السجن، لما نجحِ ثوره العراق عملنا حفلة وكنا نحتفل ونؤيد. هو اللى أنا أعرفه من الأخبار اللى كانت بتيجى من الخارج أن الشيوعيين كانوا مع الوحده زى ما جمال عبدالناصر عاوز، مفيش تحفظات، لكن أحنا كنا ضد التنكيل بالشعب العراقى على أيدى عبدالناصر، وخدنا موقف ضد ده، ورغم أن أحنا كنا بنؤيد عبد الناصر لكن كنا

بنستنكر العدوان على الشعب العراقى، حتى كان فيه إقتراح ساعتها إتقدم من الحزب الموحد، لأحمد طعيمه، أن فيه ناس يطلعوا من المعتقل وإختاروا أربعه أسامى بالتحديد، يطلعوا من السجن ويروحوا العراق ويحلوا المشكلة بيننا وبين العراق، فلما إتعرض الاقتراح ده على عبدالناصر، أحمد طعيمه راح عرضه على عبدالناصر، فعبدالناصر قال له يا غبى بعد ما يطلعوا يحلولى مشكلة العراق يبقى إيه اللى فاضل. هو المعلم كان واخد بأنه قوى.

أنا لما خرجت فى ١٩٥٩ كان فيه الضربة الكبيرة لكل الشيوعيين وكان اللى فاضل بره بؤر صغيرة، وكل يوم نسمع بقى عن مجموعة إتمسكت، حتى حاولت كام مرة أعمل إتصال، كل ما أعمل إتصال بعد ويدينى ميعاد وأروح الاقى إتقبض عليه فمعملتش. متنظمتش بعد ما خرجت من السجن، جه حسين غنيم إتصل بى وعاوز ينظمنى وكان حصل إنقسام بقى فى الحزب الموحد، الحزب الكبير ده اللى هو الحزب الاتحادى، كان حصل إنقسام طليعه العمال طلعت وراها الراية، وفضل بتوع الحزب الموحد بس مش كلهم، فيه ناس من الحزب الموحد إستنت مع الجماعة بتوع طليعة العمال والرايه، فى الحاله دى لما جانى حسين غنيم علشان ينظمنى قلتله يا حسين أنت حتتحل وده كان فى ١٩٦٤ تقريبا، أنا بقى فى الفترة من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٤ لم أنتظم، عملت حاجات لكن لم أنظم، عملت حاجات نضالية فى المنطقة هنا و(الزيتون) حا أقول عليها.

لما خرجت فى ١٩٥٩ بدأت ألقى عناصر عمالية كانت ليه بيهم علاقه صداقة ونستأنف النشاط فردى، مش منظم، فعملنا لجنه منطقة، كان فيه فرع للنقابه فى الزيتون فعملنا لجنه منطقه لعمال الزيتون والقبه (حدائق النبه) ووصل الاجتماع لغاية واحد وعشرين عامل، وكانوا يجتمعوا فى فرع النقابه اللى فى الزيتون، وجاءنا فى يوم وأحنا مجتمعين جاء لنا واحد أسمه نصر عولد، كان زميل مثقف لكن له علاقه بيند وكان معلنا فى النقابة. ويعتبر لما خد شهاده وأشتغل بره كان برضه له علاقه بينا، فالراجل ده جاب لنا مرشح للانتخابات بتاعة ١٩٦٤ اسمه عبدالمنعم خزبك، وأحنا ما كناش نعرف عبدالمنعم خزبك لكن كنا نعرف المستكاوى، مصطفى المستكاوى، فكنا فى النقابة وجاءنا نصر عولد وعبدالمنعم خزبك وقاللى يا منشاوى أنتم رأيكم أيه

فى الترشيحات، فقلنا أحنا رأينا أن أحنا نسقط المستكاوى، وعن العمال حنأيد زميلة اسمها سعاد محمد على، ودى كانت عاملة وكانت وصلت للانتخابات بتاعة المؤتمر القومى بتاعه الاتحاد الاشتراكى فقلنا ننتخب دى عن العمال، ونسقط المستكاوى لكن لسه ما استقريناش نؤيد مين فى الفئات فقدم لنا عبدالمنعم خزبك فى الفئات على أساس أنه راجل لسه جديد فى السياسه ومستعد يعمل حاجه، وسألونى أنتم عايزين تسقطوا المستكاوى ليه، المستكاوى كان لينا موقف منه لأنه لما استلم «المساء» بعد خالد محى الدين، طرد كل الشيوعيين، فأنا كنت بأعتبر ده ثأر بينا وبينه وهو طرد الشيوعيين وإحنا لازم نسقطه وهو كان أمين الاتحاد الاشتراكى فى الزيتون وكان مع العمد بتوع الزيتون ومع ذلك سقط فى الانتخابات ونجح عبدالمنعم خزبك وأحنا فى أثناء المعركة مع عبدالمنعم خزبك فعلاً وزع فلوس كثير، وأحنا لما جينا له مجموعة عمال وعملنا له أجتماع عنده فى المقر الانتخابى بتاعه، العمال طلبوا منه يعنى يتعدوا معاه، لأن أنا با أقولهم، أيدوا خزبك، فقعدوا معاه وقالوا أحنا شامين ريحه الفلوس وانت جايب فلوس وبتوزع وحاجات زى كده وأحنا تاريخنا، كل واحد منا له تاريخ عشرة خمستاشر سنة، فموضوع الفلوس ده يبوظ تاريخنا يعنى، أحنا حنأيدك لأن الزميل محمد المنشاوى قال لنا إن أنت راجل كويس، وأحنا بنثق فيك، فأحنا حنأيدك بس ما تجيش جنبنا علشان موضوع الفلوس ما يشوهناش، فالحقيقة هو إتبسط ساعتها وقال لنا فعلاً إتلميت على شويه سماسره واتورطت معاهم فدلوقت ما أقدرش اسحب نفسى وإلا أخسر الجلد والسقط، لكن أنا لو كنت قابلتكم من الأول، كنا فعلا مشينا المعركه، معركة نظيفة يعنى، فلما نجح خزبك فعلاً إتعامل معانا بطريقة كويسه جداً، وعن طريقه قدرنا نعمل ندوات غير الندوات بتاعه الاتحاد الاشتراكى، لأن الاتحاد الاشتراكى ما كانش يسمح لنا إن أحنا نعمل حاجه، فخزبك خلانا عملنا ندوات سياسية ونقدنا بيان مارس يعنى عملنا فعلاً فى حاجات وكنا بنروح له الاتحاد الاشتراكى بتاع مصر الجديدة ونقعد معاه وبعدين هو فى مره صارحنا، قال يا جماعه علشان نكون مع بعض كويسين فالكلام اللى أنتم بتقولوه لى أنا بأوصله لزكريا محى الدين علشان ما يتقالش علىّ بعد كده إن أنا راجل جاسوس ولا بتاع، وقال أنا كرجل سياسى ومن الثورة فأنا بأوصل الكلام اللى أنتم بتقولوه لى لزكريا، كنا أحنا فى الفترة

دى بندور على أى حد يوصل فعلاً رأينا للحكومة، فقلنا له ماشى. وإحنا فى الفترة دى أيدنا التأميم.

كنت أنا بأتكلم عن موضوع التنظيم، لما حسين قاللى إنصتم، قلت له أنتوا حتحلوا الحزب، قال إحنا حنحل ؟! إنت جبت الكلام ده منين فقلتله أنا شايف الكلام ده وأنا لسه فى السجن من قبل ١٩٥٩ كان فيه محاولات للتقارب للحكومة وتقديم تنازلات، كان باين يعنى، فقلت له أنا حاسس حتى وأنا جوه السجن أن فيه إتصالات بتتعمل مع الحكومة حوالين الموضوع ده، ده إنتم مش حتعملوا حاجه وحتحلوا، فلما جه الحل ماكنتش منظم، لكن لما طلعوا الزملاء فى ١٩٦٤ لقوا النشاط اللى أنا عملته فى الزيتون، لقوا شغل جاهز، يعنى اشتغلوا معايا محمد عامر وجوده سعيد الديب والمجموعة اللى كانت فى السجن طلعوا لقيوا محمد عباس الله يرحمه، فطلعوا لقيونى فعلا وأنا عامل شغل جاهز، واشتغلوا معايا فى المنطقة وعملنا شغل كبير.

محدش كان يعترض على القبول بكل ما يقوله السوفييت أى كلام كان يقوله الاتحاد السوفيتى كنا موافقين عليه، حتى وأحنا كنا فى السجن ١٩٥٦ لما حصلت أحداث المجر كنا مبسوطين أن انقمعت أحداث الثورة المضادة، لكن فى موضوع تشيكوسلوفاكيا سنه ١٩٦٨ اختلفنا، كان محمد على عامر (احنا ما كناش منظمين لكن.. وما هو لما إتحل الحزب الشيوعى كانوا فيه ناس معارضين للحل وقعدوا يدور على بعض فيتصل بى طاهر البدرى ومحمد عباس على أساس أن من الناس اللى عارضوا فى المؤتمر حل الحزب فكانوا بيدعبسوا على الناس اللى ما وافقوش على الحل واللى ما حضروش البتاع ده وبعدين أنا كنت من ضمن الناس اللى إشتغلت مع محمد عباس وطاهر ومكناش تنظيم، كنا مجموعة كده بنحاول نلملم أو نعمل تيار عام حوالين عودة الحزب، وفى الفترة دى محمد على عامر ما هواش موافق أن يتعمل حاجة وعبدالناصر موجود، فممشيش معانا (لم يشارك فى هذا التيار) وفى أحداث تشيكوسلوفاكيا جه صحانى من النوم الصبح وقاللى شفت حصل إيه فى تشيكوسلوفاكيا راحو صحوا السفير الأمريكى قالو له أحنا خلاص تدخل السوفييت معناها أحنا خلاص دخلنا، فأنا قلت له أنا ضد هذا التدخل، أحنا كنا بقى فى الاتجاه الجديد أنا وطاهر

ومحمد عباس كنا قعدنا واتفقنا على شويه حاجات، ومن ضمن الحاجات دى أحنا ما نمشيش وراء الخواجات وأن أحنا مصريين ونفكر لمصر، وأن اللى عايز يعمل معانا علاقات يعملها على أساس رأينا أحنا مش رأيه هو، يساعدنا على أساس موقفنا أحنا من قضيتنا وعلشان كده كمان خدنا في القضية الوطنية موقف مخالف لكل الشيوعيين وكل الأتحاد السوفيتي كله، المهم أنا قلته أحنا ضد التدخل أى تدخل سواء من الاتحاد السوفيتي أو الأمريكان، أحنا ضد أى تدخل، وعملنا بقى مشاكل معاه.. وأحنا كنا موافقين على التعايش السلمي.

لكن بعد الحل وفى المرحلة بتاعتي أنا وطاهر ومحمد عباس كنا بنقول جبهة عريضة تتسع لكل من يعادى الأمريكان.

عن الصراعات الموجودة بين الشيوعيين داخل السجون ففى الفترة من ١٩٥٥ إلى ١٩٥٩ كانت الصراعات حوالين «نأيد ولا ما نأيدش»، وبعدين إنتهت بأن كله بيأيد، وبالعكس طلعت حدتو هى بقى القائد للتأييد وأنها كانت صح من الأول بقى فى موقفها الأولانى يعنى، لكن التأييد بقى كان اشتراكية ولا وطنيه، وهو كان فيه تأييد مشى على أساس إنها اشتراكيه يعنى، والتعبير ده قاله خوشوف أن ظباط من البرجوازيه الصغيره وأن ممكن عناصر من البرجوازيه الصغيرة تقود الاشتراكية أو تعمل الاشتراكية كان قال كده، وكان فيه ناس مشيت وراه لكن احنا مامشيناش وراه إحنا كنا حددنا موقف من الغرباء، كان فيه الفاشيه، فؤاد مرسى الله يرحمه كان بيقود التنظيم ويحلل الاتجاه على أساس أنه فاشي، لما حصل التأييد للحكومة هو ما قالش أن أنا غلطان هو عمل تقرير كبير، معرفش عمل فيه أيه تحليل للاتجاهات العالمية ومش العالمية وقياده الإتحاد السوفيتى هو اللى بيقود العالم ففى ظل هذا التغير إنقلبت الفاشية بقت وطنيه والشيوعيين اللى كانوا انتهازيين بقوا شيوعيين، على أساس كده وافقوا على الوحده، وده إتجاه غير مبدئى يعنى هو كان راجل طيب، لكن الموقف ده كان مش تمام.

هى الفترة اللى الواحد قضاها جوه السجون كان فيه بطولات كتير، كان فيه القضيه اللى بتقدم للمحاكمه كان يطلع أتنين ثلاثه على الأقل يعملوا دفاعات سياسية

يعنى مثلا محمد شطا عامل دفاع سياسى فى منتهى القوه، زكى مراد عامل دفاع سياسى، عبدالجابر خلاف صعيدى قالهم انتم عساكر انتم محكمه؟!! وكان بيتحاكم قدام الدجوى قالهم قوموا روحو انتم عساكر مش محكمه.. وفيه ناس كثير كانت تاخد مواقف، كانت الغالبيه هى اللى بتاخد مواقف كويسه. محمد عامر عمل دفاع سياسى كويس.

أنا عارف الحل تم أزاى رغم أنى لم أدعى لمؤتمرنا وكونفرنس للحل، وأنا ما لمستش الكلام ده بنفس، لكن هو كمال عبد الحليم عمل صيغة، قال تجميد لعضوية الحزب، لن هو حيجمد العضوية، باخدها هو فى شخصه، الناس ده بقى نبطل، ولما يبقى فيه تشكيل حزبى هو يعلن، فبعدما أدوا التنازل للعضوية لكمال عبدالحليم أعلن حل الحزب.

أنا رأيى أن الانقسامات خطأ فظيع جدا، لأن أحنا فعلا كنا أيام الانقسامات كنا بنهاجم بعض أكثر مما بنهاجم العدو، بنطلع كلام على بعض، بنضعف بعض، يعنى لما كان حركة تقوم فى مصنع تنظيم عملها كنت أنا أحاول أقلل من شأنها علشان أقلل من شأن التنظيم اللى عملها، فدى أشياء ضارة جداً وغير مبدئية على الإطلاق، أسباب الانقسامات فى رأيى أنا هو الضيق بالرأى الآخر، يعنى مثلا لو اختلفنا وأنا رأيى أن الاختلاف جوه الحزب مش مشكله، بالعكس يعنى الحزب اللى مفهوش خلافات يبقى مش حزب يعنى المفروض أن الخلافات جوه الحزب حاجة إيجابية، لكن الطريقه اللى تحل بها الخلاف كانت طريقة برضه غير مبدئية، القهر يعنى للرأى الآخر، وقلق من البرجوازية الصغيره إنها متستحملش الصراع، يعنى تضيق بالصراع، فالحل عندها أنها تاخد شويه واللى معاها يعنى تأخده وتمشى، قد كان عدم قدرة على مواصلة الصراع وكمان من الناحية الثانية ديكتاتوريه الأغلبية على الاقلية، فمكانش يعنى اللائحه بتطبق تطبيق صح، وكان مفتقد للنقد والنقد الذاتى، إطلاقا، كان محطوط فى اللائحة لكن ما بيتعملش بيه.

الاخطاء السياسية أقوى بكثير جداً من الضربات البوليسية، يعنى سبب ضعف الحركة الشيوعية نمره واحد، الإنقسامات نمره اتنين، الاخطاء السياسية، مره يمين، مره شمال يعنى مفيش مواقف تبقى مدروسه قوى يعنى، أحنا بس لما نحب نؤيد،

تأييد. تأييد مطلق يعني، لما نعارض كده بشكل مطلق برضه، فالافكار السياسية الخطأ والانقسامات هم دول سبب الازمة بتاعة الحركة الشيوعية. وليس السبب وجود عدد كبير جداً من البرجوازية الصغيرة والمثقفين، أحنا كان معانا مثقفين أحسن من العمال، يعني كان فيه.. يعني مثلا أنت عايز تقول أن سعد رحمي، يعني سعد رحمي ده تقول عليه مثقف، لأ مناضل ومغوص (مندمج) فى المجتمع، راجل طلع ما لقاش حتى ياكل، فده عامل يعني وبعدين مادام إنطرحت فكره الشيوعى يبقى عامل.

هو فيه مجموعة كبيره عملت شهادات معرفش أن كان أحمد سالم عمل شهادت ولا لأ، أحمد سالم عامل نسيج فى شبرا، عايش وفى أيامه الاخيرة عيان، وده كان فى طليعة العمال، كل، عايز أقولك حاجة أن فى كل التنظيمات كان فيها ناس كويسه، يعني المسألة مش مسألة الناس، كان فيه زمان ناس مناضلين حقيقيين ومخلصين، هى كانوا بيعلمونا نكره بعض، يمنى القيادات طلعت قيادات مش فى مستوى التضحيات دى كلها.

أنا الحقيقة أنا مأثر علىّ محمد عثمان، ده موته لوحده يعنى جنازة لوحده، فده كان من أحسن الناس الكادحين البسطاء، المضحين ومات خنوه ومرتوه ولحد دلوقت محدش يعرف هو فين، فيه ناس كثير كويسة ماتت، محمد عباس عامل كتاب، أحنا عملنا له كتاب لما مات، فيه تقديمه.

قبل ما نطلع من السجن سنه ١٩٥٩ جه ممت عمل عمله، راجب يعني، فحرق لنا كل ما هو ملكى، حتى الأكل، حتى السكر بقوا يحطوه فى جرادل المياه ويدوبوه ويدلقوا المياه. بس أنا فى فترة السجن من ١٩٥٤ لغاية ١٩٥٩ مشفتش حد استشهد أنا لم أعطى أى شهادة لأى حد وأنا لسه عندى حاجات حا أقولها بعد شوية.

طبعاً من الناس الكويسين اللى لازم تأخذ شهادتهم محمد عبدالجواد القطان ما هو برضة تعبان وقاعد فى البيت.

شهادة

نبيل صبحى حنا

كيف حدث انضمامى للحركة الشيوعية؟

إنه سؤال هام جداً، فمن رأيى أن التاريخ الذى نتحدث عنه فى هذه الشهادات ليس تاريخ منظمة فى حد ذاتها فحسب، ولا هو تاريخ انقسامات ووحدة أو أى شكل فى العلاقات داخل أو فيما بين المنظمات الشيوعية.. إنه قبل كل شئ تاريخ فعل سياسى فى المجتمع يرتبط بتطور الأحداث السياسية والاجتماعية فى هذا المجتمع، ومن ثم هو تاريخ إنسانى فى جانب كبير منه، فمن هم أولئك الذى اضطلعوا بهذا الفعل السياسى؟ وهل صحيح أنهم - كما كان يردد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر - إما طالب فاشل أو عامل متعطل؟؟ إن شهادة كل منا ستكون بين أيدى المؤرخين الذى سيتعرضون بالتأكيد لما عاناه الشيوعيون المصريون من دعايات مضادة كانت غطاء للمطاردات الأمنية والتشريد والسجن والاعتقال والتعذيب لسنين طويلة ولا زالت تستخدم كغطاء لحجب المشروعية القانونية عنهم، إذ إن هذا الحجب لا يستند فى الواقع إلى أى أساس من المبادئ الدستورية المتعارف عليها، كما أن حكامنا ضمن قلة لا تتعدى أصابع اليد من بين حكام دول العالم الذى لازالوا يفرضون هذا الحجب القسرى فى تحد سافر لكل مبادئ حقوق الإنسان. لذلك فعلينا أن نضع بين أيدى المؤرخين حقيقتنا كبشر وكمواطنين.. اختاروا طريقهم الفكرى والسياسى اعتقاداً ورغبة منهم فى تقديم أصح وأعمق خدمة لقضايا شعبهم ولمستقبله.. فهذه الرغبة هى كانت محركهم الكلى. هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى فإن هذا الاختيار كان نتاج تفاعلهم - فى غالبهم - مع الأوضاع الطبقية والاجتماعية التى نشأوا فيها وعايشوها،

فهم ليسوا نبتا مغامرا أو غير طبيعي، وإنما هم أبناء شعبهم، نبت فكرهم من جذور تاريخه وتطلعاته المشروعة.

وبالنسبة لي فإنني كثيرا ما طرحت هذا السؤال على نفسي وكان الجواب دائما: النشأة، لذلك اسمحوا لي أن أعرض لذلك بوضوح مفصل بعض الشئ:

اسمي بالكامل: نبيل صبحي حنا، مولود في ١٩٣٤/١١/١٤ بمدينة سوهاج على بعد يناهز ٦٥٠ كم جنوب القاهرة وتقع على النيل مباشرة يحدها شرقاً شاطئه، ومسافة عرض مجرى النيل في تلك المنطقة حوالي ٧٥٠ متراً أو ما يزيد، وشارع كورنيش النيل يمتد بطول المدينة الأصلية وله إفريزان مشجران، وينقطع هذا الامتداد في الشمال الأقصى للمدينة. كان هذا الكورنيش هو المتنفس الترفيهي لبسطاء المدينة خاصة في قيظ الصيف. غير أنه حينما شرعت الدولة في تحديث نفسها فقد شيدت المحكمة الكلية متماسة مع ماء النيل، وشيد باشاوات وبكوات المديرية فيلاتهم وعماراتهم بالمثل حتى آخر المدينة شمالاً حيث «وابور» منشة لصناعة الثلج.. وكان «منشة» يهوديا وله ولد اسمه حزقيل (حزقيال) زاملني في الدراسة من الأولى الابتدائية حتى الثقافة العامة حينما رحل وعائلته فجأة إبان حرب فلسطين. غير أن انقطاع امتداد الكورنيش لم يؤثر في «العادة» التي درج عليها الناس البسطاء في سوهاج ألا وهي التمشية على كورنيش «البحر» سعياً لطراوة النسيم ولترى أعينهم على الناحية الأخرى من النيل الخضرة الممتدة ولا يحدها البصر، إنها مزارع قرية الساحل التي تلامس الشاطئ الشرقي للنيل وتمتد لتتلاحم مع مزارع مدينة أخميم الشهيرة بنوتها وقزها وتاريخها قديما وحديثا. المنظر هناك خلاب، تقع بالقرب منه منطقة آثار أجدادنا وأصولنا المصرية في المرابة المدفونة.. لذلك فإن الموقع ينبئك على الفور بجمال ورسوخ خالدين.. مصر أرضا وناساً.. إنه موقع يغرس الانتماء جاعلاً منه مكونا طبيعياً وفطرياً للوجدان والعقل معاً.

يقسم خط سكك حديد مصر (القاهرة - أسوان) سوهاج إلى نصفين: شرق السكة الحديد وينتهي بكورنيش النيل، وهذا النصف تقطنه في الغالب الطبقة المتوسطة فيما عدا العمارات على الكورنيش التي يشكل سكانها - غالبا - الأثرياء في المدينة بل وفي المديرية (المحافظة الآن). أما غرب السكة الحديد فيحده شرقاً شارع طويل موازٍ

للشريط الحديدي يمتد من محطة أتربيسات الصعيد (ملك أبو الوفا دنقل)، وسجن سوهاج، ثم ديوان المديرية فميدان العارف نسبة إلى المملوك مراد العارف الذي هرب وفلول فرسانه من قوات الحملة الفرنسية البونابارتية التي طاردته حتى هناك وعسكرت في مدينة المنشاة جنوب سوهاج لتحاصره، ومات مراد بك العارف بسوهاج ودفن في المسجد الذي بناه والمسمى باسمه (والقائم حتى الآن) وأطلق على الميدان المشيد فيه ذات الاسم (ميدان العارف)، وخلف مراد بك العارف عائلة ضمن أكبر عائلات المديرية هي عائلة العارف ويواصل الشارع مساره حتى ميدان محطة السكة الحديد ثم إلى مسافة طويلة حتى يصل إلى ورش السكك الحديدية الذي ينحني بعدها ليلتقي بالقطاع المستحدث والذي أقيمت فيه السينما ومدرسة فؤاد الأول الثانوية، ومدرسة سوهاج الصناعية الثانوية ومتنزه سوهاج العمومي.

يتفرع من هذا الشارع الطويل شوارع فرعية عرضية كثيرة تؤدي إلى أحياء متباينة في مستوى سكانها الاجتماعي. وعموماً فالأحياء من بداية الشارع جنوباً حتى ميدان المحطة هي أحياء تجارية، تليها أحياء سكنية يقطن بيوتها القريبة من الشارع. في الغالب - الموظفون في الدواوين والمدارس والمستشفيات الحكومية، أما قبالة ورش السكك الحديدية فيقع الحي المسمى «نجع الورشة»، وسكانه موظفون صغار وعمال. يوجد في هذا النجع شارع ضيق متفرع من الشارع الرئيسي الطويل مباشرة كان أول من أوجده (ببناء المساكن) جدي فسمي قديماً بشارع حنا ثم مع غلبة البنايات فيه لعائلة حمودة سمي بشارع حمودة، ولازال على ما أظن.

في هذا الشارع ولدت من أبوين من بسطاء الناس: الأب من العاملين بالسكك الحديدية. كان جده من أثرياء الأرض، ولكنه ترك الأرض في أولاد الياس وفر إلى منطقة ديروط هرباً بأولاده من «السلطة» - هذا ما سمعناه صغاراً، فعمل ابنه حنا بشركة السكر بأبي قرقاص القريبة من ديروط ونظرا لكثرة العيال، فقد أخرج حنا ابنه صبحي من المدرسة وهو في الثالثة الابتدائية وسعى لتوظيفه بشركة السكر المذكورة.

ثم أفلست شركة السكر في أزمة ١٩٠٩ وتمكن العاملون بها وذووهم من إجبار الحكومة على تشغيلهم بمصالحها، فكان نصيب جدي ووالدي أن تم تعيينهما بالسكك الحديدية بسوهاج؛ وبما حصل عليه من والده من بقايا ثروته التي استطاع حملها في

قريه من أولاد الياس إلى ديروط، بنى جدى بيوته فى شارع حمودة على نحو ما ذكرت.

إذن عانى والدى فى طفولته وصباه من الأزمات العامة والخاصة.. وعلى الأخص من حرمانه من التعليم رغم ذكائه ومقدرته وإن كان قد واجه مشكلة فى السنة الثالثة الابتدائية مع مادة التاريخ «علشان مليانه أكاذيب ما قدرش أحفظها» حسب تعبيره (رحمه الله).

والأم فلاحة، ابنة لرجل من صغار المزارعين فى قرية الدوير التابعة لمركز صدفا بمحافظة أسيوط، وكانت أمى ابنته البكر، أدخلها المدرسة فى سن متأخرة وأخرجها منها بعد عام واحد لأن جسمها كان أكبر من سنها.. ونسيت تماما ما درسته فى ذلك العام.. وعاشت حياتها أمية تماما، ولكنها شديدة الاستنارة ومبهورة بالمتعلمين فى العائلة متفاخرة بهم.

كنت خامس ولاداتها، وثالث الأحياء من هذه الولادات. وعلى قدر ما قيل لى عن طفولتى، وما أتذكره أنا عنها، فقد كنت الطفل «الغلباوى» الذى نطق بالكلام مبكراً جداً وانطلق لسانه على غير العادة. فألحقنى والدى بمدرسة بسطا بك الابتدائية وأنا فى الخامسة من العمر تقريباً!! كان ذلك فى عام ١٩٤٠/٣٩، وكانت الحرب العالمية الثانية قد بدأت.. وكنا انتقلنا من شارع حمودة (منزل من منازل جدى) إلى شقة كبيرة بالإيجار فى حى أفضل.. وكان صاحب العقار الكائنة به الشقة اسمه «حبيب».

فى تلك الشقة، وأنا فى تلك السن، عايشت الذعر من الإظلام التام، وصفارات الإنذار، وصوت المنادى فى بهيم الليل يزعق «غارة.. طفى النور ياوليه».. وفرضت زرقة الزهرة على زجاج لمبات الجاز وزجاج النوافذ. فى ذات هذه الظروف، ولكن بعد عام، انتقلنا للسكن فى منزل «المقدس فهمى» وهو عبارة عن شقة فسيحة مرتفعة عن الأرض مبنية حديثاً أمامها مدخل متحضر له باب حديدى على الشارع بخلاف باب الشقة، ولا توجد أدوار أخرى - أى «بيت من بابه». كنا أصبحنا أربعة أولاد وبنت. البنت أدخلها والدى مدرسة القلب المقدس لتدرس بالفرنسية، أما أنا وشقيقى الأكبر فقد أغرى ذكاؤنا الوالدين بأن ينقلانا من المدرسة الخاصة الرخيصة إلى المدرسة

الابتدائيـة الأميرية رغم مصاريفها الباهظة بحسابات تلك الأيام (سبعة جنيهات ونصف سنويا) ولكن لما كان دخول هذه المدرسة يتم بمسابقة، ونظرا لتفوقي وشقيقي في تلك المسابقة فقد أمكن أن نقدم أول مساعدة للوالدين الكادحين تتمثل في حصولنا على المجانية طوال فترة المرحلة الابتدائية.

وفي نفس هذه الفترة كانت الحرب الثانية في أوجها.. ووعيت تماما أمرين لم يفارقا ذهني أبدا:

الأول: أن الملك فاروق ضالع مع الألمان لذلك حاصره الإنجليز عسكرياً وأجبروه على أن يأتي بحكومة وفدية برئاسة النحاس باشا.. ولأن سوهاج مدينة وفدية فقد طافت المظاهرات كل سوهاج - حتى بجوار منزلنا. تهتف بالاستقلال وفي نفس الوقت تهتف بحياة النحاس باشا.

والثاني: أن الإنجليز يستولون على القمح والسكر والزيت لجيشهم لذلك تقررت بطاقات التموين، ومع ذلك أتذكر تماماً ليالي سوداء لا نجد فيها رغيف خبز ولا دقيق.. كان والداي يجلسان يخنقهما البكاء لجرع الأولاد رغم أنهم يملكون المقابل اللازم، ومما زاد الأمر سوءاً ذلك الأمر العسكري الذي يحظر نقل المواد التموينية من بلد إلى آخر ومهما كانت الكمية.

ولذلك استحالت الاستعانة بجدي من أمي (المزارع). ولكن كان لي خالة تعيش في سوهاج، وزوجها يملك سيارة أجرة، ويعاني وأولاده ذات المحنة.. فقرر المغادرة لكسر هذه الاستحالة.. وفي يوم، وبعد منتصف الليل سافر بسيارته إلى الدرير وذهب إلى جدي وإلى أبوه، وملأ سيارته بأجولة دقيق (وبالمناسبة هو في نفس الوقت ابن عم والدتي)، وعاد في ذات الليلة عبر مدقات في غاية الصعوبة والخطر ليهرب من نقط التفتيش على الطرق «الرسمية».

وقد أنقذتنا هذه المغامرة من أزمة خطيرة، إذ في نفس الوقت قبض على «عم متري» بقالنا التمويني بتهمة نقله صفيحة زيت من أسيوط إلى سوهاج، وأغلق محله لحين محاكمته، وقد وقعت أزمة شديدة بين المواطنين المربوطة بطاقاتهم على محله وبين المديرية حيث ضاع شهر (بحصصه التموينية) وتم حل الأزمة بتوزيعهم على

بقالين آخرين. وجرت محاكمة «عم مترى قديس»، وحضرت أنا محاكمته حيث ترافع عنه محامي شهير في ذلك الوقت يدعى الأستاذ عمر عمر.. ولحسن الحظ حكم ببراءته.

حينما وصلت إلى الثالثة الابتدائية كانت الحرب في نهايتها وكان الخطر الهتلرى ابتعد كثيراً عن مصر، وفي تلك السن لم أعلم ما هي الظروف العامة في مصر التي جعلت من بعض أساتذتنا في مواد اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا. جعلتهم أساتذة لنا أيضاً في الوعي الوطني والديموقراطي المبكر.. وفي السعي للتثقيف العام أو قل المعرفة. فمن الثالثة الابتدائية وزعوا علينا وناقشوا معنا مجلة «الرسالة» التي كانت تصدر عن «كبار الأمناء» وشجعونا وحفزونا على قراءة «النظرات والعبرات» ورحلات ابن بطوطة، واقتنعت بشرحهم العقلاني للعلاقة الوثيقة بين اللغة العربية والقرآن الكريم فعمدت إلى حفظ جزء عم منه ولكن ما جعلني انتبه باهتمام وتفاعل إلى هؤلاء الأساتذة المخمورين العظام واقعة أتاها والدى رحمه الله:

كان كتاب المطالعة العربية المقرر على السنة الثالثة الابتدائية يحتوى على موضوع عنوانه «العصامي الكبير» مكرس لعرض «مآثر» و«أفضال» عبود باشا.

ولما كنت شغوفاً باستعراض «شطارتي» في اللغة العربية ونطقها أمام إخوتي ووالدى، فقد درجت على أن أقرأ بصوت مرتفع موضوعات المطالعة (في يوم دراستها في الفصل).. وحدث ذلك بالطبع في موضوع «العصامي الكبير». كان أبي في الحجرة المجاورة يرتدى ملابس الخروج لأنه يوم حضوره العظة الأسبوعية بجمعية المحبة القبطية التي كان عضواً بها، فدلف إلى الغرفة التي أزعق فيها بالموضوع وهو يلف كرافتته، فلما رأيته سكتت وابتسمت، فقال لي بهدوء: «هو ده اللي بيعلموه لكم.. ده إللي عمله عبود من دم الشغالين عنده». سمعت، ولكنني لم أفهم شيئاً.. ولم أسأله تفسيراً، ولكن ظلت ملاحظته ترن في أذني، وتقفز دائماً في ذهني ومضت سبع سنوات أو أكثر قليلاً - حتى عرفت معنى الملاحظة. حصلت على الشهادة الابتدائية بتفوق، (مثلي مثل شقيقي الأكبر من قبل)، فالتحقت بمدرسة فؤاد الأول الثانوية بسوهاج ومعى المجانية طوال المرحلة الثانوية.. ومنذ البداية صادفت في الثانوى ذات نوعية أساتذتي العظام في الابتدائي.. فالذاكرة لن تنسى الأساتذة

«الزملك» في الجغرافيا، «محمد فوزي» أو أحمد لأني أعرفه شخصيا يرحمه الله، في التاريخ (حصل على الدكتوراه وانتقل للتدريس بالجامعة)، و «عطية مرافي» في اللغة العربية «ومحمد أمين» في اللغة الإنجليزية.. هؤلاء الأساتذة الذين كانوا يوزعون علينا أيضا مجلة «الرسالة» التي سبق الإشارة إليها، وحثونا على قراءة مقدمة ابن خلدون وتاريخ الجبرتي، ومقتطفات من «رسالة الغفران»، و«الفتنة الكبرى» و «على هامش السيرة» وثلاثية أحمد أمين: فجر الإسلام وضحى الإسلامي وظهر الإسلام. كانوا - كرم الله مثواهم - يشرحون لنا التاريخ أو الموضوعات كما جاءت في المقرر.. ثم - بود الأب، وصدق المعلم الحق - يطلبون غلق الكتاب والكراس والانتباه إلى حقيقة الأمور.. ويعرضون معارفهم - الوطنية المستنيرة بحق - عن تاريخ مصر القديمة وفلاحها الفصيح ومقاومتها للهكسوس ثم للرومان.. وعن أسرة محمد على إيجاباً وسلباً، وثورة ١٩١٩ وأحزاب الأقلية، والثوره الفرنسية، ومحاكم التفتيش وما يرتبط بها حتى من فنون وآداب، أضف إلى ذلك أحاديثهم «بعشق» عن الهوية المصرية وشجبهم الغاضب لكل تأريخ يحاول طمسها. ويلاحظ أنني لم أرتب موضوعات أحاديثهم تلك لأنني استهدف فقط إبراز دور معلمين أفاضل في فتح آفاق إعمال العقل لجيل كنت لحسن الحظ - أحد أفراده. وهذا الدور لم يكن غريبا على معلمينا في العقد الرابع من القرن العشرين، فإذا لاحظنا أن أعمارهم كانت - في المتوسط - حول الخمسين لاكتشفنا فوراً أنهم شباب ثورة ١٩١٩ وتلاميذ صحوة المواطنة والتنوير التي صاحبتها، وتلك التي عمدت القوى الحاكمة فيما بعد إلى وأدها وإحلالها بإعلام مكثف يعتمد تسطيح العقل العام للأمة وتغييبه في ذات الوقت: تسطيحه بإغراقه في «الكرة»، «وأغاني الغرام»؛ وتغييبه بشقين يبدوان متناقضين ظاهريا - هما: «ترويج الوهم وإثارة الغرائز» من ناحية، و «السلفية الدينية» من ناحية أخرى - ذلك لكي تخلى الساحة لعقل واحد هو عقل الحاكم.. هو وحده الحقيقة الكاملة، والصواب الأوحد.

عائلتي متدينة، نواظب على صلاة قداس الأحد بالكنيسة القبطية الوحيدة (آنذاك) في سوهاج - كنيسة السيدة العذراء - الكائنة بالقرب من ميدان المحطة، وتقيم ليالي التسبيح التي تدعو لها معلم الكنيسة الضرير ذا الصوت الشجي والذي يتقن اللغة

القبطية وألحانها. ويشارك الأب (والدى) فى جمعية المحبة القبطية ويحرص هو ووالدتى على حضور صلاة و(عظة) مساء الإثنين من كل أسبوع فى تلك الجمعية.

وألحقت الأسرة كل أبنائها منذ نعومة أظافرهم بمدارس الأحد التى لم تكن فى الكنائس بل كانت نشاطاً نقوم به الجمعيات الدينية، ونحن كنا بجمعية الطلبة والشبان المسيحيين الأرثوذكس.

مثلى مثل الأسرة كنت شديد التدين على طريقة والدى رحمه الله: التواضع ونبذ التعصب، لذلك حينما كنت فى الصف الثالث الثانوى فى العام ١٩٤٨/١٩٤٩.. حدثت انتخابات لمجلس إدارة جمعية الطلبة والشبان الأرثوذكس، ولاحظت صراعاً حاداً وشجاراً على كراسي مجلس الإدراة.. فحزنت ولكن بغضب.. فليس هذا هو نكران الذات والتواضع المسيحيين، فكثفت شرح فكرتى لدى مجموعة من أقرانى وسرعان ما اتحدنا، ونشطنا لتجميع الأطفال، وحولت قاعة الدور الأرضى وصالته فى منزلنا إلى مدارس أحد.. موعدها يوم الجمعة بعد القداس مباشرة.. أى ذات موعد مدارس أحد جمعية الطلبة تلك.

وبهذه المناسبة فإننى أحيط القارئ بأنه فى ذلك العام كانت قد مضت حوالى أربعة أعوام على عودتنا إلى أحد منازل الجد فى شارع حمودة، إذ بعد وفاته آل هذا المنزل إلى والدى بالإرث.

رغم بساطته المتناهية، كان والدى شخصية محترمة معروفة بالهدوء والحكمة والتواضع فاستعان به كهنة الكنيسة فى حل المشاكل الأسرية التى تعرض عليهم، كما كان والدى مناصرا للوفد.

وكان لحزب الوفد بسوهاج ٤ رؤوس.. واحدة من عائلة «مازن» وثانية من عائلة «عارف» وثالثة من عائلة «دوس» ورابعة من عائلة الشريف. وكان لعائلتى مازن وعارف مرشحون «للوفد» ومرشحون «لأحزاب الأقلية».. ويتم ترشيح هؤلاء أو أولئك حسب الظروف السياسية السائدة وما تطرحه من احتمالات.. ولكن عائلة دوس كانت وفدية ثابتة، كما أن المرحوم الأستاذ حنفى الشريف كان الوجه الوحيد الظاهر فى عائلة الشريف، ومعروف أنه قطب وفدى ينحاز لجناح عزيز فهمى، أو ما كان يسمى «يسار الوفد». كان والدى من المؤيدين المتحمسين لحنفى الشريف.

وفى ذلك العام ١٩٤٩/٤٨، فوجئنا بوالدى يعود من العمل مكبرا، وبصحبته شخص آخر أصغر سناً لم نره من قبل. دخل والدى المنزل واجماً وانتحى بوالدتى التى ما أن دريت ما قاله حتى خبطت صدرها فأسكتها، وقامت باكية تعد له بسرعة شنطة ملابسه، وما تمكنت من إعداده من أكل.. ثم خرج والدى صحبة الغريب.

أعلمتنا والدتنا بعد رحيله مباشرة أن والدنا نقل إلى المنيا، ولكن ما اتضح فيما بعد هو أن إبراهيم باشا عبد الهادى رئيس الوزراء أصدر أمراً عسكرياً بتحديد إقامة والدى باستراحة العاملين بالسكة الحديد بمدينة المنيا، وإلحاقه بالعمل هناك، وحراسته لضمان عدم سفره إلى سوهاج تحت أى ظرف.

وفى ذلك العام كان شقيقى الأكبر التحق بكلية طب القصر العينى، وأصبحت أنا فى سوهاج رجل البيت عن عمر حول الأربعة عشر عاماً. كان على أن أتابع أعمال تكييس المنزل الذى كان والدى قد بدأه قبل ترحيله، ولكن الأخطر كان على إيجاد وسيلة للاتصال بوالدى بانتظام فواقع أسر الصعيد لا يستغنى عن ذلك.

ونجحت فى ترتيب أمور «سرية» للاتصال بأحد سائقى قطارات السكة الحديد تربط والدى به صلات حميمة ولا يسكن قريباً منا.. واتفقت معه على أن أوصل له مرسلاتنا لوالدى وأستلم منه ملابسه المتسخة فى القطار أثناء تدويره على صينية تغيير الاتجاه.. وهو مكان محفوف بالمخاطر لطفل.. ولكنه كان الطريق الوحيد لتتم الأمور بسلام للرجل.

وهكذا أصبحت السياسة اهتماما يدق عقلى بعنف. شاركت فى مظاهرات مدرستى والتى اندلعت إبان «حرب فلسطين» وطالتنى أول عصا من بلوك النظام فى أول مظاهرة شاركت فيها (رغم صغر سنى وضآلة حجمى).

وفى هذا الخضم أسر لى أحد زملائى - وكان والده ضابطا كبيرا من عائلة كبيرة بالمحافظة هى عائلة «المشنب» - أقول أسر لى بأنه توجد جمعيتان يمكن مراسلتهما هما جمعية «إخوان الحرية» و«جمعية أصدقاء الشرق الأوسط»، وزودنى بعنوانى المراسلة.. كتبت لهما على الفور.. وبعد أيام بدأت تصلنى مطبوعات معظمها باللغة الإنجليزية، واتضح أن إحداهما - وهى «إخوان الحرية» - تدافع عن سياسة بريطانيا العظمى وتروج

دعاية هائلة لها وتهاجم الشيوعية ودول الستار الحديدى، والأخرى مثلها تماماً ولكن لصالح أمريكا.. وتحتل مجلة «أمريكا» المكانة الأولى فى مطبوعاتها رونقا وفخامة.

لم أجد أى حافز لقراءة أو متابعة أى موضوع بتلك المطبوعات، ولا أدرى لماذا نفرت منها، ولكننى فكرت فى الاستفادة بطريقتى فدرجت على تجميع كل كمية مناسبة منها وأبيعها «بالأقة» لبقال. كان يشترى الأقة بقرشين صاغ.. وهذا كان مبلغا له قيمة وادخرت قيمة ما بعت لأتعلم قيادة الدراجات.. وحيثما أن من وجهة نظرى الوقت والإمكانيات المالية لذلك صحبت زميل مدرسة يجيد ركوب الدراجات واستأجرت دراجة، وركبت خلفه للذهاب إلى مكان فسيح وخال نسبياً ليعلمنى فيه، ولكن ما إن تحرك حتى انحشرت رجلى فى سلك الإطار الخلفى فتكسر السلك، وتمزقت قدمى.. وخسرت النقود مقابل إصلاح الدراجة.. ولم أتعلم قيادة الدراجات حتى يومنا هذا.

إذن فجمعيتى «إخوان الحرية» و «أصدقاء الشرق الأوسط» لم يلتقيا مع اهتماماتى السياسية الثائرة فى رأسى.. ونبذت أى تفكير أو اهتمام بمطبوعاتهما التى ما لبثت أن انقطعت تماما.

كان عمى المرحوم لبيب حنا ناظر محطة السكة الحديد لبلدة أبوطشت بمحافظة قنا وهى بلدة صغيرة لا يقف فيها قطار سريع، لذلك يتعين على القادم إليها من القاهرة أن يركب القطار السريع من القاهرة حتى سوهاج، ويبيت فى سوهاج ثم يركب قطار ركاب من سوهاج إلى أبوطشت بشرط أن يصلها قبل الخامسة مساء وهو الموعد المحدد لعدم توقف قطارات فى محطتها. هذا «المشوار» كان من نصيب ابن عمى وصديقى د. فخرى لبيب، حينما كان يسافر من القاهرة إلى أبوطشت فى الإجازات ليقضيها مع والده ووالدته وإخوته. ولحسن الحظ فهو لم يتكبده سوى مرتين فى العام ٤٨ / ٤٩، وفى العام ٤٩ / ٥٠. وفى هاتين المرتين قضى فخرى لبيب بقية يومه ومبيته بسوهاج معى.. فى بيت عمه.

ومن الطبيعى أن أكون مع فخرى طول الوقت فأنا كبير المنزل مضيفه (والذى محدد الإقامة بالمنيا وشقيقى الأكبر بالطب والدراسة تستمر بها معظم الإجازة). ومن

الطبيعى أن تتناول موضوعات المصاحبة كل شئ، ومن الطبيعى فى الظروف التى كنت أمر بها، أن تتطرق للسياسة وحكى لى فخرى كثيراً عن الاستعمار والاستغلال، وأعطانى لأول مرة تفسيراً لمعنى ملاحظة والدى التى قال لى فيها أن «اللى عمله عبود من دم الشغالين عنده» .. وكان تفسيراً عاماً ومبسطاً.. كما حدثنى عن الاتحاد السوفيتى، كنا فى العائلة - بكل فروعها - نعلم أن فخرى شيوعى، لذلك بادرته بسؤال هجومى حول الشيوعية والدين.. فكل ما كان يحشر فى رؤوسنا الصغيرة أن الشيوعية تعنى الإلحاد. رد على فخرى بمنتهى الهدوء «نحن ليس لنا أى شأن كما أنه ليس لنا أى تحفظ على المعتقد الدينى لأى شخص.. نحن مع حرية العقيدة وممارسة طقوسها لأقصى حد.. نحن نعتبر أن تعبير إلحاد تعبير سخيف وعدوانى علينا، نحن نقول أننا ماديون جدليون، بمعنى أن الواقع المادى حولنا موجود خارج عقولنا وهو ليس فى حالة سكون إنما يتحرك باستمرار لوجود تناقضات داخله.. المجتمع هو واقع ويتغير بفعل تناقضات داخله وكل ما يهتم به الشيوعى هو أن يدفع حركة التناقضات ليكون تغيير المجتمع إلى الأمام وليس إلى الخلف وقال أيضاً أن الفلسفة المادية أقدم من ماركس بكثير ولكنه (أى ماركس) هو المادى الجدلى فماديته موضوعية تعنى بالأرض تماماً.

حاول فخرى نقل هذه المعانى إلى ذهنى المنتبه تماما، والذى أصبح مهموماً بالسياسة.. فهمت الكثير، ولم أستوعب الكثير أيضاً، والتهبت فى رأسى تساؤلات لا أستطيع تبيانها الآن. وفى عام ٤٩/٥٠ جاءت حكومة حسين سرى باشا فألغى تحديد إقامة والدى فعاد إلينا، وسارت حياة الأسرة كعهدها: الهدوء والتدين وبقيت تساؤلاتى فى رأسى وحدى.

حصلت على التوجيهية فى يونيو ١٩٥١ وبعدها بشهر سافرت إلى القاهرة للالتحاق بالجامعة.. حيث قبلت فى كلية العلوم بجامعة القاهرة، وبدأت الدراسة فى أكتوبر ١٩٥١ وهو ذات الشهر الذى ألغى فيه النحاس باشا معاهدة ١٩٣٦.

انطلق لهيب شعبى عاصف حينذاك، وعجت الجامعة بكل ألوان الطيف السياسى. وقفزت إلى ذهنى كل التساؤلات الحائرة فيه وبدأت فى الانتباه بتركيز واهتمام لما يجرى حولى.

تحولت الجامعة إلى معسكر للنشاطات السياسية والعسكرية التي لا تهدأ. أصبح انتظام الدراسة في خبر كان.. المظاهرات حاشدة، الخطباء من كل الألوان السياسية.. في كلية العلوم يخطب عادل حسين والجميع يعرفون أن شيوعي من (حدتو)، ثم المؤتمر العام للجامعة أمام القبة وفي الساحة بين كليتي الآداب والحقوق.. يخطب عادل فهمي (المرحوم) ومعروف أنه يساري شيوعي يتخفى في الوفد.. وكنت أتوجه لأستمع إلى الأستاذ حسن دوح (إخوان مسلمين) في كلية الحقوق ويعاونه حسين العانلي من كلية العلوم، وكان يأتي خطباء من الخارج يقال أنهم كانوا زعماء الطلبة في أعوام ١٩٤٦/ ١٩٥٠. أولئك من أمثال مصطفى مؤمن (كلية الهندسة - إخوان مسلمين)، ومصطفى موسى وسيد البكار (وفديون).. هنا في ذلك الوقت كانت الديموقراطية حقيقية، والجو الذي تشيعه ليس جواً حماسياً فحسب بل جواً ملهما وحافزاً على المعرفة والاختيار الجاد. كانت المؤتمرات الوطنية جماهيرية بحق.. مئات الآلاف من الطلبة ومئات الآلاف من العمال القادمين من كل أنحاء المناطق الصناعية بالقاهرة والجيزة.. تضيق بهم الجامعة وكل ما يحيط بها من شوارع وميادين.. كل الآراء والفكريات بما تفرزه من مواقف عملية إزاء القضايا المطروحة. كل ذلك في المتناول ببساطة وعلانية وتفتح ليس له مثيل.

حرم الجامعة تحول أيضا إلى معسكرات لتدريب الفدائيين لمقاومة الاحتلال الانجليزي، وتم بناء الثبات للتدريب على إطلاق النار والتصويب ولم تلبث أن امتلأت الأسماع بطقطقات الأعيرة النارية جنباً إلى جنب الهتافات وكلام الخطب.

في هذا العام كان فخري قد تخرج في كلية العلوم قسم جيولوجيا وكان موجوداً بالقاهرة يبحث عن عمل، وتم تعيينه بعد ذلك بقليل مدرساً للعلوم. ابتدائي (أشبيه وصحة - بكفر الزيات)، ولكن قبل ذلك كنت حسمت أمري فتوجهت له في حجرته فوق سطح أحد البيوت القديمة بشارع الوزير المتفرع من شارع البعلة بشبرا مصر.

وكانت صلتنا بفخري لم تنقطع منذ جئت إلى القاهرة وحتى اللحظة التي أتحدث عنها، ثم ما تلاها من أحداث.. ونقول وحتى الآن بالطبع. دخلت حجرة فخري مساءً حيث كان الظلام قد بدأ في السدول.. وكان يطبخ (لحم) بالملوخية، وانقطعت الكهرباء، فأشعل ورقة صحف ليرى الطبخة فإذا بجزء محترق من الورقة يسقط في

الملوخية فقلبها بسرعة وقوة قائلا «هو معقول نفوت اللحمة» وضحكنا وأكلنا. قلت له: أنا جاى لك لأنى عاوز أكون شيوعى. كان رده محبطاً ومخيباً للآمال إذ قال بأنه قد آلى على نفسه بألا يجند أى من الأقارب تحت أى ظروف لأنه لا يريد أن يحمله أحد من الأسرة النتائج المتوقعة وأردف أنه يريد أن يكون فى العائلة «بعقله وحده»، «فابحث عن طريق آخر غيرى وستجد». سمعت، وتركته عائداً لمنزلى. واضح من زيارتى لفخرى أننى حسمت اختيارى. ولعل هذا كان متسقيا مع ما سردته فى الصفحات السابقة:.

طفل منذ الخامسة من عمره عاش ويلات الحرب دون حرب فعلية فى بلده (ماعدا الغارات على الاسكندرية ومعركة العلمين) أثرت فى تلك المعاناة وما تخللها من أحداث عامة وأسرية تأثيراً عميقاً حتى أننى ظللت فترة طويلة أفخر بأننى أول من عرف بنهاية الحرب فى الأسرة: كان قد أرسلنى والدى لأشترى له علبه سجائر، فوجدت مجمرعة متحلقة حول صحيفة، شببت وقرأت المانشيت الرئيسى «استسلام الألمان بدون قيد ولا شرط، كنت فى السنة الثانية الابتدائية، جريت على المنزل فرحاً وزعقت بصوتى كله: «بابا.. الدنيا سلمت من غير كلبشات ولا بوليس».. ابتسم والدى وأفهمنى ما قرأت ثم قال الحمد لله..

ثم أساتذة مدرسة جعلونى أهوى القراءة وأسعى إلى المعرفة بدون حدود غارسين الانتماء للوطن وللمصريين فى عمق العقل والوجدان.

ثم والد يسخر مما يعلمونه لنا عن «عصامية» الأثرياء.. ثم تحديد إقامة الوالد واضطرارى للانخراط فى مراوغات صعبة للاتصال به.. ثم نقاشات مع فخرى لبيب، ثم مناخ سياسى عاصف ومفتوح ـ فكراً وممارسة ـ فور التحاقى بالجامعة.. هكذا الأمور معى، فهل هناك من خيار آخر لى. وقد أصبحت السياسة همى. سوى الشيوعية؟ الإجابة واضحة.. نعم بعد دخولى الجامعة بشهر واحد حسمت انحيازى واختيارى، ولم يزعزع رفض فخرى أن ينظمنى، هذا الحسم.

غير أن الأمر كان صعباً بلا شك.. فالاختيار محفوف بالمخاطر التى أعلمها جيداً، ولابد من اتصال موثوق به فى نفس مستوى الثقة فى فخرى.

ولحسن الحظ لم تطل الحيرة والبحث.. فقد طرقت الفرصة بابى على حين غفلة. كنت أسكن أنا وشقيقى طالب الطب فى غرفة من شقة تتكون من أربع غرف، والغرف الثلاث الأخرى يسكنها طلبة فى كلية الصيدلة، وصحفى مبتدئ. وفى مساء أحد الأيام طرق باب الشقة وكنت قريباً منه. فتحت الباب وجدت شخصاً ألقى السلام وسألنى: هل يسكن هنا طالب فى كلية الطب؟ أجبته: نعم، شقيقى.. تفضل. دخل الشاب وعرفنا بأنه يقيم فى العمارة المجاورة لنا وفى الشقة المقابلة وغرفته أمام غرفتى وشقيقى، وأنه رأى هيكلا عظمياً آدمياً لدينا فاستنتج أنها لطالب طب، ثم سأل شقيقى عن السنة التى بلغها فى دراسته وعرفه بأنها الثانية، فابتسم وقال أنه أيضا فى السنة الثانية، وأنه يواجه صعوبة فى المذاكرة ففكر فى التعاون مع شقيقى إن أمكن. كانت البلد ملتهبة فى المجتمع كما ذكرت.. فتطرق الحديث إلى السياسة. كان الشاب هو المرحوم أنور نعمان. اكتشفت فوراً أنه شيوعى ذلك لأن زيارات فخرى لنا لم تنقطع، ونحن أصلاً شديدى الصلة؛ وتجمعنا وشقيقى الطبيب صلة تتجاوز قرابة أبناء العمومة؛ وطبعاً طوال مدة أى زيارة له كانت السياسة هى موضوع حديثنا.. فأنا أعرف منطق وزوايا رؤيته ووجدت أنها تتطابق مع كل ما يردده أنور نعمان.

زارنا أنور نعمان، ولم يكن شقيقى موجودا، فانتهزت الفرصة وقلت له: أنت شيوعى. فابتسم مندهشاً وسألنى كيف يمكنك أن تعرف الشيوعى من غيره، فقلت له ببساطة متناهية: ابن عمى شيوعى وآراؤه مثل آراؤك. فسألنى: وأنت ما رأيك؟ قلت له: أوافقكم وقد طلبت منه أن أكون شيوعياً فرفض لأنه لا يجند أقارب. سكت أنور نعمان، ولكنه اتخذ فى الأيام التاليه أسلوباً حميما فى الارتباط بى، ودعانى لزيارته فى منزله، ولم يمض وقت حتى فاتحنى فى الانضمام لمنظمته. كان ذلك فى ديسمبر عام ١٩٥١ وعلمت أن المنظمة اسمها «طليعة العمال».. أعطانى مطبوعاتها، ثم زودنى بتعليمات عن قواعد السرية والأمان، لم يتحفظ على علاقتى الحميمة بفخرى ولكن نبهنى أنه منذ الآن نقتصر على المناقشات العامة دون أن أذكر أى شئ عن انتمائى الجديد ولكننى شيئاً فشيئاً انتهزت فرصة تواجدهما: فخرى وأنور، فى غرفتنا لعرفتهما ونشاركنا فى مناقشات سياسية وثقافية عامة، وكان فخرى يعطينى مطبوعاتهم بانتظام أيضا، ثم استأذنت أنور فى إعطاء فخرى «مطبوعاتنا» ووافق. قرأ

أنور نعمان معى لائحة «طليعة العمال» وحددت اشتراكى بخمسة قروش شهريا، وضمنى إلى وحدة مرشحين، نشاطها الاتصالات الداخلية. أخيراً حققت اختيارى وأصبحت منظماً فى «طليعة العمال، وكنت فى السابعة عشرة من العمر تقريباً.

وقبل مواصلة عرضى لشهادتى حول ممارستى الفعلية للنضال الشيوعى والعلاقات التنظيمية من خلاله فإننى أستئذن القارئ فى تعريفه باختصار بمسارى التعليمى والمهنى وبالمرات التى سجنت أو اعتقلت أو هربت فيها من الاعتقال، ومدة كل منها. والحقيقة هى أن كلا المسارين متداخلين انتهت فترة ترشيحى لعضوية «طليعة العمال» بعد شهور قليلة وحصلت على العضوية وهذا فى حد ذاته كان يعد معجزة، لأن عضوية المنظمة كانت «طويلة» المنال، وكان الترشيح يستمر لسنوات [راجع فى هذا كتاب «وثائق من تاريخ اليسار» أبوسيف يوسف - الفصل الثانى من الباب لخامس]. واستمر نشاطى فى جهاز الاتصال الداخلى. وفى أوائل يناير عام ١٩٥٤ - وكنت بالسنة الثانية فى كلية علوم القاهرة - أصدرت المنظمة منشوراً أظنه كان بمناسبة زيارة أديب الشيشكلى لمصر، يهاجم المنشور أنظمة الحكم العسكرية ويطالب بإنهائها وإقامة أنظمة ديموقراطية تتأسس على حرية تكوين الأحزاب السياسية والانتخابات الحرة وعودة الجيش إلى ثكناته. وفى ليلة ٦ يناير سافرت إلى سوهاج لقضاء عيد الميلاد مع الأسرة، فأخذت معى كمية صغيرة من هذه المنشورات لألقيها على ورش السكك الحديدية التى يمر عليها القطار فى دخوله البطئ إلى أرصفة محطة سوهاج. لا أتذكر إذا ما كنت نفذت ذلك من عدمه، ولكن ما أتذكره أنه بعد نزولى من القطار وأثناء توجهى إلى منزل الأسرة الساعة ٣ صباحا فكرت فى أنه من الضرورى التخلص مما فى سلتى من بقية هذه المنشورات حتى لا يرونها فى المنزل، فألقيت تلك المنشورات فى الشارع ككتلة.. ولحظة ذلك برز شرطى درك لم أره فى ظلمة الليل وقبض على واستعان بزميل له بإطلاق صفارته. حجزونى بسجن بندر سوهاج حتى الصباح حينما عرضونى على النيابة العسكرية التى باشرت التحقيق. كنت فى التاسعة عشر من العمر. مر التحقيق بمرحلة عاصفة فى منتصفة لاحتجاجى الشديد على تواجد ضباط بوليس فى غرفة التحقيق، ورفضت الكلام بإصرار ما لم يخرج الضباط ثم إعادة التحقيق من أوله مع جلوسى بجوار أمين سر الجلسة الذى يكتب ما

أقول.. وقد تحقق لى ذلك ولكن بعد احتداد كاد يصل لاستخدام العنف من جانبهم، لكن رئيس النيابة العسكريةحسم الموقف طبقاً للقانون.. كانت تقاليد ما قبل ١٩٥٢ لازالت باقية خاصة فى معاملة المتهمين فى قضايا الرأى والسياسة، وفى سلطة النيابة على البوليس حتى البوليس السياسى.

أمرت النيابة العسكرية بترحيلى إلى القاهرة فى ذات اليوم.. وفور وصولى، تم عرضى على مباحث أمن الدولة، ثم على رئيس النيابة العسكرية الذى أمر بحبسى احتياطياً بسجن مصر.

بعد شهر ونصف رحلونى إلى سجن سوهاج وكان ذلك بمناسبة صدور قرار الاتهام الذى كان يعد مفاجأة نادرة إذ أن صدور قرارات الاتهام كان يستغرق من ستة شهور إلى عام كامل وأكثر، وفى بعض القضايا كان يفرج عن رفيق متهم فور صدور الحكم رغم إدانته والحكم عليه وذلك لقضائه فترة الحكم كاملة وهو «تحت التحقيق».

المهم سجنت فى سجن سوهاج «المزبلة» لمدة شهر ونصف آخرين ثم رحلت إلى سجن أسيوط حيث تمت محاكمتى أمام محكمة عسكرية عليا برأسها الأستاذ المستشار (العظيم) حسن عبد الوهاب العفيفى وعضوية اثنين من المستشارين وإثنين من ضباط الجيش. كان الحكم بأغلبية الأصوات حيث صوت المستشارون الثلاثة مع للبراءة أما الضابطان فاقترحا الحبس لمدة ٣ سنوات، ورفض الاقتراح. كان حكم البراءة قد بنى على أسباب إجرائية هى بالتحديد:

١ - عدم توافر أركان جريمة الترويج لعدم وجود «مروج لديهم» لحظة إلقاء المنشورات فى الشارع.

٢ - بطلان القبض لأن الشرطيين اللذين قاما به لا يعرفان القراءة أو الكتابة فكيف عرفا أن الأوراق الملقاة «منشورات سياسية محظورة» وليست إعلانا تجاريا مثلاً؟

إن الأسباب الشكلية هذه مؤسسة على أقوال الشهود أنفسهم ولكن باستنطاق رئيس المحكمة لهم إذن المدة الأولى، فى المرة الأولى سجن، هى ثلاثة شهور ونصف أفرج عنى بعدها مباشرة لمدة شهرين فقط ثم صدر الأمر باعتقالى فهربت واختفيت، واستمر اختفائى بصورة كاملة حتى إلغاء الحكم العرفى فى عام ١٩٥٧ (٣ أعوام)، ولكنه ظل بصورة نسبية بعدذلك وحتى القبض على فى

٢٩/٧/١٩٥٩ (عامان)، واستمر اعتقالي حتى ١٩٦٤/٤/٤ أي ما يقرب من خمس سنوات أخرى.

كانت المنظمة قد قررت عقب الإفراج عني في مارس ١٩٥٤ . فصلي من المنظمة لمخالفتي قواعد مزاولة مسئوليتي مما كشفني وعرض المنظمة لخطر أمني، ولكن لموقفي في التحقيق الذي جنب المنظمة تلك الأخطار فإنها ترشحني للعضوية مع تغيير مجال نشاطي.

وفي عام ١٩٧٣ أصدر المدعي العام الاشتراكي أمراً بالقبض على: كانت مباحث أمن الدولة في إحدى المحافظات قد ضبطت منشورا تحت الطبع في محل أحد الرفاق. وباشرت نيابة أمن الدولة التحقيق ولكن نظراً لما انطوى عليه هذا المنشور من دلالات خطيرة في نظر الدولة فقد أحال السادات القضية إلى المدعي الاشتراكي، وأمام المدعي الاشتراكي اعترف الرفيق بأنني أنا الذي سلمته مسودة المنشور. فصدر الأمر بالقبض على.

كان المنشور حول اتفاق «بالغ السرية» أبرمه السادات مع روجرز بوساطة عمر السقاف وزير خارجية السعودية آنذاك. يقضي هذا الاتفاق بتعهد أمريكا بحل «مشكلة الشرق الأوسط» على أن تنجز مصر ما يلي:

١ ـ إخراج السوفييت من المنطقة.

٢ ـ إنهاء ما يسمى بالاشتراكية والاقتصاد المخطط واتباع سياسة «الباب المفتوح» في الاقتصاد.

٣ ـ إنهاء سياسة الوحدة العربية المعادية للاستعمار، ولا مانع من تضامن عربي «معتدل».

٤ ـ إعطاء النظام مسحة ديموقراطية بإقرار «تعددية ما» بدلا من الشمولية.

يلاحظ القارئ ما يلي:

١ ـ أن السادات نفذ كافة تلك الالتزامات بحذافيرها (طرد الخبراء السوفييت، والانفتاح، وهجومه على تصنيف العرب إلى تقدمي ورجعي، والمنابر).

٢ - أنه جرى - ويجرى - عمداً إخفاء هذا الاتفاق عن الشعب حتى الآن.

أقول أن الاتفاق كان «بالغ السرية».. فكيف وصل للشيوعيين؟! هذا هو موضوع التحقيق معى - فحسب الاعتراف المشار إليه، (واعترافات أخرى لم تسجل فى مضابط القضية) فإننى مصدر مسودة المنشور أو مشروع المطبوع الذى يكشف عن هذا الاتفاق الدامغ لأصحابه. لذلك كان التحقيق معى غير عادى بالمرة..

ولكن هذا ليس موضوعنا.. وصدر قرار محكمة الحراسة بالتحفظ على لمدة عام بسجن القلعة حيث أفرج على فى مارس ١٩٧٤ ولكن تبقى كلمة فالحقيقة أن مسألة «بالغ السرية» هذه كانت لم تعد صحيحة لحد كبير - وقت نظر هذه القضية، فرغم تلك السرية إلا أن صحيفة بريطانية نشرت نص هذا الاتفاق، ونقلته عنها عدة صحف أوروبية، ومن الطبيعى لأى مهتم بالسياسة ولديه «صلة بالاطلاع» على الصحافة الأجنبية أن يعرف بهذا الاتفاق السرى. إذن الموضوع لم يكن مسألة «بالغ السرية» إنما هى مسألة «بالغ السرية على شعب مصر».

وبحسبة جمع بسيطة يتضح أن مجموع سنوات الحبس والاعتقال والتحفظ والاختفاء $٤\frac{٢}{٣} + \frac{١}{٣} + ٥ + ١ = ١١$ عاما نعم أحد عشر عاماً بدأت منذ سن التاسعة عشرة.

تزامن الأمر باعتقالى بعد قضية ١٩٥٤، وهروبى منه، صدور قرار من كلية علوم القاهرة (مصدق عليه من الجامعة) بفصلى من الكلية «لاشتغالى بالسياسة بدون إذن السلطات الجامعية المختصة!!».

وانقطعت صلتى بالدراسة الجامعية بسبب الفصل والهروب حتى إلغاء الأحكام العرفية فى عام ١٩٥٧، فتقدمت للالتحاق بمعهد الخدمة الاجتماعية وأديت الاختبار اللازم واجتزته ولكن لأن القبول يتوقف على موافقة مباحث أمن الدولة (آنذاك) تم رفضى. وفى عام ١٩٥٨ انتقلت الأسرة للإقامة بالقاهرة، حينئذ علمت بفصلى من الكلية. غضبت والدتى وشرعت فى تأنيبى، هنا يبرز مرة أخرى فضل المرحوم والدى، حيث انتحى بها وقال لها: «أسكتى عنه فهو معذور، إنت نعجبك حالتنا»؟!

ثم اعتقالى فى يوليه ١٩٥٩ ، وعقب الإفراج عنى فى أبريل ١٩٦٤ تقدمت إلى كلية العلوم لإعادة القيد، فاستشار عميد الكلية مباحث أمن الدولة التى اعترضت.. ولأن جميع الحالات المماثلة أعيد قيدها فقد كررت الطلب مرة ثانية وأيضا رفض بذات الطريقة.

فكرت فى إعادة الثانوية العامة نظام السنوات الثلاث.. وتقدمت باستمارة الامتحان، واشتريت الكتب المقررة من مخازن وزارة التربية والتعليم. وتصادف أننى بدأت قراءة كتاب الفلسفة فحزنت وغضبت لأننى وجدت نفسى فى مثل من حصل على بكالوريوس فى العلوم الطبيعية ثم فرض عليه أن يؤدى امتحان فى الأشياء والصحة المقررة على الأولى الابتدائية.

أعدت ربط الكتب التى اشتريتها وفكرت فى أن أتصل بالأستاذ الدكتور رشدى سعيد فهو عالم جليل وأستاذ بكلية العلوم واتصلت بسيادته تليفونيا بمنزله بعد أن عرفت رقمه من الدليل ووافق سيادته على استقبالى. عرضت على مسامعه مشكلتى وسلمته ملخصاً بها.. قبل مشكورا التدخل، وبفضل مجهودات سيادته لدى المرحوم الأستاذ الدكتور حلمى مراد وكيل جامعة القاهرة أعيد قيدى بكلية العلوم بقرار مباشر من الأستاذ الدكتور حشمت جادو مدير الجامعة دون مخاطبة للمباحث، وطلبت من الأستاذ حلمى مراد المعاونة فى تحولى منتسباً بكلية التجارة لأن سنى وعملى لايسمحان باستكمال التفرغ عامين كاملين لإنهاء كلية العلوم.. واستجاب الرجل. وبعد مقابلة صريحة مع الأستاذ الدكتور عبد العزيز حجازى وافق سيادته مشكوراً على تبنى طلبى فى مجلس الكلية.. وقيدت فى كلية تجارة القاهرة منتسبا بقسم إدارة الأعمال فى العام ١٩٦٧.

أنهيت دراستى بالكلية وحصلت على البكالوريوس فى مايو ١٩٧١.

عقب الإفراج عن الشيوعيين فى عام ١٩٦٤، وبعد حل الحزب عام ١٩٦٥ اتخذت الدولة إجراء لتشغيلهم، فعينت بمؤهل متوسط فى المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية، بالشئون الإدارية. بعد حصولى على البكالوريوس تقدمت بشهادته للسيد المرحوم المهندس مرعى أحمد مرعى رحمه الله - وكان رئيساً لمجلس إدارة المؤسسة، فوافق على نقلى للعمل بقطاع الشئون التجارية - فى وظيفة باحث

ثالث تسويق واقتصاديات شركات تابعة. برزت في عملي، وحصلت على ترقيات متوالية حتى وصلت إلى الدرجة التي أحلت منها إلى المعاش وهي درجة (وكيل وزارة) - رئيس قطاع الموازنات التخطيطية والتكاليف..

الترقية إلى هذ الدرجة كان في مايو ١٩٩١، وإنهاء الخدمة لبلوغ السن القانونية (المعاش) كان في نوفمبر ١٩٩٤.

أعود الآن إلى مسيرتي في الحركة الشيوعية..

فور انتظامي في مجموعة المرشحين في طليعة العمال، لاحظ المسئول - (المرحوم أنور نعمان) أنني محب للقراءة وشغوف بالمعرفة.. أعطاني في البداية كتاب لمؤلفة بريطانية عنوانه «خراب مصر». أنهيته بسرعة. فأعطاني كتاب «لودفيج فيورباخ، ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية لمؤلفه فردريك انجلز..!!

كنت أعود من الكلية (العلوم) في الخامسة مساء، أنام ساعة، ثم أستذكر حتى الساعة الثانية عشرة مساء، وبعد نوم أخي طالب الطب أخرج كتاب إنجلز وأحاول فهمه فأستغرق حتى الساعة الثالثة صباحاً في صفحة واحدة.. فاستغثت كتابة.. سلم أنور رسالتي للقيادة وجاءني رد يعطيني العذر ويوافقني وينصحني بثلاثة كتب: المادية الجدلية والمادية التاريخية لستالين، والاقتصاد السياسي لليونتيف، ومجموعة عبد الرحمن الرافعي عن تاريخ مصر الحديث (الحقيقة ليس تاريخاً وإنما تأريخاً للأحداث السياسية في مصر).

وعن مسيرتي في طليعة العمال، فإنني - بصفة أساسية أحيل إلى كتاب «وثائق ومواقف من تاريخ اليسار المصري» الذي حرره المرحوم الأستاذ أبوسيف يوسف، وشاركته كتابة بابين هامين من أبوابه هما الباب الخامس «التنظيم فكراً وتطبيقاً في طليعة العمال» والباب السادس «طليعة العمال ومسألة وحدة الشيوعيين».

إن هذا الكتاب يشمل كل ما يتعلق بطليعة العمال من واقع الوثائق أي المطبوعات التي أصدرتها ولأن بعض فصول هذا الكتاب كانت بمثابة عرض لوثائق «طليعة العمال» وليست نصوص تلك الوثائق، فإنني لا زلت أرى أنها لن تكتسب مصداقية

لدى المؤرخين إلا بإتاحة الوثائق ذاتها وهذا ما طالبت به ولازلت ألح عليه، فضلاً عن أن ذلك ضرورة علمية وتاريخية فإنه سيؤكد مصداقية الكتاب المشار إليه ومن ثم مصداقيته كمرجع للمؤرخين والسياسيين والمفكرين الذين يتعرضون لتقييم المنظمة ولكن عادة يبنى سؤال لابد أن تتناوله شهادتى ألا وهو حقيقة وقائع معايشتى للحياة الداخلية (التنظيمية) لطليعة العمال، ولموقفها من مسألة وحدة الشيوعيين أو الداعين والمؤيدين لها من بين أعضائها ومدى امتداد ذلك على الممارسات داخل حزب ٨ يناير ١٩٥٨.

سأحاول ترتيب الوقائع قدر الإمكان، وعدم فصل موضوعاتها لتكون للقارئ أو المحلل الحرية الكاملة فى الاستنتاج من واقع الحقائق.

تزامن انضمامى لمنظمة «طليعة العمال» مع استلام فخرى لعمله فى إحدى المدارس الابتدائية بكفر الزيات، ومع ذلك استمرت العلاقة الوثيقة جدا مع فخرى بل وزاد التقارب بعلم أنور نعمن، وقد علم فخرى بانضمامى لطليعة العمال لم تصدر منه أى إساءة، فقط تعليق بكلمة واحدة: «حنبلة». ولم يحاول فى أى وقت تنفيرى منهم أو إدارة أى حديث لمعرفة معلومات، كان شفافا ومبدئيا، هذه حقيقة. ثم أننى أصبحت المحطة التى ينزل عليها فور قدومه إلى القاهرة. فى نفس تلك الفترة تعرفت على قريب للمرحوم أنور نعمان هو المرحوم أورلبس ولا أتذكر فى أى كلية كان، وأصبحنا أصدقاء وكان يأتى عندنا ونتكلم فى السياسة. أنور كان يقول لى لا تتعمق معه لأنه فى النجم الأحمر.

لأن هنا وفى وقت مبكر من ارتباطى بالحركة الشيوعية عرفت ثلاث منظمات. طليعة العمال التى أنتمى إليها: النجم الأحمر (أورلبس) وطليعة الشيوعيين (فخرى لبيب).

ونقول (فى طليعة العمال) بذات مضمون الآراء والمواقف التى يقولها النجم الأحمر وطليعة الشيوعيين بالنسبة إلى الحركة الوطنية - حكومة الوفد - الموقف من الحلف الرباعى والنقطة الرابعة (فى ذلك الوقت) وإلغاء معاهدة ١٩٣٦ وكل القضايا السياسية، وأيضا حتى فى القضايا العمالية. ولكن الثلاثة كانو يشتركون فى مهاجمة تنظيم عرفته من الجامعة عن طريق عادل حسين، وهو حدتو.

من هذا الاحتكاك، رفضت كل ما كان يقال عن أن كل «تفريعات» حدتو انتهازية، وهو رأى للبعض فى طليعة العمال وتوصلت إلى استنتاج أنه لابد حتى فى حدتو- طالما لها نشاط جماهيرى ونجند من هذا النشاط الجماهيرى. أقول لابد أن العضوية بها تضم مناضلين جيدين، ووثائق طليعة العمال قالت هذا المعنى، من هنا كان لى موقف محدد منذ البداية خصوصا فيما يتعلق بتقييم ما كان يسمى بتفريعات حدتو. ولكننى كنت مقتنعا تماماً بمنهج المنظمة فى الوحدة، إننى أتكلم بمفهوم تلك الأيام، الآن لى رأى آخر. كنت شديد الانضباط وشديد الاقتناع بالمنهج: منهج طليعة العمال وكانت مطالبتى باتخاذ مواقف عملية لتطبيق منهج الوحدة شيئاً عادياً فى الإطار التنظيمى لا يتضرر منه أحد أو يتضايق أو يبدى عدم رضاه. لم تكن هناك مركزية مطلقة أبدا، بالعكس كنا فى الخطوط السياسية أو فى المواقف السياسية تجد مشروعا لتناقشه فى الوحدات حتى فى وحدات المرشحين وينشر حتى فى المجلة الجماهيرية بعض الملاحظات الهامة والتى تضمنت معارضة أو نقد للقيادة تنشر ليس فقط فى النشرة الداخلية (الحوار الداخلى أو الحياة الحزبية الداخلية)، بل حتى فى «جريدة المقاومة» تنشر هذه الانتقادات، وبعد ذلك، بعد تلك المناقشات، تكون هناك إعادة صياغة ويطرح الموقف السياسى. لم تكن هناك عبادة فرد على الإطلاق، والاسم الحركى لسكرتير الحزب لم يكن معروفا حتى ١٩٥٦، وبسبب ديمقراطية القرار خصوصا فى المواقف الكبيرة كانت ردود الأفعال عندنا بطيئة بعض الشئ: الرسالة السياسية (خطة سياسية) كتبت عام ٥٢ وتم إقرارها بذات الطريق فنشرت عام ٥٤ أو ٥٥. فى مثل هذه الممارسة للمركزية الديموقراطية لا يمكن مؤاخذة أحد على رأى حتى لو كان مع الوحدة الفورية. قسم الطلبة عوقب للخروج على النظام وليس لرأيه، فأى عضو كان يمكنه أن يتكلم بأى رأى فى أى موضوع طالما فى مستواه حسب القواعد التنظيمية. والأكثر من ذلك كانت المنظمة حذرة فى اتصال أعضائها بأعضاء منظمات أخرى وأنا كنت على اتصال وثيق بفخرى وأورليس وبعد ذلك وأنا فى شبرا الخيمة كان الرفاق لهم اتصال وثيق بالمرحوم نجاتى عبد الحميد (نواة) وصلاح هلال (طليعة شيوعيين) وأحمد خضر (نجم أحمر)، وكانوا يعملون معاً عملا مشتركاً، لم يؤاخذنا أحد على ذلك، ومسارى التنظيمى يؤكد ذلك. أنا جندت فى ١٩٥١ وفى

١٩٥٥ أصبحت كادراً قيادياً مهماً رغم مواقفي هذه. ورغم موقفي من الوحدة، في موقفي من المنظمات الأخرى وأعضائها (فخري وأورليس وغيرهم) حصلت على العضوية، بعد واقعة الفصل للخطأ الأمني، بمجرد إعادة ترشيحي ظللت شهرا مرشحا ثم أعيدت العضوية إلى كعضو لجنة قسم مباشرة في شبرا الخيمة وكانت مهمتي تثقيفية - أكون مسئولا عن الدعاية في قسم شبرا الخيمة. وكان كفاحي في شبرا الخيمة هو تربيتي الحقيقية. وهو الذي أبرز الكامن في نفسي وفي عقلي الباطن من كلام أبي ومن الحرب العالمية الثانية والكلام الذي ذكرته في المقدمة ظهر كله في هذه المسألة لأنه كان لدى استعداد لشحذ ما يسمى بالحس الطبقي، الذي لا يكون - عادة - عميقا في فكر وسلوك المثقف العادي، والعمال كانوا شديدي الحساسية لهذه الصفة، ولكن تغير الحال بمجرد أن لمسوا تجاوبي وإيجابية رأيي في العمل النضالي. بعد ١٩٥٤ - ١٩٥٥ كنت قد أيدت بسرعة تغير موقف المنظمة السياسي الذي حدث بالنسبة لحكومة عبد الناصر عندما تبنت الحكومة سياسة الحياد، ثم مؤتمر باندونج، وأصدرت منطقة شبرا الخيمة منشورا بهذه المناسبة بمبادرة منها كتبته أنا حيث كانوا يسمحون لنا بإصدار مطبوعات محلية بدون رقابة مركزية سابقة، المركز يراجعها ويعلق عليها بعد صدورها. قسم الطلبة نفسه أصدر ملحقاً لمجلة المقاومة الشعبية. أصدرنا منشورا لتأييد مؤتمر باندونج وخاصة الاتجاهات الرئيسية المعادية للاستعمار في خطبة عبد الناصر وأبرزت في هذا المنشور التقارب مع الصين، وطلبت تثبيت هذه السياسة بالديموقراطية: إلغاء الحكم العرفي، الإفراج عن المعتقلين، دستور وانتخابات، وتجنب معاداة الشيوعية، والمسئول المركزي أيد المبادرة ومدحها، كان هذا منهجاً ثابتاً لدى قيادة المنظمة، وكانوا متشددين في الانضباط والأمن، ولكن ديموقراطيين داخليا وغير فرديين، وأصبحت مسئول تنظيم القسم بجوار مسئولية الدعاية وبدأ نمو كبير في شبرا الخيمة: من خمسة أو ستة. ثلاثة منهم لم يكونوا يستطيعون دخول المنطقة إلا لو سبحوا في الترعة التي تفصل بين شبرا مصر وشبرا الخيمة لأنهم لو عبروا الكوبري فإن المخبر - الحداد - كان يقف لهم على رأس الكوبري. أي أحد يمر يقبض عليه، وهذه الأسماء لابد أن أذكرها في شهادتي، حسن الساكت ومحمد عبد المجيد أبو سيف وعبدالعال البسطويسي وعلي عمار وقريب له

كان اسمه الحركى جمعة، كان مريضا بالسل ورفيق آخر اسمه الحركى جلال وكان من الطرق الصوفية وكان مريدا لأحد مشايخها، ومع ذلك كان رفيقا مناضلا. نكن له كل احترام وتقدير، وكنا نراعي مواعيده مع مشيخته عند تحديد موعد اجتماعاتنا وهذا يعطى مؤشرا على تلقائية أننا جزء من الكادحين، ويبين أن الفكر التقدمي الذى يفصل الدين عن السياسة هو الذى يوحدهم خصوصا أن تصرفنا كان بالطبع تلقائيا ومن ثم غير قابل للتشكيك فى مصداقيته.

الأشياء التي عاصرتها فيما يتعلق بالتربية التنظيمية: الانحراف الأخلاقى مثل تعاطى المخدرات كان يواجه بحسم لا رجعة فيه: الفصل النهائى ولا يعود مرة أخرى، كذا السلوك الأخلاقى مع النساء. المهم أنه بدأ النمو فى شبرا الخيمة، فمن ٥ أو ٦ خلال عام ٥٤ إلى ما يزيد عن مائة فى أواخر ١٩٥٥ فتحولت إلى منطقة كبيرة. أصبحت عضواً بلجنة منطقة شبرا الخيمة أيضا، وتوليت فيها أيضا مسئوليتى التنظيم والدعاية من خلال مكتبين يضمان أعضاء من لجنة المنطقة وأعضاء من لجان الأقسام. كنت المثقف الوحيد وسطهم لكن رفاق شبرا الخيمة قدروا دورى بشكل كبير جدا فى المنطقة بمساندتهم طبعا وأجمعوا على انتخابى ضمن ممثلى منطقة شبرا الخيمة فى مؤتمر طليعة العمال الذى عقد سنة ١٩٥٧ وفى هذا المؤتمر لم يرشحنى أحد لعضوية لجنة مركزية أو لجنة مركزية احتياطية ولم أرشح نفسي. خرجت منه أيضا عضو منطقة وكنت راضيا جدا عن هذا لأنى كنت صغير السن - ٢٣ سنة وأشعر أنه رغم مساهمتى فى كل النشاطات الجماهيرية السياسية والنقابية والعمالية فى منطقة شبرا الخيمة إلا أننى كنت أرى عدم تأهلى للقيادة العامة. وتعلمت أن المسئول التنظيمى هذا مثل رئيس الأركان يكون فى موقع المعركة. موقع العمليات النضالية وبطريقة ما ومنظمة جدا وسرية جدا أقوم بإجراء المقابلات اللازمة لخدمة المعركة وتنفيذ خطواتها فهذا جعلنى مميزا حتى أن بعض الناس من مناطق أخرى - خصوصا أقسام الطلبة كانوا - يقولون أننى ممثل اللجنة المركزية لطليعة العمال لكن الحقيقة لم يكن هناك تدليل، إنما كانوا يقدرون الجهد الذى أقوم به والجدية النضالية التى يرونها. مع ذلك كنت دائما أعتقد أننى بعيد تماما عن الصلاحية للقيادة المركزية وفوجئت بعد اتفاق الوحدة أن المرحوم حسن صدقى يستدعينى، وكان يمثل مكتب

التنظيم المركزى فى اجتماعات منطقة شبرا الخيمة وكان مسئول المنطقة فى هذا الوقت عوض الباز ومشرف عليها من المكتب السياسى فؤاد عبد المنعم وكان أحمد سالم عضو لجنة مركزية فى طليعة العمال، ولكنه يحضر اجتماعات منطقة شبرا الخيمة بشكل منتظم وكذلك محمد عبد الغفار.

ناداني حسن صدقي، قال إن الكونفرنس الذى ينتخب الأعضاء المركزيين من ع. ف. فى اللجنة المركزية فى حزب ٨ يناير انتخبوك من ضمن (١٤). كانت مفاجأة، وأتذكر أننى انزعجت جدا خوفا وا ستهوالا المسئولية علي. وأظن أن حسن استغرق معى حوالى ساعة أو ساعة ونصف أنهاها بنقد شديد لى نتيجة رد فعلى من هذا الاختيار. هذا هو المسار. هكذا لم أعانى أى نوع من أنواع الضغوط أو الاضطهاد بسبب موقفى من المنظمات الأخرى وكوادرها (أى الوحدة) بل كنت محل تقدير وتم تصعيدى بشكل سريع واختارنى الكونفرنس. الذى لم أحضره عضوا فى اللجنة المركزية لحزب ٨ يناير، وبهذه المناسبة فإن فخرى فوجئ جداً بمستواى التنظيمى حينما التقينا فى أول اجتماع للجنة المركزية للحزب (حزب ٨ يناير١٩٥٨).

ولكن بعد الانقسام تم تضييق اللجنة المركزية وأصبحت عضو ل.م. احتياطى، وبعد ضربة يناير ٥٩ عدت إلى اللجنة المركزية ومسئولا مركزيا لكل الصعيد نظراً لاعتقال الشهيد لويس اسحق ضمن الضربة.

إلى هنا أرجو من الدكتور فخرى لبيب والأستاذ رمسيس لبيب. المشرفان على شهادتى هذه أن يعاونا ذاكرتى بأسئلتهما.

أ. رمسيس:

هل كنت تجاهر بموقفك من المنظمات الأخرى والوحدة فى طليعة العمال؟

أ. نبيل:

طبعا، لأنه ما الغريب فى رأيى الذى يقول أن الزعم بأن الكل انتهازى خطأ والكل جواسيس خطأ لم يكن هناك أى نوع من أنواع الاضطهاد على رأى. لو اطلعتم على وثائق طليعة العمال ستجدون أن هناك أعضاء كانوا يكتبون إلى مجلة المنظمة بمثل تلك الاتهامات الموجهة لأعضاء المنظمات الأخرى وكان مسئولو تحرير هذه المجلات

يرفضون هذه الاتهامات ويرددون آراء شبيهة برأيي. وإضافة لما ذكرت خاصاً بالموقف مني: في ١٩٥٥ ذهبت إلى مدرسة كادر كتلميذ. وكان مدرس المدرسة أبو سيف يوسف (لم يكن أحد فينا يعرفه). قالوا لي انتظر هنا بعد رحيل المدرس وزملائك. وانعقدت مدرسة كادر مرة أخرى مدتها أسبوع (وكانت في مكان بعيد عن القاهرة) وجاء المدرس الآخر (كان حسين طلعت) . ثم قالوا لي انتظر، فانتظرت. وفوجئت بأنهم قالوا لي أنت المدرس؛ مباشرة أنت المدرس في المجموعة الثالثة؛ كان الهدف من المرة الثانية مع حسين طلعت هو اتقان طريقة التدريس واتقان أسلوب إدارة المدرسة. فالرأي في الوحدة أو حتى الاتصال السليم بأعضاء منظمات أخرى لم يؤثر في عمق الثقة النضالية.

أ. رمسيس:

ما موقف التنظيم من الوحدة ؟

أ. نبيل:

صبرك. خذ مثالاً آخر سنة ١٩٥٧ كنت عضواً قيادياً بمنطقة شبرا الخيمة وأيضا تم اختياري عضو هيئة التحرير المركزية لمجلة (كفاح الشعب) لسان حال حزب العمال والفلاحين الشيوعي المصري (أي طليعة العمال سابقا). وكان عبد الناصر أعطى تصريحات للصحفي الفرنسي اريك رولو مندوب ليبراسيون (ذلك الوقت)، تكلم فيه عن الأوضاع الداخلية والسياسية والمشكلة مع أمريكا ومع إسرائيل.

وباعتباري عضو لجنة التحرير، كتبت مقال رد. قلت فيه إن كلام عبد الناصر جيد فيما يتعلق بقضايا التحرير الوطني والموقف من أمريكا وإسرائيل، ولكنه خالف الحقيقة حينما قال بأنه في وقت العدوان سنة ١٩٥٦لم يضرب العمال وبعد أن انتهى العدوان وهزم لم يضرب العمال أيضاً، وهذا بسبب تأييدهم للثورة. ذلك لأن العمال لم يضربوا أثناء العدوان لأن النقابات التقدمية والقيادات اليسارية قالت لا نضرب الآن فكل الجهد من أجل دحر العدوان؛ وليس بسبب تأييد العمال لسلطة ثورة يوليو. أما بعد ذلك فهو بسبب الإرهاب المسلط على النشاط العمالي والتقدمي عموماً، ومع ذلك كان فيه إضرابات، ومواجهات في انتخابات النقابات. وفي اجتماع هيئة تحرير المجلة

المخصص لإصدار عدد ذلك التاريخ وكان فى بيتى (الهيئة تضمنى ومحمد عبد الواحد وعادل الضبع برئاسة حلمى بس)، وجدت حلمى بس، قد جاء ومعه مقال فى الموضوع. قلت له أنت كتبت فى هذا الموضوع وأنا كتبت. قال هات ما كتبت. فقرأته عليهم، فقال: هذا الكلام مضبوط تماما. وقال إن مقالته يمينية لأنها أغفلت جانب الصراع الطبقى، يعنى قدم نقداً ذاتياً، ونشرت مقالتى ومزق حلمى بس مقالته. هذا هو المنهج فى أى مشكلة مهما كانت كبيرة (الوحدة) طالما الانضباط موجود ودقيق.

ونقارن هذه الواقعة بأخرى شبيهة لها حدثت معى فى حزب ٨ يناير كنت بجانب أننى المسئول المركزى لمنطقة قنا وأسوان (قبل الانقسام ومنذ تأسيس الحزب) فإننى كنت عضواً فى مكتب الدعاية المركزى وعضو هيئة تحرير مجلة اتحاد الشعب لسان الحزب. وكان مسئول المكتب ورئيس تحرير المجلة سعد زهران كتبت مقالاً بمناسبة وحدة مصر وسوريا ركزت فيها على المفهوم الديمقراطى وبالتالى يحدد المقال موقفا رافضا تماما لفرض الحزب الواحد على سوريا، مطالباً بالعكس بأن نمط الديمقراطية الحزبية والجمهورية البرلمانية السورية هو الذى يطبق فى مصر. ناقشنى سعد زهران على أساس أن هذا الرأى يضر بالوحدة الوطنية وبالحلف الموضوعى القائم مع السلطة الوطنية التقدمية، وأن الأساس فى الديمقراطية هو الديمقراطية الاجتماعية وهى موجودة رفضت هذا الفكر وأصررت على مقالى فى اجتماع هيئة التحرير، كما حدث مع آخر فى عدد سابق، فنظر إلى سعد زهران بابتسامة وهز رأسه، وبعد رحيلى مزق المقال ولم ينشره. أظن الفرق واضح بين ممارسة طليعة العمال وهذه الممارسة. وبهذه المناسبة يهمنى أن أذكر ما يلى :

كان يشرف على من المكتب السياسى أ. محمود العالم ورغم إنسانيته ودماثته كان فى حالتى التى أرويها قليل الحيلة، ويشرف على من مكتب التنظيم المركزى عادل سيف النصر، ومن مكتب الدعاية المركزى سعد زهران، وفى البداية كنت والمرحوم المهندس إسحق باخوم فى أسوان ووليم زكى فى أسيوط - ثلاثة فقط - من ع.ف، وبقية العضوية حدثو. وظن البعض أنها كماشة من فوقى ومن تحتى؛ من فوق قطعوا عنى المطبوعات وأسباب المعيشة. ولكن من «تحت» كان قد حدث تحول،

فبالتعاون مع الرفاق أصدرنا مطبوعاتنا المحلية ولم يصلني رلقب الإحتراف الهزيل إلا ٣ أو ٤ شهور طوال العام ٥٨ كله، فأعاشني الرفاق. إن الوحدة بالمفهوم الماركسي الذي تعلمته أدت إلى أن فازت الحزبية النضالية هناك بالمرحومين الرفيقيين عبدون وسيد العطار ورفاقهم الذين لا ينسون وهزم الإرهاب الرسمي غير المبدئي. وسجل محمود العالم في المكتب السياسي إبان أزمة الانقسام أن منطقة جنوب الصعيد لم تتأثر بهذه الأزمة وهي الأولى في الحزب في النمو نضاليا وجماهيرياً وتنظيمياً، إذن تحطمت الكماشة بالمنهج المبدئي الصحيح.. فمن أين لي بهذا المنهج منذ اليوم الأول للوحدة؟

أ. رمسيس:

نعود لموقف المنظمة (طليعة العمال) نفسها من الوحدة؟

أ. نبيل:

لا يمكن الزعم بأن طليعة العمال كانت ضد الوحدة، فالوثائق تبين غير ذلك، إنها كانت ذات أسلوب متميز ومتشدد للوحدة فالتنظيم كان ضد الوحدة الفورية أو الاندماجية مثل أنواع الوحدة التي كانت تقودها حدتو مع بعض المنظمات الأخرى وبالتالي كان ضد وحدة الموحد وكان ضد وحدة المتحد. وكما يتضح من وثائق طليعة العمال منذ عام ١٩٤٧ دخلوا المفاوضات وحضروا اجتماع أو اثنين ثم قاطعوها.

لم يحدث أن قالت طليعة العمال بأنها ضد الوحدة. كانوا يقولون نحن مع الوحدة. لكن الوحدة التي تصفى الانتهازية. الوحدة على أساس ديمقراطي بمشاركة جميع الكوادر. أي أنه لا مانع من أن يكون هناك تنسيق مواقف، بشرط جديته وشفافيته وأن يتم بين القواعد في العمل الجماهيري ويكون هناك مجلة خاصة لنشر جميع الأفكار. (أي ما يسمى بالصراع الفكري)، الذي يدار على مستوى جميع المنظمات مع ضمان مشاركة جميع مستويات كل منظمة في الحوار والذي ينتهي في النهاية بإنتخابات وإختيارات وبلورة لأنواع الفكر، وتحديد دقيق وأمين لنقاط الاتفاق والخلاف.

و يجب ألا ننسى في هذا لمجال أن طليعة العمال هي نتاج الوحدة بهذا الأسلوب بين «د.ش.» ومنظمة حتش* حينما، ونجحت تجربتهما عام ٤٩، كما حاولت وحدة عمل مع قواعد حدتو، وقواعد التيار الثوري عام ١٩٤٧ ولكنها لم تستمر طويلا.

---

* د. ش. هو الأسم الذي عرفت به طليعة العمال في بداية الأربعينات من القرن الماضي، وحتش هو اختصار «منظمة حركة تحرير الشعب».

وأتذكر أن قسم الطلبة كان من الأقسام المناضلة فى طليعة العمال ومنذ سنة ١٩٥٥ تبنى القسم رأياً فى موضوع الوحدة لكنه انتهج منهجا طلابيا (كما كنا نسميه): الجلوس على المقاهى والتعامل مع زملائهم من المنظمات الأخرى وكشف أنفسهم لهم دون إذن. فاتخذت منهم إجراءات شديدة القسوة (حل القسم وتوزيع أعضائه لكن لم يفصل أحد). ولكن بعد ذلك (وبالمنطق القديم الذى كان سائدا) كانوا من أشد المناضلين فى الحزب الواحد ضد الانقسام وضد الانتهازية اليمينية، ويكفى أن أذكر مثالين منهم: الشهيد رشدى خليل والمرحوم عادل الضبع. كانا فى منتهى الصلابة فى مواجهة العدو الطبقى، فى منتهى الثبات فى مواجهة الانقسامية والتفتيت والانتهازية اليمينية. ومع ذلك اتخذت منهم فى ذلك الوقت إجراءات، لم تكن فصلا، لكن كانت حل القسم وتوزيعهم على أقسام أخرى لإعادة التربية. التنزيل أحيانا وأشياء مثل هذه، لكن لم يفصل أحد، بل تم نشر آرائهم فى الوحدة فى مجلة النشرة، وحينما نقدوا تصرفاتهم رفعت العقوبات.

وكان لهم مندوبون فى مؤتمر طليعة العمال عام ٥٧ والذى أعلنها «حزب العمال والفلاحين» وصوتوا ضد تقرير الوحدة المقدم للمؤتمر وكانوا معارضين لتحويل المنظمة إلى حزب ومع ذلك رشح عادل الضبع لعضوية اللجنة المركزية الاحتياطية وتم انتخابه. ورشحته قيادة الحزب (العمال والفلاحين).

أ. رمسيس:

عاصرت المفاوضات الأخيرة لوحدة يناير ١٩٥٨، وما أثير خلالها عن القياديين بحزب العمال والفلاحين ذوى الأصل اليهودى.. رأيك فى هذا الموضوع وما إذا كانت له آثار على الحزب (حزب ٨ يناير ١٩٥٨) بعد ذلك؟

أ. نبيل:

سأتناول فى البداية نهاية سؤالك قبل بدايته ألا وهو الأثر على حزب وحدة يناير ١٩٥٨. فالواقع أنه لا أنا ولا أنت ولا د. فخرى، ولا أى أحد سمع؛ ولم يتردد؛ أن استبعاد الثلاثة رفاق المعنيين أثر بأى شكل على فكر وممارسات كوادر العمال والفلاحين داخل الحزب الجديد، أو كانت له علاقة من قريب أو من بعيد على تطورات الأمور داخل ذلك الحزب.

نأتى لرأيى فى هذا الاستبعاد للسبب الذى ذكرته وهو أصولهم اليهودية. حقيقة يملؤنى الخزى وأنا أسجل على لسانى هذا التعبير الغث «أصول يهودية» إنه تعبير ليس مرفوضاً من منطلق ماركسيتى ولكن من منطلق حضارى صرف. انظروا: النظام الملكى عين قطاوى باشا «اليهودى» وزيرا لمالية مصر، والملك الحسن الثانى كان لديه فى المغرب وزراء (يهود) مغاربة، والحبيب بورقيبة عين ضمن مستشارية اثنان من اليهود التونسيين. قطاوى عيِّن لأنه مصرى، ووزراء الملك الحسن لأنهم مغاربة، ومستشارو بورقيبة لأنهم تونسيون.

أى درك انحط إليه أولئك الذين أثاروا هذه المسألة ووضعوها كشرط أساسى للوحدة!؟ ولا تعاتبنى على الحدة. فنحن بصدد شوفينية دينية لدى قادة «ماركسيين» إن الأمثلة التى أوردتها ترد فى حد ذاتها على مقولة «المناسبة السياسية» أو «الضرورة السياسية» أو «الحنكة».. إلخ كل هذه الأكاذيب أما من الناحية الفكرية المبدئية فالأمر لا يحتاج إلى نقاش. الأدهى من ذلك أنه من الواضح أن «أسلمة» حرب فلسطين - الذى بنى كلية على الخلط المتعمد بين الصهيونية والدين اليهودى - قد قدم مساهمة فعالة فى ضياع فلسطين. (وهنا نذكر بموقف الإخوان المسلمين ومفتى فلسطين)، بينما أنه - بعد هزيمة ١٩٦٧ - وحينما عادت حركة التحرير الفلسطينية إلى كتاب «فلسطين بين مخالب الاستعمار» وإلى التحليل الماركسى اللينينى للصهيونية كحركة امبريالية، ثم عكست ذلك فى تقديم نفسها إلى الرأى العام العالمى كحركة تحرير قومية.. فقد كسبت هذا الرأى العام وفازت باعتراف الأمم المتحدة بها وحظيت بما يسمى.. الآن «المشروعية الدولية».. وهل ينكر أحد أن الشيوعيين هم أصحاب هذا الأساس الفكرى والسياسى فى النظر لإسرائيل والمشكلة الوطنية الفلسطينية، وذلك من منطلق فكرهم المادى الجدلى والتاريخى؟ وكيف يستقيم ذلك مع المقولة بالغة التردى «ذوى أصول يهودية» ومع التحلل الزائف بالمراءمة السياسية؟ ويعلم الجميع أن: أحمد صادق سعد هو الذى كتب عن «فلسطين بين مخالب الاستعمار» قبل حرب فلسطين.. هل تتصوروا!؟ قبل الحرب محذراً بأن المخطط الاستيطانى قادم ويستهدف كل فلسطين.. «وفتح» بحثت عنه بعد هزيمة ١٩٦٧ لتحصل على نسخة من الكتاب كمرجع لإعادة الفهم. وريمون دويك هو الذى علم وربى كوادر من الإذاعيين الذين

ساهموا في غرس الانتماء الوطني لمصر وشعب مصر وتراثه، وأصبحوا علامة في تعبئة الوعى الوطني المستنير. ويوسف درويش: يكفى أن أقول أنه يحظى الآن باحترام وتقدير كل الأوساط المستنيرة فى الوطن - مصر. بينما يقبع الذين اشترطوا استبعاده فى عام ١٩٥٨ فى قبو الارتداد والتسليم. المسألة يا أستاذ رمسيس لم تكن لياقة سياسية أو حنكة سياسية. المسألة كانت تآمرية خائبة. لأن من اشترطها كان يعتقد أن هؤلاء الثلاثة هم عقل «طليعة العمال» فإذا ما استبعدوا فإنهم سيستولون على جسد بدون عقل. وانفضحت خيبة تقديراتهم سريعاً.. فتحولوا للأسف إلى التعبئة ضد كوادر طليعة العمال ككل، وإشاعة تقييمات مغلوطة حولهم وحول ممارساتهم لتبرير «هروبهم» هم من سطوة هذه الكوادر وبأسها النضالي والفكرى فى حزب وحدة ٨ يناير.

أ. رمسيس:

عاصرت الانقسام الذى حدث ١١٥٨ بعد وحدة يناير ما رأيك أو تقديرك لهذه المسألة

أ. نبيل :

أنا تربيت فى مدرسة تنظيمية كانت متشددة للغاية فيما يتعلق بقواعد المركزية الديمقراطية. نعم تكون هناك معارضة. وينشر لها ما تريد كله وتقول ما تريد، لكن هذه المعارضة لابد أن تلتزم بقرار الأغلبية، والخروج على ذلك سواء فى نشاط جماهيرى أو فى نشاط تنظيمى. فضلا عن العصيان. مرفوض تمام.

أ. رمسيس

من تدينه فى الانقسام الذى حدث ؟

أ. نبيل:

أدين بهذا المنطق القديم العصيان، أدين الخروج على القواعد التنظيمية بعمل تشكيلات موازية كاملة واتصالات موازية، أدين سرقة المطابع، أدين الامتناع عن دفع الاشتراكات، أدين بعثرة المداولات الحزبية بأسماء أصحابها على المقاهى أدين

كل هذا. وهذا ما قامت به حدتو. طبعا هذا بمقاييس وأفكار ذلك الوقت أما الان فلى وجهة نظر أخرى جديدة تماما.

أ. رمسيس:

ألم يكن موجودا في الجانب الآخر تكتل على حدتو؟

أ. نبيل:

لا ولكن أتذكر شيئا واحدا هو الذى أعتقد أنك تقصده. أن بعض كوادر العمال والفلاحين شعروا أن البعض من المكتب السياسي للحزب الواحد الذين يمثلون طليعة العمال. يواجهون الانقسامية بشئ اتفاقي لا مبدئي. قال سيف لا مانع لدى أن أعقد معهم اجتماعا أو أعلن أنني عقدت معهم اجتماعاً فدعا بعض الكوادر لاجتماع حضره حوالى عشرين شخصا من كوادر العمال والفلاحين. هؤلاء الكوادر كانوا مقتنعين بضرورة فصل العصاة على أساس اللائحة. وكنت من ضمن الحاضرين واعترضت أنا وسامى عجيب وأحمد سالم على عقد اجتماع أصلا، ولكن أبو سيف أكد أنه مسئول عن ذلك وأنه مستعد للإعلان عنه لأن نتائجه غير ملزمة وأنه دعا إلى عقده لإزالة مخاوف راودت المدعوين.

أ. رمسيس:

لكن في الواقع ؟!

أ. نبيل:

بالنسبة لجمهرة كوادر وعضوية ع.ف. لم يوجد تكتل أو اتصال جانبى فيما بينهم. أؤكد هذا أما في م. س. لا أعرف. بالعكس كان الاتجاه عندنا نحن الكوادر الذين اجتمعنا أن معظم كوادر حدتو. خاصة في الموحد. أقرب لنا من الراية. فلم نعرف إن كان ثمة اتفاق أم لا، وهذه حقيقة هامة نرد في حد ذاتها على مسألة تكتل الدفع للانقسام، وسيف أنكر في الاجتماع وجود اتفاق، وصدقنا، وأثيرت المسألة في المعتقلات بعد ذلك. كل هذا التاريخ مهم، لكن الأكثر أهمية الآن (بعد مرور هذا

الزمن الطويل الذى حدثت خلاله تطورات عاصفة) هو البحث عن الأسس العلمية للظاهرة المسماة بالانقسامية فى الحركة الشيوعية.

لازلت ماركسيا - لينينياً - بغض النظر عن وجود تنظيمات من عدمه - ولازلت شديد الاهتمام بالحركة الماركسية العالمية. ومثلى مثل غيرى من الماركسيين فإن موقفى هذا هو موقف منطقى مع نشأتى ومع ذلك التاريخ الطويل لتجربتى السابقة، لذلك كان من الطبيعى بعد انهيارات ١٩٩١ أن أعيد دراسة كل شئ من بداياته ومن أصوله الفكرية والسياسية سعياً للتوصل إلى الدروس المستفادة. وبالرغم من أن توثيق الحركة الشيوعية معنى بالواقع الفعلى لمعايشة كوادرها للتجربة، إلا أننى أرجو أن يسمح لى: وقد تجاوزت السبعين أن أسجل ضمن شهادتى خلاصة خبرتى فى مسألة الانقسامية هذه أو بصورة أدق خلاصة رؤيتى للأسس الموضوعية (من وجهة نظرى الحالية) التى يتعين أن تتناولها بها. وتتلخص هذه الرؤية فيما يلى:

أن كل الذى حدث فيما يتعلق بصراعات بين المنظمات الشيوعية وبعضها، وكل ما يتعلق بالوحدة، يجب أن يدرس بمنظور مختلف تماما. هذا المنظور يتلخص فى الآتى: فى المجتمع المصرى نجد أن الطبقة العاملة بالمفهوم الأكاديمى لم تكد أن تكون قد تبلورت بعد، فجزء كبير جدا لازال يرتبط بإنتاج الأرض أو بالإنتاج الحرفى فى البيت. أو يستخدم جزءاً من المسكن الشعبى الذى حصل عليه كمحل بقالة - أو يأخذ المسكن الشعبى ويحيطه بحديقة ويأتى ببعض الماعز أو الدواجن ليبيع فيها ويشترى، نضيف لهذا فإنه فى السنين الأخيرة أصبح الآلاف من حملة مؤهلات فنية محترمة عمالا. إذن تباين كبير. لازالت الطبقة العاملة مليئة بالإمكانيات. وستظل وستظهر وسطها اتجاهات تقدمية ويسارية ماركسية ولكن متباينة فى تفسيرها للواقع ومتباينة فى توجهاتها - على الأقل الآنية - بالنسبة للأوضاع الاجتماعية والسياسية بسبب تكوينها الحالى. ولا يفوتنى فى هذا السياق أن أذكر بأن العامل ليس هو من يلبس الأوفرول ويعمل بيده. إن هذا اجتزاء للفهم الماركسى: إن العامل هو من يعمل بذهنه أيضا وينتج فائض قيمة وهذا يؤكد حتمية تعدد النظر الماركسى وإذا كان هذا بالنسبة للطبقة العاملة، فكيف الأمر بالنسبة للبورجوازية الصغيرة وكيف الأمر بالنسبة للفلاحين. فإذا أضفنا المشكلة الوطنية فى ظروف الأربعينات وما ترتبت عليها من أثر

الاتحاد السوفيتى فى جذب حتى عناصر الطبقة الوسطى للماركسية فإن رؤية جديدة لابد أن تطرح نفسها علينا، هذه الرؤية تتلخص فى:

إن التعددية فى الحركة الشيوعية كانت طبيعية مع واقع المجتمع المصرى. وكان الشئ الصحيح الوحيد هو الاعتراف المتبادل بين هذه التعددية وعدم الدخول فى صراع وقبول جميع الأطراف لبعضها، والعمل المشترك فيما يتفقون عليه. ونحن بالضبط فعلنا مثل الثورة الجزائرية. ومثل الفلسطينيين. إن عدد القتلى فى الصراع بين الفصائل الوطنية الجزائرية أو بين الفصائل المسلحة الفلسطينية فيما بين بعضها البعض أو بينها وبين سوريا ولبنان والأردن، أكثر من عدد القتلى الذين قتلتهم إسرائيل فى فلسطين وفرنسا فى الجزائر. الجهد الذى استنزفناه فى الصراع الداخلى كانت خسارته أفدح بكثير مما وجه لنا من اضطهاد وضربات من السلطة.

هذه وجهة نظرى فى كل ما يثار، فيما يتعلق بالتاريخ الذى يسمى انقساميا، وهو ليس تاريخا انقساميا، إنما هو تاريخ تعددى. واليوم يناقش فى العالم كله أن توجد فى الحزب الواحد عدة منابر ويكون مسموحا بالتكتلات ومسموحا للمعارضة أن تجتمع وحدها، لكن تلتزم بوحدة العمل. هذا الشئ هو الجديد الموجود. فنحن افتقدنا المنهج. كما افتقدته السلطة السوفيتية بعد سنة ١٩٢٧ حينما افتقدت توجهها الرئيسى وهو ديمقراطية الشعب، وفاعلية سوفيتات العمال والفلاحين والجنود. نحن افتقدنا للحقيقة البديهية الجوهرية والمحورية ونسفناها، هذه الحقيقة هى أن المرء لا يمكن أن يكون اشتراكيا إلا إذا كان ديموقراطيا حتى النخاع. ومن باب أولى أن تكون الديمقراطية بيننا وبين بعض. نحن افتقدنا هذا ولذلك حدث ما حدث. ولذلك لو وضعنا هذا الأساس فإننا سنكف عن أن نلهث فى حوارى الحركة الشيوعية على أساس (حمتو) و (حدتو) و (راية) و (وطليعة العمال)، إنما ندرسه على أساس فكرى كامتداد للستالينية. حينئذ فقط سيمكن دراسة الخطأ والصواب فى فهم الحركة الشيوعية ككل للواقع المصرى وبالتالى الخطأ والصواب فى البرامج والنضالات العملية وأساليب تلك النضالات.

ولذلك فإننى أنبه بأن شهادتى فى هذا الشأن يجب أن تؤخذ من منظور حقائق قديمة وليس فكرا.

أقول لابد أن ندرس هذا التاريخ على أساس فكرى جديد. باعتبار أننا رفضنا التعددية امتدادا للفكر الستالينى بقوالبه الصماء: «لا شيوعية خارج الحزب»، «الحزب السوفيتى قائد الأممية»، و «الموقف منه معيار الموقف من مبدأ الأممية البروليتارية»، «قيادة الحزب للدولة والمجتمع بنص دستورى».

أ. رمسيس:

أنت قفزت لجوهر الموضوع: الانقسامية. ممكن نكمله بعد ذلك. لكن قبل ذلك أسأل سؤلا. لماذا فى طليعة العمال لم يحدث انقسام فى تاريخها كله؟ يمكن وجهت هذا السؤال ليوسف درويش وطه سعد والعديد من الزملاء. لماذا لم يحدث انقسام فى طليعة العمال؟

أ. نبيل:

هذا عصر الصراحة. ولابد للمرء أن يعترف بالحقيقة.

طليعة العمال ظلت فترة طويلة منظمة قليلة العدد، ولكن واسعة التأثير جماهيريا. ولا يمكن لأحد أن ينكر اتساع جماهيرية طليعة العمال أكثر من حدتو. حدتو كانت بارزة فى مجال المثقفين، وهم قالوا إننا كنا فاشلين بعض الشئ فى معاملة المثقفين (مثل عبد الرحمن الشرقاوى ورشدى صالح وغيرهم). ولكن فى الأوساط الشعبية كنا أكثر تأثيرا. وكانت توجهات طليعة العمال أكثر شعبية. ولنرجع إلى الوثائق لنرى كيف كان التأثير من خلال لجنة العمال للتحرير القومى شاملا من عمال الشحن فى الموانئ حتى عمال المحاجر فى الصعيد، ولنتأمل وندرس جيدا خبرة نضالها مع الطليعة الوفدية، وجمعها عشرات الآلاف من التوقيعات لتأييد يوسف المدرك كمندوب عمال مصر فى تأسيس الاتحاد العالمى للنقابات.

أ. رمسيس:

فى الطبقة العاملة. لكن وسط الفلاحين لا.

أ. نبيل :

من الذى قال هذا؟ فى فترة ما قبل عام ١٩٥٠ كان لهم نضال فلاحى يستهدف إقامة اتحاد للعمال الزراعيين وأصدروا مجلة (الفلاح). وبعد عام ١٩٥٠ كان هناك

نشاط وسط الفلاحين فى محافظة المنيا ووسط الدلتا، وعموما لا يمكن القول بأن أى منظمة كان لها دور فلاحى بالمعنى الحقيقي على النطاق القومى، مثل هذا الدور كان محدوداً للجميع . وهذا التأثير يجعلنى أقول إن ما حصن طليعة العمال ضد الانقسامية هو توجهها الجماهيرى الذى لم تترجمه فى حجم العضوية (وهذا خلل بلا شك) ولكنه زودها بمنابع أصيلة حقيقية فى ممارسة ديمقراطية داخلية . وهذا ما حماها من الانقسام. ولا يوجد سبب آخر.

أ. رمسيس:

يتمثل فى ماذا ؟

أ. نبيل:

المنهج الديموقراطى هو الأصل فى القرار. أعطيك مثالا: ذات مرة حدث خلاف بين اللجنة المركزية ومنطقة القاهرة حول التوجه فى انتخابات نقابة نسيج القاهرة وكان للمركز وجهة نظر والمنطقة والمكتب العمالى لهما وجه نظر أخرى. اللجنة المركزية لم تأخذ قرارا واجب التنفيذ، إنما عقدت كونفرنس، والكونفرنس أخذ قراراً ضد توجهات اللجنة المركزية ونفذ قرار الكونفرنس وكان خاطئا. وعلقت اللجنة المركزية بقولها: «نحن لسنا غاضبين، إنما هذا يجعل الزملاء يكتسبون خبرة، يجعلهم فى كونفرنساتهم القادمة يضعون منهجا للتفكير يأخذون فيه هذه الخبرة». حتى لم تقل يتبعونه أو ينصاعوا لقرارات اللجنة المركزية. لا «الكونفرنسات القادمة»، «هذه الخبرة تعطيهم منهجا لاتخاذ القرار الصائب». هذه هى ممارسة الديمقراطية داخليا. لهذا الحد. هذا هو الذى حمى طليعة العمال من الانقسام، وليس هناك أى سبب آخر.

د. فخرى:

من واقع معايشتك للتجربة هل ترى أن «طليعة العمال» كانت لديها قناعة بالوحدة رغم تواتر فكرة «الماركسى والمتمركس» بين صفوفها قبل الوحدة، وفكرة ضرب اليمين باليمين التى ترددت أثناء انقسام منتصف ١٩٥٨ ، ورغم اجتماع العشرين الذى دعا إليه الأستاذ أبو سيف يوسف وضم كوادر منكم لهم مراكز مختلفة ومن مستويات تنظيمية مختلفة فى حزب ٨ يناير. إنك تحدثت جزئياً عن ذلك ولكن للموضوع هام

رئيسى ويحتاج رداً بالوقائع خاصة مع تأكيدك على التقاليد الانضباطية المتشددة فى تربية كوادر العمال والفلاحين؟

أ. نبيل:

أنا أعلم أن الدكتور فخرى وافق على وتبنى فكرة ضرورة تصويب الأسس الفكرية التى نتناول بها التأريخ للحركة الشيوعية المصرية فالمسألة ليست «تاريخ انقسامى» وإنما هى مشكلة انجرافنا فى التحريفية والاجتزاء الماركسية الذى ساد الشيوعية العالمية فقصرت عقولنا عن إدراك حقيقة موضوعية بديهية ألا وهى حتمية التعددية الحزبية الماركسية.

ومن غير المنطقى أن نتوصل إلى أن المشكلة كانت فى عدم الاعتراف بالتعددية وليس فى الانقسامية (فارق كيفى بين النظرتين) ثم نستغرق وقتنا ونستنفذ مجهودنا الذهنى فى تحقيق: من الذى كان «وحدوياً» ومن الذى كان «انقسامياً»؟ ومع ذلك فإن الواقع ملىء بما يزيل الالتباس الذى يشير إليه دكتور فخرى حتى إذا نظرنا إلى هذا الواقع بمنظور واحد هو المنظور القديم.. منظور الوحدة والانقسام.

سبق أن قلت أن جمهرة كوادر حزب العمال والفلاحين (طليعة العمال) كانوا يعتقدون أن كوادر الحزب الموحد أقرب لهم من كوادر «الراية» خاصة فى الممارسة الجماهيرية (جانب فيها كان مشتركا) ثم فى الفكر بالنسبة لعدد مؤثر من كوادر الموحد. وقلت أيضا أن هذه الجمهرة كانت مجمعة على ضرورة بتر العصيان ولكن على أساس بنود اللائحة وليس على أساس اتفاقات ومن هنا انتقل إلى موضوع اجتماع بعض كوادر العمال والفلاحين فى ذلك الوقت، قلت أن أبو سيف يوسف هو الذى دعا لهذا الاجتماع، لأنه كانت هناك بلبلة كبيرة وسط العمال والفلاحين لأنه وإن كانت الغالبية الساحقة من عضويته وكوادره عارضت المنهج الذى تمت به الوحدة، وكانت مصرة على أن تتم عن طريق استمرار النقاش فى الخط السياسى والخطوط التنظيمية، وأن يفعل التنسيق ويصل إلى إنتخابات وتكوين ديمقراطى للحزب الجديد. لكن بعد الوحدة تحولوا إلى تمسك شديد بوحدة الحزب بالمنطق الذى تربوا به وهو أن أى خروج على قواعد التنظيم سيفتت الحزب. إذن يجب أن تواجه بعنف شديد جدا

وحدث تسييس لهذه العملية بأن أخذ فى الاعتبار الفكر السياسى فهذا أحدث «لخبطة». الناس فى الموحد أقرب لنا، وهؤلاء قادتهم هم الذين سيفصلون، وقادة ليست لهم جماهيرية وهم منظرو اليمين وهم الذين سيبقون، كلام يملأ الشارع الشيوعى حول اتفاقات علوية تمت. سيف الذى دعا للاجتماع، وقال سوف أقول إننى الذى دعوت للاجتماع لذلك هم قبلوا، والذى جعلنى أعرف ذلك. عندما حضرت أنا وسامى عجيب وأحمد سالم اعترضنا على عقد الاجتماع، وقلنا سيكون اجتماعا تكتليا. فقال سيف أنا أتحمل مسئوليته. أنا عضو لجنة دائمة، وأنا الذى دعيت لهذا الاجتماع. بسبب أن الحالة وسط كوادر طليعة العمال السابقين كانت ستساعد على تفاقم الأوضاع الانقسامية فى الحزب، فأنا ألم الموضوع وأنا أتحمل مسئوليته لأن المسألة حزب أو لا حزب، وغير مطروح الاتفاق بيننا على موقف أو قرار. المسألة كلها تنحصر فى مسئول يوضح بعض الأمور دون إلزام أو التزام.

لذلك لم يكن تكتليا، ولم نصل لقرار، لم تتخذ قرارات، ولم يكن رأسيا. كان الحضور عبارة عن اختيارات أنا مثلا دعيت بمناسبة وجودى فى القاهرة. وهناك نقطة هامة جدا أننا الذين حضرنا وحتى نهاية اللقاء لم نعرف أى شئ عما تم فى م. س ولم يتخذ اتجاهاً أو قراراً ليلتزم به زملاء طليعة العمال فى الحزب الواحد. لا. هى كانت مناقشة بين مجموعة. وكثيرون منها - لم يكونوا على علم بسبب هذا الاجتماع، ولم يذكر فى الاجتماع أى معلومات عن مداولات المكتب السياسى، وهذه نقطة هامة جدا. ثم إنه فى هذه المسألة الخطيرة تاريخيا بالنسبة لغالبية الكوادر الأساسية من العمال والفلاحين والتى تتعلق بتقييم ممارستهم، لابد من وضعها فى الإطار العام لسلوكهم منذ وحدة الحزب فى يناير ٥٨ وأثناء عملية الانقسام، ثم فى المعتقلات وحتى حل الحزب، ولنتتبع ذلك بوقائع يشهد عليها فخرى:

الشهيد لويس إسحق عضو ل. م. ومسئول مركزى شمال الصعيد، وأنا مسئول مركزى جنوب الصعيد، وسيد سالم مسئول مركزى وسط الدلتا. نحن فقط حظينا بتحية خاصة سجلها أ. محمود العالم فى اجتماعات م. س لماذا ؟ لأننا المناطق التى لم تستغرق فى الصراع الداخلى، وأعطينا هذا الصراع ظهورنا وكان همنا ممارسة النضال الجماهيرى والتوسع فى التجنيد. فهل كان هذا لحساب الحزب أم لحساب تكتل

مزعوم لطليعة العمال؟ وهل تم بأعضاء وكادر طليعة العمال أم بجملة عضوية الحزب.. حزب ٨ يناير؟.

أين التكتل هنا والأستاذ فخري يعلم من هم لويس وأنا والسيد سالم ومكانتنا بين كوادر ع.ف. ويعلم أنه في حالة السعي والحشد لاتفاق تكتلي فلابد أن نكون نحن الثلاثة من المدبرين والمنظمين للعملية، ويعلم أن هذا لم يتم.

وحينما رد أ. محمود العالم على كلمتي في ل. م. التي أيدت فيها فصل العصاة على أساس لائحي فإنه قال بالحرف: أن كلام الرفيق ينم عن إخلاص حقيقي للحزب ولوحدته.. ولكن كيف؟ ثم عرض لوجهة نظره من خلال كيف؟

والأستاذ فخري، بل وكل قيادة حدتو نفسها يعلمون تماما أن أحدا لم يتصل بي في أسوان، ولتني منذ أول لحظة لممارستي مسئوليتي كنت وآخر فقط من ع.ف. في المنطقة لفقلت مسألة العد والحصر، ثم أن من قام بالتعبئة ضدي حتى قبل وصولي بهدف «تطفيشي» هما أحمد خضر ومحمد عباس فهمي، اللذين اتصلا عدة مرات من وراء ظهري بالصديق العزيز العظيم الراحل عبدون ولكن الرجل من واقع ما لمسه في منهجي النضالي والحزبي وتحملي معاناة حجب المطبوعات وراتب الاحتراف قام بطردهم وحذرهم من معاودة لعبتهم ورد عليهم بأنه فضح هذه الاتصالات في محضر جلسة لجنة المنطقة وكشف العدد الحقيقي للعضوية فطلبت على الفور في المنطقة أن يوافق الأعضاء على شطب الفقرة الخاصة بالعدد وطرحت ما إذا كانوا يوافقون على استمرار الرفيق الآخر (ع. ف.) في المنطقة أم ينزل للمستوى الذي يرونه فأصروا على استمراره.

هذه الوقائع تثبت بأن تحرك قيادة حدتو في حزب ٨ يناير مدبر ومبيت.

ثم الجميع يعلمون أنه فور صدور بيان للمكتب بشأن الوحدة المصرية السورية أنا الذي أرسلت إلى مجلة الحياة الحزبية دراسة ترفض هذا البيان على أساس أنه علميا لا توجد قومية عربية. وكان الذي صاغ البيان المرحوم د. فؤاد مرسي، فاتهمت البيان باليمينية لموافقته على الوحدة مع «التحفظ» بشأن «أسلوبها»، واعتبرت أن «الأسلوب» أي قضية الديموقراطية هي الأساس كما سبق وذكرت وبعد ذلك صدر تقرير المكتب

الدائم حول الاتحاد القومي ودار حول إمكانية تحويله إلى جبهة وطنية، فهاجمته في مجلة الحياة الحزبية بعنف بدراسة مطولة حول الجبهة الوطنية على أساس أنها لا تقوم مع البرجوازية إلا بمحاصرتها جماهيريا بالمحور العمالي الفلاحي، فهي لن تسمح بأن يتحول حزبها إلى قوى خارجها. وكان كاتب تقرير المكتب الدائم هو أيضا أ.د. فؤاد مرسي رحمه الله مع محاولة بعض التعديلات من أ. أبو سيف يوسف.

ويعلم الجميع أن كوادر ع.ف. صارعت في الحزب الجديد على أساس ما تعتقد أنه الصحيح حزبيا في السياسة والتنظيم. في السياسة ضد ما كانت تسميه التحريفية اليمينية، وفي التنظيم بمواجهة العصيان على النظام الحزبي ببذر العصاة، لم تكن اتفاقات ولم تعلم باتفاقات، وممارسات كوادر طليعة العمال كانت مبدئية وصادرة عن قناعة كل منهم منفرداً.

وعلى أي الأحوال فإنني أكرر بأنني أسرد الواقع هنا بالمنطق القديم، ولكنني حاليا لا أدين حدتو، إنها كحزب لها فكرية خاصة، ولها تفسيرها الخاص للماركسية وتطبيقها على الواقع المصري، ولها تقاليدها التنظيمية الداخلية الخاصة ووجدت منذ اليوم الأول أنها ستكون في حزب ٨ يناير أقلية، وحسب لائحة هذا الحزب فإن الأقلية ستخضع في ممارستها السياسية والجماهيرية والتنظيمية للأقلية، أي أن حدتو ستحل، ورفضت أن تحل، هذا حقها ديموقراطيا كحزب. نعم من حق كل حزب أن يحافظ على استقلاليته وتميزه الفكري والسياسي والعملي، إن موضوعية الواقع الاجتماعي للجماهير التي كنا نتوجه لها في ذلك الوقت (نحن وهم) يتسق تماما مع هذه الحتمية في الاستقلالية الحزبية آنذاك.

أما ما لا أوافق عليه حتى الآن أن يتم ذلك بسرقة المطابع ويكشف كل الأسرار في الشوارع، الأمر الذي لو أضفنا له مسألة العد والحصر هذين الأمرين جعلا من وحدة ٨ يناير كارثة أمنية للجميع.

أ. رمسيس:

لم تتناول مسألة أن قيادات طليعة العمال لم يكن لديها قناعة بالوحدة كما قال فخري.

أ. نبيل:

لابد أن نفرق بين شيئين بين القناعة بالوحدة وبين الخوف من مصير الوحدات الاندماجية، بل وتوقع هذا المصير والاعتقاد بحتميته ومن ثم رفض نمط الوحدة بالاتفاق العلوى، الكوادر كلها والعضوية مقتنعون فكريا (ومن الواقع) بأن الوحدات الاندماجية والاتفاقية مصيرها مزيد من الانقسام، حتى رفعت السعيد فى كتبه قال هذه الحقيقة فى الوحدة التى أسست حدتو قال إنها تمت بدون مناقشة أمور سياسية أو تنظيمية كل هذا تأجل، ولذلك أدت لانقسامات. قالها بالحرف الواحد.

فهنا المسألة كانت تمسكاً بالطريقة التى بدأت بها محاولة الوحدة الأخيرة سنة ١٩٥٦ وبأن تستمر، وكان قد بدأ يحدث فيها نضج فعلا. وبدأ كل تنظيم يقدم خطه السياسى فعلا (يعنى المتحد ونحن) إلى مكتب التنسيق المركزى وتناقش الخطوط، وتم نشرها وتوزيعها، وأوشك إصدار مجلة حوار لنشر الآراء المختلفة فيها، وكان ينبه على أن تكون المناقشة بأقصى قدر من الموضوعية. وبدأ يحدث استقطاب - فى رأيى - خلال فترة صغيرة (أربعة أو خمسة أشهر). كنت فى لجنة تنسيق شبرا الخيمة وكان معى الشهيد عطية الشافعى، وكان هناك آخران. وصلنا فى نهاية التنسيق إلى أن الآخرين كانا يختلفان مع الشهيد شهدى ويتشاجران معه أكثر من اختلافهما معى. وتحضرنى واقعة طريفة، كنت أركب معه الترام وأناقشه فى مسألة منطق الوحدة والصراع مع السلطة الوطنية ومقارنة هذا بالمنهج الخاص بتكتيكان للثورة، فهل نسير بالثورة الوطنية لنقلها إلى سلطة جديدة أم نسير حتى البرجوازية فحسب فنظر لى ولم يرد على موضوعيا وإنما قال «أنت رفيق تحفة»، بينما نظر إلى رفيقيه (من الموحد أو المتحد) واعتذرا عن هذا التعليق وعبرا عن تأييدهما لفكرتى.

كنا فى الممارسة العملية بدون المركز نرى ثماراً لما يمكن أن نسميه الوحدة الديمقراطية وليس الاندماجية أو الفوقية فلا نستطيع أن نقول أن هذا اتجاه ضد الوحدة. لازلت أعتقد بأنه ليس اتجاها ضد الوحدة بالعكس أعتبر حتى - من منظور التعددية - أن هذا هو اتجاه الوحدة الصحيح.

فى مسألة ماركسى ومتمركس يجب أن نفرق بين القيادة المركزية كأغلبية فى طليعة العمال وجمهرة الكادر وبين أفراد (لهم تأثير - أى نعم) ولكن قليلين ولم يكن

اتجاههم غالب لأنه حدث تغيير كبير جدا منذ سنة ١٩٥٠ وما بعدها فى قيادة طليعة العمال فلا نستطيع أن نأخذ رأى فرد أو اثنين لهم شهرة خاصة ويترتب على ذلك تناقل أى كلمة منهم ونعتبره الاتجاه الرسمى الغالب واتجاه الجمهرة ونقول إنه موقف المنظمة - هذه هى الفكرة.

ثم أن هناك اتجاها فى حدتو ينطبق عليه هذا الوصف ففى وثائق طليعة العمال توجد رسالة من مارسيل إسرائيل إلى د. رفعت السعيد تعليقا على كتب الأخير حول تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر، وأورد مارسيل فى رسالته فقرة من كتاب ألفه أحد أصدقاء هنرى كورييل عن حياة وفكر كورييل، وكان تأليفه لهذا الكتاب ونشره بمناسبة إحياء ذكرى كورييل بعد اغتياله، هذه الفقرة يقول فيها كاتبها إن كورييل كان ماسونيا ولم يكن ماركسيا على الاطلاق .يترتب على ذلك حقيقة موضوعية يمكن الاطمئنان إليها وهى أن مدرسة كورييل متمركسة وأن هذا ما يفسر كثرة الانقسامات عليها حينما يكتشف زعماء تلك الانقسامات هذه الحقيقة.

ومع ذلك فإننى أعود وأكرر مؤكدا على فكرتى عن موضوعية التعددية الماركسية التى توصلت إليها بفهمى للمنهج الماركسى فى تحليل الواقع الاجتماعى فى مصر، وواقع الطبقات الكادحة - العاملين - على وجهة الخصوص.

إننى أعتقد بأن الاتجاهات الرئيسية فى الحركة الشيوعية المصرية نشأ كل منها كحزب له خصوصيته الفكرية الكاملة فى السياسة والتنظيم والتوجه الجماهيرى، وبالتالى لم تكن المشكلة منذ البداية مشكلة وحدة، بل - فى الأساس مشكلة اعتراف ديمقراطى متبادل بالتعددية، والتعامل فيما بين هذه الاتجاهات على هذا الأساس سواء تعاونا أو نقدا.

وسأعود إلى حدثين وقعا عشية وحدة يناير ١٩٥٨ لهما دلالة حاسمة فى إثبات فكرتى هذه، وللأسف فإن هذين الحدثين لم يدخلا دائرة التحليل لمغزاهما من قبل ومعرفة معظم الباحثين فى والدارسين لتاريخ الحركة الشيوعية المصرية:

الحدث الأول: هو مؤتمر طليعة العمال فى عام ١٩٥٧ والذى حولها إلى حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى، ولن أتعرض فى هذا الموضوع للدعايات

المغلوطة وغير الصحيحة التي تتهمت عقد المؤتمر بأنه عملية تكتلية سابقة للوحدة أو أن الهدف منه التعبئة ضد المنظمات الأخرى لأن الكتاب الوثائقي الذى أصدره الأستاذ أبو سيف عن طليعة العمال يرد وثائقيا على هذه الدعايات. لكن ما يهمنى هنا هو أثر المؤتمر ونتاجه الفعلى ذو الدلالة الحاسمة التى أشرت إليها.

صدرت وثائق المؤتمر "خطة سياسية، ولائحة، ثم أضيف إليها مؤخرا "تقرير عن الوحدة (وألحق بالتقرير الأصلى حول تحويل المنظمة إلى حزب)، أقول صدرت هذه الوثائق فى فترة انطلاق غير مسبوقة لطليعة العمال. كنا فى الشوارع نتسلم خلايا المرشحين الذين تم تجنيدهم ندرس معهم الخط السياسى واللائحة وبعد موافقتهم نبدأ معهم اجتماعات (وهم مرشحون) لدراسة وثائق المؤتمر بمحضر جلسة مكتوب، وتتطلب الدراسة للوثائق التعرض لموضوعات نظرية، ويسجل فى المحاضر ملاحظات الخلية، ذات الأمر فى خلايا الأعضاء ولكن فى هذه الأخيرة ينتهى التصويت بانتخابات مندوب أو مندوبى الخلية فى مؤتمر القسم، ثم ذات الأمر فى الأقسام، وفى المناطق، مجلة النشرة بها صحوة وانتظام غير مسبوقين، تنشر ملخص محاضر الجلسات (مرشحين وأعضاء وأقسام ومناطق) وتركز على الملاحظات والانتقادات، ثم تشير إلى الأخذ ببعض هذه الملاحظات. هنا مجموع العضوية والكادر هو الذى وضع وثائق المؤتمر. كل هذا تم فى سرية ناجحة لم تتسرب فيه شبهة لا للسلطة أو للمنظمات الأخرى، وأى شخص عادى بمكنه أن يرتب على هذا العمل الخطير وغير المسبوق نتيجة أساسية لا جدال فيها ألا وهى أن مراحل مؤتمر طليعة العمال منذ عام ٥٦ وحتى عام ١٩٥٧ أوجدت فى المجتمع المصرى، وأكرر فى المجتمع المصرى، كتيبة موحدة فكريا؛ على قناعة عقلانية حتى النخاع بهذا الفكر لأن مجموع أفراد هذه الكتيبة هم صانعوه بأنفسهم، أى أوجدت حزبا متماسكا بقوة وعمق، لا يحتاج أفراده لاتصالات جانبية أو تكتل. ...فكل منهم أعد كمقاتل فى المجتمع معرض للعزلة فى أى موقع وعليه المبادرة والاستمرار فى النضال.

مثل هذا الكيان لا يمكن تصور أنه سيذوب فى أى كيان آخر، هو ببساطة سيناضل حتى الموت لكى يستمر :لا كأفراد وإنما كفكر ومنهج وأهداف. وهذا ما حدث من الغالبية الساحقة لهذا الكيان حينما رفضوا تحول بعض قادتهم إلى ما اعتبروه اليمين،

ذلك رغم حبهم واحترامهم لهؤلاء الزعماء، وهذا يفسر لماذا كان أفراد هذا الكيان، ودون أى تعبئة أو اتصال عرضى أو طولى أو أيًا كان، هم القوة الرئيسية الضاربة فى مواجهة ما أسميناه بالتحريفية أو بالانتهازية اليمينية. إذن هنا حزب له خصائصه ومقوماته المتميزة وفى رأيى أنه، ديمقراطيا، كان يتعين أن يظل هكذا، ومن حقه ذلك.

والحدث الثانى: هو انتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧ فى دائرة العباسية، حيث كان يوجد مرشحان، مرشح الحكومة عبد العزيز مصطفى، ومرشح الشيوعين د. عبد العظيم أنيس، وكان يوجد أيضا نظريا حزبان شيوعيان: العمال والفلاحين، والمتحد (وحدة الموحد والراية)، ولكن فى هذا الحدث شديد الخطورة اتفق العمال والفلاحين والراية على تأييد د. عبد العظيم أنيس ولنلاحظ اتفاق ع.ف. والراية وتبخر ما سمى بالحزب الشيوعى المتحد، وأيد الموحد (عمليا حدتو) عبد العزيز مصطفى مرشح الحكومة. ودار صراع مرير بين الجانبين صراع فى الشوارع، وسط الجماهير، هذا الصراع له لدى كل طرف شعاراته ولافتاته وبرامجه وأساليب عمله فى تعبئة الجماهير واستقطابها. ...الخ..... ولم يحسم هذا الصراع إلا بتدخل دموى للسلطة لصالح مرشحها ومرشح حدتو فى ذات الوقت.

ألسنا هنا أمام ثلاثة أحزاب متميزة، اتفق أثنان منها على موقف، واختلف الثالث معهما ؟ وهل يختلف اثنان على أن وحدة هذه الأحزاب بعد ذلك الحدث بأسابيع هى أقرب إلى المسرحية الهزلية أو العبثية لا جد فيها؟ وأليس مما يتسق والفكر العلمى أن تلك الوحدة ما إن تتم وإلا سيبدأ كل حزب فى البحث عن الانفصال والاستقلالية؟ وإذا كنت، بناء على ما سبق، أعتقد بأن وحدة ٨ يناير هى نتاج عدم استيعاب المنهج الماركسى السليم فى تحليل الظواهر الاجتماعية والسياسية، فإننى بالتبعية أعتقد أن اجترار المواقف السابقة من زاوية الانقسامية والتكتلية هو مضيعة للوقت، وأن الحديث عن مسئولية الدفع للانقسام هو نوع من الطوبرية.

فى كلمة، وبالرغم من أننا بعيدون عن التأثير، وليس لنا دور من أى نوع، إلا أنه يتعين أن نكون على المستوى البحثى قد استوعبنا الدروس، واهتدينا للحقائق وعلى الأقل أصبحنا ديموقراطيين بشفافية واقتناع حتى لنا مصداقية فى نقل الخبرة.

أ. رمسيس:

ما هو رأيك فى منظمات الحركة الشيوعية المصرية الرئيسية؟ يكفى الاتجاهات العامة لهذا الرأى.

أ. نبيل:

فى رأيى أن التوجه الفكرى وانعكاساته فى المواقف السياسية لطليعة العمال ولطليعة الشيوعيين وللنجم الأحمر والنواة، كانت جميعها متقاربة وهى الأقرب إلى الصحة بالنسبة للواقع المصرى. والاتجاه المعاكس هو اتجاه الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى. فى رأيى أنه كان اتجاهاً متخبطا ويمينيا وبه بذور ارتدلا قوية جدا، وهذه البذور استمرت وتزايدت وحتى الآن. فإنكار الماركسية على لسان رفعت السعيد مؤخرا، هو الامتداد الطبيعى لكوريل ولخليل وهذه المجموعة. إن دراسته المعنونة «سلفية الماركسية» لا تحتاج إلى تعليق. ولكن حدتو تأسست ونشطت برايات ماركسية.. هذه مسألة هامة جدا وتجاهلها سقطة لا تغتفر، لأن هذه الرايات أعطت النضال الوطنى والشعبى تراثاً سيبقى. لجنة الطلبة والعمال مثلاً، ثم أعطته كوادر عظيمة محببة من أمثال الرفيق الشهيد زكى مراد، والرفيق المعلم محمد على عامر، والصديقين اللذين أدعو لهما بالصحة المهندس فوزى حبشى والأستاذ عريان نصيف. كما أعطت الثقافة المصرية ذلك الزخم التقدمى فى أشعار كمال عبد الحليم وسمير عبد الباقى وفؤاد حداد وأدب يوسف إدريس وغيرهم. ولا ننسى التضحيات والشهداء من صفوفها مثلها مثل كل المنظمات الشيوعية الأخرى.

للأسف الشديد ليس لى تجربة مباشرة مع الراية تجعل لى وجهة نظر فيها الأمر الذى يجعلنى لا أدخل بعمق فى تقييم فكريتها. وفكرتى العامة إن للراية هى مجموعة ماركسية كونتها مجموعة شديدة الذاتية. اعتمدت على صلة فردية مع كادر أو اثنين من الحزب الشيوعى الفرنسى، وليس قيادة الحزب الشيوعى الفرنسى؛ وكانت مجموعة شديدة الانتظام، وأنه «لا شيوعية خارجها»، شديدة المحدودية فى تأثيرها الجماهيرى، لكن شديدة النظام فى مطبوعاتها وهذه مسألة سهلة جدا ولا تعبر عن شئ. معظم نشاطها كان وسط الطلبة، وطلبة مسيحيين فى الأغلب، وعموما من رأيى

هى مجموعة ماركسية ضمن فكرتى عن التعددية والاعتراف المتبادل. لكن لأفيمها كاتجاه فكرى هى تخبطت بين اليمين واليسار، تخبطت كثيرا، لكن اتجاهها الرئيسى كان يمينيا؛ لأنها منذ زمن كانت تقبل التحالف مع الإخوان المسلمين فى الوقت الذى كانت تأخذ موقفا عدائيا من الوفد، أى أنها منذ أوائل الخمسينيات اتخذت ذات موقف حدتو فى منتصف الأربعينات ولكن يجب ألا ننسى أن الراية عرفتنا وأمدت الشيوعية بكوادر عظيمة من أمثال الهلالى وفرنسيس كيرليس وسعد الطويل وشكرى عازر وثريا أدهم وفاطمة زكى وغيرهم، كما كان لها صلة ضعيفة بعمال عنابر السكة الحديد ببولاق ولكن بعناصر جيدة. ولكننى أعول كثيرا على الموقف من الإخوان المسلمين. قرأت خطبة للينين فى المؤتمر الثالث والعشرين للأممية وعلى هامش المؤتمر عقد مؤتمر للأحزاب الشيوعية لشعوب الشرق. فنظر إلى ممثلى أحزاب شعوب الشرق الأوسط. (سوريا والعراق وفلسطين) ـ وقال لهم: أنبهكم ضد الاتجاهات الإسلامية فى حركة الكفاح ضد الاستعمار عندكم. لأن هذه الاتجاهات سيصب نشاطها فى نهاية الأمر فى جيوب المشايخ، هؤلاء خارج الحركة الوطنية والإخوان المسلمين بنشأتها فى السفارة البريطانية وعلاقة حسن البنا بمستر إيفانز المستشار الشرقى لتلك السفارة معروفة، ومن بدايات نشاطها كان حرق كنيسة السويس فى مواجهة وحدة الهلال والصليب منذ عام ١٩ وحتى الأربعينات. وهى التى استحدثت فى الحياة السياسية المعاصرة ما يسمى «الأمة الإسلامية» لتهميش بل وتطمس حقيقة أن الأمة هى القومية، وبالتالى تهمش النضال من أجل استقلال الأمة المصرية ـ الكيان القومى الملموس للشعب؛ ومن أجل تقدم هذا الكيان وتطور الأوضاع به لصالح كادحيه (الصراع الشعبى ضد الذين يستغلون ثروات الأمة لتصب فى جيوبهم). ثم بعد ذلك يأتى من يقول وحدة أو تحالف مع الإخوان المسلمين هذا طبعا ليس مجرد علامة على اليمينية، إنما هذه علامة على تردى انتهازى يمينى لا نهاية له. إن وجهة نظرى فى هذا الشأن تتلخص فى رفضى المبدئى القاطع لتسييس الدين ولأن يصبح للدولة دين، فذلك معاكس للحضارة وارتداد إلى ما قبل الرأسمالية ومن ثم حائل دون أى تقدم. ولنسأل لنفسنا هل كانت آفاق التقدم الديموقراطى أمام الشعب الإيرانى مثلاً أوضح وأيسر إبان حكم الشاه أم الآن فى ظل حكم آيات الله؟! إن تقييمنا للموقف من منظمات الدين السياسى السلفية يتعين أن يكون حاسماً.

أما بالنسبة للخطوط الفكرية التى عالجت المواقف من منظور الانحياز للكادحين فكانت دائما تأتى فى المواقف والمبادرات التى لكوادر طليعة العمال والنواة والطليعة الشيوعية والنجم الأحمر أتحدث عن جمهرة الكادر. فى رأيى مثلا عندما نأتى للحزب الواحد، فإن أرقى تحليل وأقربه إلى محاولة تحسس الواقع المصرى (الذى لم نستوعبه حتى الآن. لا تاريخيا ولا علميا) هو ما ورد فى خطة مايو ١٩٥٩ لا قبل ذلك ولا بعد ذلك، ولا من طليعة العمال ولا من أى منظمة منفردة، لكن خطوط طليعة العمال والنواة والنجم الأحمر وطليعة لشيوعيين هم وكوادرهم هى التى أفرزت خطة مايو وليس اتجاها واحدا. هذا الاتجاه الذى كان من الصنف أن كوادره هى التى تولت مهمة قيادة الحزب بعد ضربة يناير وضربة مارس ١٩٥٩. كان هذا نتاجها، وكان أقربها لتكييف الواقع المصرى فى ذلك الحين. وكان من المفروض لكل التحليلات التى تأتى بعد ذلك أن تنبثق وتتأسس على هذا التحليل. وهذا ما اتبعته شخصياً فى أبى زعبل حينما كتبت التحليل الذى أقرته قيادة المعتقل كما هو لإجراءات التأميم فى يوليو ١٩٦١، والتى انتهت فيه إلى أنها تأميمات رأسمالية، ولتأمين النمو الرأسمالى، وسيحصل الرأسماليون على فائض قيمة العمل من خلال الحد من العام لفائض القيمة. (حسب تعبير لينين).

أ. رمسيس:

لم يذكر أحد خطة مايو أبدا فى أى شهادة

د. فخرى:

فى كتابى أنا. ظللنا نتذكر عناصرها الرئيسية أنا ونبيل.

أ. رمسيس:

فى الشهادات؟

د. فخرى: (توضيح)

لا. فى الشهادات لا. وكتبنا عرضاً لخطة مايو مع نبيل، عندما ظللنا نتذكر. لكن هى فيها فكرة احتكار. هذه هى التى نسيها نبيل، ولكن على العموم كلينا شارك فى الخطة.

أ. نبيل:

فى هذا السياق دعونى أطرح: عندما يقول لى أحد «بنك مصر» هو الثورة ، و«الثورة هى بنك مصر» . و«الثورة لا يمكن أن تستغنى عن أحمد عبود باشا» ـ هذه خطبة جمال عبد الناصر ـ عندما يقول ذلك ويصدر قبلها قانون ١٩٥٥ للاستثمار. فإن القول بأنه اشتراكى يصبح ادعاءاً كاذباً بدون البحث فى المبررات الفكرية المفبركة.. أى تكفى فقط المعايير الأخلاقية؛ ألا يثبت ذلك أهمية خطة مايو ١٩٥٩؟

حتى التأميمات، رأيى أن الفكر القديم للمنظمات المنفصلة: طليعة الشيوعيين وطليعة العمال والنجم الأحمر والنواة ـ هى التى أوصلتنا فى أبو زعبل لأفضل تحليل للأوضاع الطبقية ولتكييف التأميمات التى قام بها عبد الناصر والذى كتبته أنا ـ والتى يكملها ـ حقيقة ـ الدراسات والتوجهات التى انتهى إليها المرحوم رجائى طنطاوى فيما يتعلق برأسمالية الدولة والبيروقراطية الرأسمالية.

أ. رمسيس:

أكملها بعد ذلك أم أيامها ؟

أ. نبيل:

بعد الإفراج قبل الحل وبعده، ولكنها تبلورت لديه قبل مرته بسنتين أو ثلاثة

د. فخرى:

صادق سعد كان قد تكلم فى رأسمالية الدولة البيروقراطية.

أ. نبيل:

تكلم فيها، أيضاً ـ بخلاف صادق ـ رديع ساويرس وحمدى عبد الجواد لكن كانت إرهاصات، الذى بنورها كاملة على بعضها رجائى طنطاوى حتى وهو على فراش الموت. اتصل بى، وقال لى، هل تتذكر كلامنا عن رأسمالية الدولة البيروقراطية؟ كان قد حدث انهيار الاتحاد السوفيتى، قلت له هذا كلام هام جدا، وهو كلام الساعة الآن. قال لى: مر علي، ولم أتمكن من فعل ذلك للأسف، الهجوم الشديد الذى تعرض له هذا الفكر، ومحاصرته من قبل المراجعين مستغلين عوامل ثانوية بعد الإفراج:

الضيق الذى يمر به الناس والتهديد بالاعتقال مرة أخرى، كل ذلك أدى إلى سيادة فكر مراجع بالكامل. فكر غير ماركسي- فكر تابع للبرجوازية ولما سيطر هذا الفكر، فلابد أن يحل الحزب. الشئ المنطقى مع هذا الفكر المراجع عن التوجه الاشتراكى للسلطة هو: لماذا حزب شيوعى؟ لا داعى له. ولماذا كفاح وسجون ومعتقلات؟ ما علينا إلا أن نندمج و «نصلفو» الاشتراكية المنحرفة قليلا واللى تطرفت أحيانا فأممت حتى المخبز والمحل الصغير. هذا هو الموضوع.

أ. رمسيس:

المراجعة جاءت فى شهور قليلة أو فى فترة قليلة بعد الخروج ما الذى جعل هذه المراجعة تكون شاملة وتكون حاسمة من وجهة نظرك؟

أ. نبيل:

هناك عوامل ثانوية خارجية سهلت هذه العملية، ثم أنها لم تكن سريعة فعواملها والسعى إليها بدأ من أول يوم فى حياة حزب ٨ يناير. الانقسام، ثم فى المعتقلات.

أ. رمسيس:

يعنى القيادة التى كانت تقول احتكار وإسقاط و التى كانت تقول برجوازية وطنية. بعد أن خرجنا بشهور قالت اتجاه نحو الاشتراكية.

أ. نبيل:

كلهم كانوا من الداخل هكذا وكان هناك اتفاق.

أ. رمسيس:

كان هناك اتفاق؟!

أ. نبيل:

نعم كان هناك اتفاق ومع الحكومة أيضا. هذا الاتفاق لا يقال حتى الآن. لكن لطفى الخولى قاله علنا فى حفل تأبين أحد الرفاق* فى التجمع، قال «نعم كان هناك اتفاق وكنت واسطة هذا الاتفاق وأرسلت للواحات به».

* هو الرفيق الراحل لويس بقطر.

أ. رمسيس:

هنا الذى جعل القيادات التاريخية لطليعة العمال مثلاً - مثل سيف وغيره وغيره يغيرون ويأخذون الخط الذى تسميه مراجعة.

أ. نبيل:

سيف غير قبل ذلك - منذ أيام التأميمات. عندما جاء إلى الواحات بفكر مختلف.

أ. رمسيس:

نعم، لكن لم يكن قد وصل لهذه الجزئية. فما الذى جعل غالبية القيادة تغير.

أ. نبيل:

أبو سيف يوسف غير بعد التأميمات. منذ ١٩٦١ عندما جاءنا فى الواحات جاءنا وقد غير. وكانت الأغلبية فى اللجنة المركزية قبل مجئ أبو يوسف كانت ضد التطور اللارأسمالى. تتكلم عن البرجوازية الوطنية والرأسمالية الكبيرة ورأسمالية الدولة.

عندما حضر أبو سيف عمل التحويلة التى غيرت الأغلبية فى اللجنة المركزية من أغلبية كان فيها ثلاثة فقط يقولون بنظرية التطور اللارأسمالى: فؤاد مرسى واسماعيل صبرى وسعد زهران - إلى أن أصبح الذين يعارضون فى اللجنة المركزية هذا المنهج ثلاثة. لويس، حسن صدقى، فخرى لبيب. وأصبح كله اتجاه التطور اللارأسمالى.

منطقة السجن كانت غير ذلك. منطقة المعتقل، كان أغلبها ضد هذا الفكر رمع تحليل رأسمالية الدولة لتأمين النمو الرأسمالى.

ولكن هذه «التحويلة» فى ل.م. أدت إلى تفكك وإلى تسرب أفكارها بمعرفة «الأفق»

فكنت أسمع عن الأوضاع فى ل.م. وكنت أتولى مجلة الطريق. كنت أهاجمهم. وكانت حدتو تعلق يفط ضدى على حوائط العنبرين قائلة فيها «تلميذ اليهود».

أ. رمسيس:

الشئ الثانى أين الكوادر؟... هم غيروا ولكن؟ أين الكوادر فى الخارج بعد الإفراج؟

أ. نبيل:

أولا عدد كبير من الكوادر المؤثرة كان قد استشهد، ثم الدمار المعيشي والعائلي شتت الناس. آباء خرجوا وجدوا أولادهم شبانا، وشباب خرج في سن كبيرة بدون عمل أو لم يكمل تعليم.

أ. رمسيس:

الذين استشهدوا ليسوا كثيرين. حالة رهيبة تم استغلالها أحسن استغلال.

أ. نبيل:

لا، كثيرون، كم عددنا؟ عندما تضع لويس إسحاق في الصعيد. انتهينا ـ عندما تضع رشدي خليل في القاهرة ـ انتهينا ـ وعبد القادر مفتاح في بني سويف رأسه برأس شبل وأكثر. هذه مراكز حاكمة.

أ. رمسيس:

ماذا أيضا بالنسبة للكادر ـ لا يمكن يكون هذا عامل وحيد. كان موجود فلان وفلان.

أ. نبيل:

وهناك عامل لا يمكن تجاهله ساعد على زحف اليمين، وأنا اعتبره عاملاً داخلياً يتمثل في حقيقة أن الناس كانت تعبت.. اعتقلوا خمس سنوات عزلوا فيها عن العالم وعن الأهل وعذبوا وجوعوا والمريض حرم من العلاج ثم خرجوا ليجدوا عائلاتهم مشردة ومدمرة، وهم بلا دخل لأنهم كانوا قد فصلوا من أعمالهم لحظة اعتقالهم. فالناس ذهبت للبحث عن أكل العيش. كنت في منطقة القاهرة. أردت أن أجمع المنطقة ولم أستطع. فالذي سافر، والذي يبحث عن عمل ـ الناس تفتتت. والذي تبقى عدد قليل.

ثم هناك مخطط عبد الناصر لتصفية الحزب الذي بدأ بالاعتقال وحملات الدعاية الكاذبة وتلاه الإفراج في أنسب وقت له والذي يوضح لنا تداعيات تطور الأمور نتذكر قليلا بالرجوع للأصل: ناصر كان قد صرح لإريك رولو في منتصف صيف ١٩٦٣

بأنه قد تقرر الإفراج عن الشيوعيين وقال إنهم كانوا سيخرجون منذ سنة ١٩٦١ لكن جاء انفصال سوريا عطل المسألة بعض الشئ.. نأمل التوقيت.

طبعا لو خرجنا سنة ١٩٦١ وحدث انفصال سوريا كنا كسبنا أرض عبد الناصر بالكامل، لأن أفضل جزئية فى دفاع أبو سيف أمام المحكمة كانت عندما تكلم عن الديمقراطية، تكلم عن الوحدة القشرية التى تمت مع سوريا، وإنتقال نظام الحزب الواحد إلى سوريا وإلغاء التعددية هناك وسيادة سياسة مكافحة الشيوعية، وقال إن ذلك يجعل الخيط الذى يربط بين سوريا ومصر واهياً جدا. فى اليوم التالى حدث الانفصال، ذهل المحامون من دفاع سيف وتوقعه الذى تحقق فطلبوا إرساله للرئيس لأنه تجسيد لمصالح الوطن. فى ذلك الوقت كان عبد الناصر قد اتخذ إجراءات يوليو ٦١ الاقتصادية التى جددت شعبيته، ولكن جاء الانفصال بعدها ليطرح بقوة قضية الديموقراطية باعتبارها المحور الحاسم بالنسبة للمصالح الوطنية والشعبية.

فلو كنا خرجنا فى هذا الوقت كنا أخذنا منه الأرض. هو أخرجنا فى الوقت المناسب له، تكسرنا أو غالبية الناس تكسرت وتعبت. موارد الرزق ضيقة جدا لابد يركعوا تحت قدميه ليشغلهم كانت الضربات فى يناير ومارس قد اجتثتنا من جذورنا الجماهيرية. خرجنا لجماهير جديدة تماما: مائتى مصنع عندما اعتقلنا سنة ١٩٥٩، أصبحت ثمانمائة وخمسين مصنعاً. مائتين وثلاثمائة ألف عاملاً أصبحوا مليون ونصف عامل صناعى. وعمال حالتهم مرتاحة، أخذوا مكاسب وضمانات وتأمينات وتأمين صحى وعلاج ومصايف ومساكن فلا توجد لديك رؤية للواقع ولا يوجد برنامج لتعمل هذا يحتاج وقت ويحتاج إمكانيات وأنت لست مفلساً فقط بل وجائع فالناس تشتتت، لم يعد هناك كادر...

ومع ذلك فى الكونفرنس لو شخص واحد فقط صوت ضد الحل كانت النتيجة أصبحت ثمانية ضد سبعة.

أ. رمسيس:

فى الكونفرنس ألم يصوت رجائى طنطاوى ضد الحل ؟

أ. نبيل:

نعم لكن لو أنا وعبد الله صوتنا ضد الحل لم يكن ليتم، نحن الاثنان كنا ضد الحل فعلا.

د. فخرى:

كيف ذلك؟ أعتقد أنه من المناسب أن تتضمن شهادتك موقفك من حل الحزب.

أ. نبيل:

أنا وعبد الله اتفقنا بناء على فكرة من عبد الله إذا نقسم المناقشة والتصويت على شيئين، البرجوازى الصغير للرأسمالى (التقرير أو المبررات الفكرية) نصوت عليه وحده. وقرار الحل نصوت عليه وحده. نرفض الأول ونوافق على الثانى. لماذا يا عم عبد الله؟ قال لأننا لو لم نوافق سندخل السجن والحل سيتم بعد ذلك ولابد نزيح اللجنة المركزية وهذه أفضل طريقة لدفعهم لقاع المستنقع وما نريده نفعله بعد ذلك بعيداً عن أعينهم وسلطتهم. ولذلك شرعنا فى عقد مقابلات الاستمرار فى النضال منذ اليوم التالى للحل. وللأسف لم تطل.

وهناك واقعة هامة: أتذكر قبل أن يأتى لى عبد الله. كنت أخذت مشواراً لأبوسيف لمناقشته فى تقرير الحل والتى تطرقت لمسألة دخولنا الاتحاد الاشتراكى قلت له: إفرض لم ندخل الاتحاد الاشتراكى، قال سننشئ الحزب مرة أخرى، خرجت من عنده مندهشاً. هذا كلام أبوسيف يوسف! هى لعبة! نحن نقول إن الحزب ملكا للناس، وأعضاءه ملكا الطبقة العاملة هل سنبيع ونشترى فى الطبقة العاملة المصرية؟ مزاجنا نحل ما نقول أنه حزبها ثم ننشئ لها حزبا آخر؟ ونويت أن أذهب للكونفرنس بعد يومين وأواجههم بإعتبارهم مرتدين وأصوت ضد الحل، جاءنى عبد الله كامل ووافقته على فكرته التى ذكرتها.

أ. رمسيس:

تحدثت عن عوامل ذاتية وداخلية، ما هى بقية العوامل فى رأيك؟

أ. نبيل:

وهناك أيضا عوامل سياسية وفكرية وواقعية فى تاريخ الحركة تعد سببا لما انتهت إليه. فالحركة ليست جماهيرية كما يجب. ليست لها جذور قومية شاملة فى كل أرجاء الوطن والانحرافات الفكرية تنخر فيها منذ زمن، وعدم رؤية الواقع رؤية علمية صائبة سمة شائعة، وجهودها استنفدت فى التناحر العدائى وفى الحرب بين بعضها

البعض بدلا من تبادل الرأى والتعاون المؤسسين على الاعتراف المتبادل. كل هذا عطل فهم الواقع وعطل بناء قواعد جماهيرية ثابتة وعطل تكوين جذور قوية (مثل الحزب السورى مثلا أو غيره). هذه كلها عوامل موضوعية لا يمكن تجاهلها علمياً وعملياً. ولكن يهمنى أن أسجل ما يلى: أنه إذا كان قد تم حل الحزب الذى أعلن فى يناير ١٩٥٨ إلا أن الشيوعية لم تنته فى المجتمع المصرى. وحالتنا ليست شاذة، فالحزب الشيوعى الألمانى أبيد، ثم حكم، والحزب الشيوعى الروسى فى ١٩٠٧ أصبح جزراً متناثرة على رأى لينين، وفى ذلك الوقت قال «طأطئوا رؤوسكم للعاصفة، و «أصبحنا لا نزيد عن مائتى شخص فى كل روسيا المترامية الأطراف». المسألة ليست مسألة عدد وإنما فكر يعكس مصالح اجتماعية فعلية. فى كونفرنس الحل نفسه وجد سبعة رفضوا حل الحزب بخلاف من هم خارج الكونفرنس، كل هؤلاء قالوا: الحزب يستمر منذ أبريل ١٩٦٥، واستمر. وبعدهم ناس استمرت وبعدها الشيوعية وصلت للتعددية. حزب العمال الشيوعى قاد الحركة الطلابية فى السبعينيات ١٩٧٦ ـ ١٩٧٨ وأضطر السادات أن ينشئ الجماعات الإسلامية فى مواجهته ولمحاربته. فالشيوعية موجودة وأعتقد أنه بالضرورة توجد حاليا مجموعات شيوعية يسميها، وقادتها، تقرير الأهرام الاستراتيجى السنوى. ما يسمى بحزب ٨ يناير ١٩٥٨ هو مرحلة من مراحل الشيوعية المصرية وقيادته كانت انتهازية وتم حله. وهذا ليس جديداً وليس ظاهرة مصرية. الحزب الشيوعى الصينى نفسه صفى أيام لى لى سان وجاءت قيادة أخرى قبل ماوتسى تونج تخبطت فى الانحراف اليمينى ثم اليسارى والحزب صفى تقريبا فقام ماوتسى تونج وبدأ (مع مجموعة قليلة) من جديد ووصل إلى قيادة تحرير الصين. ليست المشكلة عدد ورأيى أن القول بأن الشيوعية حلت فى مصر غير صحيح وأعتقد أن التطور فى النظام السياسى المصرى وتعمق فكرة التعددية الحزبية نتيجة لذلك ستؤدى إلى وجود أحزاب ماركسية علنية فى مصر ولكن ستبقى القضية هى: هل سيتداركون كبوات الماضى ويدركون أن آفاق الحضارة البشرية تتسع للتعددية وتتطلب ديموقراطية الممارسة فى علاقاتهم بمثل ما يطالبون بأن تعاملهم به أحزاب البورجوازية (على الأقل)؟!

د. فخرى:

ما الذى قاد فكر العمال والفلاحين إلى فكرة التطور اللارأسمالي، ويكون على رأس هؤلاء من المفكرين أحمد صادق سعد قمة اليسار، هل هناك جذور فكرية؟

أ. نبيل:

معظم إن لم يكن كل الكوادر الأساسية لطليعة العمال التى تعيش حتى الآن لم تقل فكرة التطور اللارأسمالى وأحمد صادق سعد لم يقل التطور اللارأسمالى. أحمد صادق سعد كان أحد المجموعات المؤسسة بعد الحل. ثم إن كتاب سيف الذى يعرض لوثائق المنظمة يرد بحسم على التساؤل حول الجذور الفكرية، ولذلك لا داعى للتعرض لها فيكفى للمؤرخين الرجوع للكتاب.

أ. رمسيس:

ولكن من الثابت أن الكوادر الأساسية فى طليعة العمال حولت إلى طريق النمو اللارأسمالى؟

أ. نبيل

إننى أفرق بين أفراد قليلين قياديين وبين مجموع الكادر الأساسى وفى حدود معلوماتى القليلة عن المنظمات الشيوعية التى نشأت بعد الحل، فإن معظم الكوادر المؤسسة فيها من طليعة العمال - معظمها. ثم إن كل من رفضوا حل الحزب فى ١٩٦٥ كانوا من كوادر طليعة العمال. وهنا تكمن الدلالة وليس فيمن تنبه بعد هزيمة ١٩٦٧ إلى «خطأ» حل الحزب.

الحقيقة إذن هى أن الغلبة الساحقة من كوادر طليعة العمال لم يرفضوا الحل فحسب بل لم يستسلموا له. ولكن من المهم لنا الآن النظر للحركة الشيوعية فى توجهها الجماهيرى بغض النظر عن الخطوط السياسية. فى رأيى أن التوجه الجماهيرى يرتبط بفهم الواقع بصفة أساسية. ولكن فى حد ذاته من الممكن أن يأتى بالحس الطبقى العادى. أنت تتوجه ناحية من ولمن توجه خطابك التقدمى؟ رد أى منا سيكون: للعمال والفلاحين. وفى بلد مثل مصر (المرحلة التى نتكلم فيها هى فى الخمسينات) كان الفلاحين أغلبية ساحقة بشكل غير عادى كان عدد العمال الزراعيين ضعف عدد العمال الصناعيين وظل كذلك حتى الستينات وكان لهم قانون (لا يطبق) للحد الأدنى للأجور وكان أجرهم ريال فى اليوم وكانوا يعطونهم ستة قروش ومع ذلك كل الشيوعيين- بما فى ذلك من يفخر بتوجهه للحركة الفلاحية- نستطيع أن نقول، ونحن

مطمئنين تماما، أنهم معزولون تماما عن الحركة الفلاحية وعجزوا عن أن يجدوا برنامجا لها وبالتالى عجزوا عن أن يجدوا برنامجا سياسيا للشعب المصرى كله لأن الفلاحين ليسوا جيش الثورة فقط لكنهم مؤهلون لإفراز كوادر رئيسية لك فى فترة من الفترات. وهذا هو ما فعلته قيادة ماوتسى تونغ فى الزحف الطويل.. فعلته نتيجة لفهم علمى عميق للواقع الصينى.

بدون هذا التوجه لم تكن لتوجد خطة التوجهات الثلاثة التى تسربها الصين الآن وأولها تطوير قوى الإنتاج الوطنى قبل الحديث عن أى اشتراكية. ثم الكلام الذى قاله لينين سنة ١٩٢٢ وكان يدافع فيه عن رأسمالية الدولة. منذ عام ١٩٢٢ لينين لم يتكلم عن الاشتراكية أبدا. وقال لا توجد عندنا اشتراكية وتحقيقها يحتاج لفترة طويلة جداً، نحن لدينا رأسمالية الدولة. وهاجموه. وقالوا أنه أصبح يمينيا وارتد عن الاشتراكية. قال لهم: «أنتم لا تفهمون شيئا، فكنا نقول الثورة فى أوروبا ستلحق بنا ونعتقد أن دول المراكز مثل ألمانيا ستدركنا لكن ألمانيا لم تدركنا ولم نستطع مساعدة ثورتها فلابد من مرورنا برأسمالية الدولة وبتمليك الفلاحين للأرض، هذا الذى قاله لينين وقال «أن ذلك سيستمر لفترة طويلة جدا، وتكرس مؤتمر ١٩٢٢ للحزب والمؤتمر الثانى والثالث للدولية الثالثة لهذا الموضوع بالكامل موضوع رأسمالية الدولة. وفى هذا السياق نبه لينين إلى: «...... أننا لذلك ـ نحتاج إلى تفعيل السوفييتات والنقابات لتحمى العمال من دولتهم. ومرة أخرى نرى أن المعرفة العلمية للواقع هى الأساسى، وحينما قلبها ستالين ضاعت الثورة [مؤقتا]. فالتوجه الجماهيرى للحركة الشيوعية المصرية لم يكن. مثل الحزب لشيوعى السورى حيث لا تجد به المنظرون قليلون لكن توجههم الجماهيرى بالحس العادى. لمن يتوجهوا ولمن يتكلموا؟ فتكون لهم جماهيرية وينشئون قواعد جماهيرية قوية ويظلون ويصمدون والانقسامات وسطهم لا تكون سهلة هذا ليس معناه إننى غير متحفظ على بعض أشياء بالنسبة لفكر الحزب الشيوعى السورى وسياساته، لكننى أتكلم عن التوجه الجماهيرى فى حد ذاته. كنا مقيدين، وكانت صراعاتنا الداخلية تستنزف قوانا الداخلية أكثر من توجهنا للجماهير. فنحن أنجزنا جماهيرية ممزقة، فى أماكن معزولة عن بعضها. وحتى فى الحركة العمالية رغم أن ذلك كان ممكنا فى فترات مختلفة إلا أننا عجزنا عن أن ننشئ حركة عمالية موحدة

فى مصر ـ ليست حركة عمالية موحدة تحت قيادتنا، إنما حركة عمالية نشيطة موحدة، مستقلة عن البورجوازية فهذا نقد لابد منه وهذا كله نتاج للركام الذى تكلمنا فيه تنظيميا وفكريا وسياسيا فى الشهادة كلها وأساسه هو عدم دراسة وفهم المنهج الماركسى، عدم أخذ الماركسية كأداة لتحليل الواقع. إن من وضعوها أنفسهم رفضوا ما يمكن أن نسميه النصوصية، ولهذا السبب كنا كلنا ستاليتيين متحجرين: لاشيوعية خارج كل منا، نطالب السلطة بأن تعترف بنا ونحن لا نعترف ببعضنا، والطوبوى الطيب يزعق الوحدة. الوحدة، بينما الواقع أن النشأة هى أحزاب لها عنوان ماركسى، ولكن كل منها بمضمون ورؤية وبتدرجه لقوى اجتماعية مختلفة، إذن فالصواب هو فى الاعتراف المتبادل الذى لو تم لما كان كل هذا العناء، ولا العداء، ولا الشتات إلى أكثر من أربعين منظمة، ولا الحصاد الضئيل لتضحيات ستين عاماً إذ كان سيصبح التنافس حول فهم واقع مصر وكادحيها هو الشغل الشاغل ـ الرئيسى ـ للجميع .. وكان سيتزايد باستمرار ثراء، وقوة، ورسوخ النضال الشاق ـ المتعرج والطويل ـ وهذا هو امتلاك كادحى مصر لناتج عملهم ـ من أجل المعتقد الجوهرى لأى ماركسى.

المنظمات الشيوعية المصرية منذ العشرينات إلى عام ١٩٦٥

المسلسل	اسم المنظمة	المؤسسون	عام التأسيس
١	الحزب الاشتراكي المصري		١٩٢١
٢	الحزب الشيوعي المصري		١٩٢٢
٣	منظمة تحرير الشعب	مارسيل اسرائيل، تحسين المصري، أسعد حليم، حسين كاظم، فوزي جرجس، أبو بكر سيف النصر، فتحي الرملي وآخرون	١٩٣٩ ١٩٤٠
٤	مجموعة التروتسكيين	أنور كامل، جورج حنين، رمسيس يونان	١٩٤٠
٥	الحركة المصرية للتحرر الوطني(حمتو)	هنري كورييل	١٩٤٢
٦	إسكرا	هليل شوارتز، عبد المعبود الجبيلي، عبد الرحمن الناصر، شهدي عطية وآخرون.	١٩٤٢
٧	منظمة القلعة	مصطفى هيكل، عبد العزيز بيومي وآخرون	١٩٤٣
٨	اتحاد شعوب وادي النيل	تنظيم ماركسي إسلامي، انقسام من الحركة المصرية (عبد الفتاح الشرقاوي وآخرون).	١٩٤٦
٩	الطليعة الشعبية للتحرر (طشت)	التي اشتهرت أيضًا بالفجر الجديد عام ١٩٤٥ (يوسف درويش، صادق سعد، ريمون دويك، يوسف المدرك،	١٩٤٦

		محمود العسكرى، رشدى صالح، أبو سيف يوسف، طه سعد عثمان وآخرون)، ثم تحولت إلى منظمة الديموقراطية الشعبية عام ١٩٤٩ بعد إنضمام حركة تحرير الشعب ثم طليعة العمال فى بداية الخمسينيات ثم حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى عام ١٩٥٧.	
١٠	طليعة الاسكندرية	انقسام من الحركة المصرية (د. حسونة من الحزب الأول وعدلى جرجس)	١٩٤٦
١١	العصبة الماركسية	انقسام من الحركة المصرية (فوزى جرجس وعبد الفتاح القاضى، شعبان حافظ من الحزب الأول وآخرون.	١٩٤٦
١٢	الطليعة المتحدة	إسكرا + منظمة تحرير الشعب.	١٩٤٦
١٣	الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو)	الحركة المصرية + إسكرا + بعض أعضاء من تحرير الشعب، ومنهم مجموعة روما.	١٩٤٧
١٤	حركة تحرير الشعب (حتش)	(راؤول مكاريوس، عبد الرحمن عزت، حسين توفيق طلعت) وانضمت إلى الطليعة الشعبية للتحرر عام ١٩٥٩ وسميت بالديمقراطية الشعبية.	١٩٤٧
١٥	التكتل الثورى	انقسام من الحركة الديمقراطية (شهدى عطية الشافعى وأنور عبد الملك).	١٩٤٧

١٦	الجبهة الاشتراكية	فتحي الرملي	١٩٤٧
١٧	صوت المعارضة	انقسام من الحركة الديمقراطية (سيدني سلامون، أوديت حزان وسعد الطويل وعنايات المنيرى وفاطمة زكي وآخرون).	١٩٤٨
١٨	القاعدة المشتركة	بقية أعضاء حدتو الذين لم ينفصلوا تماماً كالعمالية الثورية، والتكتل الثوري.	مايو ١٩٤٨
١٩	نحو منظمة بلشفية	انقسام من الحركة الديمقراطية (ميشيل كامل، أحمد شرقى الخطيب وسعد رحمى وآخرون لتضمت بعد ذلك إلى صوت المعارضة).	١٩٤٨
٢٠	المنظمة الشيوعية المصرية(م ش م)	صوت المعارضة بعد المؤتمر (أوديت حزان، وسليم سيدني، ميشيل كامل، فاطمة زكي وآخرون)	١٩٤٨
٢١	نحو حزب شيوعي مصرى (نحشم)	انقسام من حدتو (هليل شوارتز، وبقايا إسكرا منهم أحمد فؤاد، إنجى أفلاطون، إبراهيم المانسترلى وآخرون).	١٩٤٨
٢٢	حدتو العمالية الثورية	انقسام من الحركة الديمقراطية (عبد المعبود الجبيلى، أحمد شكري سالم، مارسيل اسرائيل، عبدالرحمن الناصر، فوزى حبشي وآخرون).	١٩٤٨
٢٣	جبهة التحرير التقدمى (جات)	(عصام الدين جلال، أحمد طه، اسماعيل جبر، صلاح سلمي، يحيى المازنى وآخرون).	١٩٤٨
٢٤	اتجاه النضال الثورى	إبراهيم عرفة وآخرون. امتداد العصبة الماركسية بعد	١٩٤٩

٢٥	نواة الحزب الشيوعى المصرى	تحللها (فوزى جرجس) واتجاه النضال الثورى وبقايا من التكتل الثورى.	١٩٤٩
٣٦	الحزب الشيوعى المصري (الراية)	(فؤاد مرسى، إسماعيل صبرى عبد الله وسعد زهران داوود عزيز، مصطفى طيبة وآخرون)	١٩٥٠
٣٧	النجم الأحمر	بقايا عمالية ثورية (عدلى جرجس، فوزى حبشى، أحمد خضر وآخرون).	فبراير ١٩٥٠
٢٨	طليعة الشيوعيين المصريين	بقايا التكتل الثورى (فخرى لبيب، عبد الله كامل وآخرون ممن خرجوا من النواة).	١٩٥٠
٢٩	وحدة الشيوعيين	إبراهيم فتحى وعلى الشوباشى وآخرون	١٩٥٠
٣٠	الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (التيار الثورى)	انقسام من الحركة الديمقراطية (سيد سليمان رفاعى، حمدى عبد الجواد، فؤاد عبد الحليم).	١٩٥٣
٣١	الحزب الشيوعى المصرى الموحد	الحركة الديمقراطية+ نواة الحزب الشيوعى + طليعة الشيوعيين+ النجم الأحمر + التيار الثورى.	١٩٥٤
٣٢	طليعة الشعب الديمقراطية	عناصر رافضة لوحدة الموحد من النواة وغيرها من التنظيمات (فوزى جرجس)	١٩٥٦
٣٣	الحزب الشيوعى المصرى المتحد	الحزب الموحد + الحزب الشيوعى المصرى (الراية).	١٩٥٧
٣٤	الحزب الشيوعى المصرى (حزب ٨ يناير)	الحزب الموحد + الحزب الشيوعى المصري(الراية) + حزب العمال والفلاحين ثم خرجت المجموعة الرئيسية من حدتو وكونت الحزب الشيوعى المصرى (حدتو). طليعة الشعب الديمقراطية + وحدة	١٩٥٨

٣٥	الطليعة الشيوعية (ط.ش.)	طليعة الشعب الديمقراطية + وحدة الشيوعيين التي خرجت من الوحدة قبل أن تكتمل.	١٩٥٨
٣٦	الحزب الشيوعي المصرى (حدتو)	أعضاء من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني خرجوا من حزب ٨ يناير.	١٩٥٨
٣٧	نواة الحزب الشيوعي المصرى (الجديدة).	بقايا الطليعة الشيوعية خارج المعتقلات بعد تحلل الطليعة في الواحات. (رمسيس لبيب).	١٩٦٢

المؤسسون فى لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

أحمد نبيل الهلالى	عبد الخالق الشهاوى
إسماعيل عبد الحكم	فاطمة زكى
خالد حمزة	فتح الله محروس
داود عزيز	فخرى لبيب
رمسيس لبيب	فوزى حبشى
سعد الطويل	مبارك عبده فضل
سمير أمين	محمد الجندى
سيد عبد الوهاب ندا	محمد فخرى
شكرى عازر	محمود أمين العالم
طه سعد عثمان	نجاتى عبد المجيد

ويتعاون مع اللجنة فى عملها أ. د. عاصم الدسوقى، د. عماد أبو غازى، والسادة باحثون بشير السباعى -صلاح العمروسى- مصطفى مجدى الجمال- محمود حت- حنان رمضان

قائمة مطبوعات

مركز البحوث العربية والأفريقية

١٩٨٧-٢٠٠٥

١. فؤاد مرسي، مصير القطاع العام في مصر، ١٩٨٧.
٢. لطيفة الزيات (تحرير)، المشكلة الطائفية في مصر، ١٩٨٨.
٣. رشدي سعيد وآخرون، أزمة مياه النيل، ١٩٨٨.
٤. عواطف عبد الرحمن، المدرسة الاشتراكية في الصحافة، ١٩٨٨.
٥. وداد مرقس، سكان مصر، ١٩٨٨.
٦. أبوسيف يوسف وآخرون، النظرية والممارسة في فكر مهدي عامل: أعمال ندوة فكرية، ١٩٨٩.
٧. إبراهيم بـرعي، دليل قرارات المجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي ١٩٥٣/١٩٨٩.
٨. إبراهيم العيسوي، المسار الاقتصادي في مصر وسياسات الإصلاح، ١٩٩٠.
٩. إبراهيم بيضون وآخرون، ثقافة المقاومة ومواجهة الصهيونية أعمال ندوة لجنة الدفاع عن الثقافة القومية ١٩٩٠
١٠. أحمد عبد الله (تحرير)، انتخابات البرلمانية في مصر، نشر مشترك مع دار سينا ١٩٩٠.
١١. حيدر إبراهيم، أزمة الإسلام السياسي، الجبهة الإسلامية القومية في السودان، ١٩٩٠.
١٢. نادر فرجاني، الأزمة العربية الكبرى ودور المثقفين، نشر مشترك مع لجنة الدفاع عن الثقافة القومية، ١٩٩٠.
١٣. محمد عبيد غباش، من لا يعرف شيئا فليكتب، خربشات رجل بلاد النفط ١٩٩١.
١٤. ألفت الروبي، الموقف من القص في تراثنا النقدي، ١٩٩١.
١٥. محمد علي دوس، حياة مرارة في العمل السياسي العربي الأفريقي، ١٩٩١.
١٦. أحمد نبيل الهلالي وآخرون، اليسار المصري وتحولات الدول الاشتراكية : أعمال ندوة عقدت بالمركز ١٩٩٢.
١٧. أمينة رشيد وآخرون، قضايا المجتمع المدني في ضوء فكر جرامشي (مع دار عيبال بدمشق)، ١٩٩٢.
١٨. سمير أمين،من نقد الدولة السوفيتية إلى الدولة الوطنية، ١٩٩٢.
١٩. المسألة الفلاحية والزراعية في مصر :أعمال ندوة عقدت بالمركز، ١٩٩٢.
٢٠. جويل بنين، زكاري لوكمان، العمال والحركة السياسية في مصر ج١،

ترجمة أحمد صادق سعد، ١٩٩٢.

٢١. إشكاليات التكوين الاجتماعي والفكريات الشعبية في مصر: أعمال ندوة بالمركز نشر مع دار كنعان، ١٩٩٢.

٢٢. أحمد يوسف أحمد: منطق العمل الوطني- حركة التحرر الوطني الفلسطينية في دراسة مقارنة مع حركات التحرر الأفريقية بالتعاون مع مركز القدس للدراسات الإنمائية عمان، ١٩٩٢.

٢٣. ليلى عبد الوهاب: سوسيولوجية الجريمة عند المرأة، ١٩٩٢.

٢٤. أحمد محمد البدوي، لبن الأبنوس بازول، ١٩٩٢.

٢٥. مركز دراسات المرأة الجديدة ومركز البحوث العربية، المرأة وتعليم الكبار،١٩٩٢.

٢٦. إدريس سعيد، عظام من خزف، ١٩٩٣.

٢٧. دارام جاي (تحرير)، صندوق النقد الدولي وبلدان الجنوب، ترجمة/ مبارك عثمان، نشر مع اتحاد المحامين العرب، ١٩٩٣.

٢٨. مايكل دراكوه (تحرير)، الأنهار الأفريقية وأزمة الجفاف، نشر بالتعاون مع منظمة البحوث الاجتماعية لشرق وجنوب أفريقيا ١٩٩٤.

٢٩. عادل شعبان وآخرون، الحركة العمالية في معركة التحول، ١٩٩٤.

٣٠. نادية رمسيس فرح (تحرير) السكان والتنمية في مصر نشر مع دار الأمين،١٩٩٤.

٣١. آمال سعد زغلول، دور الحركة الشعبية في حرب السويس، ١٩٩٤.

٣٢. لجنة الدفاع عن الثقافة القومية (دراسات ووثائق ١٩٧٩-١٩٩٤)(من مقاومة التطبيع إلى مواجهة الهيمنة) ١٩٩٤.

٣٣. على عبد القادر، برامج التكيف الهيكلي والفقر في السودان، ١٩٩٤.

٣٤. حلمي شعراوي وعيسى شيفجي، حقوق الإنسان في أفريقيا والوطن العربي،١٩٩٤.

٣٥. لطيفة الزيات (ترجمة وتعليق)، حول الفن، ١٩٩٤.

٣٦. جودة عبد الخالق (تحرير)، تطور الرأسمالية ومستقبل الاشتراكية في مصر والوطن العربي : ندوة مهداة إلى فؤاد مرسي، ١٩٩٤.

٣٧. عبد الغفار شكر، التحالفات السياسية في مصر ١٩٩٤.

٣٨. صادق رشيد، أفريقيا والتنمية المستعصية، ت/ مصطفى مجدى الجمال، ١٩٩٥.

٣٩. عبد الغفار أحمد، السودان بين العروبة والأفريقية، ١٩٩٥.

٤٠. بيترنيانجو، من تجارب الحركات الديمقراطية في أفريقيا والوطن العربي، مع اتحاد المحامين العرب ترجمة حلمي شعراوي وآخرون، ١٩٩٥.

٤١. سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدني والدولة في الوطن العربي: حالة

مصر، نشر مشترك مع دار مدبولي، ١٩٩٦.

٤٢. سمير أمين (تحرير) لمجتمع المدني والدولة في الوطن العربي : حالة لبنان، مشترك مع مدبولي ١٩٩٦.

٤٣. مصطفى كامل السيد (تحرير)، حقيقة التعددية السياسية في مصر، نشر مشترك مع مدبولي ١٩٩٦.

٤٤. سيد البحراوي (تحرير)، لطيفة الزيات : الأدب والوطن، نشر مشترك مع دار المرأة العربية، ١٩٩٦.

٤٥. عبد الباسط عبد المعطي: بحوث الطفولة في الوطن العربي، نشر مشترك مع المجلس العربي للطفولة والتنمية، ١٩٩٦.

٤٦. جويل بنين، زكاري لوكمان، العمال والحركة السياسية في مصر الجزء الثاني، ترجمة إيمان حمدي، نشر مع دار الخدمات النقابية والعمالية،١٩٩٦.

٤٧. عبد الغفار شكر (تحرير)، الجمعيات الأهلية وأزمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٧.

٤٨. سمير أمين (تحرير)، لمجتمع لمدني والدولة في الوطن العربي : حالة المشرق العربي نشر مشترك مع دار مدبولي، ١٩٩٧.

٤٩. سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدني والدولة في الوطن العربي : حالة المغرب العربي نشر مشترك مع دار مدبولي، ١٩٩٧.

٥٠. كمال مغيث (تحرير)، التعليم وتحديات الهوية القومية، نشر مشترك مع دار المحروسة، ١٩٩٨

٥١. عبد الغفار شكر، اليسار العربي وقضايا المستقبل ١٩٩٨. نشر مشترك مع دار مدبولي، ١٩٩٨.

٥٢. عاصم الدسوقي (تحرير)، عمال وطلاب في الحركة الوطنية المصرية. نشر مشترك مع دار المحروسة، ١٩٩٨.

٥٣. محمد أبو مندور وآخرون، الإفقار في بر مصر، نشر مشترك مع دار الأهالي، ١٩٩٨.

٥٤. عبد الغفار أحمد (تحرير)، إدارة الندرة، ترجمة صلاح أبو نار وآخرين،١٩٩٨.

٥٥. لايف مانجر وآخرون، البقاء مع العسر، ترجمة صلاح أبو نار- مجدى النعيم، ١٩٩٨.

٥٦. نجاتي عبد المجيد وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى:من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء الأول بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ١٩٩٨.

٥٧. لايف مانجر، لغوفة النوبة، ترجمة مصطفي مجدى، ١٩٩٩.

٥٨. أمينة رشيد (تحرير): التبعية الثقافية : مفاهيم وأبعاد، نشر مشترك مع

دار الأمين، ١٩٩٩.

٥٩. محمود عودة، (إشراف)، الأسر المعيشية فى الريف المصرى، نشر مشترك مع جامعة عين شمس، ١٩٩٩.

٦٠. محمد محيى الدين، (إشراف)، نساء الغزل والنسيج : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٩٩.

٦١. عبد الحميد حواس وآخرون، المأثور الشعبى فى الوطن العربى، نشر مشترك مع المنظمة العربية للتربية وللثقافة وللعلوم، ١٩٩٩.

٦٢. عبد الباسط عبد المعطى(تحرير)، العولمة والتحولات المجتمعية فى الوطن العربى، نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٩.

٦٣. عزة خليل (إعداد)، خريطة سياسات وخدمات الطفولة فى مصر، نشر مشترك مع المركز القومى للثقافة والطفل، ١٩٩٩.

٦٤. يوسف درويش وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى: من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء الثانى بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ لحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ١٩٩٩.

٦٥. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية: مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الأول، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، أكتوبر ١٩٩٩.

٦٦. أمينة رشيد (تحرير)، الحريات الفكرية والأكاديمية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠.

٦٧. فاروق القاضى، فرسان الأمل : تأمل فى الحركة الطلابية المصرية، ٢٠٠٠.

٦٨. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق في علم اللغة، الورقة الأولى-يناير ٢٠٠٠ حول (مشكلات تدريس اللغات فى مصر)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة.

٦٩. محمد سيد أحمد وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى: من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى علم ١٩٦٥: الجزء الثالث بالتعاون مع لحنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٠.

٧٠. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، لمجلد الثانى، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، مارس ٢٠٠٠.

٧١. أحمد مختار منصور، الجراحة فى الحضارة العربية الإسلامية، ٢٠٠٠.

٧٢. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق في علم اللغة، الورقة الثانية- نوفمبر ٢٠٠٠ (دراسات حول اللغة العربية فى مصر)، الورقة الثالثة، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة.

٧٣. شهيدة الباز (إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، إفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الثالث، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، أكتوبر ٢٠٠٠.

٧٤. حلمى شعراوى، أفريقيا فى نهاية قرن، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠

٧٥. أديب ديمترى وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى:من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء الرابع بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠١.

٧٦. مصطفى مجدي الجمال (تحرير)، فلسطين والعالم العربى، نشر مشترك مع دار مدبولى، ٢٠٠١

٧٧. عبد الغفار شكر (تحرير)، تحديات المشروع الصهيونى والمواجهة العربية. نشر مشترك مع دار مدبولى، ٢٠٠١.

٧٨. فرانسوا أوتار وفرانسوا بوليه، فى مواجهة دافوس، ترجمة : سعد الطويل، نشر مشترك مع دار ميريت، ٢٠٠١.

٧٩. عبد الغفار شكر (إشراف)، الجمعيات الأهلية الإسلامية فى مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٦.

٨٠. كويسى براه، اللغات لأفريقية وتعليم الجماهير، ترجمة وتحرير حلمى شعراوى، بالتعاون مع مركز الدراسات المتقدمة للمجتمع الأفريقى بكيب تاون، للناشر، دار الأمين، ٢٠٠١.

٨١. فيتينو بيكيلى، وآخرون، دراسات مختارة/ التحولات الاجتماعية والمرأة الأفريقية، بالتعاون مع منظمة أوسريا بأديس أبابا، تقديم د. عبد الغفار محمد أحمد، الناشر دار الأمين، ٢٠٠١.

٨٢. أحمد القصير وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى:من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء الخمس بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠١.

٨٣. رمسيس لبيب (تحرير)، العمال فى الحركة الشيوعية لمصرية حتى ١٩٦٥، الورشة الأولى بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥،٢٠٠١.

٨٤. شهيدة الباز (إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، إفريقية - عربية: مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الرابع، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، أكتوبر ٢٠٠١.

٨٥. سعد الطويل (تحرير)، الأجانب فى الحركة الشيوعية لمصرية حتى ١٩٦٥، الورشة الثانية، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٢.

٨٦. جردا منصور، منيحة نوس (تحرير)، سلسلة أوراق في علم اللغة، للورقة الثالثة– مايو ٢٠٠٢ (مساهمات فى اللغويات العربية)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة.
٨٧. سمير أمين، مستقبل الجنوب فى عالم متغير، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.
٨٨. أكيكي بى موجاجو وآخرون، دراسات اجتماعية في شرق وجنوبي أفريقيا، بالتعاون مع منظمة أوسريا بأديس أبابا، الناشر دار الأمين، ٢٠٠٢.
٨٩. سمير أمين وآخرون، العلاقات العربية الأوربية: قراءة عربية نقدية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.
٩٠. يسرى مصطفى (تحرير)، المجتمع المدنى وسياسات الإفقار فى العالم العربى، نشر مشترك مع دار ميريت، ٢٠٠٢.
٩١. فخرى لبيب، حلمى شعراوى (تحرير)، منظمة التجارة العالمية ومصالح شعوب الجنوب، بالتعاون مع منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية وعدد من المنظمات غير الحكومية، الناشر مركز المحروسة، ٢٠٠٢.
٩٢. إسماعيل عبد الحكم وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى: من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء السادس بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٢.
٩٣. عبد الغفار محمد أحمد، فى تاريخ الأنثروبولوجيا والتنمية فى السودان، ترجمة مصطفى مجدى الجمال، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.
٩٤. عبد الغفار شكر (تحرير)، الجمعيات التعاونية كمنظمات شعبية تنموية– الجزء الأول، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٢.
٩٥. حنان رمضان (تحرير)، المرأة فى الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، الورشة الثالثة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٢.
٩٦. عريان نصيف (تحرير)، الفلاحون فى الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، الورشة الرابعة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، ٢٠٠٢.
٩٧. شهيدة الباز (إشراف)، مصطفى مجدى الجمال (مسئول التحرير)، (أفريقية – عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الخامس، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، ٢٠٠٢.
٩٨. سمير أمين وآخرون، الاشتراكية واقتصاد السوق: تجارب (الصين– فيتنام– كوبا)، نشر مشترك مع مكتبة مدبولى، ٢٠٠٣.
٩٩. عبد الحميد حواس، أوراق في الثقافة الشعبية في مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.

١٠٠. عبد الغفار شكر (تحرير)، الجمعيات التعاونية كمنظمات شعبية تنموية- الجزء الثاني، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٢.
١٠١. مدحت أيوب (تحرير)، الأمن القومي العربي، نشر مشترك مع مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣.
١٠٢. طابع آسيفا وآخرون (تحرير)، العولمة والديمقراطية والتنمية: تحديات وآفاق، نشر مشترك مع منظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبي أفريقيا (أديس أبابا)، ومركز المحروسة، ٢٠٠٣.
١٠٣. فخري لبيب (تحرير)، الطلبة في الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، الورشة الخامسة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى علم ١٩٦٥، ٢٠٠٣.
١٠٤. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق في علم اللغة، الورقة الرابعة- مايو ٢٠٠٣ (قضايا حول اللغة العربية والتعبير العلمي)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين في القاهرة.
١٠٥. هويدا عدلي (تحرير)، ثقافة وسائل الاتصال في الوطن العربي: الإعلام والهوية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.
١٠٦. شهيدة الباز (إشراف)، مصطفى مجدي الجمال (مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد السادس، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، ٢٠٠٣.
١٠٧. سمير أمين، فرانسوا أوتار (تحرير)، مناهضة العولمة : حركة المنظمات الشعبية في العالم، نشر مشترك مع المنتدى العالمي للبدائل، ودار الأمين، ٢٠٠٣.
١٠٨. أحمد بيرقاوي وآخرون، الدولة الوطنية وتحديات العولمة في الوطن العربي، نشر مشترك مع مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية دمشق ومكتبة مدبولي، ٢٠٠٣.
١٠٩. رمسيس لبيب (تحرير)، الانقسامية وأزمة الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، الورشة السادسة والسابعة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، ٢٠٠٣.
١١٠. د. محمد ماهر الجمال، أحمد لطفي السيد: دراسة في الخارطة المعرفية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.
١١١. عبد الغفار شكر (منسق البحث)، نظام الخدمة العامة في مصر وآفاق تطويره: دراسة حالة محافظة دمياط، بالتعاون مع شبكة الجمعيات الأهلية للتنمية وقضايا النوع بدمياط، ٢٠٠٣.
١١٢. شهيدة الباز (إشراف)، مصطفى مجدي الجمال (مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد السابع، نشر مشترك مع

كونيسريا ودار الأمين، ٢٠٠٤.

١١٣. ريمى هيريرا وآخرون، ترجمة باتسى جمال الدين، الثورة الكوبية... إلى أين....؟ دراسة فى ملامح التاريخ الكوبى واستشراف القرن الواحد والعشرين، نشر مشترك مع منتدى العالم الثالث ودار العالم الثالث،٢٠٠٤.

١١٤. أليون سال (تحرير)، ترجمة سعد الطويل، أفريقيا ٢٠٢٥، أى مستقبل؟ نشر مشترك مع البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، المدينة برس، ٢٠٠٤.

١١٥. دينيس فينتر وآخرون، دراسات اجتماعية في شرق وجنوبي أفريقيا، العدد الثالث نشر مشترك مع منظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبى أفريقيا (أوسريا) بأديس أبابا، الناشر المدينة برس، ٢٠٠٤.

١١٦. هاين ماريز، ترجمة صلاح العمروسى وعزة الخميسى، جنوب أفريقيا: حدود التغيير: الاقتصاد السياسى لمرحلة الانتقال نشر مشترك مع منتدى العالم الثالث وآخرون، الناشر دار الأمين، ٢٠٠٤.

١١٧. د.أحمد زايد - د.عروس الزبير (تحرير)، النخب الاجتماعية: حالة الجزائر ومصر، نشر مشترك مركز البحوث فى الاقتصاد التطبيقى من أجل التنمية بالجزائر، مع الناشر دار مديولي، ٢٠٠٤.

١١٨. د. حمدى عبد الرحمن -عزة خليل، المجتمع المدنى ودوره فى التكامل الأفريقى، نشر مشترك مع مركز المجتمع المدنى -جامعة ناتال، الناشر المدينة برس، ٢٠٠٤.

١١٩. فاروق القاضى، آفاق التمرد: قراءة نقدية فى التاريخ الأوروبى والعربى الإسلامى، نشر مشترك مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر بالأردن، ٢٠٠٤.

١٢٠. جوزيف بوسير وآخرون، دراسات اجتماعية في شرق وجنوبي أفريقيا، العدد الرابع نشر مشترك مع منظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبى أفريقيا (أوسريا) بأديس أبابا، الناشر المدينة برس، ٢٠٠٤.

١٢١. سمير أمين وآخرون، الصراع حول المياه: الإرث المشترك للإنسانية، نشر مشترك مع منتدى البدائل العالمى الثالث، الناشر مكتبة مدبولى،٢٠٠٥.

١٢٢. عبد العال الباقورى، وعد بوش.. بلفور الجديد: الحصاد المُر للساداتية، الناشر مكتبة مدبولي، ٢٠٠٥.

١٢٣. رمسيس لبيب (تحرير وتقديم)، اليسار فى الثقافة المصرية، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، الناشر دار الثقافة، ٢٠٠٥.

١٢٤. ألفريد نهيما، قضايا السلم المنشود فى أفريقيا: التحولات والديمقراطية والسياسات العامة، نشر مشترك مع منظمة بحوث العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبى أفريقيا (أوسريا) بأديس أبابا، الناشر دار الأمين، ٢٠٠٥.

١٢٥. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية -

عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الثامن، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، ٢٠٠٥.
١٢٦. عزة خليل (تحرير)، تقديم سمير أمين، الحركات الاجتماعية في العالم العربي، نشر مشترك مع المنتدى العالمي للبدائل، الناشر مكتبة مدبولي، ٢٠٠٥.
١٢٧. سامية الهادى النقر، الجمعيات الأهلية والإسلام السياسى فى السودان، الناشر مكتبة مدبولي، ٢٠٠٥.
١٢٨. عروس الزبير، الجمعيات الأهلية الإسلامية- حالة الجزائر، نشر مع دار الأمين، ٢٠٠٦.

كراسات المركز

١. أحمد هنى، حول إجراءات الإصلاح الاقتصادى فى الجزائر، ١٩٨٨.
٢. عصام فوزى، ترجمة ثلاثة قراءات سوفيتية فى البيريسترويكا، ١٩٨٨.
٣. أشرف حسين، ببليوجرافيا الطبقة العاملة، ١٩٨٨.
٤. عبد العظيم أنيس، قراءة نقدية فى كتابات ناصرية، ١٩٨٩.
٥. مصطفى نور الدين عطية، المجتمعات التابعة ومشكلات التنمية المستقلة، ١٩٨٩
٦. موشى ليوين وآخرون، تقديم/ فؤاد مرسى، البيريسترويكا فى عيون الآخرين، ١٩٩٠
٧. محمد أبو مندور وآخرون، أزمة المياه فى الوطن العربى، نشر مشترك مع دار الأمين ١٩٩٩.
٨. إسماعيل زقزوق، المهمشون بين النمو والتنمية، نشر مشترك مع دار الأمين١٩٩٩.
٩. عبد الغفار شكر، تجديد الحركة التقدمية المصرية، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠٠.
١٠. حنان رمضان (إعداد)، العراق تحت الحصار، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠٠.
١١. أحمد صالح، الإنترنت والمعلومات، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠١.
١٢. عريان نصيف (تحرير) الأرض والفلاح، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠١.
١٣. أحمد عبد الله، عمال مصر وقضايا العصر، نشر مشترك مع دار المحروسة ٢٠٠٢.
١٤. عريان نصيف (تحرير)، التشريع التعاونى فى مصر: الواقع.... وآفاق المستقبل، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠.
١٥. د.محمد ماهر الجمال، مضامين التربية الشعبية، في مجلة "الأستاذ" لعبد الله النديم، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.
١٦. مدحت أيوب، قضايا فى الاقتصاد المصرى بعد التكيف الهيكلى، نشر

مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.
١٧.كلود كاتز وآخرون، ترجمة يوسف درويش، إمبريالية القرن الواحد والعشرين، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.
١٨.سمير أمين، الفيروس الليبرالي: الحرب الدائمة وأمركة العالم، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٤.
١٩.محمد إسماعيل زاهر، أزمة الوعي العربي بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٤.
٢٠.بهيج نصار، البحث عن مفهوم للديمقراطية في مرحلة الثورة العلمية والتكنولوجية الراهنة، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٤.
٢١.الحركة العمالية المصرية: الخبرة النضالية وآفاق المستقبل، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٤.
٢٢.د.حامد الهادي، إحصاءات السكان والحيازة الزراعية: تحليل اجتماعي، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٥.
٢٣. د.سيد عشماوى، الدراسات الحديثة في تاريخ مصر الاجتماعي الحديث خلال السنوات العشر الأخيرة، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٥.

كتيبات كوديسريا

١- أوكوادبا نولي، الصراع العرقي في أفريقيا، ١٩٩١.
٢- ايبو هو تشغول، الجيش والعسكرية في أفريقيا، ١٩٩١.
٣- ديساليجن رحماتو، منظمات الفلاحين في أفريقيا : قيود وإمكانيات، ١٩٩١.
٤- جيمي أديسينا، الحركات العمالية وصنع السياسة في أفريقيا، ١٩٩٢.
٥- مومار ديوب، ممادو ديوف، تداول السلطة السياسية وآلياتها في أفريقيا، ١٩٩٢.
٦- أديمولات - سالو، البيئة العالمية: جدول أعمال بحث لأفريقيا، ١٩٩٣.
٧- م. مامداني،آخرون، الحركات الاجتماعية والعلمية للديمقراطية في أفريقيا، ١٩٩٣
٨- ثانديكا مكاندلويرى، التكيف الهيكلي والأزمة الزراعية في أفريقيا، ١٩٩٣
٩- آرشى مافيجى، الأسر المعيشية وآفاق إحياء الزراعة في أفريقيا، ١٩٩٣.
١٠- سليمان بشير دياني،المسألة الثقافية في أفريقيا، ١٩٩٦.
١١- ميشيل بن عروس، الدولة - والمنشقون عليها، ١٩٩٦.
١٢- عبدو مالك سيمون، عملية التحضر، والتغير في أفريقيا، ١٩٩٩.
١٣- أمينة ماما، دراسات عن المرأة ودراسات النساء في أفريقيا، ١٩٩٩.
١٤- تادى أكين آنيا، العولمة السياسية الاجتماعية في أفريقيا، ١٩٩٩.
١٥- ممادو ديوف، ليبرالية سياسية أم انتقال ديمقراطي : منظورات أفريقية، ١٩٩٩.
١٦- حكيم بن حمودة نظريات ما بعد التكيف الهيكلي، ٢٠٠٠.
١٧- كلوديو شوفتان، ماذا بعد ممارسات التنمية المشوهة في أفريقيا؟، ٢٠٠٠.

١٨- أشيلي مبيمبي، عن الحكم الخاص غير المباشر، ٢٠٠٠.

١٩-تشيكيلاك. بياباء الشباب والعنف والشارع في كنشاسا: نسمع ونفهم ونصف، ٢٠٠١.

٢٠-سليمان بشير ديالي، إعادة بناء المعنى: نصوص ورهانات لقراءة مستقبل أفريقيا، ٢٠٠١.

٢١- عثمان كان، المثقفون الأفريقيون المتحدثون بلغات غير أوروبية، ٢٠٠٥.

سلسلة كراسات اللجنة الاقتصادية لأفريقيا

أ- التنمية بالمشاركة

١- تعزيز التواصل بين مؤسسات صنع السياسة الحكومية وبين الجامعات والمراكز البحثية من أجل دعم الإصلاح الاقتصادي والتنمية في أفريقيا.

٢- تحسين أداء المشروعات العامة في أفريقيا: دروس من تجارب قطرية.

٣- تحسين أداء المشروعات العامة في أفريقيا.

٤- تعبئة وإدارة الموارد المالية في الجامعات الأفريقية.

٥- تحسين إنتاجية الخدمات العامة في أفريقيا.

٦- دعم حيوية الجامعة الأفريقية في التسعينيات ومابعدها.

٧- تهيئة البيئة لتنمية الفعاليات التنظيمية في أفريقيا.

٨- تعبئة القطاع غير الرسمي والمنظمات غير الحكومية من أجل الإصلاح الاقتصادي والتنمية في أفريقيا.

٩- الأخلاقيات والمساءلة في الخدمات العامة الأفريقية.

١٠- أعمال ندوة حول الديمقراطية والمشاركة الشعبية لقادة نقابات العمال في أفريقيا.

١١- الإثنية والصراع السياسي في أفريقيا.

١٢- ميثاق عمل للمنظمات غير الحكومية في أفريقيا.

ب- سلسلة التنمية بالمشاركة

١- دراسة حالة في ناميبيا.

٢- دراسة حالة في أوغندا.

٣- كيف تؤثر المنظمات الأهلية في السياسات عن طريق البحث والضغط والدعوة.

٤- المبادئ الأساسية لتعزيز الحوار والتعاون والتداخل بين الحكومات والمنظمات الشعبية.

٥- دراسة حالة في جامبيا.

٦- دراسة حالة في أثيوبيا.

ج- سلسلة الدليل التدريبي للتنمية بالمشاركة الشعبية

١- الاتصال في خدمة التنمية بالمشاركة.

٢-المنظمات المحلية غير الحكومية وتحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء في المجتمعات المحلية.

٣- مناهج تطوير المنظمات الأهلية للمشروعات.

٤- تخفيف الفقر وصيانة البيئة.
٥- تعريف دور وأهمية اتصال دعم التنمية من أجل المشاركة الفعالة في عملية التنمية.
٦- إدارة المشروعات الصغيرة
٧- تصميم فعال لخدمات تنظيم الأسرة
٨- دور مؤسسات المجتمع المدني في منع وإدارة وحل الصراعات في أفريقيا.

النشرات

١- نشرة البحوث العربية:من العدد التجريبي يناير ١٩٩٠ إلى العدد (١٥-١٦) سبتمبر٢٠٠٣- مارس٢٠٠٤.
٢- نشرة المجلس الأفريقي لتنمية البحوث الاقتصادية والاجتماعية (كوديسريا): من العدد الأول أبريل ١٩٩١ إلى العدد الخامس والأربعون، ٢٠٠٤.
٣-نشرة العلوم السياسية الأفريقية: من العدد الأول إلى العدد الثامن والثلاثون، أغسطس ٢٠٠٣.
٤- نشرة الذاكرة الوطنية- مع لجنة التوثيق- العدد الثاني-أكتوبر ١٩.
٥- نشرة منتدى العالم الثالث بداكار: العدد الأول يوليو ١٩٩٦- العدد الثاني يونيو ١٩٩٧.
٦- نشرة المنتدى العالمي للبدائل: العدد الثالث- فبراير ٢٠٠٢.
٧- نشرة منظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوب أفريقيا (أوسريا)، العدد الأول، مارس ٢٠٠٤.

تحت الطبع

١. إسرائيل في الزراعة المصرية
٢. كتاب حول أمريكا اللاتينية.
٣. المجلد الأول من وثائق الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥.
٤. أبحاث مشروع المسألة الفلاحية والزراعية- لجنة المسألة الفلاحية والزراعية في مصر.
٥. الحركات الفلاحية في مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين (ترجمات لمواد مقدمة من د. سمير أمين).
٦. المرأة في القطاع غير الرسمي.
٧. التعليم العالي والتنمية.